الجزء الثاني من كتاب الكشاف

عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل

تأليف الشيخ الإمام العلامة فخر خوارزم محمود

بن عمر الزمخشري نور الله حضرته

نسخ من شمس الخزانة النبوية الفاطمية الآغاخانية للمولى لله
طول الله مدتها وأعلا في الدارين درجتها
ونشر فيها وكثرها بعنايته وحرس الإسلام
بطول البقاء محمد الأمين في آل الطيب الطاهر بن
طيب الله

الحمد لله على كل حال من الأحوال
لقد بان عجب على الأجيال

بسم الله الرحمن الرحيم   اللهم يسر واعن يا ارحم الراحمين

سورة الاعراف مكية غير ثمان ايات [واسألهم عن القرية] الى واذ نتقنا الجبل وهي مائتان وست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم **كتاب** خبر مبتدأ محذوف اي هو كتاب وانزل اليك صفة
له والمراد بالكتاب السورة **فلا يكن** في صدرك حرج منه اي شك منه كقوله فان كنت في شك
مما انزلنا اليك وسمي الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر حرجه كما ان المتيقن منشرح
الصدر منفسحه اي لا تشك في انه منزل من الله او حرج منه بتبليغه لانه كان يخاف قومه
وتكذيبهم له واعراضهم عنه واذاهم فكان يضيق صدره من الاداء ولا ينبسط له فامنه الله
ونهاه عن المبالاة بهم **فان قلت** بم تعلق قوله لتنذر **قلت** بانزل اي انزل اليك لانذارك
به او بالنهي لانه اذا لم يخفهم انذرهم وكذلك اذا ايقن انه من عند الله شجعه اليقين على الانذار
لان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه متكل على عصمته **فان قلت** فما محل ذكرى **قلت**
يحتمل الحركات الثلاث النصب باضمار فعلها كانه قيل لتنذر به وتذكر تذكيرا لان الذكرى اسم
بمعنى التذكير والرفع عطفا على كتاب او بانه خبر مبتدأ محذوف والجر للعطف على محل ان تنذر
اي للانذار وللذكرى **فان قلت** النهي في قوله فلا يكن متوجه الى الحرج فما وجهه **قلت** هو
من قولهم لا ارينك هاهنا **اتبعوا** ما انزل اليكم من ربكم من القران والسنة ولا تتبعوا من دونه
اولياء اي ولا تتولوا من دونه شياطين الجن والانس فيحملوكم على عبادة الاوثان والاهواء
والبدع ويضلوكم عن دين الله وما انزل اليكم وامركم باتباعه وعن الحسن يا ابن ادم امرت باتباع
كتاب الله وسنة محمد والله ما نزلت اية الا وهو يحب ان تعلم فيم انزلت وما معناها وقرأ مالك بن
دينار ولا تبتغوا من الابتغاء ومن يبتغ غير الاسلام دينا ويجوز ان يكون الضمير في من دونه لما انزل
على ولا تتبعوا من دون الله اولياء قليلا ما تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وقرئ
تذكرون بحذف التاء ويتذكرون بالياء **وقليلا** نصب بتذكرون اي تذكرون تذكرا قليلا
وما مزيدة لتوكيد القلة **فجاءها** فجاء اهلها **بياتا** مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين بياتا
حسنا وبيتة حسنة وقوله **هم قائلون** حال معطوفة على بياتا كانه قيل فجاءهم باسنا بائتين
او قائلين **فان قلت** هل تقدير حذف المضاف الذي هو الاهل قبل قرية او قبل الضمير في اهلكناها
قلت انما يقدر المضاف للحاجة ولا حاجة فان القرية تهلك كما يهلك اهلها وانما قدرناه قبل الضمير في فجاءها
لقوله او هم قائلون **فان قلت** لا يقال جاءني زيد هو فارس بغير واو فما بال قوله هم قائلون
قلت قدر بعض النحويين الواو محذوفة ورده الزجاج وقال لو قلت جاءني زيد راجلا او هو فارس او
جاءني زيد هو فارس لم يحتج فيه الى واو لان الذكر قد عاد الى الاول والصحيح انها اذا عطفت على

حال قبلها حذفت الواو استثقالا لاجتماع حرفي عطف لان واو الحال هي واو العطف استعيرت
للوصل فقولك جاءني زيد راجلا او هو فارس كلام فصيح وارد على حده واما جاءني زيد هو فارس فخبيث
فان قلت فما معنى قوله اهلكناها فجاءها باسنا والاهلاك انما هو بعد مجيء الباس **قلت** معناه
اردنا اهلاكها كقوله اذا قمتم الى الصلوة وانما خص هذان الوقتان وقت البيات ووقت القيلولة
لانهما وقتا الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما اشد وافظع وقوم لوط اهلكوا بالليل
وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة **فما كان** دعواهم ما كانوا يدعونه من دينهم
وينتحلونه من مذهبهم الا اعترافهم ببطلانه وفساده وقولهم انا كنا ظالمين فيما كنا
عليه ويجوز فما كان استغاثتهم الا قولهم هذا لانه لا مستغاث من الله بغيره من قولهم دعواهم
يا لكعب ويجوز فما كان دعاؤهم ربهم الا اعترافهم لعلمهم ان الدعاء لا ينفعهم وان لات حين دعاء
فلا يزيدون على ذم انفسهم وتحسرهم على ما كان منهم ودعواهم نصب خبر لكان وان قالوا رفع اسم
له ويجوز العكس **فلنسألن الذين ارسل اليهم** اسند الى الجار والمجرور وهو اليهم ومعناه
فلنسألن المرسل اليهم وهم الامم يسألهم عما اجابوا به رسلهم كما قال ويوم يناديهم فيقول
ماذا اجبتم المرسلين ويسأل المرسلين عما اجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم
فلنقصن عليهم على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم بعلم عالمين باحوالهم الظاهرة والباطنة
واقوالهم وافعالهم وما كنا غائبين عنهم وعما وجد منهم **فان قلت** اذا كان عالما بذلك وكان
يقصه عليهم فما معنى سؤالهم **قلت** معناه التوبيخ والتقريع والتقرير اذا فاهوا به بالسنتهم
وشهد عليهم انبياؤهم **والوزن يومئذ** الحق يعني وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها ورفعه
على الابتداء وخبره يومئذ والحق صفته اي والوزن يوم يسأل الله الامم ورسلهم الوزن الحق اي
العدل وقرئ القسط واختلف في كيفية الوزن فقيل توزن صحف الاعمال بميزان له لسان وكفتان
ينظر اليه الخلائق تأكيدا للحجة واظهارا للنصفة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم
فيعترفون بها بالسنتهم وتشهد بها عليهم ايديهم وارجلهم وجلودهم وتشهد عليهم
الانبياء والملائكة والاشهاد وكما تثبت في صحائفهم فيقرؤونها في موقف الحساب **وقيل** هي عبارة
عن القضاء السوي والحكم العادل **ومن ثقلت** موازينه جمع ميزان او موزون اي فمن رجحت اعماله
الموزونة التي لها وزن وقدر وهي الحسنات او ما توزن به حسناتهم وعن الحسن وحق لميزان توضع
فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع فيه السيئات ان يخف **بما كانوا بآياتنا** يظلمون يكذبون
بها ظلما كقوله فظلموا بها **مكناكم** في الارض جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا او ملكناكم فيها
واقدرناكم على التصرف فيها **وجعلنا** لكم فيها معايش جمع معيشة وهي ما يعاش به
من المطاعم والمشارب وغيرها او ما يتوصل به الى ذلك **والوجه** تصريح الياء وعن ابن عامر
انه همز على التشبيه بصحائف **ولقد خلقناكم** ثم صورناكم يعني خلقنا اباكم ادم طينا
غير مصور ثم صورناه بعد ذلك الا ترى الى قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم **من الساجدين**

اى ذلك لك

من سجد لادم لا في ان لا تسجد صلة بدليل قوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ومثلها لئلا
يعلم اهل الكتاب بمعنى ليعلم ٥ فان قلت ما فائدة زيادتها قلت توكيد معنى الفعل الذي يدخل
عليه وتحقيقه كانه قيل ليتحقق علم اهل الكتاب وما منعك ان تحقق السجود وتلزمه نفسك اذ امرتك
لان امري لك بالسجود اوجبه عليك ايجابا وحتمه حتما لا بد لك منه ٥ فان قلت لم سأله عن المانع من
السجود وقد علم ما منعه ٥ قلت للتوبيخ ولاظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره باصله وازدرائه
باصل آدم وانه خالف امر ربه معتقدا انه غير واجب عليه لما راى ان سجود الفاضل للمفضول خارج من
الصواب ٥ فان قلت كيف يكون قوله انا خير منه جوابا لما منعك وانما الجواب ان يقول منعني كذا ٥ قلت
قد استانف قصة اخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم وبعلة فضله عليه وهو ان اصله من نار واصل آدم
من طين فعلم منها الجواب وزيادة عليه وهو انكار الامر واستبعاد ان يكون مثله مامورا بالسجود لمثله كانه
يقول من كان على هذه الصفة كان مستبعدا ان يؤمر بما امر به فاهبط منها من السماء التي هي مكان المطيعين
المتواضعين من الملائكة الى الارض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين فما يكون لك
فما يصح لك ان تتكبر فيها وتعصي فاخرج انك من الصاغرين من اهل الصغار والهوان على الله وعلى
اوليائه لتكبره كما تقول للرجل قم صاغرا اذا اهنته وفي ضده قم راشدا وذلك انه لما اظهر الاستكبار
البس الصغار وعن عمر رضي الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله
ومن تكبر وعدا طوره وهصه الله الى الارض ٥ فان قلت لم اجيب الى استنظاره وانما استنظر
ليفسد عباده ويغويهم ٥ قلت لما في ذلك من ابتلاء العباد وفي مخالفته من اعظم الثواب وحكمه حكم
ما خلق في الدنيا من صنوف الزخارف وانواع الملاذ والملاهي وما ركب في الانفس من الشهوات
ليمتحن بها عباده فبما اغويتني فبسبب اغوائك اياي لاقعدن لهم وهو تكليفه اياه ما وقع
به في الغي ولم يثبت كما ثبتت الملائكة مع كونهم افضل منه ومن آدم انفسا ومناصب وعن الاصم امرتني
بالسجود فحملني الانف على معصيتك والمعنى فبسبب وقوعي في الغي لاجتهدن في اغوائهم حتى يفسدوا
بسببي كما فسدت بسببهم ٥ فان قلت بم تعلقت الباء فان تعلقها بلاقعدن يصد عنه لام القسم
لا تقول والله بزيد لامرن ٥ قلت تعلقت بفعل القسم المحذوف تقديره فبما اغويتني اقسم بالله لاقعدن
اي فبسبب اغوائك اقسم ويجوز ان تكون الباء للقسم اي فاقسم باغوائك لاقعدن وانما اقسم
بالاغواء لانه كان تكليفا والتكليف من احسن افعال الله لكونه تعريضا للسعادة الابد
فكان جديرا بان يقسم به ٥ ومن تكاذيب المجبرة ما حكوا عن طاوس انه كان في المسجد الحرام
فجاء رجل من كبار الفقهاء يرمى بالقدر فجلس اليه فقال له طاوس تقوم او تقام فقام الرجل
فقيل له اتقول هذا لرجل فقيه فقال ابليس افقه منه قال رب بما اغويتني وهذا يقول انا اغوي
نفسي وما ظنك بقوم بلغ من تهالكهم على اضافة القبائح الى الله سبحانه ان لفقوا الاكاذيب على
الرسول … وقيل ما للاستفهام كانه قيل باي شي اغويتني ثم ابتدا لاقعدن
واثبات الالف اذا ادخل حرف الجر على ما الاستفهامية قليل شاذ واصل الغي الفساد ومنه غوى الفصيل

اذا بشم والبشم فساد لاقعدن لهم صراطك المستقيم لاعترضن لهم على طريق الاسلام كما
يعترض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف كقوله كما عسل الطريق الثعلب
وشبهه الزجاج بقولهم ضرب زيد الظهر والبطن اي على الظهر والبطن ٥ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الشيطان قعد لابن آدم باطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال له تدع دين آبائك فعصاه فاسلم
ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له تدع ديارك وتتغرب فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال
له تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امراتك فعصاه فقاتل ثم لآتينهم من الجهات الاربع التي ياتي
منها العدو في الغالب وهذا مثل لوسوسته اليهم وتسويله ما امكنه وقدر عليه كقوله
واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك ٥ فان قلت كيف قيل من بين ايديهم ومن خلفهم بحرف
الابتداء وعن ايمانهم وعن شمائلهم بحرف المجاوزة ٥ قلت المفعول فيه عدي اليه الفعل نحو تعديته الى
المفعول به فكما اختلفت حروف التعدية في ذلك اختلفت في هذا وكانت لغة توخذ ولا تقاس وانما
يفتش عن صحة موقعها فقط فلما سمعناهم يقولون جلس عن يمينه وعلى يمينه وعن شماله وعلى شماله قلنا معنى
على يمينه انه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلي من المستعلى عليه ومعنى عن يمينه انه جلس متجافيا
عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له ثم كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره كما ذكرنا في تعال
ونحوه من المفعول به قولهم رميت عن القوس وعلى القوس ومن القوس لان السهم يبعد عنها ويستعليها
اذا وضع على كبدها للرمي ويبتدئ الرمي منها وكذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى في
لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل يقع في بعض الجهتين كما تقول جئته من
الليل تريد بعض الليل وعن شقيق ما من صباح الا قعد لي الشيطان على اربعة مراصد من بين
يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي اما من بين يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرا وانى
لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى واما من خلفي فيخوفني الضيعة على مخلفي فاقرا وما من
دابة في الارض الا على الله رزقها واما من قبل يميني فياتيني من قبل الثناء فاقرا والعاقبة للمتقين
واما من قبل شمالي فياتيني من قبل الشهوات فاقرا وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولا تجد اكثرهم شاكرين
قاله تظنيا بدليل قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل سمعه من الملائكة باخبار الله لهم
مذءوما من ذامه اذا ذمه وقرا الزهري مذوما بالتخفيف مثل مسول في مسؤول واللام في لمن تبعك
موطئة للقسم ولاملان جوابه وهو ساد مسد جواب الشرط منكم منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب
كما في قوله انتم قوم تجهلون وروى عصمة عن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا
الوعيد وهو قوله لاملان جهنم منكم اجمعين على ان لاملان في محل الابتداء ولمن تبعك خبره ويا آدم
وقلنا يا آدم وقرئ هذي الشجرة والاصل الياء والهاء بدل منها فوسوس لهما الشيطان وسوس اذا تكلم كلاما خفيا
يكرره ومنه وسوس الحلي وهو فعل غير متعد كولولت المراة ووعوع الذئب ورجل موسوس
بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس اليه وهو الذي يلقى اليه
الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله ووسوس اليه القاها اليه
ليبدي لهما جعل ذلك غرضا له ليسوءهما اذا رايا ما يؤثران ستره وان لا يطلع عليه مكشوفا

وفيه دليل على ان كشف العورة من عظائم الامور وانه لم يزل مستهجنا في الطباع مستقبحا في العقول
فان قلت ما للواو المضمومة في ووري لم تقلب همزة كما في اويصل قلت وقد جاء قراءة عبد الله
اوري بالقلب الا ان تكونا ملكين الا كراهة ان تكونا ملكين وفيه دليل على ان الملائكة بالمنظر
الاعلى وان البشرية تلمح مرتبتها كلا ولا وقرئ ملكين بكسر اللام لقوله وملك لا يبلى او تكونا من الخالدين
من الذين لا يموتون ويخلدون في الجنة ساكنين وقرئ سوتهما بالتوحيد وسواتهما بالواو المشددة
وقاسمهما واقسم لهما اني لكما لمن الناصحين فان قلت المقاسمة ان تقسم لصاحبك ويقسم لك تقول
قاسمت فلانا حالفته وتقاسما تحالفا ومنه قوله تعالى تقاسموا بالله لنبيتنه قلت كانه قال
لهما اقسم لكما اني لمن الناصحين وقالا له اتقسم بالله انك لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة بينهم
او اقسم لهما بالنصيحة واقسما له بقبولها واخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيها
اجتهاد المقاسم فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة بغرور بما غرهما به من القسم بالله وعن قتادة
انما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر انه كان اذا راى من عبده طاعة وحسن صلاة اعتقه وكان
عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل له انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له
فلما ذاقا الشجرة وجدا طعمها آخذين في الاكل منها وقيل الشجرة هي السنبلة وقيل
شجرة الكرم بدت لهما سواتهما اي تهافت عنهما اللباس فظهرت لهما عوراتهما وكانا لا يريانها
من انفسهما ولا احدهما من الاخر وعن عائشة رضي الله عنها ما رايت منه ولا راى مني وعن سعيد
بن جبير كان لباسهما من جنس الاظفار وعن وهب كان لباسهما نورا يحول بينهما وبين النظر
وطفقا وطفق بمعنى جعل يفعل كذا وقرا ابو السمال وطفقا بالفتح يخصفان
ورقة فوق ورقة على عوراتهما ليستترا بها كما تخصف النعل بان تجعل طرقة على طرقة
وتوثق بالسيور وقرا الحسن يخصفان بكسر الخاء وتشديد الصاد واصله يختصفان
وقرا الزهري يخصفان من اخصف وهو منقول من خصف اي يخصفان انفسهما وقرئ يخصفان
من خصف بالتشديد من ورق الجنة قيل كان ورق التين الم انهكما عتاب من الله
وتوبيخ وتنبيه على الخطا حيث لم يتحذرا ما حذرهما الله من عداوة ابليس وروي انه قال
لآدم الم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما
ظننت ان احدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش
الا كدا فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وعجن وخبز
وسميا ذنبهما وان كان صغيرا مغفورا ظلما وقالا لنكونن من الخاسرين على عادة الاولياء
والصالحين في استعظامهم الصغير من السيئات واستصغارهم العظيم من الحسنات اهبطوا
الخطاب لآدم وحواء وابليس بعضكم لبعض عدو في موضع الحال اي متعادين يعاديهما ابليس ويعاديانه
مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع وانتفاع بعيش الى حين الى انقضاء آجالكم وعن
ثابت البناني لما اهبط آدم وحضرته الوفاة احاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم
فقال لها خلي ملائكة ربي فانما اصابني الذي اصابني فيك فلما توفي غسلته الملائكة بماء وسدر

وترا وحنطته وكفنته في وتر من الثياب وحفروا له لحدا ودفنوه بسرنديب بارض الهند
وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده جعل ما في الارض منزلا من السماء لانه قضي ثم وكتب
ومنه وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وريشا لباس الزينة استعير من ريش الطير لانه
لباسه وزينته اي انزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سواتكم ولباسا يزينكم لان الزينة
غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال وقرا عثمان رضي الله عنه ورياشا جمع ريش
كشعب وشعاب ولباس التقوى ولباس الورع والخشية من الله وارتفاعه على الابتداء
وخبره اما الجملة التي هي ذلك خير كانه قيل ولباس التقوى هو خير لان اسماء الاشارة
تقرب من الضمائر فيما يرجع الى عود الذكر واما المفرد الذي هو خير وذلك صفة للمبتدا كانه قيل
ولباس التقوى المشار اليه خير ولا تخلو الاشارة من ان يراد بها تعظيم لباس التقوى او ان
تكون اشارة الى اللباس المواري للسوءة لان مواراة السوءة من التقوى تفضيلا له على لباس الزينة
وقيل لباس التقوى خبر مبتدا محذوف اي وهو لباس التقوى ثم قيل ذلك خير وفي قراءة عبد الله
وابي ولباس التقوى خير وقيل المراد بلباس التقوى ما يلبس من الدرع والجوشن والمغافر
وغيرها مما يتقى به في الحروب وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا وريشا ذلك من آيات
الله الدالة على فضله ورحمته على عباده يعني انزال اللباس لعلهم يذكرون فيعرفوا عظيم
النعمة فيه وهذه الاية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر السوات وخصف الورق
عليهما اظهارا للمنة فيما خلق من اللباس ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة
واشعارا بان التستر باب عظيم من ابواب التقوى لا يفتننكم الشيطان لا يخدعنكم بان لا تدخلوا
الجنة كما فتن ابويكم بان اخرجهما منها ينزع عنهما لباسهما حال اي اخرجهما نازعا لباسهما
بان كان سببا في ان نزع عنهما انه يراكم هو تعليل للنهي وتحذير من فتنته بانه بمنزلة العدو
المداجي يكيدكم ويغتالكم من حيث لا تشعرون وعن مالك بن دينار ان عدوا يراك ولا تراه لشديد
المؤنة الا من عصم الله وقبيله وجنوده من الشياطين وفيه دليل بين ان الجن لا يرون ولا
يظهرون للانس وان اظهارهم انفسهم ليس في استطاعتهم وان زعم من يدعي رؤيتهم زور ومخرقة
انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون اي خلينا بينهم وبينهم لم نكفهم عنهم حتى
تولوهم واطاعوهم فيما سولوا لهم من الكفر والمعاصي وهذا تحذير ابلغ من الاول فان قلت
علام عطف وقبيله قلت على الضمير في يراكم المؤكد بهو والضمير في انه ضمير الشان
والحديث وقرا اليزيدي وقبيله بالنصب وفيه وجهان ان يعطفه على اسم ان وان يكون الواو بمعنى
مع واذا عطفه على اسم ان وهو الضمير في انه كان راجعا الى ابليس الفاحشة ما تبالغ في
قبحه من الذنوب اي اذا فعلوها اعتذروا بان آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبان الله
امرهم بان يفعلوها وكلاهما باطل من العذر لان احدهما تقليد والتقليد ليس بطريق للعلم
والثاني افتراء على الله والحاد في صفاته كانوا يقولون لو كره الله منا ما نفعله

لتقلدنا عنه وعن الحسن ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى العرب وهم قدرية مجبرة يحملون
ذنوبهم على الله وتصديقه قول الله عز وجل واذا فعلوا فاحشة **قل ان الله** لا يأمر بالفحشاء لان
فعل القبيح مستحيل عليه لعدم الداعي ووجود الصارف فكيف يأمر بفعله **اتقولون** على الله ما لا تعلمون
انكار لاضافتهم القبيح اليه وشهادة على ان مبنى قولهم على الجهل المفرط وقيل المراد بالفاحشة
طوافهم بالبيت عراة **قل امر ربي بالقسط** بالعدل وبما قام في النفوس انه مستقيم حسن عند كل مميز وقيل
بالتوحيد **واقيموا** وجوهكم وقل اقيموا وجوهكم اي اقسطوا واقيموا وجوهكم اي اقصدوا عبادته مستقيمين اليها غير عادلين
الى غيرها **عند** كل مسجد في كل وقت سجود او في كل مكان سجود وهو الصلاة وادعوه واعبدوه
مخلصين له الدين اي الطاعة مبتغين بها وجه الله خالصا كما بداكم تعودون كما انشاكم ابتداء
يعيدكم احتج عليهم في انكارهم الاعادة بابتداء الخلق والمعنى انه يعيدكم فيجازيكم على اعمالكم
فلا تخلصوا له العبادة **فريقا** هدى وهم الذين اسلموا اي وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة
اي كلمة الضلالة وعلم الله انهم يضلون ولا يهتدون وانتصاب قوله وفريقا بفعل يفسره ما بعده
كانه قيل وخذل فريقا حق عليهم الضلالة **انهم** ان الفريق الذين حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين
اولياء اي تولوهم بالطاعة فيما امروهم به وهذا دليل على ان علم الله لا اثر له في ضلالهم وانهم هم
الضالون باختيارهم وتوليهم الشياطين دون الله **خذوا** زينتكم اي ريشكم ولباس زينتكم
عند كل مسجد كلما صليتم او طفتم وكانوا يطوفون عراة وقيل الزينة المشط او الطيب
واناس من العرب يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد وان طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه
لانهم قالوا لا نعبد الله في ثياب اذنبنا فيها وقيل تفاؤلا ليتعروا من الذنوب كما تعروا من
الثياب وقيل الزينة المشط وقيل الطيب والسنة ان ياخذ الرجل احسن هيئته للصلوة
وكان بنو عامر في ايام حجهم لا ياكلون الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم
فقال المسلمون فانا احق ان نفعل فقيل لهم وكلوا واشربوا ولا تسرفوا وعن ابن عباس كل ما شئت والبس
ما شئت ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة ويحكى ان الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال
لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال
له قد جمع الله الطب كله في نصف اية من كتابه قال وما هي قال قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا
فقال النصراني ولا يؤثر عن رسولكم شيء من الطب فقال قد جمع رسولنا صلى الله عليه وسلم الطب في الفاظ
يسيرة قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية راس كل دواء واعط كل بدن ما عودته
فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا **زينة الله** من الثياب وكل ما يتجمل
به **والطيبات** من الرزق المستلذات من الماكل والمشارب ومعنى الاستفهام في من انكار تحريم هذه
الاشياء وقيل كانوا اذا احرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها **قل**
هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا غير خالصة لهم لان المشركين شركاؤهم فيها خالصة يوم
القيمة لا يشركهم فيها احد فان قلت هلا قيل هي للذين امنوا ولغيرهم قلت لينبه على انها

خلقت للذين امنوا على طريق الاصالة وان الكفرة تبع لهم كقوله ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره
الى عذاب النار وقرئ خالصة بالنصب على الحال وبالرفع على انها خبر بعد خبر **الفواحش** ما تفاحش
قبحه اي تزايد وقيل هي ما يتعلق بالفروج **والاثم** عام لكل ذنب وقيل شرب الخمر والبغي الظلم والكبر
افرده بالذكر كما قال وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي **ما لم** ينزل به سلطانا فيه تهكم لانه لا يجوز ان ينزل
برهانا بان يشرك به غيره **وان تقولوا** على الله وان تتقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره
ولكل امة اجل وقت معين يهلكهم فيه بالعذاب ان لم يؤمنوا او اجل يعلمه عند الله كما نزل بالامم وقرئ اذا جاء
اجالهم وقال ساعة لانها اقل الاوقات في استعمال الناس يقول المستعجل لصاحبه في ساعة يريد اقصر
وقت واقربه **اما** ياتينكم هي ان الشرطية ضمت اليها ما مؤكدة لمعنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون
الثقيلة والخفيفة فان قلت ما جزاء هذا الشرط قلت الفاء وما بعده من الشرط والجزاء والمعنى
فمن اتقى واصلح منكم والذين كذبوا منكم وقرئ ياتينكم بالتاء **فمن اظلم** فمن اشد ظلما ممن تقول على
الله ما لم يقله او كذب ما قاله **اولئك** ينالهم نصيبهم من الكتاب اي مما كتب لهم من الارزاق والاعمار
حتى اذا جاءتهم رسلنا حتى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له اي الى وقت وفاتهم وهي حتى التي يبتدا
بعدها الكلام والكلام هاهنا الجملة الشرطية وهي اذا جاءتهم رسلنا قالوا يتوفونهم حال من الرسل
اي متوفيهم والرسل ملك الموت واعوانه وما وقعت موصولة بان في خط المصحف وكان حقها ان
تفصل لانها موصولة بمعنى اين الالهة الذين تدعون **ضلوا عنا** غابوا عنا فلا نراهم ولا ننتفع بهم اعترافا منهم
بانهم لم يكونوا على شيء فيما كانوا عليه وانهم لم يجدوه في العاقبة **قال ادخلوا** اي يقول الله تعالى يوم
القيمة لاولئك الذين قال فيهم فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته وهم كفار العرب **في امم** في
الحال اي كائنين في جملة امم وفي غمارهم مصاحبين لهم اي ادخلوا في النار مع امم قد خلت من قبلكم وتقدم
زمانهم زمانكم **لعنت اختها** التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها اي تداركوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا
في النار **قالت اخراهم** منزلة وهي الاتباع والسفلة لاولاهم منزلة وهي القادة والرؤوس ومعنى لاولاهم
لاجل اولاهم لان خطابهم مع الله لا معهم **عذابا** ضعفا مضاعفا **لكل** ضعف لان كلا من القادة
والاتباع كانوا ضالين مضلين **ولكن** لا تعلمون وقرئ بالياء واليا فما كان لكم علينا من فضل عطفوا
هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة لكل ضعف اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا متساوون
في استحقاق الضعف **فذوقوا** العذاب من قول القادة او من قول الله لهم جميعا **لا تفتح** لهم ابواب السماء
لا يصعد لهم عمل صالح اليه يصعد الكلم الطيب كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقيل
ان الجنة في السماء فالمعنى لا يؤذن لهم في صعود السماء ولا يطرق لهم اليها ليدخلوا الجنة وقيل
لا تصعد ارواحهم اذا ماتوا كما تصعد ارواح المؤمنين وقيل لا ينزل عليهم البركة ولا يغاثون
ففتحنا ابواب السماء وقرئ لا تفتح بالتشديد ولا يفتح بالياء والتخفيف بالتاء والياء للفاعل ونصب
الابواب على ان الفعل للايات وبالياء على ان الفعل لله عز وجل وقرا ابن عباس الجمل بوزن القمل
وسعيد بن جبير الجمل بوزن النغر وقرئ الجمل بوزن القفل والجمل بوزن النصب والجمل

بوزن الجمل ومعناها القلس الغليظ لانه حبال جمعت وجعلت جملة واحدة وعن ابن عباس ان الله احسن
تشبيها من ان يشبه بالجمل يعني ان الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سم الابرة والبعير لا يناسبه
الا ان قراءة العامة اوقع لان سم الابرة مثل في ضيق المسلك يقال اضيق من خرت الابرة وقالوا للدليل الماهر
خريت للاهتداء به في المضايق المشبهة باخرات الابر والجمل مثل في عظم الجرم قال ✢ جسم الجمال واحلام العصافير ✢
ان الرجال ليسوا بجزر تراد منهم الاجسام فقيل لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون ابدا من ولوج هذا الحيوان
الذي لا يلج الا في باب واسع في ثقب الابرة وعن ابن مسعود انه سئل عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالا للسائل
واشارة الى ان طلب معنى آخر تكلف وقرئ في سم بالحركات الثلث وقرا عبد الله في سم المخيط والخياط والمخيط
ما يخاط به وهو الابرة كالحزام والمحزم **وكذلك** ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين ليؤذن ان الاجرام
هو السبب الموصل الى العقاب وان كل من اجرم عوقب وقد كرره فقال وكذلك نجزي الظالمين لان كل مجرم
ظالم لنفسه **مهاد** فراش غواش اغطية وقرئ غواش بالرفع كقوله وله الجوار المنشآت في قراءة عبد الله
لا نكلف نفسا الا وسعها جملة معترضة بين المبتدا والخبر للترغيب في اكتساب ما لا يكتنهه وصف الواصف
من النعيم الخالد مع التعظيم باهون ما يسع ويسهل من الامكان الواسع غير الضيق من الايمان والعمل الصالح وقرا
الاعمش لا تكلف نفس من كان في قلبه غل على اخيه في الدنيا نزع منه فسلمت قلوبهم وطهرت ولم يكن
بينهم الا التواد والتعاطف وعن علي رضوان الله عليه اني لارجو ان اكون انا وعثمن وطلحة والزبير منهم
هدانا لهذا اي وفقنا لموجب هذا الفوز العظيم وهو الايمان والعمل الصالح **وما كنا** لنهتدي اللام لتوكيد
النفي يعنون وما كان يستقيم ان نكون مهتدين لولا هداية الله وتوفيقه وفي مصاحف اهل الشام ما كنا
لنهتدي بغير واو على انها جملة موضحة للاولى **لقد جاءت** رسل ربنا بالحق فكان لنا لطفا وتنبيها على الاهتدا
فاهتدينا يقولون ذلك سرورا واغتباطا بما نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تقربا وتعبدا كما ترى من رزق خيرا
في الدنيا يتكلم بنحو ذلك ولا يتمالك ان لا يقوله للفرح لا للقربة ان تلكم الجنة ان مخففة من الثقيلة تقديره
ونودوا بانه تلكم الجنة اورثتموها والضمير ضمير الشان والحديث او تكون بمعنى اي لان المناداة من القول كانه
قيل وقيل لهم تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون بسبب اعمالكم لا بالتفضل كما يقول المبطلة **ان قد**
وجدنا يحتمل ان تكون مخففة من الثقيلة وان تكون مفسرة كالتي سبقتها وكذلك ان لعنة الله على
الظالمين وانما قالوا لهم ذلك اغتباطا بحالهم وشماتة باصحاب النار وزيادة في غمهم ولتكون حكايته لطفا
لمن سمعها وكذلك قول المؤذن بينهم لعنة الله على الظالمين وهو ملك يامره الله فينادي بينهم نداء
يسمع اهل الجنة واهل النار وقرئ ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرا الاعمش ان لعنة الله
بكسر ان على ارادة القول او على اجراء اذن مجرى قال فان قلت هلا قيل ما وعدكم ربكم كما
قيل ما وعدنا ربنا قلت حذف ذلك تخفيفا لدلالة وعدنا عليه ولقائل ان يقول اطلق ليتناول
كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر احوال القيمة لانهم كانوا مكذبين بذلك
اجمع ولان الموعود كله مما ساءهم وما نعيم اهل الجنة الا عذاب لهم فاطلق لذلك **وبينهما حجاب** يعني بين الجنة
والنار او بين الفريقين وهو السور المذكور في قوله فضرب بينهم بسور **وعلى الاعراف** وعلى اعراف الحجاب

وهو السور المضروب بين الجنة والنار وهي اعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف الديك
رجال من المسلمين من آخرهم دخولا في الجنة لقصور اعمالهم كانهم المرجون لامر الله يحبسون بين الجنة
والنار الى ان ياذن الله لهم في دخول الجنة **يعرفون** كلا من زمر السعداء والاشقياء بسيماهم بعلامتهم
التي اعلمهم الله بها بالهامهم الله ذلك او تعرفهم الملئكة اذا نظروا الى اصحاب الجنة نادوهم بالتسليم عليهم
واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار ورأوا ما هم فيه من العذاب استعاذوا بالله وفزعوا
الى رحمته ان لا يجعلهم معهم ونادوا رجالا من رؤس الكفرة يقولون لهم اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم
الله برحمة اشارة لهم الى اهل الجنة الذين كان الرؤساء يستهينون بهم ويحتقرونهم لفقرهم وقلة
حظوظهم من الدنيا وكانوا يقسمون ان الله لا يدخلهم الجنة **ادخلوا الجنة** يقال لاصحاب الاعراف
ادخلوا الجنة وذلك بعد ان يحبسوا على الاعراف وينظروا الى الفريقين ويعرفوهم بسيماهم ويقولوا ما يقولون
وفائدة ذلك بيان ان الجزاء على قدر الاعمال وان التقدم والتاخر على حسبها وان احدا لا يسبق عند
الله الا بسبقه في العمل ولا يتخلف عنده الا بتخلفه فيه وليرغب السامعون في حال السابقين ويحرصوا
على احراز قصبتهم وليتصوروا ان كل احد يعرف ذلك اليوم بسيماه التي استوجب ان يوسم بها من اهل
الخير والشر فيرتدع المسيء عن اساءته ويزيد المحسن في احسانه وليعلم ان العصاة يوبخهم كل احد
حتى اقصر الناس عملا وقوله واذا صرفت ابصارهم فيه ان صارفا يصرف ابصارهم لينظروا فيستعيذوا
ويتحسروا وقرا الاعمش واذا قلبت ابصارهم وقرئ ادخلوا الجنة على البناء للمفعول وقرا عكرمة دخلوا الجنة
فان قلت كيف لاءم ما قبل القراءتين قوله لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون قلت تاويله ادخلوا
الجنة او دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون فان قلت ما محل قوله لم يدخلوها
وهم يطمعون قلت لا محل له لانه استيناف كان سائلا سال عن حال اصحاب الاعراف فقيل
لم يدخلوها وهم يطمعون يعني حالهم ان دخولهم الجنة استاخر عن دخول اهل الجنة فلم يدخلوها لكونهم محبوسين
وهم يطمعون لم ييأسوا ويجوز ان يكون له محل بان يقع صفة لرجال **ما اغنى عنكم** جمعكم المال او كثرتكم
واجتماعكم **وما كنتم** تستكبرون واستكباركم عن الحق وعلى الناس وقرئ تستكثرون
من الكثرة **افيضوا** علينا فيه دليل على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من غيره من الاشربة
لدخوله في حكم الافاضة ويجوز ان يراد او القوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة
كقوله ✢ علفتها تبنا وماء باردا ✢ وانما يطلبون ذلك مع يأسهم من الاجابة
اليه حيرة في امرهم كما يفعل المضطر الممتحن **حرمهما** على الكافرين منعهم شراب الجنة
وطعامها كما يمنع المكلف ما يحرم عليه ويحظر كقوله ✢ حرام على عيني ان تطعم الكرى ✢
فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين الذين ينسون عبيدهم من الخير لا يذكرونهم به كما
نسوا لقاء يومهم هذا كما فعلوا بلقائه فعل الناسين فلم يخطروه ببالهم ولم يهتموا به **فصلناه**
ميزناه معانيه من احكامه ومواعظه وقصصه وسائر معانيه حتى جاء
قيما غير ذي عوج وقرا ابن محيصن فضلناه بالضاد المعجمة يعني فضلناه على جميع الكتب
على علم عالمين بانه اهل للتفضيل عليها وهدى ورحمة حال منصوب فصلناه كما ان على علم حال من

من تبين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد

مرفوعه الا تاويله الا عاقبة امره وما يؤول اليه [illegible] جملة معطوفة على الجملة التي قبلها داخلة

قد جاءت رسل ربنا بالحق اي تبين وصح انهم جاوا بالحق او هل نرد [illegible] ووقوعه موقعا يصلح للاسم كما

معها في حكم الاستفهام كانه قيل هل لنا من شفعا او هل نرد [illegible] فلا يتعذر هل يشفع لنا شافع او نرد وقرا

تقول ابتدا هل يضرب زيد ولا يطلب له فعل اخر يعطف عليه [illegible] او بمعنى حتى اي يشفعوا لنا حتى نرد فنعمل وقرا

ابن ابي اسحق او نرد بالنصب عطفا على فيشفعوا [illegible] النهار وقرى يغشي بالتشديد اي يلحق الليل

الحسن [illegible] يغشي الليل النهار [illegible] قراه حميد بن قيس يغشى الليل النهار بفتح

بالنهار [illegible] جميعا [illegible] النهار الليل ويطلبه حثيثا [illegible] قراه حميد

الياء ونصب الليل [illegible] النهار [illegible] بتسخيره اي خلقهن جاريات بمقتضى حكمته وتدبيره وكما

بامره مشيته وتصريفه وهو [illegible] التشبيه كانهن مامورات بذلك وقرى والشمس والقمر والنجوم مسخرات

[illegible] الا له الخلق والامر اي هو الذي خلق الاشيا وهو الذي

بالرفع [illegible] منشات بامره [illegible] تضرعا وخفية نصب على الحال اي ذوي تضرع وخفية [illegible]

[illegible] والتضرع تفعل من الضراعه وهي الذل [illegible] وقرى خفية [illegible] الحسن رحمه الله ان الله

يعلم القلب التقي [illegible] ان كان الرجل لقد جمع القران وما يشعر به جاره وان كان الرجل

لقد فقه الفقه الكثير ولا يشعر الناس به وان كان الرجل ليصلي الصلوة الطويلة وعنده الزور

وما يشعر به ولقد ادركنا اقواما ما كان على الارض من عمل يقدرون على ان يعملوه في السر فيكون علانية

ابدا ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعا وما يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك ان الله

تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية [illegible] اذ نادى ربه ندا خفيا وبين دعوة السر ودعوة العلانية

سبعون ضعفا انه لا يحب المعتدين المجاوزين ما امروا به في كل شي من الدعا وغيره [illegible]

رفع الصوت بالدعا وعنه الصياح في الدعا مكروه وبدعة [illegible] هو الاسهاب في الدعا [illegible]

[illegible] سيكون قوم يعتدون في الدعا وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسالك الجنة وما قرب

اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرا قوله انه لا يحب المعتدين ان رحمة الله

قريب من المحسنين [illegible] ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل به للاجابة وتذكير قريب لان الرحمة

بالرحم [illegible] او لانه صفة موصوف محذوف اي شي قريب [illegible] التشبيه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول كما

[illegible] او على انه بزنة المصدر الذي هو النقيض والضغيب او [illegible]

الرحمة [illegible] بشرا وهو مصدر نشره [illegible] نشرا [illegible] فانه قيل

[illegible] نشرا او على الحال بمعنى منشرات ونشرا تخفيف نشر كرسل ورسل وقرا [illegible] نشرا

بمعنى منشورات [illegible] كنفض ونفض [illegible] وبشرا جمع بشير وبشرا

تخفيفه [illegible] بشرا بمعنى باشرات [illegible] بين يدي رحمته امام نعمته

وهو الغيث [illegible] النعم واحسنها اثرا حتى اذا اقلت حملت ورفعت واشتقاق الاقلال من القلة

[illegible] سحابا ثقالا بالما جمع سحابه سقناه الضمير

للشي على اللفظ ولو حمل على المعنى [illegible] كما حمل الوصف على اللفظ لبلد ميت

لاجل بلد ليس فيه [illegible] وقرى ميت فانزلنا به الما بالبلد او بالسحاب او بالسوق وكذا فاخرجنا به

كذلك [illegible] الاخراج وهو اخراج الثمرات نخرج الموتى لعلكم تذكرون فيعود ذلك [illegible]

فرق بين الاخراجين [illegible] اعادة للشي بعد انشائه والبلد الطيب اي [illegible]

[illegible] الارض [illegible] يخرج نباته باذن ربه بتيسيره وهو في موضع الحال كانه قيل يخرج

نباته حسنا وافيا [illegible] والذي خبث صفة للبلد ومعناه والبلد الخبيث لا يخرج نباته الا نكدا

البلد [illegible] وقوله والذي خبث صفة للبلد ومعناه والبلد الخبيث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف

المضاف الذي هو النبات واقيم المضاف اليه الذي هو الراجع الى البلد مقامه [illegible]

فانقلب [illegible] موقع الفاعل [illegible] وقرى نكدا [illegible]

على المصدر [illegible] كقوله نزه عن الريب بمعنى نزه وهذا

مثل لمن ينجع فيه الوعظ والتنبيه من المكلفين ولمن لا يؤثر فيه شي من ذلك وعن مجاهد ادم وذريته

منهم خبيث وطيب [illegible] كتاب الله بعقله [illegible] وانتفع به كالارض الطيبة

اصابها الغيث [illegible] الكافر بخلاف ذلك وهذا التمثيل واقع على اثر ذكر المطر وانزاله بالبلد

الميت واخراج الثمرات به على طريق الاستطراد كذلك مثل ذلك التصريف نصرف الايات نرددها ونكررها

لقوم يشكرون نعمة الله وهم المومنون ليتفكروا فيها ويعتبروا بها وقرى يصرف بالياء اي يصرفها

الله لقد ارسلنا نوحا جواب قسم محذوف [illegible] لا يكادون ينطقون بهذه اللام الا مع قد وقل

[illegible] حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا قلت [illegible] الجملة القسمية لا

تساق الا لتاكيد الجملة المقسم عليها التي هي جوابها [illegible] التوقع الذي هو معنى قد

عند استماع المخاطب كلمة القسم [illegible] ارسل نوح وهو ابن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ واخنوخ اسم ادريس النبي عليه السلام

[illegible] وقرى غيره بالجر [illegible] الثلاث

فالرفع على المحل كانه قيل ما لكم اله غيره والجر على اللفظ والنصب على الاستثنا بمعنى ما لكم

اله الا اياه كقولك ما في الدار من احد الا زيدا او غير زيد فان قلت ما موقع الجملتين بعد قوله

اعبدوا الله قلت الاولى بيان لوجه اختصاصه بالعبادة والثانية بيان الداعي الى

عبادته لانه هو المحذور عقابه دون ما كانوا يعبدونه من دون الله واليوم العظيم يوم القيامة

او يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان الملا الاشراف السادة وقيل الرجال ليس معهم نسا

في ضلال في ذهاب عن طريق الصواب والحق ومعنى الروية روية القلب فان قلت لم قال ليس

بي ضلالة ولم يقل ضلال كما قالوا قلت الضلالة اخص من الضلال فكانت ابلغ في نفي الضلال

عن نفسه كانه قال ليس بي شي من الضلال كما لو قيل لك الك تمر فقلت ما لي تمرة فان قلت

كيف وقع قوله ولكني رسول استدراكا للانتفا عن الضلالة قلت كونه رسولا

من الله مبلغا رسالاته ناصحا في معنى كونه على الصراط المستقيم فصح لذلك ان يكون

استدراكا للانتفا عن الضلالة وقرى ابلغكم بالتخفيف فان قلت كيف موقع ابلغكم

قلت فيه وجهان احدهما ان يكون كلاما مستانفا بيانا لكونه رسول رب العالمين والثاني ان يكون
صفة لرسول فان قلت كيف جاز ان يكون صفة والرسول لفظه لفظ الغائب قلت جاز ذلك
لان الرسول وقع خبرا عن ضمير المخاطب فكان في معناه كما قال: انا الذي سمتني امي حيدره
ابلغكم رسالات ربي ما اوحي الي في الاوقات المتطاولة او في المعاني المختلفة من الاوامر والنواهي
والمواعظ والزواجر والبشائر والنذائر ويجوز ان يريد رسالاته اليه والى الانبياء قبله من صحف جده
ادريس وهي ثلثون صحيفة ومن صحف شيث وهي خمسون صحيفة وانصح لكم يقال نصحته ونصحت
له وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على امحاض النصيحة وانها وقعت خالصة للمنصوح له مقصودا
بها جانبه لا غير فرب نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد النفعين جميعا ولا نصيحة امحض من نصيحة الله
ورسله واعلم من الله ما لا تعلمون اي من صفات الله واحواله يعني قدرته الباهرة وشدة بطشه على
اعدائه وان بأسه لا يرد عن القوم المجرمين وقيل لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا آمنين لا
يعلمون ما علمه نوح بوحي الله اليه او اراد واعلم من جهة الله اشياء لا علم لكم بها قد اوحي الي بها اوعجبتم
الهمزة للانكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كانه قيل اكذبتم وعجبتم ان جاءكم من ان جاءكم
ذكر موعظة من ربكم على رجل منكم على لسان رجل منكم كقوله ما وعدتنا على رسلك وذلك انهم كانوا
يتعجبون من نبوة نوح ويقولون ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين يعنون ارسال البشر ولو شاء ربنا لانزل
ملائكة لينذركم ولتتقوا ليحذركم عاقبة الكفر ولتوجد منكم التقوى وهي الخشية بسبب الانذار
ولعلكم ترحمون ولترجوا الرحمة بالتقوى ان وجدت منكم والذين معه قيل كانوا اربعين رجلا واربعين امراة
وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به فان قلت في الفلك بم يتعلق قلت
هو متعلق بمعه كانه قيل والذين استقروا معه في الفلك وصحبوه في الفلك ويجوز ان يتعلق بفعل الانجاء
اي انجيناهم في السفينة من الطوفان عمين عمي القلوب غير مستبصرين وقرئ عامين والفرق بين العمي
والعامي ان العمي يدل على عمى ثابت والعامي على عمى حادث ونحوه قوله ضائق به صدرك اخاهم واحدا
منهم من قولك يا اخا العرب للواحد منهم وانما جعل واحدا منهم لانهم افهم عن رجل منهم واعرف بحاله في صدقه
وامانته وهو هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح واخاهم عطف على نوحا وهودا عطف بيان له فان قلت
لم حذف العاطف من قوله قال يا قوم ولم يقل فقال كما في قصة نوح قلت هو على تقدير سؤال سائل قال
فما قال لهم هود فقيل قال يا قوم اعبدوا الله وكذلك قال الملأ فان قلت لم وصف الملأ بالذين كفروا
دون الملأ من قوم نوح قلت كان في اشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد الذي اسلم وكان
يكتم اسلامه فاريدت التفرقة بالوصف ولم يكن في اشراف قوم نوح مؤمن ونحوه وقال الملأ من قومه الذين كفروا
وكذبوا بلقاء الآخرة ويجوز ان يكون وصفا واردا للذم لا غير في سفاهة في خفة حلم وسخافة عقل اثبتت
[illegible] وجعلت السفاهة ظرفا على طريق المجاز ارادوا انه متمكن فيها غير منفك
عنها وفي اجابة الانبياء عليهم السلام من نسبهم الى الضلال والسفاهة بما اجابوهم به من الكلام الصادر
عن الحلم والاغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بان خصومهم اضل الناس واسفههم ادب حسن وخلق

عظيم وحكاية الله عز وجل ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون
اذيالهم على ما يكون منهم ناصح امين اي عرفت فيما بينكم بالنصح والامانة فما حقي ان اتهم او انا لكم
ناصح فيما ادعوكم اليه امين على ما اقول لكم لا اكذب فيه خلفاء من بعد قوم نوح اي خلفتموهم
في الارض او جعلكم ملوكا في الارض قد استخلفكم فيها بعدهم في الخلق بسطة فيما خلق من اجرامكم
ذهابا في الطول والبدانة قيل كان اقصرهم ستين ذراعا واطولهم مائة ذراع فاذكروا آلاء الله
في استخلافكم وبسطة اجرامكم وما سواهما من عطاياه وواحد الآلاء الى ونحوه اني وآناء وضلع واضلاع
وعنب واعناب فان قلت اذ في قوله اذ جعلكم خلفاء ما وجه انتصابه قلت هو مفعول به
وليس بظرف اي اذكروا وقت استخلافكم اجئتنا لنعبد الله وحده انكروا واستبعدوا اختصاص
الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء في اتخاذ الاصنام شركاء معه حبا لما نشؤوا عليه والفا
لما صادفوا آباءهم يتدينون به فان قلت ما معنى المجيء في قوله اجئتنا قلت فيه اوجه ان يكون
لهود عليه السلام مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء
قبل المبعث فلما اوحي اليه جاء قومه يدعوهم وان يريدوا به الاستهزاء لانهم كانوا يعتقدون ان الله
لا يرسل الا الملائكة فكانهم قالوا اجئتنا من السماء كما يجيء الملك وان لا يريدوا حقيقة المجيء ولكن
التعرض والقصد كما يقال ذهب يشتمني ولا يراد حقيقة الذهاب كانهم قالوا اقصدتنا
لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك فائتنا بما تعدنا استعجال منهم للعذاب قد وقع
عليكم اي حق عليكم ووجب او قد نزل عليكم جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع ونحوه
قولك لمن طلب اليك بعض المطالب قد كان وعن حسان ان ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو
طفل فجاء يبكي فقال يا بني ما لك فقال لسعني طوير كانه ملتف في بردي حبرة فضمه الى صدره
وقال يا بني قد قلت الشعر والرجس العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب في اسماء سميتموها في
اشياء ما هي الا اسماء ليس تحتها مسميات لانكم تسمونها آلهة ومعنى الالهية فيها معدوم ومحال
وجوده وهذا كقوله ما تدعون من دونه من شيء ومعنى سميتموها سميتم بها من قولك سميته زيدا
وقطعنا دابرهم استيصالهم وتدميرهم عن آخرهم وقصتهم ان عادا قد تبسطوا في البلاد ما بين
عمان وحضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها صدا وصمود والهبا فبعث الله اليهم هودا
نبيا وكان من اوسطهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله عنهم
القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج منه
عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن
نوح وسيدهم معوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز
ومرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فلما قدموا نزلوا على معوية بن بكر وهو بظاهر مكة
خارجا عن الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر
وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا لمعوية فلما راى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا
له اهمه ذلك وقال قد هلك اخوالي واصهاري وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيي ان يكلمهم
خيفة ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون

لعل الله يسقينا غماما
مرثد فقال معوية ◌ الا يا قيل ويحك قم فهينم
فيسقي ارض عاد ان عادا ◌ قد امسوا ما يبينون الكلاما ◌ فلما غنتا به قالوا
ان قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطاتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم
فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن اذا اطعتم نبيكم وتبتم الى الله
سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا مكة فانه قد
اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشا
الله سحابات ثلثا بيضا وحمرا وسودا ثم ناداه مناد من السما يا قيل اختر لنفسك ولقومك
فقال اخترت السودا فانها اكثرهن ما فخرجت على عاد من واد لهم يقال له المغيث فاستبشروا
بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمومنون معه فاتوا
مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا فان قلت ما فائدة نفي الايمان عنهم في قوله وما كانوا مومنين
مع اثبات التكذيب باياتنا قلت هو تعريض بمن امن منهم كمرثد بن سعد ومن نجا مع هود
عليه السلم كانه قال وقطعنا دابر الذين كذبوا منهم ولم يكونوا مثل من امن منهم ليوذن ان
الهلاك خص المكذبين ونجى الله المومنين ◌ والى ثمود ◌ بمنع الصرف بتاويل القبيلة والى ثمود
بالصرف بتاويل الحي او باعتبار الاصل لانه اسم ابيهم الاكبر وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح
اخو جديس بن عابر وقيل سمي به لقلة مايها من الثمد وهو الما القليل وكانت مساكنهم الحجر
بين الحجاز والشام الى وادي القرى ◌ قد جاتكم بينة ◌ اية ظاهرة وشاهدة على صحة نبوتي وكانه
قيل ما هذه البينة فقال هذه ناقة الله لكم اية واية نصب على الحال والعامل فيها ما دل
عليه اسم الاشارة من معنى الفعل كانه قيل اشير اليها اية ولكم بيان لمن هي له اية موجبة
عليه الايمان خاصة وهم ثمود لانهم عاينوها وسائر الناس اخبروا عنها وليس الخبر كالمعاينة
كانه قال لكم خصوصا وانما اضيفت الى اسم الله تعظيما لها وتفخيما لشانها ولانها جات
من عنده مكونة من غير فحل وطروقة اية من اياته كما تقول اية الله وروي ان عادا لما
اهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض وكثروا وعمروا اعمارا طوالا حتى ان الرجل
يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في خصب وسعة من العيش
فعتوا على الله وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما
عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون
فحذرهم وانذرهم فسالوه اية فقال اية اية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم
من السنة فتدعو الهك وندعو الهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا
فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسالوها فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع
بن عمرو واشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة
ناقة مخترجة جوفا وبرا والمخترجة التي شاكلت البخت فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ
صالح عليه السلم عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتومنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى
ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشرا جوفا وبرا

مكرر

والمخترجة التي شاكلت البخت فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح عليه السلم عليهم
المواثيق لئن فعلت ذلك لتومنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض
النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشرا جوفا وبرا كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا
الله وعظماوهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فامن به جندع ورهط من قومه ومنع اعقابهم
ناس من روسهم ان يومنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الما وكانت ترد غبا فاذا
كان يومها وضعت راسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاوا حتى
تمتلي اوانيهم فيشربون ويدخرون قال ابو موسى الاشعري اتيت ارض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته
ستين ذراعا وكانت الناقة اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى
بطنه واذا وقع البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت
عقرها لهم امراتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت به من مواشيهما وكانتا
كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقى جبلا اسمه قارة
فرغا ثلثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه
وانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد
غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات
طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى
تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السما فتقطعت قلوبهم فهلكوا
تاكل في ارض الله ◌ اي الارض ارض الله والناقة ناقة الله فذروها تاكل في ارض
ربها فليست الارض لكم ولا ما فيها من انباتكم ◌ ولا تمسوها ◌ بسوء لا تضربوها
ولا تطردوها ولا تريبوها بشي من الاذى اكراما لاية الله ويروى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم مر بالحجر في غزوة تبوك فقال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا
تشربوا من مايها ولا تدخلوا على هولا المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل ما
اصابهم وقال صلى الله عليه وسلم يا علي اتدري من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم
قال عاقر ناقة صالح اتدري من اشقى الاخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك وقرا ابو
جعفر في رواية تاكل في ارض الله وهو في موضع الحال بمعنى اكلة ◌ وبواكم ◌ ونزلكم والمباة
المنزل في الارض في ارض الحجر بين الحجاز والشام ◌ من سهولها ◌ قصورا اي تبنونها من سهولة
الارض بما تعملون منها من الرهص واللبن والاجر وقرا الحسن وتنحتون بفتح الحا وتنحاتون
باشباع الفتحة كقوله ◌ ينباع من ذفرى اسيل حرة ◌ فان قلت علام انتصب
بيوتا ◌ قلت على الحال كما تقول خط هذا الثوب قميصا وابر هذه القصبة قلما
وهي من الحال المقدرة لان الجبل لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب والقصبة
قميصا وقلما في حال الخياطة والبري وقيل كانوا يسكنون السهول في الصيف

الحجريه كما تعرف المحجه اعلم بالله تعالى فوق العرش

ومالوا عن تسلط الطين ... للذين استضعفوا للذين استضعفهم رؤسا الكفار واستذلوهم
والجبال في الشتا ... فان قلت الضمير في منهم راجع الى ماذا ه قلت
ولمن امن منهم بدل عن الذين استضعفوا ه فان قلت هل لاختلاف المرجعين اثر في اختلاف المعنى ه
الى قومه او الى الذين استضعفوا ه فان قلت ... فقد جعل من امن مفسرا لمن استضعف منهم
قلت نعم وذلك ان الراجع اذا رجع الى قومه ... واذا رجع الى الذين استضعفوا لم يكن
فدل ان استضعافهم كان مقصورا على المومنين ... كانوا مومنين وكافرين ه فان قلت
الاستضعاف مقصورا عليهم ودل ان المستضعفين ... سالوهم عن العلم بارساله فجعلوا
كيف صح قولهم انا بما ارسل به مومنون جوابا عنه ه قلت
ارساله امرا معلوما مكشوفا مسلما لا يدخله ريب كانهم قالوا العلم بارساله وبما
ارسل به مما لا كلام فيه ولا شبهة تدخله لوضوحه وانارته وانما الكلام في وجوب الايمان
به فنخبركم انا به مومنون ولذلك كان جواب الكفرة انا بالذي امنتم به كافرون فوضعوا امنتم
به موضع ارسل به ردا لما جعله المومنون معلوما واخذوه مسلما فعقروا الناقة اسند
العقر الى جميعهم لانه كان برضاهم وان لم يباشره الا بعضهم وقد يقال للقبيلة الضخمة
انتم فعلتم كذا وما فعله الا واحد منهم وعتوا عن امر ربهم وتولوا عنه واستكبروا
عن امتثاله وامر ربهم ما امر به على لسان صالح عليه السلام من قوله فذروها تاكل
في ارض الله او شان ربهم وهو دينه ويجوز ان يكون المعنى وصدر عتوهم عن امر ربهم كان امر
ربهم بتركها كان هو السبب في عتوهم ونحو عن هذه ما في قوله وما فعلته عن امري ائتنا
بما تعدنا اراد من العذاب وانما جاز الاطلاق لانه كان معلوما واستعجالهم له لتكذيبهم به
ولذلك علقوه بما هم به كافرون وهو كونه من المرسلين الرجفة الصيحة التي زلزلت لها الارض
واضطربوا لها في دارهم في بلادهم او في مساكنهم جاثمين هامدين لا يتحركون موتى يقال الناس
جثم اي قعود لا حراك بهم لا ينبسون نبسة ومنه المجثمة التي جاء النهي عنها وهي البهيمة
تربط وتجمع قوائمها لترمى وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال لا تسالوا
الايات فقد سالها قوم صالح فاخذتهم الصيحة فلم يبق منهم الا رجل واحد كان في حرم الله
قالوا من هو قال ذاك ابو رغال فلما خرج من الحرم اصابه ما اصاب قومه وروي ان صالحا كان
بعثه الى قوم فخالف امره وروي انه صلى الله عليه وسلم مر بقبر ابي رغال فقال اتدرون من هذا فقالوا
الله ورسوله اعلم فذكر قصة ابي رغال وانه دفن ها هنا ودفن معه غصن من ذهب فابتدروه
وبحثوا عنه باسيافهم فاستخرجوا الغصن فتولى عنهم الظاهر انه كان مشاهدا لما جرى
عليهم وانه تولى عنهم بعدما ابصرهم جاثمين تولي مغتم متحسر على ما فاته من ايمانهم يتحزن لهم ويقول
يا قوم لقد بذلت فيكم وسعي ولم آل جهدا في ابلاغكم والنصيحة لكم ولكنكم لا تحبون
الناصحين ويجوز ان يتولى عنهم تولي ذاهب عنهم منكر لاصرارهم حين راى العلامات قبل نزول العذاب
وروي ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعا ونزل بهم العذاب يوم السبت وروي انه خرج في مائة وعشرة

من المسلمين وهو يبكي فالتفت فراى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار وروي
انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم ه فان قلت كيف صح خطاب الموتى وقوله ولكن لا تحبون الناصحين
قلت قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه فلم يسمع منه حتى القى بنفسه في التهلكة
يا اخي كم نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل مني وقوله ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية ولوطا
وارسلنا لوطا واذ ظرف لارسلنا او واذكر لوطا واذ بدل منه بمعنى واذكر وقت قال لقومه اتاتون
الفاحشة اتفعلون السيئة المتمادية في القبح ما سبقكم بها ما عملها قبلكم والباء للتعدية
من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله ومنه قوله عليه الصلوة والسلام سبقك بها
عكاشة من احد من العالمين من الاولى زائدة لتوكيد النفي وافادة معنى الاستغراق والثانية
للتبعيض ه فان قلت ما موقع هذه الجملة ه قلت لا محل لها لانها مستانفة انكر عليهم اولا بقوله اتاتون الفاحشة
ثم وبخهم عليها فقال انتم اول من عملها او على انه جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا لم لا ناتيها فقال
ما سبقكم بها احد فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به انكم لتاتون الرجال بيان لقوله اتاتون الفاحشة
والهمزة مثلها في اتاتون للانكار والتعظيم وقرئ انكم على الاخبار المستانف لتاتون الرجال
من اتى المراة اذا غشيها شهوة مفعول له اي للاشتهاء لا حامل لكم عليه الا مجرد الشهوة
من غير داع آخر ولا ذم اعظم منه لانه وصف لهم بالبهيمية وانه لا داعي لهم من جهة العقل
البتة كطلب النسل ونحوه او حال بمعنى مشتهين تابعين للشهوة غير ملتفتين الى السماجة بل انتم
قوم مسرفون اضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح وتدعو الى اتباع
الشهوات وهو انهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحدود في كل شي فمن ثم اسرفوا في باب قضا الشهوة
حتى تجاوزوا المعتاد الى غير المعتاد ونحوه بل انتم قوم عادون وما كان جواب قومه الا ان قالوا
يعني ما اجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط عليه السلام من انكار الفاحشة وتعظيم امرها ووسمهم
بسمة الاسراف الذي هو اصل الشر كله ولكنهم جاوا بشي آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الامر
باخراجه ومن معه من المومنين من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونه من وعظه ونصحهم وقولهم انهم اناس
يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخارا بما كانوا فيه من القذارة كما يقول
الشطار من الفسقة لبعض الصلحا اذا وعظهم ابعدوا عنا هذا المتقشف واريحونا من هذا
المتزهد واهله ومن يختص به من ذويه او من المومنين من الغابرين من الذين غبروا في ديارهم اي
بقوا فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور على الاناث وكانت كافرة موالية لاهل سدوم وروي انها
التفتت فاصابها حجر فماتت وقيل كانت المؤتفكة خمس مداين وقيل كانوا اربعة آلاف
بين الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت
الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا منهم كان
في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه ه فان قلت
اي فرق بين مطر وامطر ه قلت يقال مطرتهم السما وواد ممطور وفي نوابغ الكلم
حرى غير ممطور حري ان يكون غير ممطور ه ومعنى مطرتهم اصابتهم بالمطر

ويقال امطرت عليهم كذا بمعنى ارسلته عليهم ارسال
كقولهم غاثتهم ووبلتهم وجادتهم ورهمتهم ومن قبيل المعنى وامطرنا عليهم مطرا
المطر فامطر علينا حجارة من السماء وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فساء مطر المنذرين
وارسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا يعني الحجارة الا ترى الى قوله وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين ومدين
لشعيب خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه اوجب عليكم الايمان بي والاخذ بما امركم به والانتهاء
بينة من ربكم معجزة شاهدة بصحة نبوتي قلت ما كانت معجزته قلت قد وقع العلم بانه كانت له معجزة
عما نهاكم عنه فاوفوا ولا تبخسوا فان قلت ما كانت معجزته
لقوله قد جاءتكم بينة من ربكم ولانه لا بد لمدعي النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه والا لم
تصح دعواه وكان متنبيا لا نبيا ان معجزته لم تذكر في القران كما لم تذكر اكثر
معجزات نبينا ومن معجزات شعيب ما روي من محاربة عصا موسى التنين حين
دفع اليه غنمه وولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده ان يكون له الدرع من اولادها
ووقوع عصا آدم على يده في المرات السبع وغير ذلك من الآيات لان هذه كلها كانت قبل
ان يستنبأ موسى فكانت معجزات لشعيب فان قلت كيف قيل الكيل والميزان وهلا
قيل المكيال والميزان كما في سورة هود قلت اريد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال
او سمي ما يكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به او اريد فاوفوا الكيل ووزن الميزان
ويجوز ان يكون الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر ولا تبخسوا يقال بخسته حقه اذا انقصته
اياه ومنه قيل للمكس البخس وفي امثالهم تحسبها حمقاء وهي باخس
وقيل اشياءهم لانهم كانوا يبخسون الناس كل شيء في مبايعاتهم او كانوا مكاسين
لا يدعون شيئا الا مكسوه كما يفعل امراء الحرمين وقد روي انهم كانوا اذا دخل الغريب بلدهم
اخذوا دراهمه الجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها قطاعا ثم اخذوها بنقصان ظاهر او
اعطوه بدلها زيوفا بعد اصلاحها بعد الاصلاح فيها اي لا تفسدوا فيها بعد ما اصلح
فيها الصالحون من الانبياء واتباعهم العاملين بشرائعهم واضافته كاضافته في قوله بل مكر
الليل والنهار يعني بل مكركم في الليل والنهار او بعد اصلاح اهلها على حذف المضاف
ذلكم اشارة الى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والافساد في الارض
او الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى خير لكم يعني في الانسانية وحسن الاحدوثة
وما تطلبونه من التكسب والتربح لان الناس ارغب في متاجرتكم اذا عرفوا منكم
الامانة والتسوية ان كنتم مؤمنين ان كنتم مصدقين لي في قولي ذلكم خير لكم ولا
تقعدوا بكل صراط ولا تقتدوا بالشيطان في قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم
فتقعدوا بكل صراط اي بكل منهاج من مناهج الدين والدليل على ان المراد بالصراط سبيل
الحق قوله وتصدون عن سبيل الله ومحل توعدون وما عطف عليه النصب على الحال اي
تقعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله وباغين لها عوجا فان قلت صراط الحق واحد

وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فكيف قيل
بكل صراط قلت صراط الحق واحد ولكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام كثيرة
مختلفة فكانوا اذا راوا احدا يشرع في شيء منها اوعدوه وصدوه فان قلت الام يرجع
الضمير في آمن به قلت الى كل صراط تقديره توعدون من آمن به وتصدون عنه فوضع الظاهر
الذي هو سبيل الله موضع الضمير زيادة في تقبيح امرهم ودلالة على عظم ما يصدون عنه
وقيل كانوا يجلسون على الطرق والمراصد فيقولون لمن يمر بهم ان شعيبا كذاب فلا يفتننكم
عن دينكم كما كان يفعل قريش بمكة وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا
عشارين وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا اي تصفونها للناس
بانها سبيل معوجة غير مستقيمة لتصدوهم عن سلوكها والدخول فيها او يكون تهكما
بهم وانهم يطلبون لها ما هو محال لان طريق الحق لا يعوج واذكروا اذ كنتم قليلا اذ مفعول
به غير ظرف اي واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم فكثركم الله
ووفر عددكم قيل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في نسلها بالبركة
والنماء فكثروا وفشوا ويجوز اذ كنتم مقلين فقراء فكثركم فجعلكم مكثرين موسرين او
كنتم اقلة اذلة فاعزكم بكثرة العدد والعدد عاقبة المفسدين آخر امر من افسد
قبلكم من الامم كقوم نوح وهود وصالح ولوط وكانوا قريبي العهد مما اصاب المؤتفكة
فاصبروا فتربصوا وانتظروا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بان ينصر المحقين على
المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله منهم كقوله فتربصوا انا معكم
متربصون او هو عظة للمؤمنين وحث على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من اذى المشركين الى ان
يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم ويجوز ان يكون خطابا للفريقين اي ليصبر المؤمنون على
اذى الكفار وليصبر الكفار على ما يسوءهم من ايمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز
الخبيث من الطيب وهو خير الحاكمين لان حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الحيف
ليكونن احد الامرين اما اخراجكم واما عودكم في الكفر فان قلت كيف خاطبوا شعيبا
عليه السلام بالعود في الكفر في قولهم او لتعودن في ملتنا وكيف اجابهم بقوله ان عدنا في ملتكم
بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها والانبياء لا يجوز عليهم من الصغائر الا ما ليس
فيه تنفير فضلا عن الكبائر فضلا عن الكفر قلت لما قالوا لنخرجنك يا شعيب والذين
آمنوا معك فعطفوا على ضميره الذين دخلوا في الايمان منهم بعد كفرهم قالوا لتعودن فغلبوا
الجماعة على الواحد فجعلوهم عائدين جميعا اجراء للكلام على حكم التغليب وعلى ذلك اجرى
شعيب عليه السلام جوابه فقال ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وهو يريد عود
قومه الا انه نظم نفسه في جملتهم وان كان بريئا من ذلك اجراء للكلام على حكم التغليب
فان قلت فما معنى قوله وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا والله تعالى متعال

ان يشا ردة المومنين وعودهم في الكفر قلت معناه الا ان يشا الله خذلاننا ومنعنا الالطاف
لعلمه انها لا تنفع فينا وتكون عبثا والعبث قبيح لا يفعله الحكيم والدليل عليه قوله وسع ربنا
كل شي علما اي هو عالم بكل شي مما كان وما يكون فهو يعلم احوال عباده كيف تتحول وقلوبهم
كيف تتقلب وكيف تقسو بعد الرقة وتمرض بعد الصحة وترجع الى الكفر بعد الايمان على الله
توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويوفقنا لازدياد الايقان ويجوز ان يكون قوله الا ان يشا الله
حسما لطمعهم في العود لان مشية الله لعودهم في الكفر محال خارج عن الحكمة اولو كنا كارهين
الهمزة للاستفهام والواو واو الحال تقديره اتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ومع كوننا
كارهين وما يكون لنا وما ينبغي لنا وما يصح ربنا افتح بيننا احكم بيننا والفتاحة الحكومة
او اظهر امرنا حتى ينفتح ما بيننا وبينهم وينكشف بان تنزل عليهم عذابا يتبين معه انهم
على الباطل وانت خير الفاتحين كقوله وهو خير الحاكمين فان قلت كيف اسلوب قوله
قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم قلت هو اخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان
احدهما ان يكون كلاما مستانفا فيه معنى التعجب كانهم قالوا ما اكذبنا على الله ان عدنا
في الكفر بعد الاسلام لان المرتد ابلغ في الافترا من الكافر لان الكافر مفتر على الله الكذب
حيث يزعم ان لله ندا ولا ند له والمرتد مثله في ذلك وزائد عليه حيث يزعم انه قد تبين له ما خفي
عليه من التمييز بين الحق والباطل والثاني ان يكون قسما على تقدير حذف اللام بمعنى والله لقد
افترينا على الله كذبا وقال الملا الذين كفروا من قومه اي اشرافهم للذين دونهم يثبطونهم عن الايمان
لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم الضلالة بالهدى كقوله اولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وقيل تخسرون باتباعه فوائد البخس والتطفيف لانه
ينهاكم عنهما ويحملكم على الايفا والتسوية فان قلت ما جواب القسم الذي وطاته اللام
في لئن اتبعتم وجواب الشرط قلت قوله انكم اذا لخاسرون ساد مسد الجوابين الذين كذبوا
شعيبا مبتدا خبره كان لم يغنوا فيها وكذلك كانوا هم الخاسرين وفي هذا الابتدا معنى
الاختصاص كانه قيل الذين كذبوا شعيبا قد اغناهم الله الذين كذبوا شعيبا هم
المخصوصون بالخسران العظيم دون اتباعه فانهم الرابحون وفي هذا الاستيناف والابتدا
وهذا التكرير مبالغة في رد مقالة الملا لاشياعهم وتسفيه لرايهم واستهزا بنصحهم
لقومهم واستعظام لما جرى عليهم الاسى شدة الحزن قال العجاج وانحلبت عيناه من فرط الاسى
اشتد حزنه على قومه ثم انكر على نفسه فقال فكيف يشتد حزني على قوم ليسوا باهل للحزن عليهم
لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم ويجوز ان يريد لقد اعذرت لكم في الابلاغ والنصيحة والتحذير مما
حل بكم فلم تسمعوا قولي ولم تصدقوني فكيف اسى عليكم يعني انه لا ياسى عليهم لانهم ليسوا
احقا بالاسى وقرا يحيى بن وثاب فكيف ايسى بكسر الهمزة الا اخذنا اهلها بالباسا بالبوس
والفقر والضرا الضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه لعلهم يضرعون
ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا اردية الكبر والعزة ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي

اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلا والمحنة الرخا والسعة والصحة كقوله وبلوناهم بالحسنات
والسيئات حتى عفوا كثروا ونموا في انفسهم واموالهم من قولهم عفا النبات وعفا الشحم والوبر
اذا كثرت ومنه قوله صلى الله عليه وسلم واعفوا اللحى وقال الحطيئة بمستاسد القريان عاف نباته
وقال ولكنا نعض السيف منها باسوق عافيات الشحم كوم وقالوا قد مس اباءنا
الضرا والسرا يعني وابطرتهم النعمة واشروا فقالوا هذه عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضرا والسرا
وقد مس اباءنا نحو ذلك وما هو بابتلا من الله لعباده فلم ينتقلوا بابتلائهم بالسيئات والحسنات الا ان
ياخذهم بالعذاب فاخذناهم اشد الاخذ وافظعه وهو اخذهم فجاة من غير شعور منهم اللام في القرى
اشارة الى القرى التي دل عليها قوله وما ارسلنا في قرية من نبي كانه قال ولو ان اهل تلك القرى الذين
كذبوا واهلكوا امنوا بدل كفرهم واتقوا المعاصي مكان ارتكابها لفتحنا عليهم بركات من السما
والارض لاتيناهم بالخير من كل وجه وقيل اراد المطر والنبات ولكن كذبوا فاخذناهم بسو
كسبهم ويجوز ان يكون اللام في القرى للجنس فان قلت ما معنى فتح البركات عليهم قلت تيسيرها
عليهم كما يتيسر امر الابواب المستغلقة بفتحها ومنه قولهم فتحت على القاري اذا تعذرت عليه القراة
فيسرتها عليه بالتلقين بياتا يكون بمعنى البيتوتة يقال بات بياتا ومنه قوله فجاها باسنا
بياتا او هم قائلون ويكون بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم يقال بيته العدو بياتا فيجوز
ان يكون بمعنى بائتين او وقت بيات او مبيتا او مبيتين او يكون بمعنى تبييتا كانه قيل ان
يبيتهم باسنا بياتا ضحى نصب على الظرف يقال اتيتنا ضحى وضحيا وضحيا والضحى في الاصل اسم لضو
الشمس اذا اشرقت وارتفعت الفا والواو في افامن واوامن حرفا عطف دخلت عليهما همزة الانكار
فان قلت ما المعطوف عليه ولم عطفت الاولى بالفا والثانية بالواو قلت المعطوف عليه قوله
فاخذناهم بغتة وقوله ولو ان اهل القرى الى يكسبون وقع اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه
وانما عطفت بالفا لان المعنى فعلوا وصنعوا فاخذناهم بغتة ابعد ذلك امن اهل القرى ان ياتيهم
باسنا بياتا وامنوا ان ياتيهم باسنا ضحى وقرى او امن على العطف باو وهم يلعبون يشتغلون
بما لا يجدي عليهم كانهم يلعبون فان قلت فلم رجع فعطف بالفا قوله افامنوا مكر الله قلت
هو تكرير لقوله افامن اهل القرى ومكر الله استعارة لاخذه العبد من حيث لا يشعر ولاستدراجه
فعلى العاقل ان يكون في خوفه من مكر الله كالمحارب الذي يخاف من عدوه الكمين والبيات والغيلة
وعن الربيع بن خثيم ان ابنته قالت له ما لي ارى الناس ينامون ولا اراك تنام قال يا بنتاه ان اباك يخاف
البيات اراد قوله ان ياتيهم باسنا بياتا اذ قرى اولم يهد بالياء كان ان لو نشا مرفوعا بانه فاعله
بمعنى اولم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثونهم ارضهم هذا الشان وهو انا لو نشا
اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم واهلكنا الوارثين كما اهلكنا الموروثين واذا قرى
بالنون فهو منصوب كانه قيل اولم نهد للوارثين هذا الشان بمعنى اولم نبين لهم انا لو نشا اصبناهم
بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وانما عدي فعل الهداية باللام لانه بمعنى التبيين فان قلت بم تعلق
قوله ونطبع على قلوبهم قلت فيه اوجه ان يكون معطوفا على ما دل عليه معنى اولم يهد كانه

قيل يغفلون عن الهدايه ونطبع على قلوبهم او على يرثون الارض او يكون منقطعا بمعنى ونحن نطبع
على قلوبهم ه فان قلت هل يجوز ان يكون ونطبع بمعنى وطبعنا كما كان لو نشاء بمعنى لو شئنا ونطبع
على اصابهم ه قلت لا يساعد عليه المعنى لان القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم موصوفين
بصفه من تعلم من اقتراف الذنوب والاصابه بها وهذا التفسير يودي الى خلوهم عن هذه الصفه
وان الله لو شاء لا تصفوا بها تلك القرى نقص عليك من انبائها كقوله هذا بعلي شيخا اي انه
مبتدا وخبر وحال ويجوز ان يكون القرى صفة لتلك ونقص خبرا او ان يكون القرى نقص خبرا بعد خبر ه
فان قلت ما معنى تلك القرى حتى يكون كلاما مفيدا ه قلت هو مفيد ولكن بشرط التقييد بالحال
كما يفيد بشرط التقييد بالصفه في قولك هو الرجل الكريم ه فان قلت ما معنى الاخبار عن
القرى نقص عليك من انبائها ه قلت معناه ان تلك القرى المذكوره نقص عليك بعض انبائها
ولها انباء غيرها لم نقصها عليك فما كانوا ليؤمنوا عند مجي الرسل بالبينات بما كذبوا من
ايات الله من قبل مجي الرسل او فما كانوا ليؤمنوا الى اخر اعمارهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل
اي استمروا على التكذيب من لدن مجي الرسل اليهم الى ان ماتوا مصرين لا يرعوون ولا تلين شكيمتهم في كفرهم
وعنادهم مع تكرر المواعظ عليهم وتتابع الايات ومعنى اللام تاكيد النفي وان الايمان كان منافيا
لحالهم في التصميم على الكفر وعن مجاهد هو كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه كذلك مثل ذلك
الطبع الشديد نطبع على قلوب الكافرين وما وجدنا لاكثرهم من عهد يعني ان اكثرهم نقض عهد الله
وميثاقه في الايمان والتقوى وان وجدنا وان الشان والحديث وجدنا اكثرهم فاسقين لخارجين عن
الطاعة مارقين والاية اعتراض ويجوز ان يرجع الضمير الى الامم المذكورين وانهم كانوا اذا عاهدوا الله
في ضر ومخافة لئن انجيتنا لنومنن ثم نجاهم نكثوا كما قال قوم فرعون لموسى عليه السلام لئن كشفت عنا الرجز
لنومنن لك الى قوله اذا هم ينكثون والوجود بمعنى العلم من قولك وجدت زيدا ذا الحفاظ بدليل دخول
ان المخففه واللام الفارقه ولا يسوغ ذلك الا في المبتدا والخبر والافعال الداخله عليهما ثم بعثنا من بعدهم
الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم فظلموا بها فكفروا باياتنا اجرى الظلم مجرى
الكفر لانهما من واد واحد ان الشرك لظلم عظيم او فظلموا الناس بسببها حين اوعدوهم وصدوهم عنها
واذوا من امن بها ولانه اذا وجب الايمان بها فكفروا بدل الايمان كان كفرهم بها ظلما فلذلك قيل فظلموا بها
اي كفروا بها واضعين الكفر غير موضعه وهو موضع الايمان يقال لملوك مصر الفراعنه كما يقال لملوك
فارس الاكاسره فكانه قال يا ملك مصر وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان حقيق
على ان لا اقول على الله الا الحق فيه اربع قراءات المشهوره وحقيق علي ان لا اقول وهي قراءة نافع وحقيق
ان لا اقول وهي قراءة عبد الله وحقيق بان لا اقول وهي قراءة ابي وفي المشهوره اشكال ولا يخلو من وجوه احدها
ان يكون مما يقلب من الكلام لامن الالباس كقوله ه وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر ه
ومعناه وتشقى الضياطره بالرماح وحقيق على ان لا اقول وهي قراءة نافع والثاني ان ما لزمك
فقد لزمته فلما كان قول الحق حقيقا عليه كان هو حقيقا على قول الحق اي لازما له ه والثالث ان يضمن

حقيق معنى حريص كما ضمن هيجني معنى ذكرني في بيت الكتاب ه والرابع وهو الاوجه الادخل
في نكت القران ان يغرق موسى عليه السلام في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام لا سيما وقد روي
ان عدو الله فرعون قال له لما قال اني رسول من رب العالمين كذبت فيقول انا حقيق على قول الحق
اي واجب علي قول الحق ان اكون انا قائله والقائم به ولا يرضى الا بمثلي ناطقا به فارسل معي بني اسرائيل
فخلهم حتى يذهبوا معي راجعين الى الارض المقدسه التي هي وطنهم ومولد ابائهم وذلك ان يوسف عليه السلام
لما توفي وانقرضت الاسباط غلب فرعون نسلهم واستعبدهم فانقذهم الله بموسى وكان بين اليوم الذي
دخل يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى اربعمائة عام ه فان قلت كيف قال لفرعون ان كنت جئت باية بعد قوله
ان كنت جئت باية ه قلت معناه ان كنت جئت من عند من ارسلك باية فاتني بها واحضرها عندي
لتصح دعواك ويثبت صدقك ثعبان مبين ظاهر امره لا يشك في انه ثعبان وروي انه كان ثعبانا
ذكرا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحييه الاسفل في الارض ولحييه الاعلى على
سور القصر ثم توجه نحو فرعون لياخذه فوثب فرعون من سريره وهرب واحدث ولم يكن احدث قبل
ذلك وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا فمات منهم خمسه وعشرون الفا قتل
بعضهم بعضا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل
فاخذه موسى فعاد عصا ه فان قلت بم يتعلق للناظرين ه قلت يتعلق ببيضاء والمعنى
فاذا هي بيضاء للنظاره ولا تكون بيضاء للنظاره الا اذا كان بياضها بياضا عجيبا خارجا
عن العاده يجتمع الناس للنظر اليه كما يجتمع النظاره للعجائب في ذلك ما يروى انه ارى فرعون
يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعه صوف ونزعها فاذا هي بيضاء
نورانيه غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عليه السلام آدم شديد الادمه ان هذا لساحر عليم
اي عالم بالسحر ماهر فيه قد اخذ عيون الناس بخدعه من خدعه حتى خيل اليهم العصا حيه
والادم ابيض ه فان قلت قد عزي هذا الكلام الى فرعون في سوره الشعراء وانه قاله للملا
وعزي هاهنا اليهم ه قلت قد قاله هو وقالوه هم فحكي قوله ثم وقولهم هاهنا او قاله
ابتدا فتلقته منه الملا فقالوه لاعقابهم او قالوه عنه للناس على طريق التبليغ كما يفعل
الملوك يرى الواحد منهم الراي فيكلم به من يليه من الخاصه ثم تبلغه الخاصه العامه والدليل
عليه انهم اجابوه في قولهم ارجه واخاه وارسل في المداين حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم
وقرى سحار اي ياتوك بكل ساحر مثله في العلم والمهاره او بخير منه وكانت هذه مؤامره
مع القبط وقولهم فماذا تامرون من امرته فامرني بكذا اذا شاورته فاشار عليك براي
وقيل فماذا تامرون من كلام فرعون قاله للملا لما قالوا له ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم
كانه قيل فقال فماذا تامرون قالوا ارجه واخاه ومعنى ارجه واخاه اخرهما واصدرهما
عنك حتى ترى رايك فيهما وتدبر امرهما وقيل احبسهما وقري ارجئه بالهمز وارجه من ارجاه
وارجاه ه فان قلت هلا قيل وجاء السحره فرعون فقالوا ه قلت هو على
تقدير سائل سال ما قالوا اذ جاءوه فاجيب بقوله قالوا ان لنا لاجرا على الاخبار

واثبات الاجر العظيم وايجابه كانهم قالوا لابد لنا من اجر والتنكير للتعظيم كقول العرب ان له لابلا وان له لغنما
يقصدون الكثرة فان قلت وانكم لمن المقربين ما الذي عطف عليه قلت هو معطوف على محذوف
سد مسده حرف الايجاب كانه قال ايجابا لقولهم ان لنا لاجرا نعم ان لكم لاجرا وانكم لمن المقربين اراد
اني لا اقتصر بكم على الثواب وحده وان لكم مع الثواب ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتعظيم لان المثاب
انما يتهنا بما يصل اليه ويغتبط به اذا نال معه الكرامة والرفعة وروي انه قال لهم تكونون اول من يدخل
واخر من يخرج وروي انه دعا برؤساء السحرة ومعلميهم فقال لهم ما صنعتم قالوا قد عملنا سحرا لا يطيقه
سحرة اهل الارض الا ان يكون امرا من السماء فانه لا طاقة لنا به وروي انهم كانوا ثمانين الفا وقيل
بضعة وثلثين الفا واختلفت الروايات فمن مقل ومكثر وقيل كان
يعلمهم مجوسيان من اهل نينوى وقيل قال فرعون لا نغالب موسى الا بما هو منه يعني السحرة
تخييرهم اياه ادب حسن راعوه معه كما يفعل اهل الصناعات اذا التقوا كالمتناظرين
قبل ان يتخاوضوا في الجدال والمتصارعين قبل ان يتاخذوا للصراع وقولهم واما ان نكون نحن الملقين
فيه ما يدل على رغبتهم في ان يلقوا قبله من تاكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر واقحام
الفصل وقد سوغ لهم موسى ما تراغبوا فيه ازدراء لشانهم وقلة مبالاة وثقة بما كان بصدده
من التاييد السماوي وان المعجزة لن يغلبها سحر ابدا **سحروا اعين الناس** اروها بالحيل والشعوذة
وخيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه كقوله يخيل اليه من سحرهم انها تسعى روي انهم القوا
حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هي امثال الحيات قد ملات الارض وركب بعضها بعضا
واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم استدعوا رهبتهم **بسحر عظيم** في باب السحر
روي انهم لووا حبالهم وخشبهم وجعلوا فيها ما يوهم الحركة قيل جعلوا فيها الزئبق **ما يافكون**
ما موصولة او مصدرية يعني ما يافكونه اي يقلبونه عن الحق الى الباطل ويزورونه او افكهم تسمية للمافوك
بالافك روي انها لما تلقفت ملء الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا
كما كانت واعدم الله بقدرته تلك الاجرام العظيمة او فرقها اجزاء لطيفة قالت السحرة
لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا **فوقع** الحق فحصل وثبت ومن بدع التفاسير
فوقع قلوبهم اي فاثر فيهم من قولهم قاس وقيع **وانقلبوا صاغرين** وصاروا اذلاء مبهوتين **والقي السحرة**
وخروا سجدا كانما القاهم ملق لشدة خرورهم وقيل لم يتمالكوا مما راوا فكانهم القوا [illegible] كانوا
اول النهار كفارا سحرة وفي اخره شهداء بررة وعن الحسن تراه ولد في الاسلام ونشا بين المسلمين يبيع دينه
بكذا وكذا وهؤلاء كفار نشاوا في الكفر بذلوا انفسهم لله **امنتم به** على الاخبار اي فعلتم هذا
الفعل الشنيع توبيخا لهم وتقريعا وقرئ اامنتم بحرف الاستفهام ومعناه الانكار والاستبعاد
ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة ان صنعكم هذا لحيلة احتلتموها انتم وموسى في مصر قبل ان تخرجوا
منها الى هذه الصحراء قد تواطاتم على ذلك لغرض لكم وهو ان تخرجوا منها القبط وتسكنوا بني
اسرائيل وكان هذا الكلام من فرعون تمويها على الناس لئلا يتبع السحرة في الايمان وروي ان موسى
قال للساحر الاكبر اتؤمن بي ان غلبتك قال لاتين بسحر لا يغلبه سحر وان غلبتني لاومنن بك

وفرعون يسمع فلذلك قال ما قال **فسوف تعلمون** وعيد اجمله ثم فصله بقوله لاقطعن وقرئ
لاقطعن بالتخفيف وكذلك لاصلبنكم من خلاف من كل شق طرفا وقيل ان اول من قطع من خلاف
وصلب لفرعون **انا الى ربنا منقلبون** فيه اوجه ان يريدوا انا لا نبالي بالموت لانقلابنا الى لقاء ربنا ورحمته
وخلاصنا منك ومن لقائك او ننقلب الى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد القطع والصلب او انا جميعا
ينقلبون انفسهم وفرعون الى الله فيحكم بيننا او انا لا محالة ميتون منقلبون الى الله فما تقدر ان تفعل
بنا الا ما لا بد لنا منه **وما تنقم منا** وما تعيب منا الا الايمان بايات الله اراد وما تعيب
منا الا ما هو اصل المناقب والمفاخر وهو الايمان ومنه قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم **افرغ**
علينا صبرا هب لنا صبرا واسعا واكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء
افراغا وعن بعض السلف ان احدكم ليفرغ على اخيه ذنوبا ثم يقول قد مازحتك اي يغمره بالحياء
والخجل واصبب علينا ما يطهرنا من اوضار الاثام وهو الصبر على ما توعدنا به فرعون لانهم علموا انهم
اذا استقاموا وصبروا كان ذلك مطهرة لهم **وتوفنا** مسلمين ثابتين على الاسلام ويذرك عطف على
ليفسدوا لانه اذا تركهم ولم يمنعهم وكان ذلك مؤديا الى ما دعوه فسادا والى تركه وترك الهته فكانه
تركهم لذلك او هو جواب للاستفهام بالواو كما يجاب بالفاء نحو قول الحطيئة
الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء والنصب باضمار ان تقديره ايكون
منك ترك موسى ويكون تركه اياك والهتك وقرئ ويذرك والهتك بالرفع عطفا على اتذر
بمعنى اتذره وايذرك اي اتطلق له ذلك او يكون مستانفا او حالا على معنى اتذره وهو يذرك
والهتك وقرا الحسن ويذرك بالجزم كانه قيل يفسدوا كما قرئ واكن من الصالحين كانه قيل
اصدق وقرا انس رضي الله عنه ونذرك بالنون والنصب اي يصرفنا عن عبادتك فنذرها وقرئ
ويذرك والاهتك اي عبادتك وروي انهم قالوا له ذلك لانه وافق السحرة على الايمان ستمائة الف
نفس فارادوا بالفساد في الارض ذلك وخافوا ان يغلبوا على الملك وقيل صنع فرعون لقومه
اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه كما يعبد عبدة الاصنام الاصنام ويقولون ليقربونا
الى الله زلفى ولذلك قال انا ربكم الاعلى **سنقتل ابناءهم** يعني سنعيد عليهم ما كنا محناهم
به من قتل الابناء ليعلموا انا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر وانهم مقهورون تحت ايدينا كما
كانوا وان غلبة موسى لا اثر لها في ملكنا واستيلائنا ولئلا يتوهم العامة انه هو المولود الذي
تحدث المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم الى اتباعه
وانه منتظر بعد **قال موسى لقومه** استعينوا بالله قال لهم ذلك حين قال فرعون سنقتل
ابناءهم وجزعوا منه وتضجروا تسكينا لهم وتسلية ووعدهم النصرة عليهم وذكرهم ما وعد
الله بني اسرائيل من اهلاك القبط وتوريثهم ارضهم وديارهم فان قلت لم اخليت هذه الجملة
عن الواو وادخلت على التي قبلها قلت هي جملة مبتداة مستانفة واما وقال الملا فمعطوفة
على ما سبقها من قوله قال الملا من قوم فرعون وقوله ان الارض لله يحتمل ان تكون اللام للعهد
ويراد ارض مصر خاصة كقوله واورثنا الارض وان تكون للجنس فيتناول ارض مصر لانها من

جنس الارض كما قال ضمرة انما المرء باصغريه فاراد بالمرء الجنس وغرضه ان مصر متناولة تناولا اوليا
والعاقبة للمتقين بشارة بان الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط وان المشية متناولة لهم
وقرا والعاقبة للمتقين بالنصب ابي وابن مسعود عطفا على الارض اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد
ما جئتنا يعنون قتل ابنائهم قبل مولد موسى الى ان استنبي واعادته عليهم بعد ذلك وما كانوا
يستعبدون به ويمتهنون من انواع الخدم والمهن ويمسون به من العذاب عسى ربكم ان يهلك
عدوكم تصريح بما رمز اليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو اهلاك فرعون واستخلافهم بعده في ارض
مصر فينظر كيف تعملون فيرى الكاين منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم
على حسب ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد رحمه الله انه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته
رغيف او رغيفان وطلب زيادة لعمرو فلم توجد فقرا عمرو هذه الاية ثم دخل عليه بعدما استخلف
فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون بالسنين بسني القحط والسنة من الاسماء الغالبة كالدابة
والنجم ونحو ذلك وقد اشتقوا منها فقالوا اسنت القوم بمعنى اقحطوا وقال ابن عباس اما السنون
فكانت لباديتهم واهل مواشيهم واما نقص الثمرات فكان في امصارهم وعن كعب ياتي على الناس زمان
لا تحمل النخلة الا ثمرة لعلهم يذكرون لتنبيههم على ان ذلك لاصرارهم على الكفر وتكذيبهم بايات الله
ولان الناس في حال الشدة اضرع خدودا والين اعطافا وارق افئدة وقيل عاش فرعون
اربعمائة سنة ولم ير مكروها في ثلثمائة وعشرين سنة ولو اصابه في تلك المدة وجع او جوع او حمى
لما ادعى الربوبية فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والرخاء قالوا لنا هذه اي هذه مختصة بنا ونحن
مستحقوها ولم نزل في النعمة والرفاهية واللام مثلها في قولك الجل للفرس وان تصبهم سيئة
من ضيقة وجدب يطيروا بموسى ومن معه يتطيروا بهم ويتشاءموا ويقولوا هذه بشؤمهم ولولا
مكانهم لما اصابتنا كما قالت الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذه من عندك فان قلت كيف
قيل فاذا جاءتهم الحسنة باذا وتعريف الحسنة وان تصبهم سيئة بان وتنكير السيئة قلت
لان جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه واما السيئة فلا تقع الا في الندرة ولا
يقع الا شيء منها ومنه قول بعضهم قد عددت ايام البلا فهلا عددت ايام الرخا طائرهم عند الله
اي سبب خيرهم وشرهم عند الله وهو حكمه ومشيته والله هو الذي يشا ما يصيبهم من الحسنة
والسيئة وليس شؤم احدهم ولا يمنه بسبب فيه كقوله قل كل من عند الله ويجوز ان يكون معناه
الا انما سبب شؤمهم عند الله وهو عملهم المكتوب عنده الذي يجري عليهم ما يسوءهم لاجله ويعاقبون
له بعد موتهم بما وعدهم الله في قوله النار يعرضون عليها الاية ولا طائر اشام من هذا وقرا الحسن
انما طيرهم عند الله وهو اسم لجمع طائر غير تكسير ونظيره التجر والركب وعند ابي الحسن
هو تكسير مهما هي ما المضمنة معنى الجزاء ضمت اليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء في قولك متى ما
تخرج اخرج اينما تكونوا يدرككم الموت فاما نذهبن بك الا ان الالف قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين
وهو المذهب السديد البصري ومن الناس من زعم ان مه هي الصوت الذي يصوت به الكاف وما للجزاء
كانه قيل كف ما تاتنا به فان قلت ما محل مهما قلت الرفع

بمعنى ايما شيء تاتنا به او النصب بمعنى ايما شيء تحضرنا تاتنا به ومن اية تبيين لمهما والضميران في به وبها راجعان الى
مهما الا ان احدهما ذكر على اللفظ والثاني انث على المعنى لانه في معنى الاية ونحوه قول زهير
ومهما تكن عند امرئ من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم وهذه الكلمة في عداد الكلمات
التي يحرفها من لا يد له في علم العربية فيضعها في غير موضعها ويحسب مهما بمعنى متى ما ويقول مهما جئتني اعطيتك
وهذا من وضعه وليس من كلام واضع العربية في شيء ثم يذهب فيفسر مهما تاتنا به من اية بمعنى الوقت
فيلحد في ايات الله وهو لا يشعر وهذا وامثاله مما يوجب الجثو بين يدي الناظر في كتاب سيبويه
فان قلت كيف سموها اية ثم قالوا لتسحرنا بها قلت ما سموها اية لاعتقادهم انها اية وانما
سموها اعتبارا لتسمية موسى وقصدوا بذلك الاستهزاء والتلهي الطوفان ما طاف بهم وغلبهم من
مطر او سيل قيل طغى الما فوق حروثهم وذلك انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا
ولا يقدر احد ان يخرج من داره وقيل ارسل الله عليهم السما حتى كادوا يهلكون وبيوت بني اسرائيل
وبيوت القبط مشتبكة فامتلات بيوت القبط ما حتى قاموا في الما الى تراقيهم فمن جلس غرق ولم يدخل بيوت
بني اسرائيل قطرة وفاض الما على وجه ارضهم وركد فمنعهم من الحرث والبنا والتصرف ودام عليهم سبعة ايام وعن
ابي قلابة الطوفان الجدري وهو اول عذاب وقع فيهم فبقي في الارض وقيل هو الموتان وقيل هو الطاعون
فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فما امنوا فانبت لهم في تلك السنة من الكلا
والزرع ما لم يعهد بمثله فاقاموا شهرا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم اكلت
كل شي حتى الابواب وسقوف البيوت والثياب ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منها شي ففزعوا الى موسى ووعدوه
التوبة فكشف عنهم بعد سبعة ايام خرج موسى عليه السلام الى الفضا فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع
الجراد الى النواحي التي جا منها فقالوا ما نحن بتاركي ديننا فاقاموا شهرا فسلط الله عليهم القمل وهو الحمنان
في قول ابي عبيدة كبار القردان وقيل الدبا وهو اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها وقيل البراغيث وعن
سعيد بن جبير السوس فاكل ما ابقاه الجراد ولحس الارض وكان يدخل بين ثوب احدهم وبين جلده فيمصه
وكان احدهم ياكل طعاما فيمتلي قملا وكان يخرج احدهم عشرة اجربة الى الرحى فلا يرد منها الا يسيرا
وعن سعيد بن جبير كان الى جنبهم كثيب اعفر فضربه موسى بعصاه فصار قملا فاخذت في ابشارهم
واشعارهم واشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كانه الجدري فصاحوا وصرخوا وفزعوا
الى موسى فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الان انك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك ابدا فارسل الله عليهم
بعد شهر الضفادع فدخلت بيوتهم وامتلات منها انيتهم واطعمتهم فلا يكشف احد شيئا من ثوب ولا طعام
ولا شراب الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل اذا اراد ان يتكلم وثبت الضفدع الى فيه وكانت تمتلي
منها مضاجعهم فلا يقدرون على الرقاد وكانت تقذف بانفسها في القدور وهي تغلي وفي التنانير وهي
تفور فشكوا الى موسى وقالوا ارحمنا هذه المرة فما بقي الا ان نتوب التوبة النصوح ولا نعود فاخذ
عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم
دما فشكوا الى فرعون فقال انه سحركم وكان يجمع بين القبطي والاسرائيلي على انا واحد فيكون
ما يلي الاسرائيلي ما وما يلي القبطي دما ويستقيان من ما واحد فيخرج للقبطي الدم وللاسرائيلي

الاسرائيلية اجعلي الما في فيك ثم مجيه في فمي فيصير الما في فيها

الملح ان المرأة القبطية تقول للجارية الاسرائيلية ... بعض الاشجار الرطبة فاذا مضغتها صار ماوها الطيب

دما وعطش فرعون حتى اشفى على الهلاك وكان يمص الاشجار الرطبة ... وقيل سلط الله عليهم الرعاف وروي ان موسى عليه السلام

اجاجا وعن سعيد بن المسيب سال عليهم النيل دما ... وروي انه لما ازال البلا عنهم نقضوا العهد والنذور والقرار

مكث فيهم بعدما غلب السحرة يريهم هذه الايات ... بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمة ولقومي عظة ولمن بعدي آية فبعث

قال يا رب ان عبدك فرعون علا في الارض فخذه

الله عليهم الطوفان ثم الجراد ثم ما بعده من النقم وقرا الحسن والقمل بفتح القاف وسكون الميم يريد القمل

المعروف آيات مفصلات نصب على الحال ومعنى مفصلات مبينات ظاهرات لا تشكل على عاقل انها آيات الله

التي لا يقدر عليها غيره وانها عبرة لهم ونقمة على كفرهم او فصل بين بعضها وبعض بزمان يمتحن فيه احوالهم وينظر

ايستقيمون على ما وعدوا ام ينكثون الزاما للحجة عليهم بما عهد عندك بما مصدرية والمعنى

بعهده عندك وهو النبوة او لها اما ان تعلق بقوله ادع لنا ربك على وجهين احدهما اسعفنا الى ما

نطلب اليك من الدعا لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة او ادع الله لنا متوسلا اليه بعهده

عندك واما ان يكون قسما مجابا بلنؤمنن اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن

لك الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه لا محالة فمعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال وكشف

العذاب الى حلوله اذا هم ينكثون جواب لما يعني فلما كشفناه عنهم فاجاوا النكث وبادروه ولم يؤخروه

ولكن لما كشف عنهم نكثوا فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم في اليم البحر الذي لا يدرك

قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لان المستنفعين به يقصدونه بانهم كذبوا

باياتنا اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالايات وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون

هم بنو اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه والارض ارض مصر والشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة

وتصرفوا كيف شاوا في اطرافها ونواحيها الشرقية والغربية التي باركنا فيها بالخصب وسعة الارزاق وتمت كلمة ربك

الحسنى قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا الى قوله ما كانوا يحذرون والحسنى تانيث الاحسن صفة للكلمة

ومعنى تمت على بني اسرائيل مضت عليهم واستمرت من قولهم تم على الامر اذا مضى عليه بما صبروا بسبب صبرهم

وحسبك به حاثا على الصبر ودالا على ان من قابل البلا بالجزع وكله الله اليه ومن قابله بالصبر وانتظار

النصر من الله ضمن له الفرج وعن الحسن عجبت ممن خف كيف خف وقد سمع قوله وتلا الاية ومعنى خف طاش جزعا

وقلة صبر ولم يرزن رزانة اولي الصبر وقرا عاصم في رواية وتمت كلمات ربك الحسنى ونظيره من آيات ربه الكبرى

ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه ما كانوا يعملون ويشيدون من العمارات وبنا القصور وما كانوا يعرشون

من الجنات وهو الذي انشا جنات معروشات او وما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة في السما كصرح هامان

وغيره وقرى يعرشون بالضم وذكر اليزيدي انه الفصح وبلغني انه قرا بعض الناس يغرسون من

غرس الاشجار وما احسبه الا تصحيفا وهذا آخر ما اقتص الله من نبا فرعون والقبط وتكذيبهم

بايات الله وظلمهم ومعاصيهم ثم اتبعه اقتصاص نبا بني اسرائيل وما احدثوه بعد انقاذهم من ملكة فرعون

واستعباده ومعاينتهم الايات العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة البقر وطلب رؤية الله جهرة وغير

ذلك من انواع الكفر والمعاصي ليعلم حال الانسان وانه كما وصفه ظلوم كفار جهول كنود الا من عصمه

الله وقليل من عبادي الشكور وليتسلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما راى من بني اسرائيل بالمدينة

وروي انه عبر بهم موسى يوم عاشورا بعدما اهلك الله فرعون وقومه فصاموه شكرا لله

فاتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على اصنام لهم يواظبون على عبادتها ويلازمونها قال

ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل وقيل كانوا من لخم وقيل كانوا

من الكنعانيين الذين امر موسى بقتالهم وقرى وجوزنا بمعنى اجزنا يقال اجاز المكان

وجوزه وجاوزه بمعنى جازه كقولهم اعلاه وعلاه وعالاه وقرى يعكفون بضم الكاف وكسرها

اجعل لنا الها صنما نعكف عليه كما لهم آلهة اصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ولذلك

وقعت الجملة بعدها وعن علي رضي الله عنه ان يهوديا قال له اختلفتم بعد نبيكم قبل ان يجف ماؤه

فقال قلتم اجعل لنا الها كما لهم آلهة ولم تجف اقدامكم انكم قوم تجهلون تعجب من قولهم على اثر ما راوا

من الاية العظمى والمعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق واكده لانه لا جهل اعظم مما راى منهم

ولا اشنع ان هؤلا يعني عبدة تلك التماثيل متبر ما هم فيه مدمر مكسر ما هم فيه من قولهم انا

متبر اذا كان فتاتا ومنه التبر لقطاع الذهب اي يتبر الله ويهدم دينهم الذي هم عليه

على ايدي ويحطم اصنامهم هذه ويتركها رضاضا وباطل ما كانوا يعملون اي ما عملوا شيئا

من عبادتها فهو باطل مضمحل لا ينتفعون به وان كان في زعمهم تقربا الى الله كما قال

وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وفي ايقاع هؤلا اسم ان وتقديم خبر المبتدا

من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الاصنام بانهم هم المعرضون للتبار وانه لا يعدوهم البتة

وانه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض اليهم ما احبوا قال اغير الله ابغيكم الها

اغير المستحق للعبادة اطلب لكم معبودا وهو فضلكم بما فعل دون غيره من الاختصاص بالنعمة

التي لم يعطها احدا غيركم فاختصوه بالعبادة ولا تشركوا به غيره ومعنى الهمزة الانكار والتعجب

من طلبتهم مع كونهم مغمورين في نعمة الله عبادة غير الله يسومونكم سوء العذاب استئناف لبيان

العذاب ... او الطلبة ... ما انجاهم منه ... يسومونكم ... وقرى ابن عامر انجاكم

ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين او من آل فرعون وذلكم اشارة الى الانجا او الى العذاب وفي البلا النعمة

او المحنة وقرى يقتلون بالتخفيف ... وعد موسى بني اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله

عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سال موسى ربه

الكتاب فامره بصوم ثلاثين وهو شهر ذي القعدة فلما اتم انكر خلوف فيه فتسوك

فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فافسدته بالسواك وقيل اوحى الله اليه اما علمت

ان خلوف فم الصائم اطيب عندي من ريح المسك فامره الله تعالى ان يزيد عليها عشرة ايام من ذي الحجة لذلك

وقيل امره الله ان يصوم ثلاثين وان يعمل فيها بما يقربه من الله ثم انزلت عليه التورية في العشر

وكلم فيها وقد اجمل ذكر الاربعين في البقرة وفصلها هاهنا وميقات ما وقت له من الوقت

وضربه له واربعين ليلة نصب على الحال ... اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح ما يجب

ان يصلح من امور بني اسرائيل ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تتبع من سلك الافساد ولا تطع من دعاك اليه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا

الذي وقتناه وحددناه ومعنى اللام الاختصاص فكانه قيل واختص مجيئه بميقاتنا كما

يقول اتيته لخمس خلون من الشهر **وكلمه ربه** من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه ان يخلق الكلام
منطوقا به في بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا في اللوح وروي ان موسى كان يسمع ذلك الكلام
من كل جهة وعن ابن عباس كلمه اربعين يوما واربعين ليلة وكتب له الالواح وقيل انما
كلمه في اول الاربعين **ارني انظر اليك** ثاني مفعولي ارني محذوف اي ارني نفسك انظر اليك
فان قلت الرؤية عين النظر فكيف قيل ارني انظر اليك قلت معنى ارني نفسك اجعلني
متمكنا من رؤيتك بان تتجلى لي فانظر اليك واراك فان قلت كيف قال لن تراني ولم يقل
لن تنظر الي لقوله انظر اليك قلت لما قال ارني بمعنى اجعلني متمكنا من الرؤية التي هي
الادراك علم ان الطلبة هي الرؤية لا النظر الذي لا ادراك معه فقيل لن تراني
ولم يقل لن تنظر الي فان قلت كيف طلب موسى ذلك وهو من اعلم الناس بالله
وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز وبتعاليه عن الرؤية التي هي الادراك ببعض الحواس
وذلك انما يصح فيما كان في جهة وما ليس بجسم ولا عرض فمحال ان يكون في جهة ومنع المجبرة
احالته في العقول غير لازم لانه ليس باول مكابرتهم وارتكابهم وكيف يكون طالبه وقد قال حين
اخذت الرجفة الذين قالوا ارنا الله جهرة اتهلكنا بما فعل السفهاء منا الى قوله
تضل بها من تشاء فتبرأ من فعلهم ودعاهم سفهاء وضلالا قلت ما كان طلبه الرؤية
الا ليبكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالا وتبرأ من فعلهم وليلقمهم الحجر وذلك انهم
حين طلبوا الرؤية انكر عليهم واعلمهم الخطأ ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا في لجاجهم
وقالوا لا بد ولن نؤمن لك حتى نراه فاراد ان يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك وهو قوله
لن تراني ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة فلذلك قال رب ارني انظر اليك
فان قلت فهلا قال ارهم ينظروا اليك قلت لان الله سبحانه انما كلم موسى عليه السلم
وهم يسمعون فلما سمعوا كلام رب العزة ارادوا ان يرى موسى ذاته فيبصروه معه كما اسمعه
كلامه فسمعوه معه ارادة مبنية على قياس فاسد فلذلك قال موسى ارني انظر اليك
ولانه اذا زجر عما طلب وانكر عليه في نبوته واختصاصه وزلفته عند الله وقيل له
لن يكون ذلك كان غيره اولى بالانكار ولان الرسول امام امته فكان ما يخاطب به او ما يخاطب
راجعا اليهم وقوله انظر اليك وما فيه من معنى المقابلة التي هي محض التشبيه والتجسيم
دليل على انه ترجمة عن مقترحهم وحكاية لقولهم وجل صاحب الجمل ان يجعل الله منظورا
اليه مقابلا بحاسة النظر فكيف بمن هو اعرق في معرفة الله من واصل بن عطاء وعمرو بن
عبيد والنظام وابي الهذيل والشيخين وجميع المتكلمين فان قلت ما معنى لن
قلت تاكيد النفي الذي تعطيه لا وذلك ان لا تنفي المستقبل تقول لا افعل غدا
فاذا اكدت نفيها قلت لن افعل غدا والمعنى ان فعله ينافي حالي كقوله لن يخلقوا
ذبابا ولو اجتمعوا له فقوله لا تدركه الابصار نفي للرؤية فيما يستقبل ولن تراني
تاكيد وبيان لان المنفي مناف لصفاته فان قلت كيف اتصل الاستدراك
في قوله ولكن انظر الى الجبل بما قبله قلت اتصل به على معنى ان النظر الي محال

فلا تطلبه ولكن عليك بنظر آخر وهو ان تنظر الى الجبل الذي يرجف بك وبمن
طلبت الرؤية لاجلهم كيف افعل به وكيف اجعله دكا بسبب طلبك الرؤية لتستعظم
ما اقدمت عليه بما اريك من عظم اثره كانه عز وعلا حقق عند طلب الرؤية ما مثله
عند نسبة الولد اليه في قوله وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا **فان استقر مكانه**
كما كان مستقرا ثابتا ذاهبا في جهاته **فسوف تراني** تعليق لوجود الرؤية بوجود ما لا
يكون من استقرار الجبل مكانه حين يدكه دكا ويسويه بالارض وهذا كلام مدمج
بعضه في بعض وارد على اسلوب عجيب ونمط بديع الا ترى كيف تخلص من النظر الى النظر
بكلمة الاستدراك ثم كيف بنى الوعيد بالرجفة الكائنة بسبب طلب النظر
على الشريطة في وجود الرؤية اعني قوله فان استقر مكانه فسوف تراني **فلما تجلى ربه للجبل**
فلما ظهر له اقتداره وتصدى له امره وارادته جعله دكا اي مدكوكا مصدر بمعنى مفعول
كضرب الامير والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرئ دكاء والدكاء اسم للرابية
الناشزة من الارض كالدكة او ارضا دكاء مستوية ومنه قولهم ناقة دكاء
متواضعة السنام وعن الشعبي قال لي الربيع بن خثيم ابسط يدك دكاء اي مدها
مستوية وقرأ يحيى بن وثاب دكا اي قطعا دكا جمع دكاء **وخر موسى صعقا** من هول
ما رأى وصعق من باب فعلته ففعل يقال صعقته فصعق واصله من الصاعقة ويقال
لها الصاقعة من صقعه اذا ضربه على راسه ومعناه خر مغشيا عليه غشية كالموت
وروي ان الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بارجلهم ويقولون يا ابن
النساء الحيض اطمعت في رؤية رب العزة **فلما افاق** من صعقته قال سبحانك انزهك مما لا
يجوز عليك من الرؤية وغيرها **تبت اليك** من طلب الرؤية وانا اول المؤمنين بانك لست
بمرئي ولا مدرك بشيء من الحواس فان قلت فان كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته
فمم تاب قلت من اجرائه تلك المقالة العظيمة وان كان لغرض صحيح على لسانه
من غير اذن فيه من الله فانظر الى اعظام الله امر الرؤية في هذه الآية وكيف ارجف
الجبل بطالبيها وجعله دكا وكيف اصعقهم ولم يخل كليمه من نفيان ذلك مبالغة
في اعظام الامر وكيف سبح ربه ملتجئا اليه من اجراء تلك الكلمة على لسانه وقال انا
اول المؤمنين ثم تعجب من المتسمين بالاسلام المتسمين باهل السنة والجماعة كيف اتخذوا
هذه العظيمة مذهبا ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فانه من منصوبات اشياخهم والقول ما قال
بعض العدلية فيهم لجماعة سموا هواهم سنة وجماعة حمر لعمري موكفة
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا شنع الورى فتستروا بالبلكفة وتفسير آخر وهو ان يريد
بقوله ارني انظر اليك عرفني نفسك تعريفا واضحا جليا كانها اراءة في جلائها بآية مثل آيات
القيامة التي تضطر الخلق الى معرفتك انظر اليك اعرفك معرفة اضطرار كاني انظر اليك
كما جاء في الحديث سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر بمعنى ستعرفونه معرفة جلية هي في
الجلاء كابصاركم القمر اذا امتلأ واستوى قال لن تراني لن تطيق معرفتي على هذه الطريقة

ولن يحتمل قوتك تلك الاية المضطر ولكن انظر الى الجبل فاني اورد عليه واظهر له
اية من تلك الايات فان ثبت لتجليها واستقر مكانه ولم يتضعضع فسوف تثبت لها وتطيقها
فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهرت له اية من ايات قدرته وعظمته جعله دكا وخر موسى
صعقا لعظمها اي فلما افاق قال سبحانك تبت اليك مما اقترحت وتجاسرت وانا اول المؤمنين
بعظمتك وجلالك وان شيئا لا يقوم لبطشتك وباسك قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس اخترتك على
اهل زمانك واشتد عليهم برسالاتي وهي اسفار التورية وبكلامي وبتكليمي اياك فخذ ما
اتيتك ما اعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على النعمة في ذلك فهي من اجل
النعم وقيل خر موسى صعقا يوم عرفة واعطي التورية يوم النحر فان قلت كيف قيل
اصطفيتك على الناس وكان هرون مصطفى مثله ونبيا قلت اجل لكنه كان تابعا له
ووزيرا وهو الكليم هو موسى لا اصيل في حمل الرسالة وكتبنا له في الالواح ومن جوهر
وطولها انها كانت عشرة الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمرد جاءبها
جبريل وقيل من زبرجد خضراء وياقوتة حمراء وقيل امر الله موسى بقطعها من صخرة صماء لينها
له فقطعها بيده وشققها باصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التورية
طولها كان عشرة اذرع وقوله من كل شيء في محل النصب مفعول كتبنا وموعظة وتفصيلا بدل
منه والمعنى كتبنا له كل شيء كان بنو اسرائيل محتاجين اليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الاحكام
وقيل انزلت التورية وهي سبعون وقر بعير يقرا الجزء منه في سنة لم يقرأها الا اربعة نفر
موسى ويوشع وعزير وعيسى وعن مقاتل كتب في الالواح اني انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا
ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمي كاذبا فان من حلف باسمي كاذبا فلا ازكيه ولا تقتلوا
ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها فقلنا له خذها عطفا على كتبنا ويجوز ان يكون بدلا من
قوله فخذ ما اتيتك والضمير في فخذها للالواح او لكل شيء لانه في معنى الاشياء او للرسالات
او للتورية ومعنى بقوة بجد وعزيمة فعل اولي العزم من الرسل وامر قومك ياخذوا باحسنها اي بما فيه
حسن واحسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم ان يحملوا على انفسهم في الاخذ
بما هو ادخل في الحسن واكثر للثواب كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم وقيل ياخذوا
بما هو واجب او ندب لانه احسن من المباح ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ في الحسن مطلقا لا بالاضافة وهو الماموربه دون المنهي عنه على قولك
الصيف احر من الشتاء ساريكم دار الفاسقين يريد دار فرعون وقومه وهي مصر كيف اقفرت
منهم ودمروا لفسقهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم وقيل
منازل عاد وثمود والقرون الذين اهلكهم الله لفسقهم في ممركم عليها في اسفاركم وقيل
دار الفاسقين نار جهنم وقرا الحسن ساوريكم وهي لغة فاشية بالحجاز يقال اوريته الشيء
فانا اوريه ووجهه ان يكون من اوريت الزند كان المعنى بينه لي وانره لاستبينه
وقرئ سانورثكم وهي قراءة حسنة يصححها قوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
ساصرف عن اياتي بالطبع على قلوب المتكبرين وخذلانهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون
بها غفلة وانهماكا فيما يشغلهم عنها من شهواتهم وعن الفضيل بن عياض ذكر لنا

قبل الواد ... الكلبي كانت من زبرجد ... سعيد بن جبير من ياقوتة حمراء

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عظمت امتي الدنيا نزعت عنها هيبة الاسلام واذا تركوا
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي وقيل ساصرفهم عن ابطالها وان
اجتهدوا كما اجتهد فرعون ان يبطل اية موسى بان جمع لها السحرة فابى الله الا علو الحق
وانتكاس الباطل ويجوز ان يكون صرفهم عنها وعن الطعن فيها والاستهانة بها وتسميتها سحرا
باهلاكهم وفيه انذار للمخاطبين من عاقبة الذين يصرفون عن الايات لتكبرهم وكفرهم
بها لئلا يكونوا امثالهم فيسلك بهم سبيلهم بغير الحق فيه وجهان ان يكون حالا اي يتكبرون
غير محقين لان التكبر بالحق لله وحده وان يكون صلة لفعل التكبر اي يتكبرون بما ليس
بحق وما هم عليه من دينهم وان يروا كل اية من الايات المنزلة عليهم لا يؤمنوا بها وقرا
مالك بن دينار وان يروا بضم الياء وقرئ سبيل الرشد والرشد والرشاد كالسقم
والسقم والسقام وهما اشفقة من ركب الغواية فان راى طريقا مستقيما اعرض عنه
وتركه وان راى معتسفا مرديا اخذ فيه وسلكه فما على نحو الهدى دينه اشقيه
ذلك في محل الرفع او النصب على معنى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم او صرفهم الله ذلك
الصرف بسببه ولقاء الاخرة يجوز ان يكون من اضافة المصدر الى المفعول اي ولقائهم
الاخرة ومشاهدتهم احوالها او من اضافة المصدر الى الظرف بمعنى ولقاء ما وعد الله
في الاخرة من بعده من بعد فراقه اياهم الى الطور فان قلت لم قيل واتخذ قوم موسى عجلا والمتخذ
هو السامري قلت فيه وجهان احدهما ان ينسب الفعل اليهم لان رجلا منهم باشره ووجد
فيما بين ظهرانيهم كما يقال بنو تميم قالوا كذا وفعلوا والقائل والفاعل واحد لانهم كانوا
مريدين لاتخاذه راضين به فكانهم اجمعوا عليه والثاني ان يراد واتخذوه الها وعبدوه
وقرئ من حليهم بضم الحاء والتشديد جمع حلي كثدي وثدي ومن حليهم بالكسر للاتباع
كدلي ومن حليهم على التوحيد والحلي اسم ما يتحسن به من الذهب والفضة فان قلت
لم قال من حليهم ولم يكن الحلي لهم انما كانت عواري في ايديهم قلت الاضافة تكون بادنى
ملابسة وكونها عواري في ايديهم كفى به ملابسة على انهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا
غيرها من املاكهم الا ترى الى قوله عز وعلا فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك
واورثناها بني اسرائيل جسدا بدنا ذا لحم ودم كسائر الاجساد والخوار صوت البقر قال
الحسن ان السامري قبض قبضة من تراب من اثر فرس جبريل يوم قطع البحر فقذفه في
في العجل فكان عجلا له خوار وقرا علي رضي الله عنه جؤار بالجيم والهمز من جار
اذا صاح واتنصاب جسدا على البدل من عجلا الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام
ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه على من لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل
ان تنفد كلماته وهو الذي هدى الخلق الى سبيل الحق ومناهجه بما ركز في العقول
من الادلة وبما انزل في كتبه ثم ابتدا فقال اتخذوه اي اقدموا على ما اقدموا عليه من الامر المنكر

علوه

المرشد

في تحقيق الاخص

وكانوا ظالمين واضعين كل شيء في غير موضعه فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولا اول مناكيرهم
ولما سقط في ايديهم ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لأن من شأن من اشتد
ندمه وحسرته ان يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لأن فاه قد وقع فيها وسقط مسند
الى في ايديهم وهو من باب الكناية وقرأ ابو السميفع سقط في ايديهم على تسمية الفاعل اي وقع
العض فيها وقال الزجاج معناه سقط الندم في ايديهم اي في قلوبهم وانفسهم كما يقال حصل
في يده مكروه وان كان محالا ان يكون في اليد تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد
ويرى بالعين ورأوا انهم قد ضلوا وتبينوا ضلالهم تبينا كأنهم ابصروه بعيونهم وقرئ
قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا وقرئ لئن لم ترحمنا ربنا بالتاء وربنا بالنصب على النداء وهذا كلام التائبين كما
قال آدم وحواء عليهما السلام وإن لم تغفر لنا وترحمنا الأسف الشديد الغضب فلما آسفونا
انتقمنا منهم وقيل هو الحزين بئسما خلفتموني قمتم مقامي وكنتم خلفائي من بعدي وهذا الخطاب
لعبدة العجل من السامري واشياعه او لوجوه بني اسرائيل وهم هرون عليه السلام
والمؤمنون معه ويدل عليه قوله اخلفني في قومي والمعنى بئسما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان
عبادة الله او حيث لم تكفوا من عبد غير الله فان قلت اين ما يقتضيه بئس من الفاعل
والمخصوص بالذم قلت الفاعل مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس
خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم فان قلت اي معنى لقوله من بعدي بعد قوله خلفتموني
قلت معناه من بعد ما رأيتم مني من توحيد الله ونفي الشركاء عنه واخلاص العبادة له او من بعد
ما كنت احمل بني اسرائيل على التوحيد واكفهم عما طمحت نحوه ابصارهم من عبادة البقر حين قالوا اجعل
لنا الها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف من بعده ولا يخالفوه
ونحوه ثم انتم بعدهم خلفاء من بعدا لقد الموصوفين بالصفات الحميدة اعجلتم امر ربكم
اذا تركتموه غير تام وتعجيله تعدية وأعجلته عنه غيره وضمن معنى سبق فعدي تعديته
فقال عجلت الامر والمعنى اعجلتم عن امر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم
به فبنيتم الامر على ان الميعاد قد بلغ آخره ولم ارجع اليكم فحدثتم انفسكم بموتي فغيرتم كما
غيرت الامم بعد انبيائهم وروي ان السامري قال لهم حين اخرج لهم العجل وقال هذا الهكم واله
موسى ان موسى لن يرجع وانه قد مات وروي انهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها اربعين ثم احدثوا
ما احدثوا والقى الالواح وطرحها لما لحقه من فرط الدهش وشدة الضجر عند استماعه
حديث العجل غضبا لله وحمية لدينه وكان في نفسه حديدا شديد الغضب وكان هرون
الين منه جانبا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل من موسى وروي ان التورية كانت سبعة اسباع
فلما القى الالواح تكسرت فرفع منها ستة اسباعها وبقي سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شيء
وفيما بقي الهدى والرحمة واخذ برأس اخيه اي بشعر رأسه يجره اليه بذؤابته وذلك لشدة ما
ورد عليه من الامر الذي استفزه وذهب بفطنته وظنا باخيه انه فرط في الكف ابن ام ان القوم

تشبيها لحقيقة عشر وبالكسر على طرح ياء الاضافة وابن امي بالياء وابن ام بكسر الهمزة والميم وقيل
كان اخاه لابيه وامه فان صح فانما اضافه الى الام اشارة الى انهما من بطن واحد وذلك ادعى الى
العطف والرقة واعظم للحق الواجب ولانها كانت مؤمنة فاعتد بنسبها ولانها هي التي قاست فيه
المخاوف والشدائد فذكره حقها ان القوم استضعفوني يعني انه لم يأل جهدا في كفهم بالوعظ
والانذار وبما بلغته طاقته من بذل القوة في مضادتهم حتى قهروه واستضعفوه ولم يبق الا ان
يقتلوه فلا تشمت بي الاعداء فلا تفعل بي ما هو امنيتهم من الاستهانة بي والاساءة الي وقرئ
فلا تشمت بي الاعداء على نهي الاعداء عن الشماتة والمراد ان لا يحل به ما يشمتون به لاجله ولا تجعلني
مع القوم الظالمين ولا تجعلني في موجدتك علي وعقوبتك لي قرينا لهم وصاحبا او ولا تعتقد
اني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم لما اعتذر اليه اخوه وذكر له شماتة الاعداء قال رب
اغفر لي ولاخي ليرضي اخاه ويظهر لاهل الشماتة رضاه عنه فلا تتم لهم شماتتهم واستغفر لنفسه
مما فرط منه الى اخيه ولاخيه ان عسى فرط في حسن الخلافة وطلب ان لا يتفرقا عن رحمته ولا
تزال متضمنة لهما في الدنيا والآخرة غضب من ربهم وذلة الغضب ما امروا به من قتل انفسهم والذلة
خروجهم من ديارهم لان ذل الغربة مثل مضروب وقيل هو ما نال ابناءهم وهم بنو قريظة والنضير
من غضب الله بالقتل والجلاء ومن الذلة بضرب الجزية المفترين المتكذبين على الله ولا فرية اعظم
من قول السامري هذا الهكم واله موسى ويجوز ان يتعلق في الحيوة الدنيا بالذلة وحدها ويراد
سينالهم غضب في الآخرة وذلة في الحيوة الدنيا كقوله وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءو
بغضب من الله والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي كلها ثم تابوا ثم رجعوا من بعدها
الى الله واعتذروا اليه وآمنوا واخلصوا الايمان ان ربك من بعدها من بعد تلك العظائم لغفور
لستور عليهم محاء لما كان منهم رحيم منعم عليهم بالجنة وهذا حكم عام يدخل تحته متخذو
العجل ومن عداهم عظم جنايتهم اولا ثم اردفها تعظيم رحمته ليعلم ان الذنوب وان جلت
وعظمت فان عفوه وكرمه اعظم واجل ولكن لا بد من حفظ الشريطة وهي وجوب التوبة
والانابة وما وراءه طمع فارغ واشعبية باردة لا يلتفت اليها حازم ولما سكت
عن موسى الغضب هذا مثل كان الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك
كذا والق الالواح وجر برأس اخيك اليك فترك النطق بذلك وقطع الاغراء ولم يستحسن
هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق صحيح الا لذلك ولانه من قبيل
شعب البلاغة والا فما لقراءة معاوية بن قرة ولما سكن عن موسى الغضب لا تجد النفس
عندها شيئا من تلك الهزة وطرفا من تلك الروعة وقرئ لما سكت واسكت اي اسكته
الله او اخوه باعتذاره اليه وتنصله والمعنى ولما طفئ غضبه اخذ الالواح التي القاها
وفي نسختها وفيما نسخ منها اي كتب فيها النسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة للذين هم لربهم يرهبون
دخلت اللام لتقدم المفعول لان تأخر الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفا ونحوه للرؤيا
تعبرون وتقول لك ضربت واختار موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل كقوله

وجودا اذا هب الرياح الزعازع

منا الذي اختير الرجال سماحة * قيل اختار من اثني عشر سبطا من كل سبط ستة
حتى تتاموا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد منكم مثل اجر
من خرج فقعد كالب ويوشع وروي انه لم يصب الا ستين شيخا فاوحى الله اليه ان يختار
من الشبان عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا وقيل كانوا ابناء ما عدا العشرين ولم يتجاوزوا
الاربعين قد ذهب عنهم الجهل والصبا فامرهم موسى ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم
ثم خرج بهم الى طور سيناء لميقات ربه وكان امره ربه ان ياتيه في سبعين من بني اسرائيل فلما دنا
موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم
ادنوا فدنوا حتى اذا دخلوا في الغمام وقعوا سجدا فسمعوه وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل ولا
تفعل ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه فطلبوا الرؤية فوعظهم وزجرهم وانكر عليهم فقالوا
يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فقال رب ارني انظر اليك يريد ان يسمعوا الرد والانكار
من جهته فاجيب بلن تراني ورجف بهم الجبل فصعقوا فلما اخذتهم الرجفة قال موسى لو شئت
اهلكتهم من قبل واياي وهذا تمن منه للاهلاك قبل ان يرى ما رأى من تبعة طلب الرؤية كما
يقول النادم على الامر اذا راى سوء المغبة لو شاء الله لاهلكني قبل هذا **اتهلكنا** بما فعل السفهاء
منا يعني اتهلكنا جميعا يعني نفسه واياهم لانه انما طلب الرؤية زجرا للسفهاء وهم طلبوه
سفها وجهلا **ان هي** الا فتنتك اي محنتك وابتلاؤك حين كلمتني فسمعوا كلامك
فاستدلوا بالكلام على الرؤية استدلالا فاسدا حتى افتتنوا وضلوا **تضل بها** من تشاء
وتهدي من تشاء تضل بالمحنة الجاهلين غير الثابتين في معرفتك وتهدي العالمين بك الثابتين
بالقول الثابت وجعل ذلك اضلالا من الله وهدى منه لان محنته لما كانت سببا لان ضلوا
واهتدوا فكانه اضلهم بها وهداهم على الاتساع في الكلام **انت ولينا** مولانا القائم باموزنا
واكتب لنا واثبت لنا واقسم لنا في هذه الدنيا حسنة عافية وحياة طيبة او توفيقا في
الطاعة وفي الآخرة الجنة **هدنا** اليك تبنا اليك وهاد اليه يهود اذا رجع وتاب والهود
جمع هائد وهو التائب ولبعضهم * يا راكب الذنب هد هد * واسجد كانك هدهد
وقرأ ابو وجزة السعدي هدنا اليك بكسر الهاء من هاده يهيده اذا حركه واماله ويحتمل
امرين ان يكون مبنيا للفاعل والمفعول بمعنى حركنا اليك انفسنا وامِلنا او حُرّكنا اليك وامِلنا
على تقدير فعلنا كقولك عدت يا مريض بكسر العين فعلت من العيادة ويجوز عُدت بالاشمام وعُدت
باخلاص الضمة فيمن قال عود المريض وقول القول ويجوز على هذه اللغة ان يكون هُدنا بالضم
فعلنا من هاده يهيده **عذابي** من حاله وصفته اني اصيب به من اشاء اي من وجب علي في الحكمة
تعذيبه ولم يكن في العفو عنه مساغ لكونه مفسدة واما رحمتي فمن حالها وصفتها انها واسعة
تبلغ كل شيء ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص الا وهو متقلب في نعمتي وقرأ الحسن من
اساء من الاساءة **فساكتبها** هذه الرحمة كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل للذين يكونون في آخر
الزمان من امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم بجميع آياتنا وكتبنا يؤمنون لا يكفرون بشيء منها

الذين يتبعون الرسول الذي نوحي اليه كتابا مختصا به وهو القرآن النبي صاحب المعجزات
الذي يجدونه يجدون نعته اولئك الذين يتبعونه من بني اسرائيل مكتوبا عندهم في التوراة
والانجيل **ويحل لهم الطيبات** ما حرم عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها
او ما طاب في الشريعة والحكم مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وما خلا كسبه من
السحت **ويحرم عليهم الخبائث** ما يستخبث من نحو الدم والميتة ولحم الخنزير وما اهل
لغير الله به او ما خبث في الحكم كالربا والرشوة وغيرهما من المكاسب الخبيثة
الاصر الثقل الذي ياصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل لثقل تكليفهم
وصعوبته نحو اشتراط قتل الانفس في صحة توبتهم وكذلك الاغلال مثل لما كان في
شرائعهم من الاشياء الشاقة نحو بت القضاء بالقصاص عمدا كان او خطأ من غير شرع
الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق
الغنائم وتحريم العروق في اللحم وتحريم السبت وعن عطاء كانت بنو اسرائيل اذا قامت تصلي
لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها
طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ آصارهم
على الجمع **وعزروه** ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدو وقرئ بالتخفيف واصل العزر
المنع ومنه التعزير للضرب دون الحد لانه منع من معاودة القبيح الا ترى الى تسميته
الحد والحد هو المنع **والنور** القرآن فان قلت ما معنى قوله انزل معه وانما انزل
مع جبريل قلت معناه انزل مع نبوته لان استنباءه كان مصحوبا بالقرآن
مشفوعا به ويجوز ان يعلق باتبعوا اي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل
بسنته وبما امر به ونهى عنه او واتبعوا القرآن كما اتبعه مصاحبين له في اتباعه
فان قلت كيف انطبق هذا الجواب على قول موسى عليه السلام ودعائه قلت لما دعا لنفسه
ولبني اسرائيل اجيب بما هو منطو على توبيخ بني اسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله
تعالى وعلى كفرهم بآيات الله العظام التي اجراها على يد موسى وعرض بذلك في قوله
والذين هم بآياتنا يؤمنون واريد ان يكون استماع اوصاف اعقابهم الذين آمنوا برسول
الله وما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من اهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في اخلاص
الايمان والعمل الصالح وفي ان يحشروا معهم ولا يفرق بينهم وبين اعقابهم في رحمة الله
التي وسعت كل شيء **اني رسول الله** اليكم جميعا بعث كل رسول الى قومه خاصة
وبعث محمد صلى الله عليه وسلم الى كافة الانس وكافة الجن جميعا نصب على الحال من
اليكم فان قلت الذي له ملك السموات والارض ما محله قلت الاحسن ان يكون منتصبا
باضمار اعني وهو الذي يسمى النصب على المدح ويجوز ان يكون جرا على الوصف وان حيل
بين الصفة والموصوف بقوله اليكم جميعا وقوله لا اله الا هو بدل من الصلة التي هي
له ملك السموات والارض وكذلك يحيي ويميت وفي لا اله الا هو بيان للجملة قبلها لان

من ملك العالم كان هو الاله على الحقيقه وفي يحيي ويميت بيان لاختصاصه بالالهيه
لانه لا يقدر على الاحيا والاماته غيره وكلماته وما انزل عليه وعلى من تقدمه من الرسل
من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على الافراد وهي القران او اراد جنس ما كلم به وعن مجاهد
اراد عيسى بن مريم وقيل هي الكلمه التي تكون عنها عيسى وجميع خلقه وهي قوله كن وانما
قيل ان عيسى كلمة الله فخص بهذا الاسم لانه لم يكن لكونه سبب غير الكلمه ولم يكن من
نطفه تمنى لعلكم تهتدون اراده ان تهتدوا فان قلت هلا قيل فآمنوا بالله
وبي بعد قوله اني رسول الله اليكم قلت عدل عن المضمر الى الاسم الظاهر لتجري عليه
الصفات التي اجريت عليه ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغه وليعلم ان الذي وجب الايمان
به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بانه النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من
كان انا او غيري اظهارا للنصفه وتفاديا من العصبيه لنفسه ومن قوم موسى امه
هم المؤمنون التائبون من بني اسرائيل لما ذكر الذين تزلزلوا منهم في الدين وارتابوا حتى اقدموا على
العظيمتين عبادة العجل واستجازة رؤية الله ذكر ان منهم امة موقنين ثابتين يهدون
الناس بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامه ويرشدونهم وبالحق يعدلون بينهم في الحكم
لا يجورون او اراد الذين وصفهم ممن ادرك النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به من اعقابهم وقيل ان
بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا
واعتذروا وسالوا الله ان يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه
سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وذكر
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبريل ذهب به ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون
من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي الامي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا
من ادرك منكم احمد فليقرأ عليه مني السلام فرد محمد على موسى عليهما السلام ثم اقرأهم
عشر سور من القرآن نزلت بمكه ولم تكن نزلت فريضة غير الصلوة والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم
وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت [illegible] عبد الله
فقال الرجل [illegible] عبد الله [illegible]
[illegible]
[illegible]
والزمهم به الحجه وهو سائلهم عنه يوم القيامه وقطعناهم وصيرناهم قطعا اي فرقا وميزنا
بعضهم من بعض لقلة الالفه بينهم وقرئ وقطعناهم بالتخفيف اثنتي عشرة قبيلة من
ولد يعقوب عليه السلام فان قلت مميز ما عدا العشره مفرد فما وجه مجيئه مجموعا
وهلا قيل اثني عشر سبطا قلت لو قيل ذلك لم يكن تحقيقا لان المراد وقطعناهم اثنتي
عشرة قبيله وكل قبيله اسباط لا سبط فوضع اسباطا موضع قبيله ونظيره بين رماحي

وامما بدل من اثنتي عشرة بمعنى وقطعناهم امما لان كل اسباط كانت امة عظيمه وجماعة كثيفة العدد
وكل واحده كانت تؤم خلاف ما تؤمه الاخرى لا تكاد تأتلف وقرئ اثنتي عشرة بكسر الشين
فانبجست والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعه وكثره قال العجاج وكيف غربي دالج تبجسا
فان قلت هلا قيل فضرب فانبجست قلت لعدم الالباس وليجعل الانبجاس مسببا عن
الايحاء بضرب الحجر للدلاله على ان الموحى اليه لم يتوقف عن اتباع الامر وانه من انتفاء الشك عنه
لا حاجة الى الافصاح به وقوله كل اناس يريد كل امة من تلك الامم
الاثنتي عشرة والاناس اسم جمع غير تكسير نحو رخال وثناء وتؤام واخوات لها ويجوز ان يقال
ان الاصل الكسر والتكسير والضمه بدل من الكسره كما ابدلت في نحو سكارى وغيارى
من الفتحه وظللنا عليهم الغمام وجعلناه ظليلا عليهم في التيه وكلوا على ارادة القول وما ظلمونا
وما رجع الينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم ولكن كانوا يضرون انفسهم ويرجع وبال ظلمهم اليهم
واذ قيل لهم واذكروا اذ قيل لهم والقريه بيت المقدس فان قلت كيف اختلفت العباره
ههنا وفي سورة البقره قلت لا بأس باختلاف العبارتين اذا لم يكن هناك تناقض ولا تناقض بين
قوله اسكنوا هذه القريه وكلوا منها وبين قوله وكلوا لانهم اذا سكنوا القريه فتسببت سكناهم
للاكل منها فقد جمعوا في الوجود بين سكناها والاكل منها وسواء قدموا الحطه
على دخول الباب او اخروها فهم جامعون في الايجاد بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض اثباته
وقوله نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين موعد بشيئين بالغفران وبالزياده وطرح
الواو لا يخل بذلك لانه استئناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل
له سنزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم زيادة بيان وارسلنا وانزلنا ويظلمون ويفسقون
واحد وقرئ تغفر لكم خطيئاتكم وتغفر لكم خطاياكم وخطيئتكم على البناء
للمفعول وسئلهم وسل اليهود وقرئ واسألهم وهذا السؤال معناه التقرير والتقريع
بقديم كفرهم وتجاوزهم حدود الله والاعلام بان هذا من علومهم التي لا تعلم الا بكتاب
او وحي فاذا اعلمهم به من لم يقرأ كتابهم علم انه من جهة الوحي ونظيره همزة الاستفهام التي
يراد بها التقرير في قولك اعدوتم في السبت والقريه ايله وقيل مدين وقيل طبريه
والعرب تسمي المدينه قريه وعن ابي عمرو بن العلا ما رأيت قرويين افصح من الحسن والحجاج
يعني رجلين من اهل المدن حاضرة البحر قريبه منه راكبه لشاطئه اذ يعدون في السبت
اذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد نهوا عنه وقرئ يعدون
بمعنى يعتدون ادغمت التاء في الدال ونقلت حركتها الى العين ويعدون من الاعداد
وكانوا يعدون آلات الصيد يوم السبت وهم مأمورون بان لا يشتغلوا فيه بغير
العباده والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال
بالتعبد فمعناه يعدون في تعظيم هذا اليوم وكذلك قوله يوم سبتهم معناه يوم
تعظيمهم امر السبت ويدل عليه قوله ويوم لا يسبتون وقرئ يوم اسباتهم [illegible]
اسباتهم [illegible] لا يسبتون [illegible] على البناء للمفعول
صلى الله عليه

اي لا يدار عليهم السبت ويؤمرون بان لا يسبتوا فان قلت اذ يعدون واذ تاتيهم ما محلهما من الاعراب قلت اما الاول فمجرور بدل من القرية والمراد بالقرية اهلها كانه قيل وسلهم عن اهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من بدل الاشتمال ويجوز ان يكون منصوبا بكانت او بحاضرة واما الثاني فمنصوب بيعدون ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل والحيتان السمك واكثر ما تستعمل العرب الحوت في معنى السمكة شرعا ظاهرة على وجه الماء عن الحسن تشرع على ابوابهم كانها الكباش البيض يقال شرع علينا فلان اذا دنا منا واشرف علينا كذلك نبلوهم مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم امة منهم جماعة من اهل القرية من صلحائهم واذ قالت معطوف على اذ يعدون وحكمه حكمه في الاعراب الذين ركبوا الصعب والذلول في موعظتهم حتى ايسوا من قبولهم لآخرين كانوا لا يقلعون عن وعظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم اي مخترمهم ومطهر الارض منهم او معذبهم عذابا شديدا لتماديهم في الشر وانما قالوا ذلك لعلمهم ان الوعظ لا ينفع فيهم قالوا معذرة الى ربكم اي موعظتنا ابلاء عذر الى الله لئلا ننسب في النهي عن المنكر الى بعض التفريط ولعلهم يتقون ولطمعنا في ان يتقوا بعض الاتقاء وقرئ معذرة بالنصب اي وعظناهم معذرة الى ربكم او اعتذرنا معذرة فلما نسوا يعني اهل القرية فلما تركوا ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسي لما ينساه انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا الراكبين للمنكر بعذاب بئيس شديد فان قلت الامة الذين قالوا لم تعظون من اي الفريقين هم امن فريق الناجين ام المعذبين قلت من فريق الناجين لانهم من فريق الناهين وما قالوا ما قالوا الا سائلين عن علة الوعظ والغرض فيه حيث لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم واذا علم الناهي حال المنهي وان النهي لا يؤثر فيه سقط عنه النهي وربما وجب الترك لدخوله في باب العبث الا ترى انك لو ذهبت الى المكاسين القاعدين على المآصر والجلادين المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه كان ذلك عبثا منك ولم يكن الا سببا للتلهي بك واما الآخرون فانما لم يعرضوا عنهم اما لان ياسهم لم يستحكم كما استحكم ياس الاولين ولم يخبروهم كما خبروهم او لفرط حرصهم وجدهم في امرهم كما وصف الله رسوله في قوله فلعلك باخع نفسك وقيل الامة هم الموعوظون لما وعظوا قالوا للواعظين لم تعظون منا قوما تزعمون ان الله مهلكهم او معذبهم وعن ابن عباس ليت شعري ما فعل بهؤلاء الذين قالوا لم تعظون قوما قال عكرمة فقلت جعلني الله فداك الا تراهم قد انكروا وكرهوا ما هم عليه وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم فلم ازل به حتى عرفته انهم قد نجوا وعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين اخذوا الحيتان وروي ان اليهود امروا باليوم الذي امرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان تاتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا كانها المخاض لا يرى الماء من كثرتها ويوم لا يسبتون لا تاتيهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا تسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها وتاخذونها يوم الاحد واخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال له اني ارى الله سيعذبك فلما لم يره عذب اخذ في السبت القابل حوتين فلما راوا ان العذاب لا يعاجلهم صادوا واكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين الفا فصار اهل القرية اثلاثا ثلث نهوا وكانوا نحوا من اثني عشر الفا وثلث قالوا لم تعظون قوما وثلث هم اصحاب الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون انا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار

للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلم فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان للناس شانا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القردة انسباءها من الانس ولا تعرف الانس انسباءهم من القردة فجعل القرد ياتي نسيبه فيشم ثيابه ويبكي فيقول الم ننهكم فيقول براسه بلى وقيل صار الشبان قردة والشيوخ خنازير وعن الحسن اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا في الدنيا واطولها عذابا في الآخرة هاه وايم الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة ادهى وامر بئيس شديد يقال بؤس يبؤس باسا اذا اشتد فهو بئيس وقرئ بئس بوزن حذر وبئس على تخفيف العين ونقل حركتها الى الفاء كما يقال كبد في كبد وبيس على قلب الهمزة ياء كذيب في ذئب وبيئس على فيعل بكسر الهمزة وفتحها وبيس بوزن ريس على قلب همزة بيئس ياء وادغام الياء فيها وبيس على تخفيف بيئس كهين في هين فلما عتوا عما نهوا عنه فلما تكبروا وابوا ان يتركوا ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة عبارة عن مسخهم قردة كقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون والمعنى ان الله عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ واذ تاذن ربك عزم ربك وهو تفعل من الايذان وهو الاعلام لان العازم على الامر يحدث نفسه به ويؤذنها بفعله واجرى مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بما يجاب به القسم وهو قوله ليبعثن والمعنى واذ حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن على اليهود الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب فكانوا يؤدون الجزية الى المجوس الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى آخر الدهر ومعنى ليبعثن عليهم ليسلطن عليهم كقوله بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم فيها فلا يكاد يخلو بلد من فرقة منهم منهم الصالحون الذين آمنوا منهم بالمدينة او الذين وراء الصين ومنهم دون ذلك ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الكفرة والفسقة فان قلت ما محل دون ذلك قلت الرفع وهو صفة لموصوف محذوف معناه ومنهم ناس منحطون عن الصلاح ونحوه وما منا الا له مقام معلوم بمعنى وما منا احد الا له مقام معلوم وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتهون فينيبون فخلف من بعدهم خلف من بعد المذكورين خلف وهم الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب التوراة بقيت في ايديهم بعد سلفهم يقرءونها ويقفون على ما فيها من الاوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولا يعملون بها ياخذون عرض هذا الادنى اي حطام هذا الشيء الادنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وفي قوله هذا الادنى تخسيس وتحقير والادنى اما من الدنو بمعنى القرب لانه عاجل قريب واما من دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا ياخذونه من الرشا في الاحكام وعلى تحريف الكلم للتسهيل على العامة ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بما اخذنا والفعل مسند الى الجار والمجرور وهو لنا ويجوز ان يكون مسندا الى الاخذ الذي هو مصدر ياخذون وان ياتهم عرض مثله ياخذوه الواو للحال اي يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون الى مثل فعلهم غير تائبين وغفران الذنوب لا يصح الا بالتوبة والمصر لا غفران له الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب

يعني قوله في التورية من ارتكب ذنبا عظيما فانه لا يغفر له الا بالتوبة **ودرسوا** ما فيه في الكتاب من اشتراط التوبة في غفران الذنوب والذي عليه المجبرة هو مذهب اليهود بعينه كما ترى وعن مالك بن دينار رحمه الله يأتي على الناس زمان ان قصروا عما امروا به قالوا سيغفر لنا لانا لم نشرك بالله شيئا كل امرهم الى الطمع خيارهم فيهم المداهنة فهؤلاء من هذه الامة اشباه الذين ذكرهم الله وتلا الاية **والدار الآخرة** خير من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشا ومحارم الله وقرئ وادارسوا الكتاب وان لا تقولوا بالتاء وادارسوا بمعنى تدارسوا **افلا تعقلون** بالياء والتاء **فان قلت** ما موقع قوله الا يقولوا على الله الا الحق **قلت** هو عطف بيان لميثاق الكتاب ومعنى ميثاق الكتاب الميثاق المذكور في الكتاب وفيه ان اثبات المغفرة بغير توبة خروج عن ميثاق الكتاب وافتراء على الله وتقول عليه ما ليس بحق وان فسر ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره كان الا يقولوا مفعولا له ومعناه لئلا يقولوا ويجوز ان يكون ان مفسرة ولا تقولوا نهيا كانه قيل الم يقل لهم لا تقولوا على الله الا الحق **فان قلت** علام عطف قوله ودرسوا ما فيه **قلت** على الم يؤخذ عليهم لانه تقرير فكانه قيل اخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه **والذين يمسكون** بالكتاب فيه وجهان احدهما ان يكون مرفوعا بالابتداء وخبره انا لا نضيع اجر المصلحين والمعنى انا لا نضيع اجرهم لان المصلحين في معنى الذين يمسكون بالكتاب كقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا والثاني ان يكون مجرورا عطفا على للذين يتقون ويكون انا لا نضيع اعتراضا وقرئ يمسّكون بالتشديد وتنصره قراءة ابي والذين مسكوا بالكتاب **فان قلت** التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة ومنها اقامة الصلوة فكيف افردت **قلت** اظهارا لمزية الصلوة لكونها عماد الدين وفارقة بين الكفر والايمان وقرا ابن مسعود والذين استمسكوا بالكتاب **واذ نتقنا الجبل** قلعناه ورفعناه كقوله ورفعنا فوقهم الطور ومنه نتق السقا اذا نفضه ليقتلع الزبدة منه **والظلة** كل ما اظلك من سقيفة او سحاب وقرئ بالطاء من اطل عليه اذا اشرف **وظنوا** انه واقع بهم وعلموا انه ساقط عليهم وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ **وقيل** لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة ولما نشر موسى الالواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا شجر ولا حجر الا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا تقرأ عليه التورية الا اهتز وانغض لها راسه **خذوا** ما آتيناكم على ارادة القول اي وقلنا خذوا ما آتيناكم او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه واذكروا ما فيه من الاوامر والنواهي ولا تنسوه او واذكروا ما فيه من التعريض للثواب العظيم لما رغبوا فيه ويجوز ان يراد خذوا ما آتيناكم من الاية العظيمة بقوة ان كنتم تطيقونه كقوله ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا **واذكروا** ما فيه من الدلالة على القدرة الباهرة والانذار لعلكم تتقون ما انتم عليه وقرا ابن مسعود وتذكروا وقرئ واذّكروا بمعنى وتذكروا **من ظهورهم** بدل من بني آدم بدل البعض من الكل ومعنى اخذ ذرياتهم من ظهورهم اخراجهم من اصلابهم نسلا واشهادهم على انفسهم وقوله الست بربكم قالوا بلى شهدنا من باب التمثيل والتخييل ومعنى ذلك انه نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها

فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكانه اشهدهم على انفسهم وقررهم وقال لهم الست بربكم وكانهم قالوا بلى انت ربنا شهدنا على انفسنا واقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل واسع في كلام الله ورسوله وفي كلام العرب ونظيره قوله عز وعلا انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقوله

إذ قالت الانساع للبطن الحق ... قالت له ريح الصبا قرقار

ومعلوم انه لا قول ثم وانما هو تمثيل وتصوير للمعنى **ان تقولوا** مفعول له اي فعلنا ذلك من نصب الادلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه او كراهة ان تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان نصب الادلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم في الاعراض عنه والاقبال على التقليد والاقتداء بالآباء كما لا عذر لآبائهم في الشرك وادلة التوحيد منصوبة لهم **فان قلت** بنو آدم وذرياتهم من هم **قلت** عني ببني آدم اسلاف اليهود الذين اشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخلافهم المقتدين بآبائهم **والدليل** على انها في المشركين واولادهم قوله او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل **والدليل** على انها في اليهود الآيات التي عطفت عليها هي والتي عطفت عليها وهي على نمطها واسلوبها وذلك قوله واسألهم عن القرية واذ قالت امة منهم واذ تأذن ربك واذ نتقنا الجبل فوقهم واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا افتهلكنا بما فعل المبطلون اي كان آباؤنا المبطلين بتأسيسهم الشرك وتقليدهم فيه وتركه سنة لنا **وكذلك** ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الآيات لهم ولعلهم يرجعون وارادة ان يرجعوا عن شركهم نفصلها وقرئ ذريتهم على التوحيد او يقولوا بالياء **واتل عليهم** على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا هو عالم من علماء بني اسرائيل وقيل هو امية بن ابي الصلت وكان قد قرأ الكتب وقيل هو بلعم بن باعورا اوتي علم بعض كتب الله **فانسلخ** منها من الآيات بان كفر بها ونبذها وراء ظهره **فاتبعه الشيطان** فلحقه الشيطان وادركه وصار قرينا له او فاتبعه خطواته وقرئ فاتّبعه بمعنى فتبعه **فكان** من الغاوين فصار من الضالين الكافرين روي ان قومه طلبوا اليه ان يدعو على موسى ومن معه فابى وقال كيف ادعو على من معه الملائكة فالحوا عليه ولم يزالوا به حتى فعل **ولو شئنا** لرفعناه بها لعظمناه ورفعناه الى منازل الابرار من العلماء بتلك الآيات **ولكنه** اخلد الى الارض مال الى الدنيا ورغب فيها وقيل مال الى السفالة **فان قلت** كيف علق رفعه بمشية الله ولم يعلقه بفعله الذي يستحق به الرفع **قلت** المعنى ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك ان مشية الله رفعه تابعة للزومه الآيات فذكرت المشية والمراد ما هي تابعة له ومسببة عنه كانه قيل ولو لزمها لرفعناه بها الا ترى الى قوله ولكنه اخلد الى الارض فاستدرك المشية باخلاده الذي هو فعله فوجب ان يكون ولو شئنا في معنى ما هو فعله ولو كان الكلام على ظاهره لوجب ان يقال ولو شئنا لرفعناه ولكنا لم نشأ **فمثله** كمثل الكلب فصفته التي هي مثل في الخسة والضعة كصفة الكلب في اخس احواله واذلها وهي حال دوام اللهث به واتصاله سواء حمل عليه اي شد عليه وهيج فطرد او ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك ان سائر الحيوان لا يكون منه اللهث الا اذا هيج منه وحرك والا لم يلهث والكلب يتصل لهثه في الحالين جميعا وكان حق الكلام ان يقال ولو شئنا لرفعناه بها

ولكنه اخلد الى الارض فحططناه ووضعنا منزلته فوضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه
ابلغ حط لما في معنى ذلك وعن ابن عباس الكلب منقطع الفؤاد
المعنى التمثيل بالكلب لاخراج الفؤاد ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال كالكلب
ان تحمل عليه او لم تحمل عليه فان قلت ما محل الجملة الشرطية قلت النصب
ان طردته لهث وان تركته على حاله لهث وقيل لما دعا بلعم على موسى
على الحال كانه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا في الحالتين ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا
خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب
من اليهود بعد ما قرأوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة وذكر القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس
باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فاقصص القصص قصص بلعم الذي هو نحو قصصهم لعلهم يتفكرون
فيحذرون مثل عاقبته اذا ساروا نحو سيرته وزاغوا شبه زيغه ويعلمون انك علمته من جهة الوحي فيزدادوا
ايمانا بك ويزداد الحجة لزوما لهم ساء مثلا القوم اي مثل القوم او ساء اصحاب مثل القوم
وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون معطوفا على كذبوا فيدخل في حيز الصلة بمعنى الذين
جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم انفسهم واما ان يكون كلاما منقطعا عن الصلة بمعنى وما ظلموا
الا انفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص كانه قيل وخصوا انفسهم بالظلم لم يتعدها
الى غيرها من يهد الله فهو المهتدي حمل على اللفظ فاولئك هم الخاسرون حمل على المعنى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس
المطبوع على قلوبهم الذين علم الله انه لا لطف لهم وجعلهم انهم لا يلقون اذهانهم الى معرفة
الحق ولا ينظرون بعيونهم الى ما خلق الله نظر اعتبار ولا يسمعون الى ما يتلى عليهم من آيات الله سماع
تدبر كانهم عدموا فهم القلوب وابصار العيون واستماع الآذان وجعلهم لاغراقهم في الكفر
وشدة شكائمهم فيه وانه لا يأتي منهم الا افعال اهل النار مخلوقين للنار دلالة على توغلهم
في الموجبات وتمكنهم فيما يؤهلهم لدخول النار ومنه كتاب عمر رضي الله عنه الى خالد بن الوليد
بلغني ان اهل الشام اتخذوا لك دلوكا عجن بخمر واني لاظنكم آل المغيرة ذرء النار ويقال لمن
كان عريقا في بعض الامور ما خلق فلان الا لكذا والمراد وصف حال اليهود في عظم ما اقدموا
عليه من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم انه النبي الموعود وانهم من جملة الكثير الذين
لا يكاد الايمان يتأتى منهم كأنهم خلقوا للنار اولئك كالانعام في عدم الفقه والنظر للاعتبار
والاستماع للتدبر بل هم اضل اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة وقيل الانعام تبصر منافعها
ومضارها فتلزم بعض ما تبصره وهؤلاء اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار ولله الاسماء الحسنى
التي هي احسن الاسماء لانها تدل على معان حسنة من تمجيد وتقديس وغير ذلك فادعوه بها فسموه بتلك
الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه
بغير الاسماء الحسنى وذلك ان يسموه بما لا يجوز عليه كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم يا ابا المكارم
يا ابيض الوجه يا سخي او ان يأبوا تسميته ببعض اسمائه الحسنى نحو ان يقولوا يا الله ولا يقولوا يا رحمن
وقد قال الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ويجوز ان يراد ولله
الاوصاف الحسنى وهي الوصف بالعدل والخير والاحسان وانتفاء شبه الخلق فصفوه بها وذروا
الذين يلحدون في اوصافه فيصفونه بمشيئة القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل في التشبيه

كالرؤية ونحوها وقيل الحادهم في اسمائه تسميتهم الاصنام آلهة واشتقاقهم اللات
من الله والعزى من العزيز لما قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا فاخبر ان كثيرا من الثقلين
عاملون باعمال اهل النار اتبعه قوله وممن خلقنا امة يهدون بالحق وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد اعطي القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة يهدون
بالحق وعنه عليه السلام ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وعن الكلبي هم الذين آمنوا من اهل
الكتاب وقيل هم العلماء والدعاة الى الدين الاستدراج استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد
والاستنزال درجة بعد درجة قال الاعشى فلو كنت في جب ثمانين قامة ورقيت اسباب السماء بسلم
ليستدرجنك القول حتى تهره وتعلم اني عنكم غير مفحم ومنه درج الصبي اذا
قارب بين خطاه وادرج الكتاب طواه شيئا بعد شيء ودرج القوم مات بعضهم في اثر
بعض ومعنى سنستدرجهم سنستدنيهم قليلا قليلا الى ما يهلكهم ونضاعف عقابهم
من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك ان يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي فكلما
جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم
ظانين ان مواترة النعم اثرة من الله وتقريب وانما هي خذلان منه وتبعيد فهو استدراج
الله نعوذ بالله منه واملي لهم عطف على سنستدرجهم وهو داخل في حكم السين
ان كيدي متين سماه كيدا لانه شبيه بالكيد من حيث انه في الظاهر احسان وفي الحقيقة
خذلان ما بصاحبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم من جنة من جنون وكانوا يقولون شاعر مجنون وعن قتادة
ان النبي صلى الله عليه وسلم علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم ان صاحبكم
هذا المجنون بات يهوت الى الصباح اولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والارض فيما
تدلان عليه من عظم الملك والملكوت الملك العظيم وما خلق الله من شيء وفيما خلق الله مما يقع عليه
اسم الشيء من اجناس لا يحصرها العدد ولا يحيط بها الوصف وان عسى ان يكون ان مخففة من الثقيلة
والاصل وانه عسى على ان الضمير ضمير الشأن والمعنى اولم ينظروا في ان الشأن والحديث عسى ان يكون
قد اقترب اجلهم ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعوا الى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مغافصة الاجل
وحلول العقاب ويجوز ان يراد باقتراب الاجل اقتراب الساعة ويكون من كان التي فيها ضمير الشأن
فان قلت بم يتعلق قوله فبأي حديث بعده يؤمنون قلت بقوله عسى ان يكون قد اقترب اجلهم
كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح
الحق وبأي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا ويذرهم بالياء والنون والجزم عطفا على محل فلا
هادي له كانه قيل من يضلل الله لا يهده احد ويذرهم يسألونك قيل ان قوما من اليهود قالوا
يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم ان الله قد استأثر
بعلمها وقيل السائلون قريش والساعة من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة
لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او على العكس لطولها او لانها عند الله على طولها كساعة من الساعات
عند الخلق ايان مرساها بمعنى متى وقيل اشتقاقه من اي فعلان منه لان معناه اي وقت واي فعل من أويت
اليه لان البعض آو الى الكل متساند اليه قاله ابن جني وأبى ان يكون من اين لانه زمان واين مكان
وقرأ السلمي ايان بكسر الهمزة مرساها ارساؤها او وقت ارسائها اي اثباتها واقرارها

وكل شيء ثقيل رسوه ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وارسى السفينة والمرسى الانجر الذي ترسى به ولا اثقل من الساعة بدليل قوله ثقلت في السموات والارض والمعنى متى يرسيها الله

انما علمها اي علم وقت ارسائها عنده قد استأثر به لم يخبر به احدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل ليكون ذلك ادعا الى الطاعة وازجر عن المعصية كما اخفى الاجل الخاص وهو وقت الموت لذلك لا يجليها لوقتها الا هو اي لا تزال خفية لا يظهر امرها ولا يكشف خفا علمها الا هو وحده اذا جا بها في وقتها بغتة لا يجليها بالخبر عنها قبل مجيئها احد من خلقه لاستمرار الخفا بها على غيره الى وقت وقوعها ثقلت في السموات والارض اي كل من اهلها من الملائكة والثقلين اهمه شان الساعة ويود ان يتجلى له علمها وشق عليه خفاؤها وثقل عليه او ثقلت فيها لان اهلها يتوقعونها ويخافون شدائدها واهوالها او لان كل شي لا يطيقها ولا يقوم لها فهي ثقيلة فيها لا تاتيكم الا بغتة الا فجاة على غفلة منكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه

يسئلونك كانك حفي عنها كانك عالم بها وحقيقته كانك بليغ في السؤال عنها لان من بالغ في المسالة عن الشي والتنقير عنه استحكم علمه فيه وهذا التركيب معناه المبالغة ومنه احفا الشارب واحتفا البقل استيصاله والحفا في المسالة

وقيل عن متعلق بيسئلونك اي يسئلونك عنها كانك حفي اي عالم بها وقيل ان قريشا قالوا ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة فقيل يسئلونك عنها كانك حفي تتحفى بهم فتختصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة وتزوي علمها عن غيرهم ولو اخبرت بوقتها لمصلحة عرفها الله في اخبارك به لكنت مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص كسائر ما اوحي اليك وقيل كانك حفي بها اي كانك تحب السؤال عنها لانها من علم الغيب الذي استاثر الله به ولم يؤته احدا من خلقه

قل انما علمها عند الله وانما كرر يسئلونك وانما علمها عند الله للتاكيد ولما جا به من زيادة قوله كانك حفي عنها وعلى هذا تكرير العلما الحذاق في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة زائدة منهم محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه المختص بالعلم بها

قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا هو اظهار للعبودية والتبري عما يختص بالربوبية من علم الغيب اي انا عبد ضعيف لا املك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضر كالمماليك والعبيد الا ما شا الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء اي لكانت حالي على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واستغزار المنافع واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسني شي منها ولم اكن غالبا مرة ومغلوبا اخرى في الحروب ورابحا وخاسرا في التجارات ومصيبا ومخطئا في التدابير ان انا الا نذير وبشير اي ما انا الا عبد ارسلت نذيرا وبشيرا وما من شاني ان اعلم الغيب لقوم يؤمنون يتعلق بالنذير والبشير جميعا لان النذارة والبشارة انما ينفعان فيهم او يتعلق بالبشير وحده والمتعلق بالنذير محذوف اي الا نذير للكافرين

ينفعان

خفا

هو الذي خلقكم من نفس واحدة وهي نفس ادم وجعل منها زوجها وهي حوا خلقها من جسد ادم من ضلع من اضلاعه او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا ليسكن اليها ليطمئن اليها ويميل ولا ينفر لان الجنس الى الجنس اميل وبه انس واذا كان بعضا منه كان السكون والمحبة ابلغ كما يسكن الانسان الى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وقال ليسكن فذكر بعد ما انث في قوله واحدة ومنها زوجها ذهابا الى معنى النفس ليبين ان المراد بها ادم ولان الذكر هو الذي يسكن الى الانثى ويتغشاها فكان التذكير احسن طباقا للمعنى والتغشي كناية عن الجماع وكذلك الغشيان والاتيان حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذى ولم تستثقله كما يستثقلنه وقد تسمع بعضهن تقول عن ولدها ما كان اخفه علينا حين حملته فمرت به فمضت به الى وقت ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق او حملت حملا خفيفا يعني النطفة فمرت به فقامت به وقعدت وقرا ابن عباس فاستمرت به وقرا يحيى بن يعمر فمرت به بالتخفيف وقرا غيره فمارت به من المرية كقوله افتمارونه وفتمارونه ومعناه فوقع في نفسها ظن الحمل وارتابت به فلما اثقلت حان وقت ثقل حملها كقولك اقربت وقرئ اثقلت على البنا للمفعول اي اثقلها حملها دعوا الله ربهما دعا ادم وحوا ربهما ومالك امرهما الذي هو الحقيق بان يدعى ويلتجا اليه فقالا لئن اتيتنا صالحا لئن وهبت لنا ولدا سويا قد صلح بدنه وبري وقيل ولدا ذكرا لان الذكورة من الصلاح والجودة والضمير في اتيتنا ولنكونن لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما فلما اتيهما صالحا اعطاهما ما طلباه من الولد الصالح السوي جعلا له شركا اي جعل اولادهما له شركا على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكذا فيما اتيهما اي اتى اولادهما وقد دل على ذلك بقوله فتعالى الله عما يشركون حيث جمع الضمير وادم وحوا بريان من الشرك ومعنى اشراكهم فيما اتاهم الله تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد مناة وعبد شمس وما اشبه ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم ووجه اخر وهو ان يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ال قصي اي هو الذي خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن اليها فلما اتيهما ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركا فيما اتيهما حيث سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار وجعل الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك وهذا تفسير حسن لا اشكال فيه وقرئ شركا اي ذوي شرك وهم الشركا او احدثا لله اشراكا في الولد ايشركون ما لا يخلق شيا يعني الاصنام اجري مجرى اولي العلم في قوله وهم يخلقون بنا على اعتقادهم فيها وتسميتهم اياها الهة والمعنى ايشركون ما لا يقدر على خلق شي كما يخلق الله وهم يخلقون لان الله خالقهم او لا يقدر على اختلاق شي لانه جماد وهم يخلقون لان عبدتهم يختلقونهم فهم اعجز من عبدتهم ولا يستطيعون لهم لعبدتهم نصرا ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث بل عبدتهم الذين يدفعون عنهم وان تدعوهم وان تدعوا هذه الاصنام الى الهدى اي الى ما هو هدى ورشاد والمعنى وان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله

صالحا

مكان

يختلقونهم

والهدى لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله ان كنتم صادقين **سواء عليكم**
ادعوتموهم ام صمتم ولم وضع الجملة الاسمية موضع الفعلية فانه لا فلاح معهم * فان قيل **هلا قيل** ام صمتم
قلت لانهم كانوا اذا حزبهم امر دعوا الله دون اصنامهم فكان
الاسمية موضع الفعلية * قلت حالهم المستمرة ان يكونوا صامتين عن دعوتهم فقيل ان دعوتموهم
لم يفترق الحال بين احداثكم دعاءهم وبين ما انتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم **ان الذين**
تدعون من دون الله اي تعبدونهم وتسمونهم الهة من دون الله **عباد** امثالكم
من حيث انهم مملوكون مسخرون اي فصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء فلم يثبت ذلك فهم عباد امثالكم
امثالكم استهزاء بهم اي قصارى امرهم ان يكونوا عبادا امثالكم فقال الهم ارجل يمشون بها وبين
لا افضل منكم بما ابطل ان يكونوا عبادا امثالكم وقرا سعيد بن جبير ان الذين تدعون من دون الله
عباد امثالكم مملوكون امثالكم وقرا سعيد بن جبير ان الذين تدعون من دون الله عبادا
امثالكم بتخفيف ان ونصب عبادا امثالكم والمعنى ما الذين تدعون من دون الله عبادا
امثالكم عملا بان النافية عمل ما الحجازية قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي
ثم كيدون جميعا انتم وشركاؤكم فلا تنظرون فاني لا ابالي بكم ولا يقول هذا الا واثق
بعصمة الله وكانوا قد خوفوه آلهتهم فامر ان يخاطبهم بذلك كما قال قوم هود ان نقول
الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء فقال اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا
تنظرون **ان وليي الله** اي ناصري عليكم الله الذي نزل الكتاب الذي اوحي الي كتابه
ورسالته وهو يتولى الصالحين ومن عادته ان ينصر الصالحين من عباده وانبيائه والذين
اليك ينظرون اليك كانهم ينظرون الناظر لانهم صوروا اصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشيء
اليه وهم لا يبصرون لانهم لا يبصرون المرئي **خذ العفو** اي خذ ما عفا لك من افعال الناس
واخلاقهم وما اتى منهم وتسهل من غير كلفة ولا تداقهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق
حتى لا ينفروا كقوله صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا **واعلم** خذ العفو مني تستدم مودتي
وقيل خذ الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل نزول آية الزكاة فلما نزلت
امر ان ياخذهم بها طوعا او كرها **وامر بالعرف** المعروف والجميل من الافعال **واعرض عن الجاهلين**
ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم واغمض على ما يسوؤك منهم
وقيل لما نزلت الاية سال جبرائيل فقال لا ادري حتى اسال ثم رجع فقال يا محمد ان ربك
امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق
رضي الله عنه امر الله نبيه بمكارم الاخلاق وليس في القران آية اجمع لمكارم الاخلاق
منها **واما ينزغنك من الشيطان نزغ** واما ينخسنك منه نخس اي يحملنك بوسوسته
على خلاف ما امرت به **فاستعذ بالله** ولا تطعه والنزغ والنسغ والنخس والغرز
كانه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد
جده وروي انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يا رب بالغضب
واما ينزغنك من الشيطان ويجوز ان يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب
كقول ابي بكر رضي الله عنه ان لي شيطانا يعتريني **انه سميع** من الشيطان لمة

من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا **قال** اي لمم **ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان** ومطافة لك ذكر وشهود
او هو تخفيف طيف كلين او من طاف يطيف كلين او من طاف يطوف كهين وقرئ
طائف وهو يحتمل الامرين ايضا وهذا تاكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة
بالله عند نزغ الشيطان وان المتقين هذه عادتهم اذا اصابهم ادنى نزغ من الشيطان
والمام بوسوسته **تذكروا** ما امر الله به ونهى عنه **فاذا هم مبصرون** السداد ودفعوا ما
وسوس به اليهم ولم يتبعوه انفسهم **واخوانهم** واما اخوان الشياطين الذين لم يتقوا فان
الشياطين **يمدونهم في الغي** اي يكونون مددا لهم فيه ويعضدونهم ويزينونه لهم من الامداد
وبما قرئ يمدونهم من امد ويمدونهم **ثم لا يقصرون** ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا
وقوله واخوانهم يمدونهم كقوله * قوم اذا الخيل جالوا في كواثبها * فان الخبر
جار على غير ما هو له ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به الى الجاهلين
فيكون الخبر جاريا على ما هو له والاول اوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا فان قلت
لم جمع الضمير في اخوانهم والشيطان مفرد قلت المراد به الجنس كقوله اولياؤهم الطاغوت
لولا اجتبيتها التي بمعنى جباه لنفسه اي جمعه كقولك اجتمعه او جبى اليه فاجتباه اي
اخذه كقولك جليت اليه العروس فاجتلاها والمعنى لولا اجتبيتها اجتمعتها انشاء لا
من عند نفسك لانهم كانوا يقولون له ان هذا الا افك مفترى او هلا اخذتها منزلة عليك
مقترحة **قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي** ولست بمختلق للايات او لست بمقترح لها **هذا بصائر**
هذا القران بصائر من ربكم اي حجج بينة يعود المؤمنون بها بصراء بعد العمى او هو بمنزلة بصائر
القلوب **واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا** ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة
القران في صلاة وغير صلاة وقيل كانوا يتكلمون في الصلاة فنزلت ثم صار سنة في غير الصلاة
ان ينصت القوم اذا كانوا في مجلس يقرا فيه القران وقيل معناه واذا تلا عليكم الرسول القران
عند نزوله فاستمعوا له وقيل معنى استمعوا له اعملوا بما فيه ولا تجاوزوه **واذكر ربك في نفسك**
هو عام في الاذكار من قراءة القران والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك **تضرعا وخيفة**
متضرعا وخائفا **ودون الجهر** ومتكلما كلاما دون الجهر لان الاخفاء ادخل في الاخلاص
واقرب الى حسن التفكر **بالغدو والاصال** لفضل هذين الوقتين او اراد الدوام ومعنى بالغدو
باوقات الغدو وهي الغدوات وقرئ والايصال وهو مطابق للاصال اذا دخل في الاصيل كاقصر واعتم وهو
مطابق للغدو **ولا تكن من الغافلين** الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه **ان الذين عند ربك**
هم الملائكة صلوات الله عليهم ومعنى عند دنوهم من الله والقرب من رحمة الله وفضله لتوفرهم على
طاعته وابتغاء مرضاته **وله يسجدون** ويختصونه بالعبادة لا يشركون به غيره وهو تعريض
بمن سواهم من المكلفين * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعراف جعل الله له
يوم القيامة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيامة

سورة الانفال مدنية وهي ست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

النفل الغنيمة لانها من فضل الله وعطائه قال لبيد ان تقوى ربنا خير نفل والنفل ما ينفله الغازي اي يعطاه زائدا على سهمه من المغنم وهو ان يقول الامام تحريضا على البلاء في الحرب من قتل قتيلا فله سلبه او قال لسرية ما اصبتم فهو لكم او فلكم نصفه او ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الامام الوفاء بما وعد منه وعند الشافعي في احد قوليه لا يلزم ولقد وقع اختلاف بين المسلمين في غنائم بدر وفي قسمتها فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم في قسمتها للمهاجرين ام للانصار ام لهم جميعا فقيل له قل لهم هي لرسول الله وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء ليس لاحد غيره فيها حكم وقيل شرط لمن كان له بلاء في ذلك اليوم ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين فلما يسر الله الفتح اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا فقال الشبان نحن المقاتلون وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها ان انهزمتم وقالوا لرسول الله المغنم قليل والناس كثير وان تعط هولاء ما شرطت لهم حرمت اصحابك فنزلت وعن سعد بن ابي وقاص قتل اخي عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاعجبني فجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد انزلت سورة الانفال فقال يا سعد انك سالتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا يا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا فجعله لرسول الله فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات البين وقرا ابن محيصن يسلونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن في اللام وقرا ابن مسعود يسلونك الانفال اي يسالك الشبان ما شرطت لهم من الانفال فان قلت ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول في قوله قل الانفال لله والرسول قلت معناه ان حكمها مختص بالله ورسوله يامر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول امر الله فيها وليس الامر في قسمتها مفوضا الى راي احد والمراد ان الذي اقتضته حكمة الله وامر به رسوله ان يواسي المقاتلة المشروط لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات فيقاسموهم على السوية ولا يستاثروا بما شرط لهم فانهم ان فعلوا لم يومن ان يقدح ذلك فيما بين المسلمين من التحاب والتصافي فاتقوا الله في الاختلاف والتخاصم وكونوا متحدين متاخين في الله واصلحوا ذات بينكم وتاسوا وتساعدوا فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم وعن عطاء كان الاصلاح بينهم ان دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض فان قلت ما حقيقة قوله ذات بينكم قلت احوال بينكم يعني ما بينكم من الاحوال حتى تكون احوال الفة ومحبة واتفاق كقوله بذات الصدور وهي مضمراتها لما كانت الاحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولهم اسقني ذا انائك يريدون ما في الاناء من الشراب وجعل التقوى واصلاح

فتسارع

اي الاشياء المقبوضة

ذات البين وطاعة الله ورسوله من لوازم الايمان وموجباته ليعلمهم ان كمال الايمان موقوف على التوفر عليها ومعنى قوله ان كنتم مومنين ان كنتم كاملي الايمان واللام في الايمان في قوله انما المومنون اشارة اليهم اي انما الكاملو الايمان الذين من صفتهم كيت وكيت والدليل عليه قوله اولئك هم المومنون حقا وجلت قلوبهم فزعت وعن ام الدرداء الوجل في القلب كاحتراق السعفة اما تجد له قشعريرة قال بلى قالت فادع الله فان الدعاء يذهبه يعني فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزه وسلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله الا بذكر الله تطمئن القلوب لان ذلك ذكر رحمته ورافته وثوابه وقيل هو الرجل يريد ان يظلم او يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة نحو وبق في وبق وفي قراءة عبد الله فرقت زادتهم ايمانا ازدادوا بها يقينا وطمانينة نفس لان تظاهر الادلة اقوى للمدلول عليه واثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل وعن ابي هريرة الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان وعن عمر بن عبد العزيز ان للايمان سننا وفرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان وعلى ربهم يتوكلون ولا يفوضون امورهم الى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون الا اياه جمع بين اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل وبين اعمال الجوارح من الصلوة والصدقة حقا صفة للمصدر المحذوف اي اولئك هم المومنون ايمانا حقا او هو مصدر موكد للجملة التي هي اولئك هم المومنون كقولك هو عبد الله حقا اي حق ذلك حقا وعن الحسن ان رجلا ساله امومن انت قال الايمان ايمانان فان كنت تسالني عن الايمان بالله وملئكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا مومن وان كنت تسالني عن قوله انما المومنون فوالله لا ادري امنهم انا ام لا وعن الثوري من زعم انه مومن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل الجنة فقد امن بنصف الاية وهذا الزام منه يعني كما لا يقطع بانه من اهل ثواب المومنين حقا فلا يقطع بانه مومن حقا وبهذا تعلق من يستثني في الايمان وكان ابو حنيفة ممن لا يستثني فيه وحكي عنه انه قال لقتادة لم تستثني في ايمانك قال اتباعا لابرهيم في قوله والذي اطمع ان يغفر لي فقال له هلا اقتديت به في قوله اولم تومن قال بلى درجات شرف وكرامة وعلو منزلة ومغفرة وتجاوز لسيئاتهم ورزق كريم نعيم الجنة يعني لهم منافع حسنة دائمة على سبيل التعظيم وهذا معنى الثواب كما اخرجك ربك فيه وجهان احدهما ان يرتفع محل الكاف على انه خبر مبتدا محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهة ما رايت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب والثاني ان ينتصب على انه صفة لمصدر الفعل المقدر في قوله الانفال لله والرسول اي الانفال استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك وهم كارهون من بيتك يريد بيته بالمدينة او المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه بالحق اي اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب الذي لا محيد عنه وان فريقا من المومنين لكارهون في موضع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم

خطيئتي

أبو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر المسلمين فأعجبهم
تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ أهل مكة خبر خروجهم فنادى أبو جهل فوق الكعبة
يا أهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم أموالكم إن أصابها محمد لن تفلحوا بعدها
أبدا وقد رأت أخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لأخيها إني رأيت عجبا رأيت كأن ملكا
نزل من السماء فأخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة إلا أصابه حجر من تلك
الصخرة فحدث بها العباس فقال أبو جهل ما يرضى رجالهم أن يتنبؤا حتى تتنبأ نساؤهم
فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة وهم النفير في المثل السائر لا في العير ولا في النفير فقيل له إن
العير أخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس إلى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك أبدا
حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا
وأن محمدا لم يصب العير وأنا قد أعضضناه فمضى بهم إلى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع
فيه لسوقهم يوما في السنة ونزل جبريل فقال يا محمد إن الله وعدكم إحدى الطائفتين
إما العير وإما قريشا فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال ما تقولون إن القوم
قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير أحب إليكم أم النفير قالوا بل العير أحب
إلينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ردد عليهم فقال إن العير قد مضت
على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام
عند غضب النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فأحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال
انظر أمرك فامض فوالله لو سرت إلى عدن أبين ما تخلف عنك رجل من الأنصار ثم قال المقداد
بن عمرو يا رسول الله امض لما أمرك الله فإنا معك حيثما أحببت لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل
لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما
مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أشيروا علي أيها
الناس وهو يريد الأنصار لأنهم قالوا له حين بايعوه على العقبة إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى
ديارنا فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه وسلم
يتخوف أن لا يكون الأنصار ترى عليهم نصرته إلا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ
فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال أجل قال إنا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به
الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت
فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد
وما نكره أن تلقى بنا عدونا إنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء لعل الله يريك منا
ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه قول سعد
ثم قال سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني الآن
أنظر إلى مصارع القوم وروي أنه قيل له حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها
شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم قال لأن الله وعدك

زدد عليهم

ونشطه

أي سره له

إحدى الطائفتين وقد أعطى ما وعد وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وإن فريقا من المؤمنين والحق
الذي جادلوا فيه رسول الله تلقي النفير لإيثارهم عليه تلقي العير بعد ما تبين بعد إعلام رسول الله
بأنهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا إلا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب وذلك لكراهتهم
القتال ثم شبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم وهم يسار بهم إلى الظفر والغنيمة بحال من يعتل إلى
القتل ويساق على الصغار إلى الموت المتيقن وهو مشاهد لأسبابه ناظر إليها لا يشك فيها
وقيل كان خوفهم لقلة العدد وأنهم كانوا رجالة وروي أنه ما كان فيهم إلا فارسان وإذ منصوب
بإضمار اذكر وأنها لكم بدل من إحدى الطائفتين والطائفتان العير والنفير وغير ذات الشوكة
العير لأنه لم يكن فيها إلا أربعون فارسا والشوكة كانت في النفير لعددهم وعدتهم والشوكة
الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويقال شوك القنا لشباها ومنها قولهم شائك السلاح
أي تتمنون أن تكون لكم العير لأنها الطائفة التي لا حدة لها ولا شدة ولا تريدون الطائفة الأخرى
أن يحق الحق أن يثبته ويعليه بكلماته بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبما أمر
الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من أسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر والدابر الآخر فاعل من دبر
إذا أدبر ومنه دابرة الطائر وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال يعني أنكم تريدون الفائدة
العاجلة وسفساف الأمور وأن لا تلقوا ما يرزؤكم في أبدانكم وأحوالكم والله عز وعلا يريد
معالي الأمور وما يرجع إلى عمارة الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة والفوز في الدارين وشتان ما بين
المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وغلب كثرتهم بقلتكم
وأعزكم وأذلهم وحصل لكم ما لا تعارض أدناه العير وما فيها وقرئ بكلمته على التوحيد
فإن قلت بم يتعلق قوله ليحق الحق قلت بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك
ما فعله إلا لهما وهو إثبات الإسلام وإظهاره وإبطال الكفر ومحقه فإن قلت أليس هذا تكريرا قلت
لا لأن المعنيين متباينان وذلك أن الأول تمييز بين الإرادتين وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار
ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها وأنه ما نصرهم ولا خذل أولئك إلا لهذا الغرض الذي
هو سيد الأغراض ويجب أن يقدر المحذوف متأخرا حتى يفيد معنى الاختصاص وينطبق عليه
المعنى وقيل قد تعلق بيقطع فإن قلت بم يتعلق إذ تستغيثون قلت هو بدل
من إذ يعدكم وقيل بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم أنهم لما علموا أنه لا بد من القتال
طفقوا يدعون الله يقولون أي رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين أغثنا وعن عمر
رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر إلى المشركين وهم ألف وإلى أصحابه وهم
ثلاثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه
العصابة لا تعبد في الأرض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فأخذه أبو بكر فألقاه على
منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز
لك ما وعدك أني ممدكم أصله بأني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب

أي يجر ويساق يعتل

وكسر

وعن أبي عمرو أنه قرأ إني ممدكم بالكسر على إرادة القول وعلى إجراء استجاب مجرى قال لأن الاستجابة من القول. فإن قلت: هل قاتلت الملائكة يوم بدر؟ قلت: اختلف فيه، فقيل: نزل جبريل في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها أبو بكر، وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها علي بن أبي طالب في صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد أرخوا أذنابها بين أكتافهم فقاتلت. وقيل: قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الأحزاب ويوم حنين. وعن أبي جهل أنه قال لابن مسعود: من أين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا؟ قال: من الملائكة. فقال أبو جهل: هم غلبونا لا أنتم. وروي أن رجلا من المسلمين بينا هو يشتد في أثر رجل من المشركين إذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه، فنظر إلى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه، فحدث الأنصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: صدقت، ذاك من مدد السماء. وعن أبي داود المازني: تبعت رجلا من المشركين لأضربه يوم بدر فوقع رأسه بين يدي قبل أن يصل إليه سيفي. وقيل: لم تقاتل، وإنما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين، وإلا فملك واحد كاف في إهلاك أهل الدنيا كلهم، فإن جبريل أهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط، وأهلك بلاد ثمود قوم صالح بصيحة واحدة. وقرئ: مردفين بكسر الدال وفتحها، من قولك: ردفه إذا تبعه، ومنه قوله تعالى: ردف لكم، بمعنى ردفكم، وأردفته إياه إذا أتبعته. ويقال: أردفته كقولك أتبعته إذا جئت بعده. فلا يخلو المكسور الدال من أن يكون بمعنى متبعين أو متبعين. فإن كان بمعنى متبعين فلا يخلو من أن يكون بمعنى متبعين بعضهم بعضا، أو متبعين بعضهم لبعض، أو بمعنى متبعين إياهم المؤمنين، أي يتقدمونهم فيتبعونهم أنفسهم، أو متبعين لهم يشيعونهم ويقدمونهم بين أيديهم وهم على ساقتهم ليكونوا على أعينهم وحفظهم، أو بمعنى متبعين أنفسهم ملائكة آخرين، أو متبعين غيرهم من الملائكة. ويعضد هذا الوجه قوله تعالى في سورة آل عمران: بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين، بخمسة آلاف من الملائكة مسومين. ومن قرأ مردفين بالفتح فهو بمعنى متبعين أو متبعين. وقرئ: مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال، وأصله مرتدفين بمعنى مترادفين، فأدغمت تاء الافتعال في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الأصل أو على إتباع الدال، وبالضم على إتباع الميم. وعن السدي: بآلاف من الملائكة على الجمع ليوافق ما في سورة آل عمران. فإن قلت: فبم يعتذر لمن قرأ على التوحيد ولم يفسر المردفين بإرداف الملائكة ملائكة آخرين، والمردفين بارتدافهم غيرهم؟ قلت: بأن المراد بالألف من قاتل منهم، أو الوجوه منهم الذين من سواهم أتباع لهم. فإن قلت: إلام يرجع الضمير في وما جعله؟ قلت: إلى قوله أني ممدكم، لأن المعنى فاستجاب لكم بإمدادكم. فإن قلت: ففيم قرأ بالكسر؟ قلت: إلى قوله إني ممدكم، لأنه مفعول القول المضمر فهو في معنى القول، ويجوز أن يرجع إلى الإمداد الذي يدل عليه ممدكم. إلا بشرى لكم: إلا بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبني إسرائيل، يعني أنكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم وذلتكم، فكان الإمداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم. وما النصر إلا من عند الله، يريد: ولا تحسبوا النصر من الملائكة، فإن الناصر هو الله لكم

وللملائكة، أو وما النصر بالملائكة وغيرهم من الأسباب إلا من عند الله، والمنصور من نصره الله. إذ يغشاكم: بدل ثان من إذ يعدكم، أو منصوب بالنصر، أو بما في من عند الله من معنى الفعل، أو بما جعله الله، أو بإضمار اذكر. وقرئ: يغشيكم بالتخفيف والتشديد، ونصب النعاس، والضمير لله عز وجل. وأمنة: مفعول له. فإن قلت: أما وجب أن يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا؟ قلت: بلى، ولكن لما كان معنى يغشاكم النعاس تنعسون، انتصب أمنة على أن النعاس والأمنة لهم. والمعنى: إذ تنعسون أمنة بمعنى أمنا، أي لأمنكم. ومنه صفة لها، أي أمنة حاصلة لكم من الله. فإن قلت: فعلى غير هذه القراءة؟ قلت: يجوز أن تكون الأمنة بمعنى الإيمان، أي ينعسكم إيمانا منه، أو على يغشيكم النعاس فتنعسون أمنا. فإن قلت: هل يجوز أن ينتصب على أن الأمنة للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم، أي يغشاكم النعاس لأمنه، على أن إسناد الأمن إلى النعاس إسناد مجازي، وهو لأصحاب النعاس على الحقيقة، أو على أنه أنامكم في وقت كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت المخوف أن لا يقدم على غشيانكم، وإنما غشيكم أمنة حاصلة له من الله، لولا أن الله أمنه لم يغشكم، على طريقة التمثيل والتخييل؟ قلت: لا تبعد فصاحة القرآن عن احتماله، وله فيه نظائر، وقد ألم به من قال:

يهاب النوم أن يغشى عيونا ... تهابك فهو نفار شرود

وقرئ: أمنة بسكون الميم. ونظير أمن أمنة حيي حياة، ونحو أمن أمنة رحم رحمة. والمعنى أن ما كان بهم من الخوف كان يمنعهم من النوم، فلما طامن الله قلوبهم وأمنهم رقدوا. وعن ابن عباس: النعاس في القتال أمنة من الله، وفي الصلاة وسوسة من الشيطان. وينزل: قرئ بالتخفيف والتثقيل. وقرأ الشعبي: ما ليطهركم به. قال ابن جني: ما موصولة وصلتها حرف الجر بما جره، فكأنه قال: ما للطهور. ورجز الشيطان: وسوسته إليهم وتخويفه إياهم من العطش. وقيل: الجنابة لأنها من تخييله. وقرئ: رجس الشيطان. وذلك أن إبليس تمثل لهم، وكان المشركون قد سبقوهم إلى الماء، ونزل المؤمنون في كثيب أعفر تسوخ فيه الأقدام على غير ماء، وناموا فاحتلم أكثرهم، فقال لهم: أنتم يا أصحاب محمد تزعمون أنكم على الحق، وأنتم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة، وقد عطشتم، ولو كنتم على حق ما غلبكم هؤلاء على الماء، وما ينتظرون بكم إلا أن يجهدكم العطش، فإذا قطع العطش أعناقكم مشوا إليكم فقتلوا من أحبوا وساقوا بقيتكم إلى مكة. فحزنوا حزنا شديدا وأشفقوا، فأنزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي، واتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الحياض على عدوة الوادي، وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا، وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الأقدام، وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس. والضمير في به للماء، ويجوز أن يكون للربط، لأن القلب إذا تمكن فيه الصبر والجرأة ثبتت القدم في مواطن القتال. إذ يوحي: يجوز أن يكون بدلا ثالثا من إذ يعدكم، وأن ينتصب بيثبت. أني معكم: مفعول يوحي. وقرئ: إني بالكسر على إرادة القول، أو على إجراء يوحي مجرى يقول، كقوله: إني ممدكم. والمعنى: أني

على التثبيت فثبتوهم وقوله سألقي فاضربوا ويجوز ان يكون تفسيرا لقوله
اني معكم فثبتوا ولا معونة اعظم من القاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت ابلغ من ضرب اعناقهم واجتماعهما
غاية النصرة ويجوز ان يكون غير تفسير وان يراد بالتثبيت ان يخطروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم وتصح
عزائمهم ونياتهم في القتال وان يظهروا ما يتيقنون به انهم ممدودون بالملائكة وقيل كان الملك
يتشبه بالرجل الذي يعرفون وجهه فيأتي فيقول اني سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا
علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول ابشروا فان الله ناصركم لانكم تعبدونه
وهؤلاء لا يعبدونه وقرئ الرعب بالتثقيل **فوق الاعناق** اراد اعاليها التي هي المذابح
لانها مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها حزا او تطييرا للرؤوس وقيل اراد الرؤوس لانها
فوق الاعناق يعني ضرب الهام وقال واضرب هامة البطل المشيح
غشيه وهو في جاواء باسلة عضبا اصاب سواء الراس فانفلقا **والبنان** الاصابع
يريد الاطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لان الضرب اما واقع على مقتل او غير
مقتل فامرهم بان يجمعوا عليهم النوعين معا ويجوز ان يكون قوله سألقي الى قوله كل بنان
عقيب قوله فثبتوا الذين آمنوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كانه قال قولوا لهم قولي
في قلوب الذين كفروا الرعب او كانهم قالوا كيف نثبتهم فقيل قولوا لهم قولي سألقي فالضاربون
على هذا هم المؤمنون **ذلك** اشارة الى ما اصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل
ومحله الرفع على الابتداء وبانهم خبره اي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم والمشاقة
مشتقة من الشق لان كلا المتعاديين في شق خلاف شق صاحبه [illegible]
عن اشتقاق المعاداة من العداوة فقلت لان هذا في عدوة وذاك في عدوة كما قيل المخاصمة
والمشاقة فلان هذا في خصم اي جانب وذاك في خصم وهذا في شق وذاك في شق والكاف في
ذلك لخطاب الرسول او لخطاب كل احد وفي ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحل ذلكم
الرفع على ذلكم العقاب او العقاب ذلكم فذوقوه ويجوز ان يكون نصبا على عليكم ذلكم فذوقوه
كقولك زيدا فاضربه **وان للكافرين** عطف على ذلكم في وجهيه او نصب على ان الواو بمعنى مع
والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع المضمر
وقرئ الحسن وان للكافرين بالكسر **زحفا** حال من الذين كفروا والزحف الجيش الذي
يرى لكثرته كانه يزحف اي يدب دبيبا من زحف الصبي اذا دب على استه قليلا
قليلا سمي بالمصدر والجمع زحوف والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم قليل فلا
تفروا فضلا ان تدانوهم في العدد او تساووهم او حال من الفاعل والمفعول اي اذا لقيتموهم متزاحفين
وانتم او حال من المؤمنين كانه اشعر بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا وهم
من الزحوف اثنا عشر الفا وتقديمه نهي لهم عن الفرار يومئذ وفي قوله ومن يولهم يومئذ [illegible] عليه
الا متحرفا لقتال يريد الكر بعد الفر تخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه وهو باب من

خدع الحرب ومكايدها **او متحيزا** او منحازا الى فئة الى جماعة اخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها
وعن ابن عمر رضي الله عنه خرجت سرية وانا فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا
البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانهزم رجل
من القادسية فاتى المدينة الى عمر رضي الله عنه فقال يا امير المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال
عمر انا فئتك وعن ابن عباس ان الفرار من الزحف من اكبر الكبائر فان قلت بم انتصب
الا متحرفا قلت على الحال والا لغو او على الاستثناء من المولين اي ومن يولهم الا رجلا
منهم متحرفا او متحيزا وقرأ الحسن دبره بالسكون ووزن متحيز متفيعل لا متفعل لانه من
جاز يجوز فبناء متفعل منه متحوز لما كسروا اهل مكة وقتلوا واسروا اقبلوا على
التناخر فكان القائل يقول قتلت واسرت ولما طلعت قريش قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسألك ما وعدتني
فاتاه جبريل فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال لما التقى الجمعان لعلي رضي الله عنه
اعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه
فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا فقتلوهم وياسرونهم فقيل لهم فلم تقتلوهم والفاء
جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لانه هو الذي
انزل الملائكة والقى الرعب في قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم واذهب عنها الفزع
والجزع **وما رميت** يا محمد اذ رميت ولكن الله رمى يعني ان الرمية التي رميتها لم ترمها
انت على الحقيقة لانك لو رميتها لما بلغ اثرها الا ما يبلغه اثر رمي البشر ولكنها كانت
رمية الله حيث اثرت ذلك الاثر العظيم فاثبت الرمية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان اثرها الذي لا يطيقه البشر فعل الله عز وعلا
فكان الله هو فاعل الرمية على الحقيقة وكانها لم توجد من الرسول اصلا وقرئ ولكن الله
قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن ورفع ما بعده **وليبلي المؤمنين** وليعطيهم بلاء حسنا
عطاء جميلا قال زهير + فابلاهما خير البلاء الذي يبلو + والمعنى وللاحسان الى
المؤمنين فعل ما فعل الا لذلك **ان الله سميع** لدعائهم عليم باحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء
الحسن ومحله الرفع اي الغرض ذلكم وان الله موهن معطوف على ذلكم يعني ان الغرض ابلاء المؤمنين
وتوهين كيد الكافرين وقرئ موهن بالتشديد وقرئ على الاضافة وعلى الاصل الذي
هو التنوين والاعمال **ان تستفتحوا** فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم
وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اقرانا للضيف
واوصلنا للرحم وافكنا للعاني ان كان محمد على حق فانصره وان كنا على حق فانصرنا
وروي انهم قالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين
وروي ان ابا جهل قال يوم بدر اللهم اينا كان افجر واقطع للرحم فاحنه اليوم

اي فاعلين. وقيل ان تستفتحوا خطاب للمؤمنين وان تنتهوا عن عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهو خير لكم وان تعودوا للمحاربة نعد لنصرته عليكم وان الله قرئ بالفتح على ولان الله
معين المؤمنين كان ذلك وقرئ بالكسر وهذه اوجه ويعضدها قراءة ابن مسعود والله مع المؤمنين وقرئ
ولن يغني عنكم بالياء للفصل ولا تولوا قرئ بطرح احدى التائين وادغامها والضمير في عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لان المعنى واطيعوا رسول الله كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه ولان طاعة الرسول وطاعة الله شيء
واحد من يطع الرسول فقد اطاع الله فكان رجوع الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما كقولك الاحسان
والاجمال لا ينفع في فلان ويجوز ان يرجع الضمير الى الامر بالطاعة اي ولا تولوا عن هذا الامر وامتثاله وانتم تسمعون
او ولا تولوا عن رسول الله ولا تخالفوه وانتم تسمعون اي تصدقون لانكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين
من الكفرة ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا اي ادعوا السماع وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين
فكانهم غير سامعين والمعنى انكم تصدقون بالقرآن والنبوة فاذا توليتم عن طاعة الرسول في
بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق واشبه سماعكم سماع من لا
يؤمن ثم قال ان شر الدواب اي ان شر من يدب على وجه الارض او ان شر البهائم الذين هم صم عن الحق
لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها ولو علم الله في هؤلاء الصم البكم خيرا
اي انتفاعا باللطف لاسمعهم للطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين ثم قال ولو اسمعهم
لتولوا عنه يعني ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم الطافه او ولو لطف بهم فصدقوا
لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا رجلان
مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه
فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء وعن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن اهل الكتاب
اذا دعاكم وحد الضمير ايضا كما وحده فيما قبله لان استجابة رسول الله كاستجابته وانما يذكر
احدهما مع الآخر للتوكيد والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض
وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على باب ابي بن كعب فناداه وهو في الصلوة فعجل في صلاته
ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول قال لا
جرم لا تدعوني الا اجبتك وفيه قولان احدهما ان هذا مما اختص به رسول الله والثاني ان دعاه
كان لامر لا يحتمل التاخير واذا وقع مثله للمصلي فله ان يقطع صلاته لما يحييكم من علوم الديانات
والشرائع لان العلم حياة كما ان الجهل موت ولبعضهم لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن
وقيل لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كقوله ولكم في القصاص حياة وقيل
للشهادة لقوله بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه يعني انه يميته فتفوته
الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من اخلاص القلب ومعالجة ادوائه وعلله ورده سليما كما
يريده الله فاغتنموا هذه الفرصة واخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله واعلموا انه اليه
تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلوب واخلاص الطاعة وقيل معناه ان الله قد

يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويبدله بالخوف امنا
وبالامن خوفا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما اشبه ذلك مما هو جائز على
الله عز وجل فاما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من افعال القلوب فلا والمجبرة
على انه يحول بين المرء والايمان اذا كفر وبينه وبين الكفر اذا امن تعالى عما يقول الظالمون
علوا كبيرا وقيل معناه انه يطلع على كل ما يخطره المرء بباله لا يخفى عليه شيء من
ضمائره فكانه بينه وبين قلبه وقرئ بين المر بتشديد الراء ووجهه انه قد حذف
الهمزة والقى حركتها على الراء كالخب ثم نوى الوقف على لغة من يقول مررت بعمر فتنة
ذنبا قيل هو اقرار المنكر بين اظهرهم وقيل افتراق الكلمة وقيل فتنة
عذابا وقوله لا تصيبن لا يخلو من ان يكون جوابا للامر او نهيا بعد امر او صفة
لفتنة فاذا كان جوابا فالمعنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة ولكنها
تعمكم وهذا كما يحكى ان علماء بني اسرائيل نهوا عن المنكر تعذيرا فعمهم الله بالعذاب
واذا كانت نهيا بعد امر فكانه قيل واحذروا ذنبا او عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم
فيصيب العقاب او اثر الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة وكذلك اذا جعلته صفة على
ارادة القول كانه قيل واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن ونظيره قوله
حتى اذا جن الظلام واختلط جاؤوا بمذق هل رايت الذئب قط اي بمذق
مقول فيه هذا القول لانه سمار فيه لون الورقة التي هي لون الذئب ويعضد المعنى
الاخير قراءة ابن مسعود لتصيبن على جواب القسم المحذوف وعن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة
والزبير وهو يوم الجمل خاصة قال الزبير نزلت فينا وقراناها زمانا وما ارانا من اهلها فاذا نحن المعنيون
بها وعن السدي نزلت في اهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل وروي ان الزبير كان يساير النبي صلى الله عليه وسلم
يوما اذ اقبل علي رضي الله عنه فضحك اليه الزبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف حبك لعلي فقال
يا رسول الله بابي انت وامي اني احبه كحبي لولدي او اشد حبا قال فكيف انت اذا سرت اليه تقاتله فان قلت
كيف جاز ان تدخل النون المؤكدة في جواب الامر قلت لان فيه معنى النهي اذا قلت انزل عن الدابة لا
تطرحك ولذلك جاز لا تطرحنك ولا تصيبن ولا يحطمنكم فان قلت فما معنى من في قوله
الذين ظلموا منكم قلت التبعيض على الوجه الاول والتبيين على الثاني لان المعنى لا تصيبنكم
خاصة على ظلمكم لان الظلم اقبح منكم من سائر الناس اذ انتم نصب على انه مفعول به مذكور لا ظرف
اي اذكروا وقت كونكم اقلة اذلة مستضعفين في الارض ارض مكة قبل الهجرة تستضعفكم
قريش تخافون ان يتخطفكم الناس لان الناس كانوا جميعا لهم اعداء منافين مضادين فآواكم الى المدينة
وايدكم بنصره بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون
ارادة ان تشكروا هذه النعم وعن قتادة كان هذا الحي من العرب اذل الناس واشقاهم عيشا واعراهم
جلدا وابينهم ضلالا يؤكلون ولا يأكلون فمكن الله لهم في البلاد ووسع لهم في الرزق والغنائم وجعلهم
ملوكا معنى الخون النقص كما ان معنى الوفاء التمام ومنه تخونه اذا انتقصه ثم
استعمل في ضد الامانة والوفاء لانك اذا خنت الرجل في شيء فقد ادخلت عليه النقصان

فيه وقد استعير فقيل خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب لانه اذا انقطع به فكانه لم يف له
والمعنى لا تخونوا الله بان تعطلوا فرائضه ورسوله بان لا تستنوا به ولا اماناتكم فيما
بينكم بان لا تحفظوها **وانتم تعلمون** تبعة ذلك ووباله وقيل وانتم تعلمون انكم تخونون يعني ان الخيانة
توجد منكم عن تعمد لا عن سهو وقيل وانتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
حاصر يهود بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى
اذرعات واريحا من ارض الشام فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا
ارسل الينا ابا لبابة مروان بن عبد المنذر وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا
له ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح فقال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد
خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى
اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك
فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من
تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزيك
الثلث ان تتصدق به وعن المغيرة نزلت في قتل عثمان رضي الله عنه وقيل اماناتكم ما ائتمنكم
الله عليه من فرائضه وحدوده **قال وتخونوا** اجزم هو ام نصب قلت يحتمل ان يكون
جزما داخلا في حكم النهي وان يكون نصبا باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وعن مجاهد وتخونوا اماناتكم
على التوحيد **واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة** لانهم سبب الوقوع في الفتنة وهي الاثم او العذاب او محنة من
الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده **وان الله عنده اجر عظيم** فعليكم ان تنوطوا بطلبه هممكم وتزهدوا
في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد حتى تورطوا انفسكم من اجلهما كقوله
المال والبنون الاية وقيل هي من جملة ما نزل في ابي لبابة وما فرط منه لاجل ماله وولده **فرقانا** نصرا
لانه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر باذلال حزبه والاسلام باعزاز اهله ومنه قوله يوم الفرقان
او بيانا وظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم واثاركم في اقطار الارض من قولهم بت افعل كذا حتى
سطع الفرقان اي طلع الفجر او مخرجا من الشبهات وتوفيقا وشرحا للصدور او تفرقة بينكم
وبين غيركم من اهل الاديان وفضلا ومزية في الدنيا والاخرة **لما** فتح الله عليه ذكره مكر
قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم وما اتاح الله له
من حسن العاقبة والمعنى واذكر اذ يمكرون بك وذلك ان قريشا لما اسلمت الانصار وبايعوه
فرقوا ان يتفاقم امره فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ
وقال انا شيخ من نجد ما انا من تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن
تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري رايي ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير
كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتربصوا به ريب المنون فقال ابليس بئس الراي ياتيكم
من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رايي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم
فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال ابليس بئس الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى

ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل
فلا تقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ
صدق هذا الفتى هو اجودكم رايا فتفرقوا على راي ابي جهل مجمعين على قتله فاخبر جبريل رسول الله
صلى الله عليه وسلم وامره ان لا يبيت في مضجعه واذن الله له في الهجرة فامر عليا رضي الله عنه فنام في مضجعه
وقال له اتشح ببردتي فانه لن يخلص اليك امر تكرهه وباتوا مترصدين فلما اصبحوا ثاروا الى
مضجعه فابصروا عليا فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا اثره فابطل الله مكرهم **ليثبتوك**
ليحبسوك او يوثقوك او يثخنوك بالضرب والجرح من قولهم ضربوه حتى اثبتوه لا حراك به ولا
براح وفلان مثبت وجعا وقرئ ليثبتوك بالتشديد وقرا النخعي ليبيتوك من البيات وعن
ابن عباس ليقيدوك وهو دليل لمن فسره بالايثاق **ويمكرون** ويخفون المكايد له **ويمكر الله** ويخفي الله ما اعد
لهم حتى ياتيهم بغتة **والله خير** الماكرين اي مكره انفذ من مكر غيره وابلغ تاثيرا او لانه لا ينزل الا ما
هو حق وعدل ولا يصيب الا بما هو مستوجب **لو نشاء** لقلنا مثل هذا انما جسرهم بصلف وتحاذق
فانهم لم يتوانوا في مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة والا فما منعهم ان كانوا مستطيعين ان يشاؤا
غلبة من تحداهم وقرعهم بالعجز حتى يفوزوا بالقدح المعلى ويدفع فرطاتهم واستنكافهم ان يغلبوا
في باب البيان خاصة وان يماتنهم واحد فيتطاولوا باسنتهم المفتنة مع ما علم وظهر ظهور الشمس
من حرصهم على ان يقهروا رسول الله ونهالكهم على ان يغزوه وقيل قائله النضر بن الحرث المقتول صبرا
حين سمع اقتصاص الله احاديث القرون لو شئت لقلت مثل هذا وهو الذي جاء بلاد فارس بنسخه
حديث رستم واسفنديار فزعم ان هذا مثل ذلك وانه من جملة تلك الاساطير وهو القائل ان كان
هذا هو الحق وهذا اسلوب من الجحود بليغ يعني ان كان القران هو الحق فعاقبنا على انكاره بالسجيل
كما فعلت باصحاب الفيل او بعذاب اخر ومراده نفي كونه حقا واذا انتفى كونه حقا لم يستوجب منكره عذابا
فكان تعليق العذاب بكونه حقا مع اعتقاد انه ليس بحق كتعليقه بالمحال في قولك ان كان الباطل
حقا فامطر علينا حجارة **وقوله** هو الحق تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق
وقرا الاعمش هو الحق بالرفع على ان هو مبتدا غير فصل وهي في القراءة الاولى فصل ويقال امطرت السماء
كقولك انجمت واسبلت ومطرت كقولك هتنت وهتلت وقد كثر الامطار في معنى العذاب
فان قلت ما فائدة قوله من السماء والامطار لا يكون الا منها قلت كانه اراد ان يقال فامطر
علينا السجيل وهي الحجارة المسومة للعذاب فوضع حجارة من السماء موضع السجيل كما تقول صب
عليه مسرودة من حديد تريد درعا **او ائتنا بعذاب اليم** اي بنوع اخر من جنس العذاب الاليم يعني ان
امطار السجيل بعض العذاب الاليم فعذبنا به او بنوع اخر من انواعه وعن معاوية انه قال لرجل
من سبا ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امراة قال اجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله حين
دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق فامطر علينا حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا
له اللام لتاكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم وانت بين اظهرهم غير مستقيم في الحكمة
لان عادة الله وقضية حكمته ان لا يعذب قوما عذاب استئصال ما دام نبيهم بين

بين اظهرهم وفيه اشعار بانهم مرصدون بالعذاب اذا هاجر عنهم والدليل على هذا الاشعار قوله وما لهم
الا يعذبهم الله وانما انفصل بعد اثبات التعذيب كانه قال وما كان ليعذبهم وانت فيهم وهو معذبهم
اذا فارقتهم **وما لهم** الا يعذبهم وهم يستغفرون في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم اي ولو
كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون
ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون ولا يتوقع ذلك منهم وقيل معناه وما كان الله معذبهم وفيهم
من يستغفر وهم المسلمون بين اظهرهم ممن تخلف عن رسول الله من المستضعفين وما لهم الا يعذبهم
الله واي شيء لهم في انتفاء العذاب عنهم يعني لا حظ لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة وكيف لا يعذبون
وحالهم انهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله عام الحديبية واخراجهم رسول الله والمؤمنين
من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء **وما كانوا** اولياءه وما استحقوا
مع اشراكهم وعداوتهم للدين ان يكونوا ولاة امره وارباية **ان اولياؤه** الا المتقون من المسلمين ليس كل
مسلم ايضا ممن يصلح ان يلي امره انما يستاهل ولايته من كان برا تقيا فكيف بالكفرة عبدة
الاصنام **ولكن اكثرهم** لا يعلمون كانه استثنى من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة او اراد
بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم **الا مكاء** فعال من مكا يمكو اذا صفر
ومنه المكاء كانه سمي بذلك لكثرة مكائه واصله الصفير كالوضاء والقراء وقرئ مكا
بالقصر ونظيرهما البكاء والبكا **وتصدية** تصفيق تفعلة من الصدى او من صد يصد اذا
ضج ومنه يصدون وقرأ الاعمش وما كان صلاتهم على تقديم خبر كان على اسمها **فان قلت**
الجلاء **قلت** هو كقوله وما كنت اخشى ان يكون عطاؤه اداهم سودا او محدرجة سمرا
والمعنى انه وضع القيود والسياط موضع العطاء ووضعوا المكاء والتصدية موضع الصلاة
وذلك انهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء وهم مشبكون بين اصابعهم يصفرون فيها
ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته يخلطون عليه **فذوقوا**
عذاب القتل والاسر يوم بدر بسبب كفركم وافعالكم التي لا يقدم عليها الا الكفرة **قيل** نزلت في
المطعمين يوم بدر كان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر **وقيل** نزلت في ابي سفيان وكانت له تجارة
في العير اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا بما اصيب منا ببدر **وقيل** نزلت في ابي سفيان
وقد استاجر ليوم احد الفين من الاحابيش سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية
والاوقية اثنان واربعون مثقالا **ليصدوا** عن سبيل الله اي كان غرضهم في الانفاق الصد
عن اتباع محمد وهو سبيل الله وان لم يكن عندهم كذلك **ثم تكون** عليهم حسرة اي تكون عاقبة انفاقها ندما
وحسرة فكان ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة ثم يغلبون آخر الامر وان كانت الحرب بينهم سجالا
قبل ذلك فرجعت طلبة كتب الله لاغلبن انا ورسلي **والذين كفروا** والذين ثبتوا على الكفر
منهم الى جهنم يحشرون لان منهم من اسلم وحسن اسلامه **ليميز الله** الخبيث الفريق الخبيث من الكفار
من الفريق الطيب من المؤمنين ويجعل الفريق الخبيث بعضه على بعض **فيركمه** جميعا عبارة عن
الجمع والضم حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم **اولئك** اشارة الى الذين

وقيل ليميز المال الخبيث الذي انفقه المشركون في عداوة رسول الله من المال الطيب الذي
انفقه المسلمون كابي بكر وعثمان في نصرته فيركمه فيجعله في جهنم في جملة ما يعذبون به كقوله فتكوى
بها جباههم وجنوبهم الاية واللام على هذا متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وعلى الاول بيحشرون
واولئك اشارة الى الذين كفروا وقرئ ليميز على التخفيف **قل للذين كفروا** كابي سفيان واصحابه اي قل
لاجلهم هذا القول وهو ان ينتهوا ولو كان بمعنى خاطبهم به لقيل ان تنتهوا يغفر لكم وهي قراءة
ابن مسعود ونحوه وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه خاطبوا به غيرهم لاجلهم
ليسمعوه اي ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة رسول الله وقتاله بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف
لهم من العداوة **وان يعودوا** لقتاله فقد مضت سنة الاولين منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر او فقد
مضت سنة الذين تحزبوا على انبيائهم من الامم فدمروا فليتوقعوا مثل ذلك ان لم ينتهوا **وقيل** معناه
ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر واسلموا غفر لهم ما قد سلف لهم من الكفر والمعاصي وخرجوا منها كما تنسل الشعرة
من العجين ومنه قوله عليه السلام الاسلام يجب ما قبله وقالوا الحربي اذا اسلم لم تبق عليه تبعة قط واما
الذمي فلا يلزمه قضاء حقوق الله وتبقى عليه حقوق الآدميين وبه **احتج** ابو حنيفة في ان المرتد اذا
اسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردة وقبلها وفسروا ان يعودوا بالارتداد وقرئ يغفر لهم
على ان الضمير لله عز وجل **وقاتلوهم** حتى لا تكون فتنة الى ان لا يوجد فيهم شرك قط ويكون الدين كله لله
ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الاسلام وحده فان انتهوا عن الكفر واسلموا **فان الله** بما يعملون
بصير يثيبهم على توبتهم واسلامهم وقرئ تعملون بالتاء فيكون المعنى فان الله بما تعملون من الجهاد في سبيله
والدعوة الى دينه والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الاسلام بصير يجازيكم عليه احسن الجزاء وان تولوا
ولم ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم اي ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته **انما غنمتم** ما موصولة ومن
شيء بيانه **قيل** من شيء حتى الخيط والمخيط **فان لله** مبتدأ خبره محذوف تقديره فحق او فواجب
ان لله خمسه وروى الجعفي عن ابي عمرو فان لله بالكسر وتقويه قراءة النخعي فلله خمسه والمشهور
آكد واثبت للايجاب كانه قيل فلا بد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل الى الاخلال به والتفريط فيه من حيث انه
اذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم وما اشبه ذلك كان
اقوى لايجابه من النص على واحد وقرئ خمسه بالسكون **فان قلت** كيف قسمة الخمس **قلت** عند ابي حنيفة
انها كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة اسهم سهم لرسول الله وسهم لذوي قرباه من
بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة والمظاهرة لما روي
عن عثمان وجبير بن مطعم انهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم
لمكانك الذي جعلك الله منهم ارأيت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة
فقال صلى الله عليه وسلم انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد
وشبك بين اصابعه وثلاثة اسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل واما بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم
اسوة سائر الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل واما عند

الشافعي رضي الله عنه أن سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصروف إلى ما كان يصرفه
إليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوي
القربى من أغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين والباقي للفرق الثلاثة
وعند مالك بن أنس الأمر فيه مفوض إلى اجتهاد الإمام إن رأى قسمه بين هؤلاء وإن
رأى أعطاه بعضهم دون بعض وإن رأى غيرهم أولى وأهم فغيرهم. **فإن قلت** ما معنى ذكر
الله وعطف الرسول وغيره عليه. **قلت** يحتمل أن يكون معنى لله وللرسول لرسول
الله كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه وأن يراد من ذكره إيجاب سهم سادس يصرف
إلى وجه من وجوه القرب وأن يراد بقوله فأن لله خمسه أن من حق الخمس أن يكون متقربا
به لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله وجبريل وميكال
فعلى الاحتمال الأول مذهب الإمام وعلى الثاني ما قال أبو العالية إنه يقسم على ستة أسهم
سهم منها لله تعالى يصرف إلى رتاج الكعبة **وعنه** كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ الخمس فيضرب بيده
فيه فيأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة وهو سهم الله ثم يقسم ما بقي على خمسة **وقيل**
إن سهم الله لبيت المال وعلى الثالث مذهب مالك بن أنس وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه كان على
ستة لله وللرسول سهمان وسهم لأقاربه حتى قبض فأجرى أبو بكر الخمس على ثلاثة وكذلك
روي عن عمر ومن بعده من الخلفاء وروي أن أبا بكر رضي الله عنه منع بني هاشم الخمس وقال إنما لكم
أن يعطى فقيركم ويزوج أيمكم ويخدم من لا خادم له منكم فأما الغني منكم فهو بمنزلة ابن
سبيل غني لا يعطى من الصدقة شيئا ولا يتيم موسر وعن زيد بن علي رضي الله عنه كذلك قال
ليس لنا أن نبني منه قصورا ولا أن نركب منه البراذين **وقيل** الخمس كله للقرابة وعن علي
رضي الله عنه أنه **قيل** له إن الله تعالى قال واليتامى والمساكين فقال أيتامنا ومساكيننا
وعن الحسن في سهم رسول الله أنه لولي الأمر من بعده وعن الكلبي الآية نزلت ببدر وقال الواقدي
كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة أيام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة
فإن قلت بم تعلق قوله إن كنتم آمنتم بالله **قلت** بمحذوف يدل عليه واعلموا المعنى إن كنتم
آمنتم بالله فاعلموا أن الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه أطماعكم واقتنعوا بالأخماس
الأربعة وليس المراد بالعلم المجرد ولكنه العلم المضمن بالعمل والطاعة لأمر الله لأن العلم المجرد
يستوي فيه المؤمن والكافر **وما أنزلنا** معطوف على بالله أي إن كنتم آمنتم بالله وبالمنزل على
عبدنا وقرئ على عبُدنا كقوله وعبُد الطاغوت بضمتين **يوم الفرقان** يوم بدر والجمعان
الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما أنزل عليه من الآيات والملائكة والفتح يومئذ **والله**
على كل شيء قدير يقدر على أن ينصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم
إذ بدل من يوم الفرقان والعدوة شط الوادي بالكسر والضم وقرئ بهما وبالعدية على قلب الواو
ياء لأن بينها وبين الكسرة حاجزا غير حصين كما في الفتية والدنيا والقصوى تأنيث الأدنى

والأقصى. **فإن قلت** كلتاهما فعلى من بنات الواو فلم جاءت إحداهما بالياء والثانية بالواو
قلت القياس هو قلب الواو ياء كالعليا وأما القصوى فكالقود في مجيئه على الأصل
وقد جاء القصيا إلا أن استعمال القصوى أكثر كما كثر استعمال استصوب مع مجيء
استصاب وأغيلت مع أغالت والعدوة الدنيا مما يلي المدينة والقصوى مما يلي مكة والركب
أسفل منكم يعني الركب الأربعين الذين كانوا يقودون العير أسفل منكم بالساحل وأسفل
نصب على الظرف معناه مكانا أسفل من مكانكم وهو مرفوع المحل لأنه خبر المبتدأ **فإن قلت**
ما فائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين وأن العير كان أسفل منهم **قلت** الفائدة فيه
الإخبار عن الحال الدالة على قوة شأن العدو وشوكته وتكامل عدته وتمهد أسباب الغلبة
له وضعف شأن المسلمين والتياث أمرهم وأن غلبتهم في مثل هذه الحال ليست إلا صنعا من الله
ودليلا على أن ذلك أمر لم يتيسر إلا بحوله وقوته وباهر قدرته وذلك أن العدوة القصوى التي
أناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت أرضا لا بأس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار تسوخ
فيها الأرجل ولا يمشى فيها إلا بتعب ومشقة وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم
وكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وتشحذ في المقاتلة عنها نياتهم ولهذا كانت العرب تخرج إلى
الحرب بظعنهم وأموالهم ليبعثهم الذب عن الحريم والغيرة على الحرم على بذل جهيداهم في القتال
وأن لا يتركوا وراءهم ما يحدثون أنفسهم بالانحياز إليه فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط همومهم ويوطن نفوسهم
على أن لا يبرحوا مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى نجدتهم وقصارى شدتهم وفيه تصوير ما
دبر سبحانه من أمر وقعة بدر **ليقضي** أمرا كان مفعولا من إعزاز دينه وإعلاء كلمته حين وعد المسلمين
إحدى الطائفتين مبهمة حتى خرجوا ليأخذوا العير راغبين في الخروج وشخص بقريش مرعوبين مما بلغهم
من تعرض رسول الله لأموالهم حتى نفروا ليمنعوا عيرهم وسبب الأسباب حتى أناخ هؤلاء بالعدوة الدنيا
وهؤلاء بالعدوة القصوى ووراءهم العير يحامون عليها حتى قامت الحرب على ساق وكان ما كان
ولو تواعدتم أنتم وأهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال لخالف بعضكم بعضا فثبطكم
قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من تهيب رسول الله والمسلمين فلم يتفق لكم من
التلاقي ما وفقه الله وسبب له ليقضي متعلق بمحذوف أي ليقضي أمرا كان واجبا أن يفعل وهو
نصر أوليائه وقهر أعدائه دبر ذلك وقوله **ليهلك** بدل منه واستعير الهلاك والحياة
للكفر والإسلام أي ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا تبقى له على الله
حجة ويصدر إسلام من أسلم أيضا عن يقين وعلم بأنه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك
أن ما كان من وقعة بدر من الآيات الغر المحجلة التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا
لها وقرئ ليهلك بفتح اللام وحيي بإظهار التضعيف **لسميع عليم** يعلم كيف يدبر
أموركم ويسوي مصالحكم أو لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وبإيمان من آمن وثوابه **إذ يريكهم**
الله نصب بإضمار اذكر أو هو بدل ثان من يوم الفرقان أو متعلق بقوله لسميع عليم أي يعلم
المصالح إذ يقللهم في عينك في منامك في رؤياك وذلك أن الله عز وجل أراهم إياه في رؤياه قليلا
فأخبر بذلك أصحابه فكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وعن الحسن في منامك في عينك

لانها مكان النوم كما قيل للقطيفة المنامة لانه ينام فيها وهذا تفسير فيه تعسف وما احسب
الرواية صحيحة فيه عن الحسن وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته لفشلتم لجبنتم وهبتم
الاقدام ولتنازعتم في الرأي وتفرقت فيما تصنعون كلمتكم وترجحتم بين الثبات والفرار ولكن
الله سلم اي عصم وانعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف انه عليم بذات الصدور يعلم
ما سيكون فيها من الجرأة والجبن والصبر والجزع واذ يريكموهم الضميران مفعولان يعني
واذ يبصركم اياهم وقليلا نصب على الحال وانما قللهم في اعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله
وليعاينوا ما اخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود لقد قللوا في اعيننا
حتى قلت لرجل الى جنبي أتراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم
قال الفا ويقللكم في اعينهم حتى قال قائل منهم انما هم اكلة جزور فان قلت الغرض في تقليل
الكفار في اعين المؤمنين ظاهر فما الغرض في تقليل المؤمنين في اعينهم قلت قد قللهم في اعينهم
قبل اللقاء ثم كثرهم فيها بعده ليجترئوا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا
وتفل شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم وذلك قوله تعالى يرونهم مثليهم رأي
العين ولئلا يستعدوا لهم وليعظم الاحتجاج عليهم باستيضاح الآية البينة من قلتهم اولا وكثرتهم
آخرا فان قلت بأي طريق يبصرون الكثير قليلا قلت بان يستر الله عنهم بعضه بساتر
او يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما احدث في اعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل
لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال ما لي لا ارى هذين الديكين
اربعة اذا لقيتم فئة اذا حاربتم جماعة من الكفار وترك ان يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون
الا الكفار واللقاء اسم للقتال غالب فاثبتوا لقتالهم ولا تفروا واذكروا الله كثيرا في
مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم
اقطع دابرهم لعلكم تفلحون لعلكم تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه اشعار
بان على العبد ان لا يفتر عن ذكر ربه اشغل ما يكون قلبا واكثر ما يكون هما وان تكون نفسه مجتمعة
لذلك وان كانت متوزعة عن غيره وناهيك بما في خطب امير المؤمنين في ايام صفين وفي مشاهده
مع البغاة والخوارج من البلاغة والبيان ولطائف المعاني وبليغات المواعظ والنصائح
دليلا على انهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر الله شاغل وان تفاقم الامر ولا تنازعوا قرئ بتشديد
التاء فتفشلوا منصوب باضمار ان ومجزوم لدخوله في حكم النهي ويدل على النصب قراءة من قرأ ويذهب
ريحكم بالتاء والنصب وقراءة من قرأ ويذهب ريحكم بالياء والجزم والريح الدولة شبهت في نفوذ
امرها وتمشيه بالريح وهبوبها فقيل هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ امره
قوله * اتنظران قليلا ريث غفلتهم * ام تعدوان فان الريح للعادي * وقيل
لم يكن قط نصر الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور
حذرهم بالنهي عن التنازع واختلاف الرأي نحو ما وقع لهم باحد لمخالفتهم رسول الله من فشلهم
وذهاب ريحهم كالذين خرجوا يريد بهم اهل مكة حين نفروا لحماية العير فاتاهم رسول ابي
سفيان وهم بالجحفة ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فأبى ابو جهل وقال حتى نقدم بدرا نشرب

بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فذلك بطرهم ورئاؤهم الناس
باطعامهم فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان
فنهاهم ان يكونوا امثالهم بطرين طربين مرائين باعمالهم وان يكونوا من اهل التقوى والكآبة
والحزن من خشية الله مخلصين اعمالهم لله واذكر اذ زين لهم الشيطان اعمالهم التي عملوها في
معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسوس اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون واوهمهم ان اتباع خطوات
الشيطان وطاعته مما يجيرهم فلما تلاءت الفئتان نكص الشيطان وتبرأ منهم اي بطل كيده حين
نزلت جنود الله وكذا عن الحسن رحمه الله كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم وقيل لما
اجتمعت قريش على المسير ذكرت الذي بينها وبين بني كنانة من الحرب فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم
ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكناني وكان من اشرافهم في جند من الشياطين
معه راية فقال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم من بني كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وقيل
كانت يده في يد الحارث بن هشام فلما نكص قال له الحارث الى اين اتخذلنا في هذه الحال فقال اني ارى ما لا
ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك
سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وفي
الحديث ما رئي ابليس يوما اصغر ولا ادحر ولا اغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة الا ما رأى
يوم بدر فان قلت هلا قيل لا غالبا لكم كما يقال لا ضاربا زيدا عندنا قلت لو كان لكم مفعولا
لغالب بمعنى لا غالب اياكم لكان الامر كما قلت ولكنه خبر تقديره لا غالب كائن لكم اذ يقول
المنافقون بالمدينة والذين في قلوبهم مرض يجوز ان يكون من صفة المنافقين وان يراد الذين هم على حرف
ليسوا بثابتي الاقدام في الاسلام وعن الحسن هم المشركون غر هؤلاء دينهم يعنون ان المسلمين اغتروا
بدينهم وانهم يتقوون به وينصرون من اجله فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر الى زهاء الالف ثم قال
جوابا لهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز غالب يسلط القليل على الكثير القوي ولو ترى ولو
عاينت وشاهدت لان لو ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال واذ
نصب على الظرف وقرئ يتوفى بالياء والتاء والملائكة رفعها بالفعل ويضربون حال منهم ويجوز
ان يكون في يتوفى ضمير الله عز وجل والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر وعن مجاهد وادبارهم
استاههم ولكن الله كريم يكني وانما خصوهما بالضرب لان الخزي والنكال في ضربهما اشد وبلغني
عن اهل الصين ان عقوبة الزاني عندهم ان يقصر ثم يعطى الرجل القوي البطش شيئا من
حديد كهيئة الطبق فيه زرانة وله مقبض فيضربه على دبره ضربة واحدة بقوته فيخبص في مكانه
وقيل يضربون ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا معطوف على يضربون على ارادة القول اي
ويقولون ذوقوا عذاب الحريق اي مقدمة عذاب النار وذوقوا عذاب الاخرة بشارة لهم به وقيل
كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار او قال لهم يوم القيامة ذوقوا وجواب
لو محذوف اي لرأيت امرا فظيعا منكرا ذلك بما قدمت ايديكم يحتمل ان يكون من كلام الله
ومن كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره وان الله عطف عليه اي ذلك
العذاب بسببين بكفركم ومعاصيكم وبان الله ليس بظلام للعبيد لان تعذيب الكفار من

العدل كانا به المضمون وقيل ظلام للتكثير لاجل العبيد او لان العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق
لكان المعذب بمثله ظلاما بليغ الظلم متفاقمه الكاف في محل الرفع اي دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون
ودأبهم عادتهم وعملهم الذي دأبوا فيه اي داوموا عليه ظلموا او كفروا وتفسير لدأب آل فرعون
وذلك اشارة الى ما حل بهم ذلك العذاب او الانتقام بسبب ان الله لم ينبغ له ولم يصح في
حكمته ان يغير نعمته عند قوم حتى يغيروا ما بهم من الحال فان قلت فما كان من تغيير آل فرعون
ومشركي مكة حتى غير الله نعمته عليهم ولم يكن لهم حال مرضية فيغيروها الى حال مسخوطة
قلت كما تغير الحال المرضية الى المسخوطة تغير الحال المسخوطة الى اسخط منها واولئك كانوا
قبل بعثة الرسول اليهم كفرة عبدة اصنام فلما بعث اليهم بالآيات البينات فكذبوه وعادوه
وتحزبوا عليه ساعين في اراقة دمه غيروا حالهم الى اسوأ مما كانت فغير الله ما انعم به عليهم
من الامهال وعاجلهم بالعذاب **وان الله سميع** لما يقول مكذبوا الرسل **عليم** بما يفعلون
كدأب آل فرعون تكرير للتأكيد وفي قوله بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق
وفي ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب وكل كانوا ظالمين وكلهم من غرقى القبط وقتلى
قريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي الذين كفروا فهم لا يؤمنون اي اصروا على الكفر
ولجوا فيه فلا يتوقع منهم ايمان وهم بنو قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا
يمالئوا عليه فنكثوا بان اعانوا مشركي مكة بالسلاح وقالوا نسينا واخطأنا ثم عاهدهم
فنكثوا ومالؤوهم يوم الخندق وانطلق كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم **الذين** عاهدت
منهم بدل من الذين كفروا وجعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم
وشر المصرين الناكثون للعهود وهم لا يتقون لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون ما فيه من العار
والنار **فاما** تثقفنهم فاما تصادفنهم وتظفرن بهم فشرد بهم من خلفهم ففرق عن محاربتك ومناصبتك
بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم احد اعتبارا بهم
واتعاظا بحالهم وقرأ ابن مسعود فشرذ بالذال المعجمة بمعنى ففرق وكأنه مقلوب شذر من قولهم ذهبوا
شذر مذر ومنه الشذر الملتقط من المعدن لتفرقه وقرأ ابو حيوة من خلفهم ومعناه فافعل
التشريد من ورائهم لانه اذا شرد الذين وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء واوقعه فيه لان الوراء جهة
المشردين ومكانهم فاذا جعل الوراء ظرفا للتشريد فقد دل على التشريد فيه فلم يبق فرق بين القراءتين
لعلهم يذكرون لعل المشردين من وراءهم يتعظون **واما** تخافن من قوم معاهدين خيانة ونكثا
بامارات تلوح لك **فانبذ** اليهم فاطرح اليهم العهد على طريق مستو قصد وذلك ان تظهر لهم نبذ العهد وتخبرهم
اخبارا مكشوفا بينا انك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد
فيكون ذلك خيانة منك **ان الله** لا يحب الخائنين فلا يكن منك اخفاء نكث العهد والخداع
وقيل على استواء في العداوة والجار والمجرور في موضع الحال كأنه قيل **فانبذ** اليهم ثابتا
على طريق قصد سوي او حاصلين على استواء في العلم او العداوة او على انه حال من النابذ والمنبوذ
اليهم معا **سبقوا** اي فاتوا وافلتوا من ان نظفر بهم انهم لا يعجزون انهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم

عاجزا عن ادراكهم وقرئ انهم بالفتح بمعنى لانهم كل واحد من المكسورة والمفتوحة تعليل الا ان
المكسورة على طريقة الاستئناف والمفتوحة تعليل صريح وقرئ يعجزون بالتشديد وقرأ ابن
محيصن يعجزون بكسر النون وقرأ الاعمش ولا تحسب الذين كفروا بكسر الباء وبفتحها على حذف النون
الخفيفة وقرأ حمزة ولا يحسبن بالياء على ان الفعل للذين كفروا وقيل فيه اصله ان سبقوا فحذفت ان
كقوله ومن آياته يريكم البرق واستدل عليه بقراءة ابن مسعود انهم سبقوا وقيل وقع الفعل
على انهم لا يعجزون على ان لا صلة وسبقوا في محل الحال بمعنى سابقين اي مفلتين هاربين وقيل معناه
ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا فحذف الضمير لكونه مفهوما وقيل ولا يحسبن قبيل المؤمنين
الذين كفروا سبقوا وهذه الاقاويل كلها متمحلة وليست هذه القراءة التي تفرد بها حمزة بنيرة وعن
الزهري انها نزلت فيمن افلت من فل المشركين **من قوة** من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها وعن
عقبة بن عامر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ومات
عقبة عن سبعين قوسا في سبيل الله وعن عكرمة هي الحصون **ومن رباط** اسم للخيل التي تربط في سبيل
الله ويجوز ان تسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة ويجوز ان يكون جمع ربيط كفصيل وفصال وقرأ
الحسن ومن ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط ويجوز ان يكون قوله ومن رباط الخيل تخصيصا
للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكال وعن ابن سيرين انه سئل عمن اوصى بثلث ماله في
الحصون فقال يشترى به الخيل فيرابط في سبيل الله ويغزى عليها فقيل له انما اوصى في
الحصون فقال الم تسمع قول الشاعر ان الحصون الخيل لا مدر القرى **ترهبون** وقرئ
بالتخفيف والتشديد وقرأ ابن عباس ومجاهد تخزون به والضمير في به راجع الى ما استطعتم
عدو الله وعدوكم هم اهل مكة وآخرين من دونهم هم اليهود وقيل المنافقون وعن السدي
هم اهل فارس وقيل كفرة الجن وجاء في الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها
فرس عتيق وروي ان صهيل الخيل يرهب الجن **جنحوا** له مالوا اليه والسلم تؤنث
تأنيث نقيضها وهي الحرب قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع
وقرئ بفتح السين وكسرها وعن ابن عباس ان الآية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله وعن
مجاهد بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والصحيح ان الامر موقوف على ما يرى فيه الامام
صلاح الاسلام واهله من حرب او سلم وليس بحتم ان يقاتلوا ابدا او يجابوا الى الهدنة ابدا وقرأ
الاشهب العقيلي فاجنح بضم النون **وتوكل على الله** ولا تخف من ابطانهم المكر في جنوحهم
الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم وخديعتهم قال مجاهد يريد قريظة **فان حسبك الله**
فان محسبك الله قال جرير اني وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا
والف بين قلوبهم التأليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات الباهرة
لان العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغينة في ادنى شيء والقائه بين اعينهم
الى ان ينتقموا لا يكاد يأتلف منهم قلبان ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن قوس واحدة وذلك لما نظم الله من ألفتهم وجمع من كلمتهم واحدث
لا تجدوا اثنا[ن] ... عنهم من التباغض والتنافس كلهم من الحب في الله والبغض في
بينهم من التحاب والتوادد ... ملك القلوب فهو يقلبها كما شاء ويصنع فيها ما اراد وقيل
الله ولا يقدر على ذلك الا من ملك القلوب ...
هم الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع ما اهلك ساداتهم ودق جماجمهم ولم
يكن لبغضائهم امد ومنتهى وبينهما التجاوز الذي يهيج الضغائن ويديم التحاسد والتنافر وعادة
كل طائفتين كانتا بهذه المثابة ان تتجنب هذه اختها وتكرهها وتنفر عنها فانساهم الله
ذلك كله حتى اتفقوا على الطاعة وتصافوا وصاروا انصارا وعادوا اعوانا وما ذلك الا
بلطيف صنعه وبليغ قدرته ومن اتبعك الواو بمعنى مع وما بعده منصوب تقول حسبك
وزيدا درهم ولا تجر لان عطف الظاهر المجرور على المكني ممتنع قال فحسبك والضحاك سيف مهند
والمعنى كفاك وكفى اتباعك من المؤمنين الله ناصرا او يكون في محل الرفع اي كفاك الله وكفاك
المؤمنون وهذه الاية نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال وعن ابن عباس نزلت في اسلام عمر وعن
سعيد بن جبير انه اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر يا ايها النبي
حرض المؤمنين على القتال بالغ في حثهم على الامر من الحرض وهو ان ينهكه المرض ويتبالغ فيه حتى يشفي على الموت او تسميه
وتقول له ما اراك الا حرضا في هذا الامر وممرضا فيه ليهيجه ويحرضه عنه وقرئ حرص
غير المعجمة حكاها الاخفش من الحرص ... حرضه وحرشه وحربه بمعنى وهذه عدة من الله
وبشارة بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة امثالهم من الكفار بعون الله وتاييده
بانهم قوم لا يفقهون اي بسبب ان الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم
فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته ويستحقون خذلانه خلاف من يقاتل على بصيرة ومعه
ما يستوجب به النصر والاظهار من الله وعن ابن جريج كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حمزة في ثلاثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلاثمائة راكب ثم ثقل عليهم ذلك وضجوا
منه وذلك بعد مدة طويلة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتداء
ثم لما كثروا بعد نزل التخفيف وقرئ ضعفا بالفتح والضم كالمكث والمكث والفقر والفقر وضعفاء
جمع ضعيف وقرئ الفعل المسند الى المائة بالياء والتاء في الموضعين والمراد بالضعف الضعف في البدن
وقيل في البصيرة والاستقامة في الدين وكانوا متفاوتين في ذلك فان قلت لم كرر المعنى
الواحد وهو مقاومة الجماعة لاكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده قلت للدلالة على ان الحال
مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت لان الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة
الالف وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والالف الالفين ما كان لنبي وقرئ للنبي على التعريف والتاء
بالتشديد ويحتمل الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه حتى لم تحمله الجراحات اذا اثبته
تثقل عليه الحركة واثخنه المرض اذا اثقله من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة يعني حتى يذل الكفر
ويضعفه باشاعة القتل في اهله ويعز الاسلام ويقويه بالاستيلاء والقهر ثم الاسر بعد ذلك

ويعني ما كان ما صح له وما استقام وكان هذا يوم بدر فلما كثر المسلمون نزل فاما منا
بعد واما فداء وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس عمه
وعقيل بن ابي طالب فاستشار ابا بكر فيهم فقال قومك واهلك استبقهم لعل الله ان
يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر كذبوك واخرجوك فقدمهم واضرب
اعناقهم فان هولاء ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من
العباس ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب اعناقهم فقال عليه السلام ان الله ليلين قلوب
رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان
مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر
مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال لاصحابه انتم اليوم عالة فلا يفلتن
احد منهم الا بفداء او ضرب عنق وروي انه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد
منكم بعدتهم فقالوا بل ناخذ الفداء فاستشهدوا باحد وكان فداء الاسارى عشرين اوقية وفداء
العباس اربعين اوقية وعن محمد بن سيرين كان فداءهم مائة اوقية والاوقية اربعون درهما
وستة دنانير وروي انهم لما اخذوا الفداء نزلت الاية فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء
تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة
لشجرة قريبة منه وروي انه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله
كان الاثخان في القتل احب الي تريدون عرض الدنيا حطامها باخذكم الفداء وسمي بذلك لانه حدث قليل اللبث
والله يريد الاخرة يعني ما هو سبب الجنة من اعزاز الاسلام بالاثخان في القتل وقرئ يريدون
بالياء وقرا بعضهم والله يريد الاخرة بجر الاخرة على حذف المضاف وابقاء المضاف اليه على حاله كقوله
ونار توقد بالليل نارا ومعناه والله يريد عرض الاخرة على التقابل يعني ثوابها
والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه ويمكنهم منهم قتلا واسرا ويطلق لهم الفداء ولكنه حكيم
يؤخر ذلك الى ان يكثروا ويعتزوا وهم يعجلون لولا كتاب من الله سبق لولا حكم منه سبق
اثباته في اللوح وهو انه لا يعاقب المخطئ في اجتهاده وكان هذا خطأ في الاجتهاد لانهم نظروا في ان
استبقاءهم ربما كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وان فداءهم يتقوى به على الجهاد في سبيل الله وخفي
عليهم ان قتلهم اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم واقل لشوكتهم وقيل كتابه انه سيحل لهم الغنائم
التي اخذوها وقيل ان اهل بدر مغفور لهم وقيل انه لا يعذب قوما الا بعد تاكيد الحجة
وتقديم النهي ولم يتقدم نهي عن ذلك فكلوا مما غنمتم وروي انهم امسكوا عن الغنائم ولم يمدوا
ايديهم اليها فنزلت وقيل هو اباحة الفداء لانه من جملة الغنائم واتقوا الله فلا تقدموا على

شي لم يعهد اليكم فيه ه فان قلت ما معنى الفاء قلت التسبيب والسبب محذوف ومعناه قد ابحت

لكم الغنائم فكلوا ما غنمتم حلالا نصب على الحال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا

حلالا وقوله ان الله غفور رحيم معناه اذا اتقيتموه بعد ما فرط منكم من استباحة الفدا

قبل ان يوذن لكم فيه غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم في ايديكم في ملكتكم كان ايديكم قابضة

عليهم وقرى من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة نية يوتكم خيرا مما اخذ منكم

من الفدا اما ان يخلفكم في الدنيا اضعافه او يثيبكم في الاخرة وفي قراة الاعمش يثبكم خيرا

وعن العباس انه قال كنت مسلما لكنهم استكرهوني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكن

ما تذكر حقا فالله يجزيك فاما ظاهر امرك فقد كان علينا وكان احد الذين ضمنوا الطعام

اهل بدر وخرج بالذهب لذلك وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس افد ابني اخيك

عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحرث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال له فاين

الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها لا ادري ما يصيبني في

وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله ولعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك

قال اخبرني به ربي قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله

ما اطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما

اذ اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الان عشرون عبدا ان ادناهم

ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من

ربي وروي انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مال البحرين ثمانون الفا فتوضا لصلاة الظهر وما صلى

حتى فرقه وامر العباس ان ياخذ منه فاخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما اخذ مني وارجو المغفرة

وقرا الحسن وشيبة مما اخذ منكم على البنا للفاعل وان يريدوا خيانتك نكث ما بايعوك عليه

من الاسلام والردة واستحباب دين ابائهم فقد خانوا الله من قبل في كفرهم به ونقض ما اخذ على كل عاقل

من ميثاقه فامكن منهم كما رايتم يوم بدر فسيمكن منهم ان اعادوا الخيانة وقيل المراد بالخيانة

منع ما ضمنوا من الفدا الذين هاجروا اي فارقوا اوطانهم وقومهم حبا لله ولرسوله هم المهاجرون

والذين اووهم الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم هم الانصار بعضهم اوليا بعض اي يتولى بعضهم بعضا

في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوي القرابات حتى نسخ ذلك

بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقرئ من ولايتهم بالفتح والكسر اي من توليهم في الميراث ووجه

الكسر ان تولي بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كانه بتوليه صاحبه يزاول امرا ويباشر عملا وان استنصروكم

النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم منهم بينكم وبينهم عهد فانه لا يجوز لكم نصرهم

عليهم لانهم لا يبتدون بالقتال اذ الميثاق مانع من ذلك والذين كفروا بعضهم اوليا بعض ظاهره اثبات

الموالاة بينهم كقوله في المسلمين اولئك بعضهم اوليا بعض ومعناه نهي المسلمين عن موالاة الذين كفروا

وموارثتهم وايجاب مباعدتهم ومصارمتهم وان كانوا اقارب وان يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا ثم قال

الا تفعلوه اي الا تفعلوا ما امرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضا حتى في التوارث

تفضيلا لنسبة الاسلام على نسبة القرابة ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار ولم

تجعلوا قرابتهم كلا قرابة تحصل فتنة في الارض ومفسدة عظيمة لان المسلمين ما لم يصيروا

يدا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زايدا وقرئ كثير اولئك هم المومنون

حقا لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الاهل والانسلاخ

من المال لاجل الدين وليس بتكرار لان هذه الاية واردة للثنا عليهم والشهادة لهم مع الموعد

الكريم والاولى للامر بالتواصل والذين امنوا من بعد يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة

كقوله والذين جاو من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الحقهم

بهم وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا واولوا الارحام اولوا القرابات اولى بالتوارث وهو نسخ

للتوارث بالهجرة والنصرة في كتاب الله في حكمه وقسمته وقيل في اللوح وقيل في القران

وهو اية المواريث وقد استدل به اصحاب ابي حنيفة على توريث ذوي الارحام عن رسول

الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الانفال وبراة فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد انه بري

من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون

له ايام حياته في الدنيا ه

سورة التوبة مدنية وهي مائة وثلثون وقيل تسع وعشرون اية

لها عدة اسما براة التوبة المقشقشة المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة المثيرة الحافرة

المنكلة المدمدمة سورة العذاب لان فيها التوبة على المومنين وهي تقشقش من النفاق

اي تبري منه وتبعثر عن اسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم

وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة انكم تسمونها سورة التوبة وانما هي سورة العذاب

والله ما تركت احدا الا نالت منه ه فان قلت هلا صدرت باية التسمية كما في ساير السور قلت

سال عن ذلك ابن عباس عثمان رضي الله عنهما فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا انزلت عليه

السورة او الاية قال اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولم يبين لنا اين نضعها وكانت قصتها شبيهة بقصتها فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان

القرينتين وعن ابي بن كعب انما توهموا ذلك لان في الانفال ذكر العهود وفي براة نبذ العهود وسيل ابن

عيينة فقال اسم الله سلام وامان فلا يكتب في النبذ والمحاربة قال الله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم

السلام لست مومنا قيل فان النبي صلى الله عليه وسلم قد كتب الى اهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم قال

انما ذلك ابتدا يدعوهم ولم ينبذ اليهم الا تراه يقول سلام على من اتبع الهدى فمن دعي الى الله

فاجاب ودعي الى الجزية فاجاب فقد اتبع الهدى واما النبذ فانما هو البراة واللعنة واهل الحرب

لا يقال لهم لا تفرق ولا تخف ومترس ولا باس هذا امان كله وقيل سورة

لقولهم قال هما سورتان

الأنفال والتوبة سورة واحدة كلتاهما نزلت في القتال تعدان السابعة من الطوال وهي سبع وما
بعدها المئون وهذا قول ظاهر لأنهما معاً مائتان وست فهما بمنزلة إحدى الطوال وقد اختلف أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم الأنفال وبراءة سورة واحدة وقال بعضهم هما سورتان وترك بسم الله
لقول من قال هما سورة واحدة **براءة** خبر مبتدأ محذوف أي هذه براءة ومن لابتداء الغاية متعلق بمحذوف
وليس بصلة في قولك برئت من الدين والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم كما
تقول كتاب من فلان إلى فلان ويجوز أن يكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر إلى الذين عاهدتم كما
تقول رجل من بني تميم في الدار وقرئ براءة بالنصب على اسمعوا براءة وقرأ أهل نجران من الله بكسر النون
والوجه الفتح مع لام التعريف لكثرته والمعنى أن الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين
وأنه منبوذ إليهم. فإن قلت لم علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين. قلت قد أذن الله
في معاهدة المشركين أولاً فاتفق المسلمون مع رسول الله وعاهدوهم فلما نقضوا العهد أوجب الله النبذ
إليهم فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا أن الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين
روي أنهم عاهدوا المشركين من أهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا إلا ناساً منهم وهم بنو ضمرة وبنو
كنانة فنبذ العهد إلى الناكثين وأمروا أن يسيحوا في الأرض أربعة أشهر آمنين أين شاؤوا لا يتعرض
لهم وهي الأشهر الحرم في قوله فإذا انسلخ الأشهر الحرم وذلك لصيانة الأشهر الحرم من القتل والقتال
فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الأمير فيها عتاب بن أسيد
فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر على موسم سنة تسع ثم أتبعه علياً رضي الله عنه راكب العضباء ليقرأها
على أهل الموسم فقيل له لو بعثت بها إلى أبي بكر فقال لا يؤدي عني إلا رجل مني فلما دنا علي سمع أبو بكر الرغاء
فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال أمير أو مأمور قال مأمور وروي أن أبا بكر
لما كان ببعض الطريق هبط جبريل فقال يا محمد لا يبلغن رسالتك إلا رجل منك فأرسل علياً فرجع أبو بكر
إلى رسول الله فقال يا رسول الله أشيء نزل من السماء قال نعم فسر وأنت على الموسم وعلي ينادي بالآي فلما
كان قبل التروية خطب أبو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال
يا أيها الناس إني رسول رسول الله إليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية وعن مجاهد ثلاث عشرة
ثم قال أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل
الجنة إلا كل نفس مؤمنة وأن يتم إلى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي أبلغ ابن عمك أنا
قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وأنه ليس بيننا وبينه عهد إلا طعن بالرماح وضرب بالسيوف وقيل إنما
أمر أن لا يبلغ عنه إلا رجل منه لأن العرب عادتها في نقض عهودها أن يتولى ذلك على القبيلة رجل منها
فلو تولاه أبو بكر لجاز أن يقولوا هذا خلاف ما نعرف فينا في نقض العهود فأزيحت علتهم بتوليه ذلك علياً
رضي الله عنه. فإن قلت ما الأشهر الأربعة. قلت عن الزهري أن براءة نزلت في شوال وهي أربعة
أشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول
وعشر من ربيع الآخر وكانت حرماً لأنهم أومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم أو على التغليب لأن ذا الحجة والمحرم

منها وقيل العشر من ذي القعدة إلى عشر من ربيع الأول لأن الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت
للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة. فإن قلت ما وجه إحلالها وأكثر العلماء
على جواز مقاتلة المشركين في الأشهر الحرم وقد صانها الله عن ذلك. قلت قال الواقدي نسخ وجوب الصيانة
وأبيح قتال المشركين فيها **غير معجزي الله** لا تفوتونه وإن أمهلكم وهو مخزيكم أي مذلكم في
الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب **وأذان** ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة
على مثلها ولا وجه لقول من قال إنه معطوف على براءة كما لا يقال عمرو معطوف على زيد في قولك زيد قائم وعمرو
قاعد والأذان بمعنى الإيذان وهو الإعلام كما أن الأمان والعطاء بمعنى الإيمان والإعطاء. فإن قلت
أي فرق بين معنى الجملة الأولى والثانية. قلت تلك إخبار بثبوت البراءة وهذه إخبار بوجوب الإعلام
بما ثبت. فإن قلت لم علقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الأذان بالناس. قلت لأن البراءة
مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم وأما الأذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث
من المعاهدين ومن لم ينكث **يوم الحج** الأكبر يوم عرفة وقيل يوم النحر لأن فيه تمام الحج ومعظم أفعاله
من الطواف والنحر والحلق والرمي وعن علي رضي الله عنه أن رجلاً أخذ بلجام دابته فقال ما الحج الأكبر قال يومك
هذا خل عن دابتي وعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة
الوداع فقال هذا يوم الحج الأكبر ووصف الحج بالأكبر لأن العمرة تسمى الحج الأصغر أو جعل الوقوف
بعرفة هو الحج الأكبر لأنه معظم واجباته لأنه إذا فات فات الحج وكذلك إن أريد به يوم النحر
لأن ما يفعل فيه معظم أفعال الحج فهو الحج الأكبر وعن الحسن سمي يوم الحج الأكبر لاجتماع المسلمين
والمشركين فيه وموافقته لأعياد أهل الكتاب ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم في قلب كل مؤمن وكافر
حذفت الباء التي هي صلة الأذان تخفيفاً وقرئ إن الله بالكسر لأن الأذان في معنى القول **ورسوله**
عطف على المنوي في بريء أو على محل إن المكسورة واسمها وقرئ بالنصب عطفاً على اسم إن أو لأن الواو بمعنى
مع أي بريء معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم كقوله لعمرك ويحكى أن أعرابياً سمع رجلاً يقرؤها
فقال إن كان الله برئ من رسوله فأنا منه بريء فلببه الرجل إلى عمر فحكى الأعرابي قراءته فعندها
أمر عمر بتعلم العربية **فإن تبتم** من الكفر والغدر فهو خير لكم وإن توليتم عن التوبة أو ثبتم على
التولي والإعراض عن الإسلام والوفاء فاعلموا أنكم غير سابقين الله ولا فائتين أخذه وعقابه.
فإن قلت مم استثنى قوله إلا الذين عاهدتم من المشركين. قلت وجهه أن يكون مستثنى
من قوله فسيحوا في الأرض لأن الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم
من المشركين فقولوا لهم سيحوا إلا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقضوا **فأتموا** إليهم عهدهم ولا تجروهم
مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر **إن الله** يحب المتقين يعني أن قضية التقوى أن لا يسوى بين
القبيلين فاتقوا الله في ذلك **ثم لم** ينقصوكم شيئاً لم يقتلوا منكم أحداً ولم يضروكم قط ولم
يظاهروا ولم يعاونوا عليكم عدواً كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشده
لا هم إني ناشد محمدا [illegible]

تماما كما قال ابن عباس بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم
ثم لم ينقصوكم شيئا ولم ينقضوا اذ نامد الموقت ولم ينقضوا [illegible] اخلفوا الموعد
لانهم اي بانبذ عهدهم ان قريشا [illegible] فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا نصرت ان لم انصركم وقرئ لم ينقضوكم بالضاد
وقتلوا ناسا منهم [illegible]
معاهدا لم ينقضوا عهدهم ومعنى فاتموا اليهم عهدهم انسلخ الشهر كقولهم انجرد الشهر وسنة جرداء
الحرم التي ابيح فيها للناكثين ان يسيحوا فاقتلوا المشركين يعني الذين نقضوكم وظاهروا عليكم حيث وجدتموهم
من حل او حرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد وعن
ابن عباس حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام كل مرصد كل ممر ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه
على الظرف كقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فخلوا سبيلهم فاطلقوا عنهم بعد الاسر والحصر او فكفوا
عنهم ولا تتعرضوا لهم كقوله خل السبيل لمن يبني المنار به وعن ابن عباس رضي الله عنه دعوهم
واتيان المسجد الحرام ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف من الكفر والغدر احد مرتفع بفعل
الشرط مضمر يفسره الظاهر تقديره وان استجارك احد استجارك ولا يرتفع بالابتداء لان ان من
عوامل الفعل لا تدخل على غيره والمعنى وان جاءك احد من المشركين بعد انقضاء الاشهر لا عهد بينك
وبينه واستامنك ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد والقران وتبين ما بعثت له فامنه حتى يسمع
كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه بعد ذلك داره التي يامن فيها ان لم يسلم ثم قاتله
ان شئت من غير غدر ولا خيانة وهذا الحكم ثابت في كل وقت وعن الحسن هي محكمة الى يوم القيمة وعن سعيد
بن جبير جاء رجل من المشركين الى علي رضي الله عنه فقال ان اراد الرجل منا ان ياتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل
يسمع كلام الله او ياتيه لحاجة قتل قال لا لان الله يقول وان احد من المشركين استجارك الاية وعن
السدي والضحاك هي منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين ذلك اي ذلك الامر يعني الامر بالاجارة في قوله
فاجره بسبب انهم قوم جهلة لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقة ما تدعو اليه فلا بد من اعطائهم الامان
حتى يسمعوا ويفهموا الحق كيف استفهام في معنى الاستنكار او الاستبعاد لان يكون للمشركين عهد عند الله
وعند رسوله وهم اضداد وغرة صدورهم يعني محال ان يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به
نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله الا الذين عاهدتم اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند
المسجد الحرام ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة فتربصوا امرهم ولا تقاتلوهم فما استقاموا لكم على العهد
فاستقيموا لهم على مثله ان التربص بهم من اعمال المتقين كيف تكرار لاستبعاد ثبات
المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما كما قال وخبرتماني انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب
يريد فكيف مات اي كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا عليكم بعدما سبق لهم من تاكيد الايمان والمواثيق
لم ينظروا في حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم لا يرقبوا لا يراعوا حلفا وقيل قرابة وانشد لحسان
لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رال النعام وقيل الا الها وقرئ ايلا بمعنى
الها وقيل جبرئيل وجبرئل من ذلك وقيل منه اشتق الال بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن
والوجه ان اشتقاق الال بمعنى الحلف لانهم اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه
من الال وهو الجؤار وله اليل اي انين يرفع به صوته ودعت الليها اذا ولولت ثم قيل لكل عهد

الال

ال وسميت به القرابة لان القرابة عقدت بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق يرضونكم كلام مبتدا في
وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد واباء القلوب مخالفة
ما فيها من الاضغان لما يجرونه على السنتهم من الكلام الجميل واكثرهم فاسقون متمردون خلعاء لا مروءة
تزعهم ولا شمائل مرضية تردعهم كما يوجد ذلك في بعض الكفرة من التفادي عن الكذب والنكث والتعفف
عما يثلم العرض ويجر احدوثة السوء اشتروا استبدلوا بايات الله بالقران والاسلام ثمنا قليلا وهو
اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله فعدلوا عنه وصرفوا غيرهم وقيل هم الاعراب الذين
جمعهم ابو سفيان واطعمهم هم المعتدون المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة فان تابوا عن الكفر
ونقض العهد فاخوانكم فهم اخوانكم على حذف المبتدا كقوله فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم ونفصل
الايات ونبينها وهذا اعتراض كانه قيل وان من تامل تفصيلها فهو العالم بعثا وتحريضا على تامل
ما فصل من احكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها وطعنوا في دينكم وثلبوه وعابوه
فقاتلوا ائمة الكفر فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع ضميرهم اشعارا بانهم اذا نكثوا في حال الشرك
تمردا وطغيانا وطرحا لعادات الكرام الاوفياء من العرب ثم امنوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة وصاروا
اخوانا للمسلمين في الدين ثم رجعوا فارتدوا عن الاسلام ونكثوا ما بايعوا عليه من الايمان والوفاء بالعهود
وقعدوا يطعنون في دين الله ويقولون ليس دين محمد بشيء فهم ائمة الكفر وذوو الرياسة والتقدم فيه
لا يشق كافر غبارهم وقالوا اذا طعن الذمي في دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه
على ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة انهم لا ايمان لهم جمع يمين
وقرئ لا ايمان لهم اي لا اسلام لهم او لا يعطون الامان بعد الردة والنكث ولا سبيل اليه
فان قلت كيف اثبت لهم الايمان في قوله وان نكثوا ايمانهم ثم نفاها عنهم قلت اراد ايمانهم
التي اظهروها ثم قال لا ايمان لهم على الحقيقة وايمانهم ليست بايمان وبه استشهد ابو حنيفة
على ان يمين الكافر لا تكون يمينا وعند الشافعي يمينهم يمين وقال معناه انهم لا يوفون بها بدليل
انه وصفها بالنكث لعلهم ينتهون متعلق بقوله فقاتلوا ائمة الكفر اي ليكن غرضكم في
مقاتلتهم بعدما وجد منهم ما وجد من العظائم ان تكون المقاتلة سببا في انتهائهم عما هم عليه
وهذا من غاية كرمه وفضله وعوده على المسيء بالرحمة كلما عاد فان قلت كيف لفظ
ائمة قلت همزة بعدها همزة بين بين اي بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة
وان لم تكن مقبولة عند البصريين واما التصريح بالياء فليس بقراءة ولا يجوز ان تكون ومن صرح بها
فهو لاحن محرف الا تقاتلون دخلت الهمزة على لا تقاتلون تقريرا بانتفاء المقاتلة ومعناه
الحض عليها على سبيل المبالغة نكثوا ايمانهم التي حلفوها في المعاهدة وهموا باخراج الرسول
من مكة حين تشاوروا في امره بدار الندوة حتى اذن الله له في الهجرة فخرج بنفسه وهم بدءوكم
اول مرة اي وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم اولا
بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى القتال فهم البادئون

بالقتال والبادئ أظلم فما يمنعكم من أن تقاتلوهم بمثله وأن تصدموهم بالشر كما صدموكم وبخهم

بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها ويقرر أن من كان في مثل صفاتهم

من نكث العهد وإخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب حقيق بأن لا تترك مصادمته

وأن يوبخ من فرط فيها أتخشونهم تقرير بالخشية منهم وتوبيخ عليها فالله أحق أن تخشوه

فقاتلوا أعداءه إن كنتم مؤمنين يعني أن قضية الإيمان الصحيح أن لا يخشى المؤمن إلا ربه ولا يبالي بمن سواه

كقوله ولا يخشون أحدا إلا الله لما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم الأمر به فقال قاتلوهم

ووعدهم ليثبت قلوبهم ويصحح نياتهم أنه يعذبهم بأيديكم قتلا ويخزيهم أسرا ويوليهم النصر والغلبة

عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين طائفة من المؤمنين وهم خزاعة قال ابن عباس هم بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة

فأسلموا فلقوا من أهلها أذى شديدا فبعثوا إلى رسول الله يشكون إليه فقال أبشروا فإن الفرج قريب ويذهب غيظ

قلوبهم لما لقوا منهم من المكروه وقد حصل الله لهم هذه المواعيد كلها فكان دليلا على

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته ويتوب الله على من يشاء ابتداء كلام وإخبار بأن بعض

أهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك أيضا فقد أسلم ناس منهم وحسن إسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب

بإضمار أن ودخول التوبة في جملة ما أجيب به الأمر من طريق المعنى والله عليم يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد

كان حكيم لا يفعل إلا ما اقتضته الحكمة أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان

والمعنى أنكم لا تتركون على ما أنتم عليه حتى يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله

ولم يتخذوا وليجة أي بطانة من الذين يضادون رسول الله والمؤمنين رضوان الله عليهم ولما معناها التوقع وقد دلت

على أن تبين ذلك وإيضاحه متوقع كائن وأن الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين المخلصين وقوله

ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة كأنه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم

والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كقول القائل ما علم الله مني ما قيل في يريد ما وجد ذلك مني

ما كان للمشركين ما صح لهم وما استقام أن يعمروا مساجد الله يعني المسجد الحرام لقوله وعمارة المسجد الحرام وأما القراءة

بالجمع ففيها وجهان أحدهما أن يراد المسجد الحرام وإنما قيل مساجد لأنه قبلة المساجد كلها وإمامها

فعامره كعامر جميع المساجد ولأن كل بقعة منه مسجد والثاني أن يراد جنس المساجد وإذا لم يصلحوا

لأن يعمروا جنسها دخل تحت ذلك أن لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو

آكد لأن طريقته طريقة الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت أنفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك

وقرئ يعمروا من أعمر وشاهدين حال من الواو في يعمروا والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة المتعبد

مع الكفر بالله وبعبادته ومعنى شهادتهم على أنفسهم بالكفر ظهور كفرهم وأنهم نصبوا أصنامهم

حول البيت وكانوا يطوفون عراة ويقولون لا نطوف عليها بثياب قد أصبنا فيها المعاصي وكلما

طافوا بها شوطا سجدوا لها وقيل هو قولهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك

وقيل قد أقبل المهاجرون والأنصار على أسارى بدر فعيروهم بالشرك وطفق علي بن أبي طالب

يوبخ العباس بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم وأغلظ له في القول

فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا أولكم محاسن قالوا نعم ونحن أفضل منكم أجرا

إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت حبطت أعمالهم التي هي

العمارة والحجابة والسقاية وفك العناة وإذا هدم الكفر أو الكبيرة الأعمال الثابتة الصحيحة

إذا تعقبها فما ظنك بالمقارن وإلى ذلك أشار في قوله شاهدين على أنفسهم بالكفر حالا عنهم وعلى أنهم

قارنوا بين العمارة والشهادة بالكفر على أنفسهم في حال واحدة وذلك محال غير مستقيم إنما يعمر مساجد

الله وقرئ بالتوحيد أي إنما تستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتدا بها والعمارة تتناول رم ما استرم منها

وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم

بل هو أجله وأعظمه وصيانتها مما لم تبن له المساجد من أحاديث الدنيا فضلا عن فضول الحديث وعن

النبي صلى الله عليه وسلم يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا

وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وفي الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما

تأكل البهيمة الحشيش وقال عليه السلام قال الله تعالى إن بيوتي في أرضي المساجد وإن زواري فيها

عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره وعنه عليه السلام من ألف

المسجد ألفه الله وقال صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان

وعن أنس رضي الله عنه من أسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له ما دام في ذلك

المسجد ضوؤه فإن قلت هلا ذكر الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لما علم وشهر أن

الإيمان بالله قرينته الإيمان بالرسول لاشتمال كلمة الشهادة والأذان والإقامة وغيرها عليهما

مقترنين مزدوجين كأنهما شيء واحد غير منفك أحدهما عن صاحبه انطوى تحت ذكر الإيمان بالله

الإيمان بالرسول وقيل دل عليه بذكر إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة فإن قلت كيف قيل ولم

يخش إلا الله والمؤمن يخشى المحاذير ولا يتمالك أن لا يخشاها قلت هي الخشية والتقوى في أبواب

الدين وأن لا يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع مخوف وإذا اعترضه أمران أحدهما حق الله والآخر

حق نفسه أن يخاف الله فيؤثر حق الله على حق نفسه وقيل كانوا يخشون الأصنام ويرجونها

فأريد نفي تلك الخشية عنهم فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء

وحسم لأطماعهم في الانتفاع بأعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها وأملوا عاقبتها بأن الذين آمنوا

وضموا إلى إيمانهم العمل بالشرائع مع استشعار الخشية والتقوى اهتداؤهم دائر بين عسى ولعل فما

بال المشركين يقطعون أنهم مهتدون ونائلون عند الله الحسنى وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمؤمنين

في ترجيح الخشية على الرجاء ورفض الاغترار بالله السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر

كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف محذوف تقديره أجعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد

الحرام كمن آمن بالله وتصدقه قراءة ابن الزبير وأبي وجزة السعدي وكان من القراء سقاة

الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى إنكار أن يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم المحبطة بأعمالهم

المشبه ولن يسوي بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر وروي ان المشركين قالوا لليهود نحن
سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام أفنحن افضل ام محمد واصحابه فقالت لهم اليهود انتم افضل وقيل ان
عليا قال للعباس يا عم الا تهاجرون الا تلحقون برسول الله فقال الست في افضل من الهجرة اسقي حاج بيت الله
واعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال العباس ما اراني الا تارك سقايتنا فقال صلى الله عليه وسلم اقيموا على سقايتكم
فان لكم فيها خيرا اعظم درجة عند الله من اهل السقاية والعمارة عندكم واولئك هم الفائزون لا انتم
والمختصون بالفوز دونكم يبشرهم ... وتنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف
المعرف وعن ابن عباس هي في المهاجرين خاصة كان قبل فتح مكة من آمن لم يتم ايمانه الا بان يهاجر ويصارم
اقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم فقالوا يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا آباءنا وابناءنا
وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل
الرجل ياتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض اقاربه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم
بعد ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله عن موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله ابعد الناس ويبغض في الله اقرب
الناس اليه وقرئ عشيراتكم وعشائركم وقرأ الحسن وعشائركم فتربصوا حتى ياتي الله بامره وعيد
عن ابن عباس هو فتح مكة وعن الحسن عقوبة عاجلة او آجلة وهذه آية شديدة لا ترى اشد منها كانها
تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين فلينصف اورع الناس واتقاهم
من نفسه هل يجد عنده من التصلب في ذات الله والثبات على دين الله ما يستحب له دينه على الآباء والابناء
والاخوان والعشائر والمال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها لاجله ام يزوي الله عنه احقر شيء منها
لمصلحة فلا يدري اي طرفيه اطول ويغويه الشيطان عن اجل حظ من حظوظ الدين فلا يبالي كانما
وقع على انفه ذباب فطيره مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها قال
وكم موطن لولاي طحت كما هوى باجرامه من قلة النيق منهوي واستاع ... لانه جمع
وعلى صيغة لم تأت عليها واحد والمواطن الكثيرة وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية
وخيبر وفتح مكة فان قلت كيف عطف الزمان على المكان وهو يوم حنين على المواطن قلت
معناه وموطن يوم حنين او في ايام مواطن كثيرة ويوم حنين ويجوز ان يراد بالموطن الوقت كمقتل
الحسين على ان الواجب ان يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر وموجب ذلك ان قوله اذ اعجبتكم
بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لان كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن
ولم يكونوا كثيرا في جميعها فبقي ان يكون ناصبه فعلا خاصا به الا اذا نصبت اذ باضمار اذكر
وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر الفا الذين حضروا فتح
مكة منضما اليهم الفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وهم اربعة آلاف فلما التقوا قال رجل
من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قائلها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل ابو بكر وذلك قوله اذ اعجبتكم كثرتكم فاقتتلوا قتالا شديدا فادركت المسلمين كلمة الاعجاب
... العرب وكانوا الجم الغفير

بالكثرة وزل عنهم ان الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحده وهو ثابت في مركزه لا يتحلحل ليس معه الا عمه العباس آخذا بلجام دابته
وابو سفيان بن الحارث ابن عمه وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على تناهي شجاعته ورباطة
جاشه وما هي الا من آيات النبوة وقال يا رب ائتني بما وعدتني وقال للعباس وكان صيتا صح بالناس
نادى الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون
لبيك لبيك ونزلت الملائكة عليهم البياض على خيول بلق فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قتال المسلمين
فقال هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا
قال العباس لكاني انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض خلفهم على بغلته بما رحبت ما مصدرية
والباء بمعنى مع اي مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على ان الجار والمجرور في موضع الحال كقولك
دخلت عليه بثياب السفر اي ملتبسا بها لم احلها تعني مع ثياب السفر والمعنى لا تجدون موضعا تستصلحونه
لهربكم اليه ونجاتكم لفرط الرعب فكانها ضاقت عليكم ثم وليتم مدبرين ثم انهزمتم ثم انزل الله سكينته
رحمته التي سكنوا بها وآمنوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا وقيل هم الذين ثبتوا مع رسول الله حين
وقع الهرب وانزل جنودا يعني الملائكة وكانوا ثمانية آلاف وقيل خمسة آلاف وقيل ستة عشر
الفا وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر وسبي النساء والذراري ثم يتوب الله اي يسلم بعد ذلك ناس
منهم وروي ان ناسا منهم جاءوا فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام وقالوا يا رسول الله
انت خير الناس وابر الناس وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا فقيل سبي يومئذ ستة
آلاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال ان عندي ما ترون ان خير القول اصدقه اختاروا
اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ان هؤلاء جاءوا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده
سبي وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا
فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا
ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء انهم قد رضوا النجس مصدر يقال نجس نجسا وقذر قذرا ومعناه
ذوو نجس لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون
النجاسات فهي ملابسة لهم او جعلوا كانهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها وعن ابن عباس
اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضأ واهل المذاهب على
خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم على تقدير حذف الموصوف كانه قيل
انما المشركون جنس نجس او ضرب نجس واكثر ما جاء تابعا لرجس وهو تخفيف نجس نحو كبد في كبد فلا يقربوا
المسجد الحرام فلا يحجوا ولا يعتمروا بعد عامهم هذا بعد حج عامهم هذا وهو عام تسع من الهجرة حين
امر ابو بكر رضي الله عنه على الموسم وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه ويدل عليه قول علي رضي الله عنه
حين نادى ببراءة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام

وسائر المساجد عندهم وعند الشافعي يمنعون عن المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون منه ومن غيره من المساجد
وعن عطاء أن المراد بالمسجد الحرام الحرم وأن على المسلمين أن لا يمكنوهم من دخوله ونهي المشركين أن يقربوه راجع
الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه وقيل المراد أن يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا
عن ذلك **وإن خفتم** عيلة اي فقرا بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم في قدومهم عليكم من الأرفاق
والمكاسب **فسوف** يغنيكم الله من فضله من عطائه او من تفضله بوجه آخر فأرسل السماء عليهم مدرارا
اي أغزر بها خيرهم وأكثر ميرتهم وأسلم أهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش به
فكان ذلك أعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته وعن ابن عباس ألقى الشيطان في قلوبهم الخوف وقال
من اين تأكلون فأمرهم الله بقتال أهل الكتاب وأغناهم بالجزية وقيل بفتح البلاد والغنائم وقرئ
عائلة بمعنى المصدر كالعافية او حالا عائلة ومعنى قوله ان شاء ان اوجبته الحكمة الغنائم وكان
مصلحة لكم في دينكم ان الله عليم بأحوالكم حكيم لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة وصواب **من الذين** اوتوا الكتاب
بيان للذين مع ما في حيزه نفى عنهم الإيمان بالله لأن اليهود مثنية والنصارى مثلثة وإيمانهم باليوم
الآخر لأنهم فيه على خلاف ما يجب ويحرم ما حرم الله ورسوله لأنهم لا يحرمون ما حرم في الكتاب والسنة وعن ابي روق
لا يعملون بما في التوراة والإنجيل وان يدينوا دين الحق ويعتقدوا دين الإسلام الذي هو الحق وما سواه
الباطل وقيل دين الله يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده سميت جزية لأنها طائفة
مما على اهل الذمة ان يجزوه اي يقضوه او لأنهم يجزون بها من عليهم بالإعفاء عن القتل **عن يد** اما ان
يراد يد المعطي او الآخذ فمعناه على الأول عن يد مؤاتية غير ممتنعة لأن من
ابى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد ولذلك قالوا اعطى بيده اذا انقاد واصحب الا ترى الى قولهم
نزع يده عن الطاعة كما يقال خلع ربقة الطاعة عن عنقه او حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة
لا مبعوثا على يد احد ولكن عن يد المعطي الى يد الآخذ واما على الثاني فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة
مستولية او عن انعام عليهم لأن قبول الجزية منهم وترك أرواحهم لهم نعمة عظيمة عليهم **وهم صاغرون** اي اذلاء
على الصغار والذل وهو ان يأتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس وان يتلتل
تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال له اد الجزية وان كان يؤديها ويزخ في قفاه وتسقط بالإسلام عند ابي حنيفة
ولا يسقط به خراج الأرض واختلف فيمن تضرب عليه فعند ابي حنيفة تضرب على كل كافر من ذي دين
وصابئ وحربي الا على مشركي العرب وحدهم روى الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح عبدة الأوثان
على الجزية الا من كان من العرب وقال لأهل مكة هل لكم في كلمة اذا قلتموها دانت لكم بها العرب وأدت
اليكم الجزية العجم وعند الشافعي لا تؤخذ من مشركي العجم والمأخوذ عند ابي حنيفة في اول كل سنة من
الفقير الذي له كسب اثنا عشر درهما ومن المتوسط في الغنى ضعفها ومن المكثر ضعف الضعف ثمانية
واربعون ولا يؤخذ من فقير لا كسب له وعند الشافعي يؤخذ في آخر السنة من كل واحد دينار فقيرا كان
او غنيا كان له كسب او لم يكن **عزير ابن الله** مبتدأ وخبر كقوله المسيح ابن الله وعزير اسم عجمي كعازر
وعيزار وعزرائيل ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نون جعله عربيا واما قول من قال سقوط

التنوين لالتقاء الساكنين كقراءة من قرأ احد الله او لأن الابن وصف والخبر محذوف مثل معبودنا
فتمحل عنه مندوحة وهو قول ناس من اليهود ممن كان بالمدينة وما هو بقول كلهم عن ابن عباس جاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك
وقيل قاله فنحاص وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الأنبياء بعد موسى عليه السلام فرفع الله عنهم
التوراة ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح في الأرض فأتاه جبريل فقال له الى اين تذهب قال
اطلب العلم فحفظه التوراة فأملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التوراة في صدره
وهو غلام الا لأنه ابنه والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية تليت عليهم فما انكروا ولا كذبوا
مع تهالكهم على التكذيب **فان قلت** كل قول يقال بالفم فما معنى قوله ذلك قولهم بأفواههم **قلت**
فيه وجهان ان يراد انه قول لا يعضده برهان فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته
كالألفاظ المهملة التي هي اجراس ونغم لا تدل على معان وذلك ان القول الدال على معنى لفظه مقول
بالفم ومعناه مؤثر في القلب وما لا معنى له مقول بالفم لا غير والثاني ان يراد بالقول المذهب كقولهم
قول ابي حنيفة يريدون مذهبه وما يقول به كأنه قيل ذلك مذهبهم ودينهم بأفواههم لا بقلوبهم لأنه لا
حجة معه ولا شبهة حتى يؤثر في القلوب وذلك انهم اذا اعترفوا انه لا صاحبة له لم تبق شبهة في انتفاء
الولد **يضاهئون** لا بد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهي قولهم ثم حذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه فانقلب مرفوعا والمعنى ان الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود
والنصارى يضاهي قولهم قول قدمائهم يعني انه كفر قديم فيهم غير مستحدث او يضاهي قول المشركين
الملائكة بنات الله وقيل الضمير للنصارى اي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن
الله لأنهم اقدم منهم وقرئ يضاهئون بالهمز من قولهم امرأة ضهيأ على فعيل وهي التي ضاهأت
الرجال في انها لا تحيض وهمزتها مزيدة كما في غرقئ **قاتلهم الله** اي هم احقاء بأن يقال لهم هذا
تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعاء قاتلهم الله ما اعجب فعلهم **انى** يؤفكون
كيف يصرفون عن الحق الى الباطل اربابا بأنهم اطاعوهم في الأمر بالمعاصي وتحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله
كما يطاع الأرباب في اوامرهم ونحوه تسمية اتباع الشيطان فيما يوسوس به عبادة
له في قوله لا تعبد الشيطان وعن عدي بن حاتم انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي
صليب من ذهب فقال يا عدي اطرح هذا الوثن بل كانوا يعبدون
عبادتهم وعن فضيل ما ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة فقال أليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرمه فتحلونه قلت بلى قال فتلك
عبادتهم ابن الله فقد اهلوه للعبادة الا ترى الى قوله قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين واما المسيح
وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا امرتهم بذلك ادلة العقل والنصوص في الانجيل والمسيح عليه السلام
قال انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة **سبحانه** تنزيه له عن الاشراك به واستبعاد له ويجوز
ان يكون الضمير في وما امروا للمتخذين اربابا اي وما امر هؤلاء الذين هم عندهم اربابا الا ليعبدوا
الله ويوحدوه فكيف يصح ان يكونوا اربابا وهم مأمورون مستعبدون مثلهم مثل حالهم في تكذيبهم
ان يطفئوا اسوة بهم صلى الله عليه وسلم بالتكذيب تعالى يريد ان ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق

من المرار شعروا

عبادة

فقال لا تعبد هذا
الوثن وسمعته يقول
اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا
فقلت ما عبدوهم
يا رسول الله

ويبلغه الغاية القصوى من الإشراق والإضاءة ليطفئه بنفخه ويطمسه
ليظهره ليظهر الرسول عليه السلام على أهل الأديان كلهم أو ليظهر دين الحق على كل دين فإن قلت
كيف جاز أبى الله إلا كذا ولا يقال كرهت أو أبغضت إلا زيدا قلت قد أجرى أبى مجرى لم يرد
ألا ترى كيف قوبل يريدون أن يطفئوا بقوله ويأبى الله وكيف أوقع موقع ولا يريد الله إلا
أن يتم نوره ليأكلون استعار الأكل للأخذ ألا ترى إلى قولهم أخذ الطعام وتناوله
ومعنى أكل الأموال على وجهين إما أن يستعار الأكل للأخذ وإما على أن الأموال يؤكل بها فهي سبب الأكل ومنه قوله * يأكلن كل ليلة إكافا *
ومعنى أكلهم بالباطل أنهم كانوا يأخذون الرشا في الأحكام والتخفيف والمسامحة
في الشرائع والذين يكنزون يجوز أن يكون إشارة إلى الكثير من الأحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم
أخذ البراطيل وكنز الأموال والضن بها عن الإنفاق في سبيل الخير ويجوز أن يراد المسلمون
الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من اليهود والنصارى تغليظا ودلالة على أن
من يأخذ منهم السحت ومن لا يعطي منكم طيب ماله سواء في استحقاق البشارة بالعذاب الأليم وقيل
نسخت الزكاة آية الكنز وقيل هي ثابتة وإنما عني بترك الإنفاق في سبيل الله منع الزكاة وعن النبي عليه السلام
ما أدي زكاته فليس بكنز وإن كان باطنا وما بلغ أن يزكى فلم يزك فهو كنز وإن كان ظاهرا وعن
عمر رضي الله عنه أن رجلا سأله عن أرض له باعها فقال أحرز مالك الذي أخذت احفر له تحت فراش امرأتك
قال أليس بكنز قال ما أدي زكاته فليس بكنز وعن ابن عمر كل ما أديت زكاته فليس بكنز
وإن كان تحت سبع أرضين وما لم تؤد زكاته فهو الذي ذكر الله وإن كان على ظهر الأرض فإن قلت
فما تصنع بما روى سالم بن الجعد أنها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا للذهب تبا للفضة
قالها ثلاثا فقالوا له أي مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين أحدكم على دينه
وبقوله عليه السلام من ترك صفراء أو بيضاء كوي بها وتوفي رجل فوجد في مئزره دينار فقال
كية وتوفي آخر فوجد في مئزره ديناران فقال كيتان قلت كان هذا قبل أن تفرض الزكاة
فأما بعد فرض الزكاة فالله أعدل وأكرم من أن يجمع عبده مالا من حيث أذن له فيه ويؤدي عنه ما أوجب
عليه فيه ثم يعاقبه ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله يقتنون
الأموال ويتصرفون فيها وما عابهم أحد ممن أعرض عن القنية لأن الإعراض اختيار للأفضل والأدخل
في الورع والزهد في الدنيا والاقتناء مباح موسع لا يذم صاحبه ولكل شيء حد وما روي عن علي
رضي الله عنه أربعة آلاف فما دونها نفقة فما زاد فهو كنز كلام في الأفضل فإن قلت
لم قيل ولا ينفقونها وقد ذكر شيئان قلت ذهابا بالضمير إلى المعنى دون اللفظ لأن كل
واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودنانير ودراهم فهو كقوله وإن طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا وقيل ذهب به إلى الكنوز وقيل إلى الأموال وقيل معناه ولا ينفقونها والذهب
كما أن معنى قوله فإني وقيار بها لغريب فإني لغريب وقيار كذلك فإن قلت لم خص
الذهب والفضة من بين سائر الأموال قلت لأنهما قانون التمول وأثمان الأشياء ولا يكنزهما
إلا من فضلا عن حاجته ومن كثرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم سائر أجناس المال

ذكر كنزهما دليل على ما سواهما فإن قلت ما معنى قوله يحمى عليها وهلا قيل تحمى من
قولك حمي الميسم وأحميته ولا تقول أحميت على الحديد قلت معناه أن النار تحمى عليها
أي توقد ذات حمي وحر شديد من قوله نار حامية ولو قيل يوم تحمى لم يعط هذا المعنى فإن قلت
فإذا كان الإحماء للنار فلم ذكر الفعل قلت لأنه مسند إلى الجار والمجرور أصله يوم تحمى النار
عليها فلما حذفت النار قيل يحمى عليها لانتقال الإسناد عن النار إلى عليها كما تقول رفعت
القصة إلى الأمير فإن لم تذكر القصة قلت رفع إلى الأمير وعن ابن عامر أنه قرأ تحمى بالتاء
وقرأ أبو حيوة فيكوى بالياء فإن قلت لم خصت هذه الأعضاء قلت لأنهم لم يطلبوا بأموالهم
حين لم ينفقوها في سبيل الله إلا الأغراض الدنيوية من وجاهة عند الناس وتقدم وأن يكون
ماء وجوههم مصونا عندهم يتلقون بالجميل ويحيون بالإكرام ويحتشمون ومن أكل طيبات يتضلعون
منها وينفخون جنوبهم ومن لبس ناعم الثياب يطرحونها على ظهورهم كما ترى أغنياء زمانك هذه
أغراضهم وطلباتهم من أموالهم لا يخطرون ببالهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب أهل الدثور بالأجور
وقيل لأنهم كانوا إذا أبصروا الفقير عبسوا وإذا ضمهم وإياه مجلس ازوروا عنه وتولوا بأركانهم
وولوه ظهورهم وقيل معناه يكوون على الجهات الأربع مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم هذا ما
كنزتم على إرادة القول وقوله لأنفسكم أي كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وتلتذ وتحصل لها الأغراض
التي حامت حولها وما علمتم أنكم كنزتموه لتستضر به أنفسكم وتتعذب وهو توبيخ لهم فذوقوا ما كنتم
تكنزون وبال المال الذي كنتم تكنزونه أو وبال كونكم كانزين في كتاب الله
فيما أثبته وأوجبه من حكمه ورآه حكمة وصوابا وقيل في اللوح أربعة حرم ثلاثة سرد ذو القعدة
وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع ألا إن الزمان
قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة
متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الأشهر
إلى ما كانت عليه وعاد الحج في ذي الحجة وبطل النسيء الذي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع
ذا الحجة وكانت حجة أبي بكر قبلها في ذي القعدة ذلك الدين القيم يعني أن تحريم الأشهر الأربعة هو
الدين المستقيم دين إبراهيم وإسماعيل وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الأشهر
الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل أبيه أو أخيه لم يهجه وسموا رجبا الأصم ومنصل
الأسنة حتى أحدثت النسيء فغيروا فلا تظلموا فيهن أنفسكم أي لا تجعلوا حرامها حلالا
وعن عطاء تالله ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الأشهر الحرم إلا أن يقاتلوا وما نسخت وعن
عطاء الخراساني أحلت القتال في الأشهر الحرم براءة من الله ورسوله وقيل معناه لا تأثموا فيهن بيانا
لعظم حرمتهن كما عظم أشهر الحج بقوله فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال وإن كان ذلك محرما
في سائر الشهور كافة حال من الفاعل أو المفعول مع المتقين ناصر لهم حثهم على التقوى بضمان النصر

لاملها النسيء تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر وذلك انهم كانوا اصحاب حروب وغارات فاذا جاء الشهر الحرام وهم
محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا آخر حتى رفضوا تخصيص الاشهر الحرم بالتحريم فكانوا
يحرمون من بين شهور العام اربعة اشهر وذلك قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا العدة التي هي الاربعة
ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذي هو احد الواجبين وربما زادوا في عدد الشهور فيجعلونها ثلثة عشر او
اربعة عشر ليتسع لهم الوقت ولذلك قال عز وعلا ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا يعني من غير زيادة زادوها
والضمير في يحلونه ويحرمونه للنسيء اي اذا احلوا شهرا من الاشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه في العام القابل وروي
انه حدث ذلك في كنانة لانهم كانوا فقراء محاويج الى الغارة وكان جنادة بن عوف الكناني مطاعا في الجاهلية
وكان يقوم على جمل في الموسم فيقول باعلا صوته ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في القابل فيقول ان
آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه وجعل النسيء زيادة في الكفر لان الكافر كلما احدث معصية ازداد
كفرا فزادتهم رجسا الى رجسهم كما ان المؤمن اذا احدث طاعة ازداد ايمانا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون
وقرئ يضل على البناء للمفعول ويضل بفتح الياء والضاد ويضل على ان الفعل لله عز وجل وقرا
الزهري ليوطئوا بالتشديد والنسيء مصدر نساه اذا اخره يقال نساه نسا ونساء ونسيئا
كقولك مسه مسا ومساسا ومسيسا وقرئ بهن جميعا وقرئ النسي بوزن الهدى والنسي بوزن
النهي وبالتخفيف النسي والنسء فان قلت ما معنى قوله فيحلوا ما حرم الله قلت معناه فيحلوا
بمواطاة العدة وحدها من غير تخصيص ما حرم الله من القتال او من ترك الاختصاص للاشهر بعينها زين
لهم سوء اعمالهم خذلهم الله فحسبوا اعمالهم القبيحة حسنة والله لا يهدي اي لا يلطف بهم بل يخذلهم
وقرئ زين لهم سوء اعمالهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل اثاقلتم وبه قرا الاعمش اي تباطاتم وتثاقلتم
وضمن معنى الميل والاخلاد فعدي بالى والمعنى ملتم الى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه
ونحوه اخلد الى الارض واتبع هواه وقيل ملتم الى الاقامة بارضكم ودياركم وقرئ اثاقلتم على
الاستفهام الذي معناه الانكار والتوبيخ فان قلت فما العامل في اذا وحرف الاستفهام مانع
ان يعمل فيه قلت ما دل عليه او ما في ما لكم من معنى الفعل كانه قيل ما تصنعون اذا قيل لكم كما
تعمله في الحال اذا قلت ما لك قائما وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا
في وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم وقيل ما خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم في غزوة الا ورى عنها بغيرها الا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة من الآخرة
بدل الآخرة كقوله لجعلنا منكم ملئكة في الآخرة في جنب الآخرة الا تنفروا سخط عظيم على
المتثاقلين حيث اوعدهم بعذاب اليم مطلق يتناول عذاب الدارين وانه يهلكهم ويستبدل بهم قوما آخرين
خيرا منهم واطوع وانه غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا وقيل الضمير للرسول اي ولا
تضروه لان الله وعده ان يعصمه من الناس ووعده بالنصرة ووعد الله كائن لا محالة وقيل يريد بدله
قوما غيركم اهل اليمن وقيل ابناء فارس والظاهر مستغن عن التخصيص فان قلت كيف يكون

قوله فقد نصره الله جوابا للشرط قلت فيه وجهان احدهما الا تنصروه فسينصره من نصره
حين لم يكن معه الا رجل واحد ولا اقل من الواحد فدل بقوله فقد نصره الله على انه ينصره في المستقبل
كما نصره في ذلك الوقت والثاني انه اوجب له النصرة وجعله منصورا في ذلك الوقت فلن يخذل من بعده
واسند الاخراج الى الكفار كما اسند اليهم في قوله من قريتك التي اخرجتك لانهم حين هموا باخراجه
اذن الله له في الخروج فكانهم اخرجوه ثاني اثنين احد اثنين كقوله ثالث ثلثة وهما رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابو بكر الصديق رضي الله عنه يروى ان جبريل صلوات الله عليه لما امره بالخروج قال
من يخرج معي قال ابو بكر وانتصابه على الحال وقرئ ثاني اثنين بالسكون واذ هما بدل من اذ اخرجه
والغار ثقب في اعلا ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلثا اذ يقول بدل ثان
بل طلع المشركون فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تصب
اليوم ذهب دين الله فقال صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا
الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله بابصارهم عنه
وقالوا من انكر صحبة ابي بكر فقد كفر لانكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة سكينته
ما القي في قلبه من الامنة التي سكن عندها وعلم انهم لا يصلون اليه والجنود الملئكة يوم بدر
والاحزاب وحنين وكلمة الذين كفروا دعوتهم الى الكفر وكلمة الله دعوته الى الاسلام وقرئ وكلمة
الله بالنصب والرفع اوجه وهي فصل او مبتدا وفيها تاكيد فضل كلمة الله في العلو وانها المختصة
به دون سائر الكلم خفافا وثقالا خفافا في النفور لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم
او خفافا لقلة عيالكم واذيالكم وثقالا لكثرتها او خفافا من السلاح وثقالا منه او ركبانا
ومشاة او شبانا وشيوخا او مهازيل وسمانا او صحاحا ومراضا وعن ابن ام مكتوم انه قال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم اعلي ان انفر قال نعم حتى نزل قوله ليس على الاعمى حرج وعن ابن عباس نسخت
بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى وعن صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا
قد سقط حاجباه من اهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم لقد اعذر الله اليك فرفع
حاجبيه وقال يا ابن اخي استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من يحبه الله يبتليه وعن الزهري خرج سعيد بن
المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل له انك عليل صاحب ضر فقال استنفر الله الخفيف
والثقيل فان لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وجاهدوا باموالكم وانفسكم
ايجاب للجهاد بهما ان امكن او باحدهما على حسب الحال والحاجة العرض ما عرض لك من منافع الدنيا
يقال الدنيا عرض حاضر ياكل منه البر والفاجر اي لو كان ما دعوا اليه غنما قريبا سهل المنال وسفرا
قاصدا وسطا مقاربا الشقة المسافة الشاطة الشاقة وقرا عيسى بن عمر بعدت عليهم الشقة
بكسر العين والشين ومنه قوله يقولون لا تبعد وهم يدفنونه ولا بعد الا ما توارى الصفائح

بالله متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين اي سيحلفون يعني المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا وسيحلفون بالله يقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا سد مسد جوابي القسم ولو جميعا والاخبار بما سوف يكون بعد القفول من حلفهم واعتذارهم وقد كان من جملة المعجزات ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة او استطاعة الابدان كانهم تمارضوا وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع في قوله فتمنوا الموت يهلكون انفسهم اما ان يكون بدلا من سيحلفون او حالا بمعنى مهلكين والمعنى انهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب وما يحلفون عليه من التخلف ويحتمل ان يكون حالا من قوله لخرجنا اي لخرجنا معكم وان اهلكنا انفسنا والقيناها في التهلكة بما نحملها من المسير في تلك الشقة وجاء به على لفظ الغائب لانه مخبر عنهم الا ترى انه لو قيل سيحلفون بالله لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا يقال حلف بالله ليفعلن ولافعلن فالغيبة على حكم الاخبار والتكلم على الحكاية عفا الله عنك كناية عن الجناية لان العفو رادف لها ومعناه اخطات وبئس ما فعلت لم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعناه ما لك اذنت لهم في القعود عن الغزو حين استاذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استانيت بالاذن حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه وقيل شيئان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمر بهما اذنه للمنافقين واخذه من الاسارى فعاتبه الله لا يستاذنك ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا وكان الخلص من المهاجرين والانصار يقولون لا نستاذن النبي صلى الله عليه وسلم ابدا ولنجاهدن معه باموالنا وانفسنا ومعنى ان يجاهدوا في ان يجاهدوا او كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة لهم باجزل الثواب انما يستاذنك يعني المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلا يترددون عبارة عن التحير لان التردد ديدن المتحير كما ان الثبات والاستقرار ديدن المستبصر وقرئ عدة بمعنى عدته فعل بالعدة ما فعل بالعدة من قال واخلفوك عد الامر الذي وعدوا التاء تعويض المضاف اليه منها وقرئ عدة بكسر العين بغير اضافة وعدة باضافة ولكن كره الله انبعاثهم فان قلت كيف موقع حرف الاستدراك قلت لما كان قوله ولو ارادوا الخروج معطيا معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو قيل ولكن كره الله انبعاثهم كانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم كما تقول ما احسن الي زيد ولكن اساء الي فثبطهم فكسلهم وخذلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث وقيل اقعدوا جعل القاء الله في قلوبهم كراهة الخروج امرا بالقعود وقيل هو قول الشيطان بالوسوسة وقيل هو قولهم لانفسهم وقيل هو اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم في القعود فان قلت كيف جاز ان يوقع الله في نفوسهم كراهة الخروج الى الغزو وهي قبيحة وتعالى الله عن الهام القبيح قلت خروجهم كان مفسدة لقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا فكان ايقاع كراهة ذلك الخروج في نفوسهم حسنا ومصلحة فان قلت

فلم خطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاذن لهم فيما هو مصلحة قلت لان اذن رسول الله لهم لم يكن للنظر في هذه المصلحة ولا علمها الا بعد القفول باعلام الله ولكن لانهم استاذنوه واعتذروا اليه وكان عليه ان يتفحص عن كنه معاذيرهم ولا يتجوز في قبولها فمن ثم اتاه العتاب ويجوز ان يكون في ترك رسول الله الاذن لهم مع تثبيط الله اياهم مصلحة اخرى فباذنه لهم فقدت تلك المصلحة وذلك انهم اذا ثبطهم الله فلم ينبعثوا وكان قعودهم بغير اذن من رسول الله قامت عليهم الحجة ولم تبق لهم معذرة ولقد تداركها الله بذلك حيث هتك استارهم وكشف اسرارهم وشهد عليهم بالنفاق وانهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر فان قلت ما معنى قوله مع القاعدين قلت هو ذم لهم وتعجيز والحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شانهم القعود والجثوم في البيوت وهم القاعدون والخالفون والخوالف ويبينه قوله تعالى رضوا بان يكونوا مع الخوالف الا خبالا ليس من الاستثناء المنقطع في شيء كما يقولون لان الاستثناء المنقطع هو ان يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك ما زادوكم خيرا الا خبالا والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور واذا لم يذكر وقع الاستثناء من اعم العام الذي هو الشيء فكان استثناء متصلا لان الخبال بعض اعم العام كانه قيل ما زادوكم شيئا الا خبالا والخبال الفساد والشر ولاوضعوا خلالكم ولسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وافساد ذات البين يقال وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته انا والمعنى ولاوضعوا ركائبهم بينكم والمراد الاسراع بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشي وقرا ابن الزبير ولارقصوا من رقصت الناقة رقصا اذا اسرعت وارقصتها انا قال والراقصات الى منى فالغبغب وقرئ ولاوفضوا فان قلت كيف خط في المصحف ولا اوضعوا بزيادة الالف قلت كانت الفتحة تكتب الفا قبل الخط العربي والخط العربي اخترع قريبا من نزول القرآن وقد بقي من ذلك الالف اثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة الفا وفتحتها الفا اخرى ونحوه اولا اذبحنه يبغونكم الفتنة يحاولون ان يفتنوكم بان يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم وفيكم سماعون لهم اي نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم او فيكم قوم يسمعون للمنافقين ويطيعونهم لقد ابتغوا الفتنة اي العنت ونصب الغوائل والسعي في تشتيت شملك وتفريق اصحابك عنك كما فعل عبد الله بن ابي يوم احد حين انصرف بمن معه وعن ابن جريج وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا ليفتكوا به من قبل من قبل غزوة تبوك وقلبوا لك الامور ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الآراء في ابطال امرك وقرئ وقلبوا بالتخفيف حتى جاء الحق وهو تاييدك ونصرك وظهر امر الله وغلب دينه وعلا شرعه ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة وهي الاثم بان لا تاذن لي فاني ان تخلفت بغير اذنك اثمت وقيل ولا تلقني في الهلكة فاني اذا خرجت معك هلك مالي وعيالي وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكني اعينك بمال فاتركني وقرئ ولا تفتني من افتنه الا في الفتنة سقطوا يعني ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف وفي مصحف ابي سقط لان من موحد اللفظ

مجموع المعنى لمحيطة بالكفرين يعني انها تحيط بهم يوم القيمه او هي محيطة بهم الآن لان اسبابها
الاحاطة معهم فكانهم في وسطها ان تصبك في بعض الغزوات حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم وان
تصبك مصيبة نكبة وشدة في بعضها نحو ما جرى يوم احد يفرحوا بحالهم في الانحراف عنك
ويقولوا قد اخذنا امرنا اي امرنا الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم من قبل
من قبل ما وقع ويتولوا عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له الى اهاليهم وهم فرحون مسرورون وقيل
تولوا اعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا ابن مسعود وقل هل تصيبنا وقرا طلحة هل
يصيبنا بتشديد النون ووجهه ان يكون يفعل لا يفعل لانه من بنات الواو لقولهم الصوب
وصاب السهم يصوب ومصاوب في جمع مصيبة فحق يفعل منه يصوب الا ترى الى قولهم
زايد الا ان يكون لغة من يقول صاب السهم يصيب من قولهم السهم الصايب والصيب
في قوله الا ما كتب الله لنا معنيه معنى لا اختصاص كانه قيل لن يصيبنا الا ما اختصنا الله
باثباته وايجابه من النصرة عليكم او الشهادة الا ترى الى قوله هو مولانا اي الذي يتولانا ونتولاه
ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكفرين لا مولى لهم وعلى الله فليتوكل المومنون وحق المومنين
ان لا يتوكلوا على غير الله فليفعلوا ما هو حقهم الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين
كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم احدى السوأيين
من العواقب اما ان يصيبكم الله بعذاب من عنده وهو قارعة من السما كما نزل على عاد وثمود او بعذاب
بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا بنا ما ذكرنا من عواقبنا انا معكم متربصون ما هو
عاقبتكم فلا بد ان يلقى كلنا ما يتربصه لا يتجاوزه انفقوا يعني في سبيل الله ووجوه
البر طوعا او كرها نصب على الحال اي طايعين او مكرهين فان قلت كيف امرهم بالانفاق
ثم قال لن يتقبل منكم قلت هو امر في معنى الخبر كقوله قل من كان في الضلالة فليمدد له
الرحمن مدا ومعناه لن يتقبل منكم انفقتم طوعا او كرها ونحوه قوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر
لهم وقوله اسيئي بنا او احسني لا ملومة اي لن يغفر الله لهم استغفرت لهم او لا تستغفر
لهم ولا نلومك اساءت الينا ام احسنت فان قلت متى يجوز نحو هذا قلت اذا دل الكلام عليه
كما جاز عكسه في قولك رحم الله زيدا وغفر له فان قلت لم فعل ذلك قلت لنكتة فيه
وهي ان كثيرا كانه يقول للعزة امتحني لطف محلك عندي وقوة محبتي لك وعاملي بالاكرام
والاجتناب وانظري هل يتفاوت حالي معك مسيئة كنت او محسنة وفي معناه قول القائل
اخوك الذي ان قمت بالسيف عامدا لتضربه لم يستغشك في الود وكذلك المعنى
انفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم او لا تستغفر لهم وانظر هل ترى اختلافا بين
حال الاستغفار وتركه فان قلت ما الغرض في نفي التقبل اهو كون رسول الله
تقبله منهم ورده عليهم ما يبذلون منه ام هو كونه غير مقبول عند الله ذاهبا لا ثواب له

قلت يحتمل الامرين جميعا وقوله طوعا او كرها معناه طايعين من غير الزام من الله ورسوله
او ملزمين وسمي الالزام اكراها لانهم منافقون فكان الزامهم الانفاق شاقا عليهم
كالاكراه او طايعين من غير اكراه من رؤسايكم لان رؤسا اهل النفاق كانوا يحملون
على الانفاق لما يرون من المصلحة فيه او مكرهين من جهتهم وروي انها نزلت في الجد بن قيس
حين تخلف عن غزوة تبوك وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مالي اعينك به فاتركني
انكم تعليل لرد انفاقهم والمراد بالفسق التمرد والعتو انهم فاعل منعهم وهم وان
تقبل مفعولاه وقرئ ان يقبل منهم نفقاتهم على ان الفعل لله عز وجل كسالى بالضم
والفتح جمع كسلان نحو سكارى وغيارى في سكران وغيران وكسلهم لانهم لا يرجون بصلاتهم
ثوابا ولا يخشون بتركها عقابا فهي ثقيلة عليهم كقوله وانها لكبيرة الا على الخاشعين وفي
بعض الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كره للمؤمن ان يقول كسلت كانه ذهب الى
هذه الاية وان الكسل من صفات المنافقين فما ينبغي ان يسنده المؤمن الى نفسه فان قلت
الكراهية خلاف الطواعية وقد جعلهم الله طايعين في قوله طوعا ثم وصفهم بانهم لا ينفقون
الا وهم كارهون قلت المراد بطوعهم انهم يبذلونه من غير الزام من رسول الله صلى الله عليه وسلم
او من رؤسايهم وما طوعهم ذاك الا عن كراهة واضطرار لا عن رغبة واختيار الاعجاب
بالشي ان تسر به سرور راض به متعجب من حسنه والمعنى فلا تستحسن ولا تفتتن بما اوتوا
من زينة الدنيا كقوله ولا تمدن عينيك فان الله انما اعطاهم ما اعطاهم للعذاب بان عرضه
للتغنم والسبي وبلاهم فيه بالآفات والمصايب وكلفهم الانفاق منه في ابواب الخير وهم كارهون
له على رغم انوفهم واذاقهم انواع الكلف والمجاشم في جمعه واكتسابه وفي تربية اولادهم
فان قلت ان صح تعليق التعذيب بارادة الله فما بال زهوق انفسهم وهم كافرون قلت
المراد الاستدراج بالنعم كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما كانه قيل ويريد ان يديم عليهم
نعمته الى ان يموتوا وهم كافرون ملتهون بالتمتع عن النظر للعاقبة لمنكم لمن جملة المسلمين
يفرقون يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام تقية ملجأ مكانا
يلجؤون اليه متحصنين به من راس جبل او قلعة او جزيرة او مغارات او غيرانا وقرئ بضم الميم
من اغار الرجل وغار اذا دخل الغور وقيل هو تعدية غار الشيء واغرته انا يعني امكنة
يغيرون فيها اشخاصهم ويجوز ان يكون من اغار الثعلب اذا اسرع بمعنى مهارب ومغاور او مدخلا
او نفقا يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول وقرئ مدخلا من دخل ومدخلا
من ادخل مكانا يدخلون فيه انفسهم وقرا ابي بن كعب متدخلا وقرئ لولوا اليه لالتجؤوا
اليه يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شيء من الفرس الجموح وهو الذي اذا حمل لم يرده
اللجام وقرا انس يجمزون فسيل انس ما يجمزون فقال يجمحون ويجمزون ويشتدون واحد يلمزك يعيبك
في قسمة الصدقات ويطعن عليك قيل هم المؤلفة قلوبهم وقيل هو ابن ذي الخويصرة

رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك
ان لم اعدل فمن يعدل وقيل هو ابو الجواظ من المنافقين قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم
في رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ابا لك اما كان موسى راعيا
اما كان داود راعيا فلما ذهب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احذروا هذا واصحابه فانهم منافقون
وقرئ يلمزك بالضم ويلمزك بالتشديد ويلامزك والتثقيل والبناء على المفاعلة مبالغة في اللمز ووصفهم
بان رضاهم وسخطهم لانفسهم لا للدين وما فيه صلاح اهله لان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعطف
قلوب اهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه **واذا** للمفاجاة اي وان لم يعطوا
منها فاجؤوا السخط وجواب لو محذوف تقديره ولو انهم رضوا لكان خيرا لهم والمعنى ولو انهم رضوا ما
اصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم وان قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه
وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا غنيمة اخرى فيؤتينا رسول الله اكثر مما آتانا اليوم **انا الى الله**
لراغبون في ان يغنمنا ويخولنا فضله **انما الصدقات** للفقراء قصر لجنس الصدقات على الاصناف
المعدودة وانها مختصة بها لا تتجاوزها الى غيرها كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم ونحوه قولك
انما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل ان تصرف الى الاصناف كلها وان تصرف
الى بعضها وعليه مذهب ابي حنيفة وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين انهم قالوا
في اي صنف منها وضعتها اجزاك وعن سعيد بن جبير لو نظرت الى اهل بيت من المسلمين فقراء متعففين
فجبرتهم بها كان احب الي وعند الشافعي لا بد من صرفها الى الاصناف وعن عكرمة انها تفرق في
الاصناف الثمانية وعن الزهري انه كتب لعمر بن عبد العزيز تفريق الصدقات على الاصناف الثمانية
والعاملين عليها السعاة الذين يقبضونها والمؤلفة قلوبهم اشراف من العرب كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يستألفهم على ان يسلموا فيرضخ لهم شيئا منها حين كان في المسلمين قلة **وفي الرقاب**
المكاتبون يعانون منها وقيل الاسارى وقيل تبتاع الرقاب فتعتق **والغارمين** الذين ركبتهم
الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب وقيل الذين تحملوا الحمالات فتداينوا فيها وغرموا **وفي سبيل**
الله فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فهو فقير حيث هو
غني حيث ماله **فريضة** في معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء معناه فرض الله
الصدقات لهم وقرئ فريضة بالرفع على تلك فريضة فان قلت لم عدل عن اللام الى في في الاربعة
الاخيرة قلت للايذان بانهم ارسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لان في للوعاء
فنبه على انهم احقاء بان توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها ومصبا وذلك لما في فك
الرقاب من الكتابة او الرق او الاسر وفي فك الغارمين من الغرم من التخليص والانقاذ
ولجمع الغازي الفقير او المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر
والغربة عن الاهل والمال وتكرير في في قوله وفي سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين
على الرقاب والغارمين فان قلت فكيف وقعت هذه الاية في تضاعيف ذكر المنافقين ومكايدهم

قلت دل بكون هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على انهم ليسوا
منهم حسما لاطماعهم واشعارا باستيجابهم الحرمان وانهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم وما لها
وما سلطهم على التكلم فيها ولمز قاسمها **الاذن** الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل
قول كل احد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كان جملته اذن سامعة ونظيره قولهم للربيئة
عين وايذاؤهم له هو قولهم فيه هو اذن قل اذن خير كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح
كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز ان يريد هو اذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه
وقبوله وليس باذن في غير ذلك ويدل عليه قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا عليه اي هو اذن
خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله ثم فسر كونه اذن خير بانه يصدق بالله لما قام عنده
من الادلة ويقبل من المؤمنين الخلص من المهاجرين والانصار وهو رحمة لمن آمن منكم اي
اظهر الايمان ايها المنافقون حيث يسمع منكم ويقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف اسراركم
ولا يفضحكم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين مراعاة لما راى الله من المصلحة في الابقاء
عليكم فهو اذن كما قلتم الا انه اذن خير لكم لا اذن سوء فسلم لهم قولهم فيه الا انه فسر
بما هو مدح له وثناء عليه وان كانوا قصدوا به المذمة والتقصير بفطنته وشهامته
وانه من اهل سلامة القلوب والغرة وقيل ان جماعة منهم ذموه وبلغه ذلك فاشتغلت
قلوبهم فقال بعضهم لا عليكم فانما هو اذن سامعة قد سمع كلام المبلغ فاذا جئناه
نعتذر اليه فيسمع عذرنا فنرضيه فقيل هو اذن خير لكم وقرئ اذن خير لكم
على ان خير خبر بعد خبر اي هو اذن وهو خير لكم يعني ان كان كما
تقولون فهو خير لكم لانه يقبل معاذيركم ولا يكافئكم على سوء دخلتكم وقرا نافع بتخفيف
الذال **فان قلت** لم عدى فعل الايمان بالباء الى الله والى المؤمنين باللام قلت
لانه قصد التصديق بالله الذي هو نقيض الكفر به فعدى بالباء وقصد السماع من
المؤمنين وان يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده فعدى باللام الا ترى
الى قوله وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ما انباه عن الباء ونحوه فما آمن لموسى الا ذرية من
قومه انؤمن لك واتبعك الارذلون آمنتم له قبل ان آذن لكم **فان قلت** ما وجه قراءة ابن ابي
عبلة ورحمة بالنصب قلت هي علة معللها محذوف تقديره ورحمة لكم ياذن لكم فحذف
لان قوله اذن خير لكم يدل عليه **لكم** ليرضوكم الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن
او يتخلفون عن الجهاد ثم ياتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم
ويرضوا عنهم فقيل لهم ان كنتم مؤمنين كما تزعمون فاحق من ارضيتم الله ورسوله بالطاعة
والوفاق وانما وحد الضمير لانه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله فكانا في حكم مرضي
واحد كقولك احسان زيد واجماله نعشني وجبر مني او والله احق ان يرضوه ورسوله كذلك
المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق **فان له** على حذف الخبر اي فحق ان له نار

جهنم وقيل معناه فله وأن تكرير لأن في قوله أنه توكيدا ويجوز أن يكون فأن له معطوفا على أنه
على أن جوابه محذوف تقديره ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله يهلك فأن له نار جهنم
وقرئ ألم تعلموا بالتاء كانوا يستهزئون بالإسلام وأهله وكانوا يحذرون أن يفضحهم الله
بالوحي فيهم حتى قال بعضهم والله لا أرانا إلا شر خلق الله لوددت أني قدمت فجلدت مائة
جلدة وأن لا ينزل فينا شيء يفضحنا والضمير في عليهم وتنبئهم للمؤمنين وفي قلوبهم للمنافقين
وصح ذلك لأن المعنى يقود إليه ويجوز أن تكون الضمائر للمنافقين لأن السورة إذا نزلت في
معناهم فهي نازلة عليهم ومعنى تنبئهم بما في قلوبهم كأنها تقول لهم في قلوبكم كيت وكيت
يعني أنها تذيع أسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة فكأنها تخبرهم بها وقيل
معنى يحذر الأمر بالحذر أي ليحذر المنافقون فإن قلت الحذر واقع على إنزال السورة
في قوله يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة فما معنى قوله مخرج ما تحذرون قلت
معناه محصل مبرز إنزال السورة أو إن الله مظهر ما تحذرونه أي تحذرون إظهاره
من نفاقكم بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين
يسيرون بين يديه فقالوا انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتتح قصور الشام وحصونه
هيهات هيهات فأطلع الله نبيه على ذلك فقال احبسوا علي الركب فأتاهم فقال
قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من أمرك ولا من أمر أصحابك ولكن
كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر أبالله وآياته ورسوله
كنتم تستهزئون لم يعبأ باعتذارهم لأنهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كأنهم معترفون
باستهزائهم وبأنه موجود منهم حتى وبخوا بإخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ
به يلي حرف التقرير وذلك إنما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته لا تعتذروا لا تشتغلوا
باعتذاراتكم الكاذبة فإنها لا تنفعكم بعد ظهور سركم قد كفرتم قد أظهرتم كفركم
باستهزائكم بعد إيمانكم بعد إظهاركم الإيمان إن نعف عن طائفة منكم بإحداثهم
التوبة وإخلاصهم الإيمان بعد النفاق نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق
غير تائبين منه أو إن نعف عن طائفة منكم لم يؤذوا رسول الله ولم يستهزئوا فلم نعذبهم في
العاجل نعذب في العاجل طائفة منهم بأنهم كانوا مجرمين مؤذين لرسول الله صلى الله عليه وسلم
مستهزئين وقرأ مجاهد إن تعف عن طائفة على البناء للمفعول مع التأنيث والوجه
التذكير لأن المسند إليه الظرف كما تقول سير بالدابة ولا تقول سيرت بالدابة ولكنه
ذهب إلى المعنى كأنه قيل إن ترحم طائفة فأنث لذلك وهو غريب والجيد قراءة العامة إن يعف
عن طائفة بالتذكير وتعذب طائفة بالتأنيث وقرئ إن يعف عن طائفة يعذب طائفة
على البناء للفاعل وهو الله عز وجل بعضهم من بعض أريد به نفي أن يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم
في قوله ويحلفون بالله إنهم لمنكم وتقرير قوله وما هم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة

حالهم لحال المؤمنين يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف عن الإيمان
والطاعات ويقبضون أيديهم شحا بالمبار والصدقات والإنفاق في سبيل الله نسوا الله
أغفلوا ذكره فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله هم الفاسقون هم الكاملون في الفسوق
الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا أن يلم بما يكسبه هذا
الاسم الفاحش الذي وصف الله به المنافقين حين بالغ في ذمهم وإذا كره رسول الله صلى الله عليه وسلم
للمسلم أن يقول كسلت لأن المنافقين وصفوا بالكسل في قوله كسالى فما ظنك بالفسق خالدين
فيها مقدرين الخلود هي حسبهم دلالة على عظم عذابها وأنه لا شيء أبلغ منه وأنه بحيث لا يزاد عليه
نعوذ بالله من سخطه وعذابه ولعنهم الله وأهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين
بالشياطين الملاعين كما عظم أهل الجنة وألحقهم بالملائكة المكرمين ولهم عذاب مقيم ولهم نوع
من العذاب سوى الصلي بالنار مقيم دائم كعذاب النار ويجوز أن يريد ولهم عذاب مقيم معهم في العاجل
لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفا من المسلمين
وما يحذرونه أبدا من الفضيحة ونزول العذاب إن اطلع على أسرارهم الكاف محلها رفع على
أنتم مثل الذين من قبلكم أو نصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو أنكم استمتعتم وخضتم
كما استمتعوا وخاضوا ونحوه قول النمر كاليوم مطلوبا ولا طلبا بإضمار
لم أر وقوله كانوا أشد منكم تفسير لتشبيههم بهم وتمثيل فعلهم بفعلهم والخلاق النصيب
وهو ما خلق للإنسان أي قدر من خير كما قيل له قسم لأنه قسم ونصيب لأنه نصب أي أثبت
والخوض الدخول في الباطل واللهو كالذي خاضوا كالفوج الذي خاضوا أو كالخوض
الذي خاضوه فإن قلت أي فائدة في قوله فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين
من قبلكم بخلاقهم مغن عنه كما أغنى قوله كالذي خاضوا عن أن يقال وخاضوا فخضتم كالذي
خاضوا قلت فائدته أن يذم الأولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم
بها والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الآخرة وأن يخسس
أمر الاستمتاع ويهجن أمر الراضي به ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم كما تريد أن تنبه
بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول أنت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب ويعسف
وأنت تفعل مثل فعله وأما وخضتم كالذي خاضوا فمعطوف على ما قبله مستند إليه
مستغن باستناده إليه عن تلك التقدمة حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة نقيض قوله
وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين وأصحاب مدين وأهل مدين وهم قوم شعيب
والمؤتفكات مدائن قوم لوط وقيل قريات قوم لوط وهود وصالح وائتفاكهن انقلاب
أحوالهن عن الخير إلى الشر فما كان الله ليظلمهم فما صح منه أن يظلمهم وهو حكيم
لا يجوز عليه القبح وأن يعاقبهم بغير جرم ولكن ظلموا أنفسهم حيث كفروا به فاستحقوا عقابه

اولياء بعض في مقابلة قوله في المنافقين بعضهم من بعض سيرحمهم الله السين مفيدة
وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك سانتقم منك يوما
يعني انك لا تفوتني وان تباطأ ذلك ونحوه سيجعل لهم الرحمن ودا ولسوف يعطيك ربك
سوف نؤتيهم اجورهم **عزيز** غالب على كل شيء قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب
حكيم واضع كلا موضعه على حسب الاستحقاق ومساكن طيبة عن الحسن قصورا من اللؤلؤ
والياقوت الاحمر والزبرجد وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن ويدل
عليه ما روى ابو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر
على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك
وقيل هي مدينة في الجنة وقيل نهر جناته على حافاته **ورضوان من الله** اكبر وشيء من رضوان
الله اكبر من ذلك كله لان رضاه هو سبب كل فوز وسعادة ولانهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه
وكرامته والكرامة اكبر اصناف الثواب ولان العبد اذا علم ان مولاه راض عنه فهو اكبر في
نفسه مما وراءه من النعم وانما تتهنأ له برضاه كما اذا علم بسخطته تنغصت عليه ولم يجد لها لذة وان
عظمت وسمعت بعض اولي الهمة البعيدة والنفس المرة من مشايخنا يقول لا تطمح عيني ولا تنازع
نفسي الى شيء مما وعد الله في دار الكرامة كما تطمح وتنازع الى رضاه عني وان احشر في زمرة
المهديين المرضيين عنده **ذلك** اشارة الى ما وعد او الى الرضوان اي هو الفوز العظيم وحده دون
ما يعده الناس فوزا وروي ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى
وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل
من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا **جاهد** الكفار بالسيف والمنافقين
بالحجة واغلظ عليهم في الجهادين جميعا ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد في العقيدة
فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما امكن منها عن ابن مسعود
ان لم يستطع بيده فبلسانه فان لم يستطع فليكفهر في وجهه فان لم يستطع فبقلبه
وعن الحسن جهاد المنافقين اقامة الحدود عليهم اذا
تعاطوا اسبابها اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه
القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معه منهم **فقال** الجلاس بن سويد
لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم ساداتنا واشرافنا فنحن شر من الحمير
فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل والله ان محمدا لصادق وانت شر من الحمار
وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم انزل على
عبدك ونبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فنزل يحلفون بالله ما قالوا فقال الجلاس
يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت
توبته **وكفروا** بعد اسلامهم واظهروا كفرهم بعد اظهارهم الاسلام **وهموا** بما لم ينالوا وهو الفتك

برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك عند مرجعه من تبوك توافق خمسة عشر منهم على ان يدفعوه
عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها
وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة
السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا **وقيل** هم المنافقون
بقتل عامر لرده على الجلاس **وقيل** ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله
صلى الله عليه وسلم **وما نقموا** وما انكروا وما عابوا الا ان اغناهم الله وذلك انهم كانوا حين
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون
الغنيمة فاثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر
الفا فاستغنى **فان يتوبوا** هي الآية التي تاب عندها الجلاس في الدنيا والآخرة بالقتل والنار
روي ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن
رزقني الله مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى
ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين
لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة واقرآه
كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا
اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رايي فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل
ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان
اقبل صدقتك فجعل التراب على راسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى ابي بكر فلم يقبلها وجاء بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها
وهلك في زمن عثمان وقرئ لنصدقن ولنكونن بالنون الخفيفة فيهما **من الصالحين** قال ابن عباس
يريد الحج **فاعقبهم** عن الحسن وقتادة ان الضمير للبخل يعني فاورثهم البخل نفاقا متمكنا
في قلوبهم لانه كان سببا فيه وداعيا اليه والظاهر ان الضمير لله عز وجل والمعنى فخذلهم
حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى ان يموتوا بسبب اخلافهم ما وعدوا الله
من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف الوعد ثلث النفاق وقرئ يكذبون
بالتشديد الم تعلموا بالتاء عن علي رضي الله عنه سرهم ونجواهم ما اسروه من النفاق والعزم
على الطعن في الدين وعلى ان لا يتصدقوا وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية
وتدبير منعها **الذين** يلمزون محله النصب او الرفع على الذم ويجوز ان يكون في محل الجر بدلا من
الضمير في سرهم ونجواهم وقرئ يلمزون بالضم **المطوعين** المتطوعين المتبرعين روي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعين اوقية

لعيالي وقال كان لي ثمانية آلاف فأقرضت ربي أربعة وأمسكت
من ذهب وقيل بأربعة آلاف درهم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك
أربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانين ألفا وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر
له حتى صولحت تماضر امرأته عن ربع الثمن على بت ليلتي أجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا
وجاء أبو عقيل الأنصاري بصاع من تمر فقال فأمره أن ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون
لعيالي وجئت بصاع فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كان الله ورسوله لغنيين عن صاع أبي عقيل
وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء **إلا جهدهم** إلا طاقتهم وقرئ بالفتح والضم
ولكنه أحب أن يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات **سخر الله منهم** كقوله الله يستهزئ بهم في أنه خبر غير دعاء ألا ترى إلى قوله ولهم عذاب أليم
وكان عبد الله بن عبد الله بن أبي رجلا صالحا فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستغفر
لأبيه في مرضه ففعل فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم إن الله قد رخص لي فسأزيد على السبعين
فنزلت سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم وقد ذكرنا أن هذا الأمر في معنى الخبر كأنه
قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم وأن فيه معنى الشرط وذكرنا النكتة في المجيء
على لفظ الأمر والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه
لأصبحن العاص وابن العاص ✣ سبعين ألفا عاقدي النواصي ✣ فإن قلت كيف خفي
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أفصح العرب وأخبرهم بأساليب الكلام وتمثيلاته والذي
يفهم من ذكر هذا العدد كثرة الاستغفار كيف وقد تلاه بقوله ذلك بأنهم كفروا الآية
فبين الصارف عن المغفرة لهم حتى قال قد رخص لي ربي فسأزيد على السبعين قلت لم يخف عليه
ذلك ولكنه خيل بما قال إظهارا لغاية رحمته ورأفته على من بعث إليه كقول إبراهيم
ومن عصاني فإنك غفور رحيم وفي إظهار النبي الرحمة والرأفة لطف لأمته ودعاء لهم إلى ترحم
بعضهم على بعض **المخلفون** الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين فأذن لهم
وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك أو الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان **بمقعدهم** بقعودهم
عن الغزو **خلاف** رسول الله خلفه يقال أقام خلاف الحي بمعنى بعدهم ظعنوا ولم يظعن
معهم وتشهد له قراءة أبي حيوة خلف رسول الله وقيل هو بمعنى المخالفة لأنهم خالفوه
حيث قعدوا ونهض وانتصابه على أنه مفعول له أو حال أي قعدوا لمخالفته أو مخالفين له
أن يجاهدوا تعريض بالمؤمنين وبتحملهم المشاق العظام لوجه الله وبما
فعلوا من بذل أموالهم وأرواحهم في سبيل الله وإيثارهم ذلك على الدعة والخفض وكره ذلك
المنافقون وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الإيمان وداعي الإيقان **وقالوا**
نار جهنم أشد حرا استجهال لهم لأن من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون في مشقة
الأبد كان أجهل من كل جاهل ولبعضهم ✣ مسرة أحقاب تلقيت بعدها مساءة يوم أريها شبه الصاب
فكيف بأن تلقى مسرة ساعة ✣ وراء تقضيها مساءة أحقاب ✣ **فليضحكوا قليلا** معناه فيكون

ويبكون كثيرا جزاء إلا أنه أخرج على لفظ الأمر للدلالة على أنه حتم واجب لا يكون غيره يروى
أن أهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم وإنما قال إلى طائفة
منهم لأن منهم من تاب عن النفاق وندم على التخلف واعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون
كلهم منافقين فأراد بالطائفة المنافقين منهم **فاستأذنوك للخروج** يعني إلى غزوة بعد غزوة
تبوك وأول مرة هي الخرجة إلى غزوة تبوك وكان إسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على
تخلفهم الذي علم الله أنه لم يدعهم إليه إلا النفاق بخلاف غيرهم من المتخلفين **مع الخالفين** قد مر
تفسيره وقرأ مالك بن دينار رحمه الله مع الخلفين على قصر الخالفين فإن قلت مرة نكرة
وضعت موضع المرات للتفضيل فلم ذكر اسم التفضيل المضاف إليها وهو دال على واحدة
من المرات قلت أكثر اللغتين هند أكبر النساء وهي أكبرهن ثم إن قولك هي كبرى
امرأة لا تكاد تعثر عليه ولكن هي أكبر امرأة وأول مرة وآخر مرة وعن قتادة ذكر لنا أنهم
كانوا اثني عشر رجلا قيل فيهم ما قيل روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقف على قبور
المنافقين ويدعو لهم فلما مرض رأس النفاق عبد الله بن أبي بعث إليه ليأتيه فلما دخل
عليه قال أهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت إليك لتستغفر لي لا لتؤنبني
وسأله أن يكفنه في شعاره الذي يلي جلده ويصلي عليه فلما مات دعاه ابنه حباب إلى
جنازته فسأله عن اسمه فقال أنت عبد الله بن عبد الله الحباب اسم شيطان فلما هم بالصلاة
عليه قال عمر أتصلي على عدو الله فنزلت وقيل أراد أن يصلي عليه فجذبه جبريل عليه السلام
فإن قلت كيف جازت له تكرمة المنافق وتكفينه في قميصه قلت كان ذلك
مكافأة له على صنيع سبق له وذلك أن العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخذ أسيرا
ببدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طوالا فكساه عبد الله قميصه وقال له المشركون
يوم الحديبية إنا لا نأذن لمحمد ولكنا نأذن لك فقال لا إن لي في رسول الله أسوة حسنة فشكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم له ذلك وإجابته له إلى مسألته إياه فقد كان صلى الله عليه وسلم لا يرد
سائلا وكان يتوفر على دواعي المروءة ويعمل بعادات الكرام وإكرامه لابنه الرجل الصالح
فقد روي أنه قال له أسألك أن تكفنه في بعض قمصانك وأن تقوم على قبره لا يشمت به الأعداء
وعلما بأن تكفينه في قميصه لا ينفعه مع كفره فلا فرق بينه وبين غيره من الأكفان وليكون
إلباسه إياه لطفا لغيره فقد روي أنه قيل له لم وجهت إليه بقميصك وهو كافر فقال إن
قميصي لن يغني عنه من الله شيئا وإني أؤمل من الله أن يدخل في الإسلام كثير بهذا السبب
فيروى أنه أسلم من الخزرج ألف لما رأوه طلب الاستشفاء بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك ترحمه
واستغفاره كان للدعاء إلى التراحم والتعاطف لأنهم إذا رأوه يترحم على من يظهر الإيمان وباطنه
على خلاف ذلك دعا المسلم إلى أن يتعطف على من واطأ قلبه لسانه ورآه حتما عليه فإن قلت
كيف جازت الصلاة عليه قلت لم يتقدم نهي عن الصلاة عليهم وكانوا يجرون مجرى

المسلمين لظاهر ايمانهم لما في ذلك من المصلحة وعن ابن عباس ما ادري ماهذه الصلوة الا اني اعلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخادع مات صفة لاحد وانما قيل مات وماتوا بلفظ الماضي
والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لانه كاين موجود لا محالة انهم كفروا تعليل للنهي
وقد اعيد قوله ولا تعجبك لان تجدد النزول له شان في تقرير ما نزل له وتاكيد وارادة ان
يكون على بال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه وان يعتقد ان العمل به مهم يفتقر الى فضل عناية
به لاسيما اذا تراخى ما بين النزولين فاشبه الشيء الذي اهم صاحبه فهو يرجع اليه في اثناء حديثه
ويتخلص اليه وانما اعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب ان يحذر منه لجواز ان يراد السورة بتمامها وان يراد
بعضها في قوله واذا انزلت سورة كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه وقيل هي براءة لان
فيها الامر بالايمان والجهاد ان آمنوا هي المفسرة اولوا الطول ذووا الفضل والسعة من طال عليه طولا
مع القاعدين مع الذين لهم علة وعذر في التخلف فهم لا يفقهون ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما
في التخلف من الشقاء والهلاك لكن الرسول اي ان تخلف هؤلاء فقد نهد الى الغزو من هو خير منهم
واخلص نية ومعتقدا كقوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما فان استكبروا فالذين
عند ربك الخيرات تتناول منافع الدارين لاطلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن خيرات المعذرون
من عذر في الامر اذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له او المعتذرون
من اعتذر بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز في العربية كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها
للاتباع لكن لم تثبت بهما قراءة وهم الذين يعتذرون بالباطل كقوله يعتذرون اليكم اذا رجعتم
اليهم وقرئ المعذرون بالتخفيف وهو الذي يجتهد في العذر ويحتشد فيه قيل هم اسد
وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا جهدا فاذن لنا في التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل
قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طي على اهالينا ومواشينا فقال صلى الله عليه وسلم سيغنيني
الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله وعن قتادة اعتذروا بالكذب
وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهذا غير صحيح لان التاء لا تدغم
في العين ادغامها في الطاء والزاي والصاد في المطوعين واذكى واصدق وقيل اريد المعتذرون
بالصحة وبه فسر المعذرون والمعذرون على قراءة ابن عباس الذين لم يفرطوا في العذر وقعد الذين كذبوا
الله ورسوله هم منافقو الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم
الايمان وقرئ كذبوا بالتشديد سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب عذاب اليم في الدنيا
بالقتل وفي الآخرة بالنار الضعفاء الهرمى والزمنى والذين لا يجدون الفقراء قيل هم مزينة وجهينة
وبنو عذرة والنصح لله ورسوله الايمان بهما وطاعتهما في السر والعلن وتوليهما والحب والبغض
فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه على المحسنين على المعذورين الناصحين ومعنى لا سبيل عليهم
لا جناح عليهم ولا طريق للعاتب عليهم قلت حال اي اذا ما اتوك قائلا لا اجد تولوا وقد قبله مضمرة كما قيل في قوله
او جاؤكم حصرت صدورهم اي اذا ما اتوك قائلا لا اجد تولوا

الذين ليس لهم في ابدانهم استطاعة والذين عدموا آلة الخروج والذين سالوا المعونة فلم يجدوها
وقيل المستحملون ابو موسى الاشعري واصحابه وقيل البكاؤون وهم ستة نفر من الانصار
تفيض من الدمع كقولك تفيض دمعا وهو ابلغ من يفيض دمعها لان العين جعلت كان
كلها دمع فايض ومن للبيان كقولك افديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على
التمييز الا يجدوا او محله نصب على انه مفعول له وناصبه المفعول له الذي هو حزنا
فان قلت رضوا ما موقعه قلت هو استيناف كانه قيل ما بالهم استاذنوا وهم
اغنياء فقيل رضوا بالدناءة والضعة والانتظام في جملة الخوالف وطبع الله على قلوبهم
يعني ان السبب في استيذانهم رضاهم بالدناءة وخذلان الله اياهم فان قلت فهل يجوز
ان يكون قوله قلت لا اجد استينافا مثله كانه قيل اذا ما اتوك لتحملهم تولوا فقيل
ما لهم تولوا باكين فقيل قلت لا اجد ما احملكم عليه الا انه وسط بين الشرط والجزاء
كالاعتراض قلت نعم ويحسن لن نؤمن لكم علة للنهي عن الاعتذار لان غرض المعتذر
ان يصدق فيما يعتذر به فاذا علم انه مكذب وجب عليه الاخلال به وقوله قد نبانا
الله من اخباركم علة لانتفاء تصديقهم لان الله عز وجل اذا اوحى الى رسوله الاعلام باخبارهم
واحوالهم وما في ضمايرهم من الشر والفساد لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم وسيرى
الله عملكم اتتوبون ام تثبتون على كفركم ثم تردون اليه وهو عالم كل غيب وشهادة وسر
وعلانية فيجازيكم على حسب ذلك لتعرضوا عنهم فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم
فاعطوهم طلبتهم انهم رجس تعليل لترك معاتبتهم يعني ان المعاتبة لا تنفع فيهم ولا
تصلحهم انما يعاتب الاديم ذو البشرة والمؤمن يوبخ على زلة تفرط منه ليطهره التوبيخ
بالحمل على التوبة والاستغفار واما هؤلاء فارجاس لا سبيل الى تطهيرهم وماواهم جهنم
يعني وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم لترضوا عنهم اي غرضهم في
الحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك في دنياهم فان ترضوا عنهم فان رضاكم
وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها
وانما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم ان رضى المؤمنين يقتضي رضى الله عنهم قيل انهم جد
بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا منافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة
لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن ابي يحلف ان لا يتخلف عنه ابدا الاعراب اهل البدو اشد
كفرا ونفاقا من اهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وتوحشهم ونشوئهم في بعد من مشاهدة العلماء ومعرفة
الكتاب والسنة واجدر ان لا يعلموا واحق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله من الشرائع والاحكام ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم ان الجفاء والقسوة في الفدادين والله عليم يعلم حال كل احد من اهل الوبر
والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من عقابه وثوابه مغرما غرامة وخسرانا والغرامة
ما ينفقه الرجل وليس يلزمه لانه لا ينفق الا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله وابتغاء
المثوبة عنده ويتربص بكم الدواير دواير الزمان وحدثانه وعقبه لينقلب عليه فيتخلص

أعطاء الصدقة عليهم دائرة السوء دعاء معترض دعي عليهم بنحو ما دعوا به كقوله عز وجل
وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم وقرئ السوء بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة والسوء
بالفتح وهو ذم للدائرة كقولك رجل سوء في نقيض قولك رجل صدق لأن من دارت عليه ذام
لها والله سميع لما يقولون إذا توجهت عليهم الصدقة عليم بما يضمرون ومن الأعراب أسد
وغطفان وبني تميم قربات مفعول ثان ليتخذ والمعنى أن ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله وصلوات
الرسول لأن الرسول كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على
آل أبي أوفى وقال تعالى وصل عليهم فلما كان ما ينفق سببا لذلك قيل يتخذ ما ينفق قربات وصلوات
ألا إنها شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق
لرجائه على طريق الاستئناف مع حرفي التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الأمر وتمكنه وكذلك
سيدخلهم وما في السين من تحقيق الوعد وما أدل هذا الكلام على رضى الله عن المتصدقين وأن
الصدقة منه بمكان إذا خلصت النية من صاحبها وقرئ قربة بضم الراء وقيل هم عبد الله ذو
البجادين ورهطه السابقون الأولون من المهاجرين هم الذين صلوا إلى القبلتين وقيل الذين شهدوا
بدرا وعن الشعبي من بايع بالحديبية وهي بيعة الرضوان ما بين الهجرتين ومن الأنصار أهل بيعة العقبة
الأولى وكانوا سبعة نفر وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة
مصعب بن عمير فعلمهم القرآن وقرأ عمر رضي الله عنه والأنصار بالرفع عطفا على السابقون وعن
عمر أنه كان يرى أن قوله والذين اتبعوهم بإحسان بغير واو صفة للأنصار حتى قال له زيد إنه بالواو
فقال ائتوني بأبي فقال تصديق ذلك في أول الجمعة وآخرين منهم وأوسط الحشر والذين جاءوا من بعدهم
وآخر الأنفال والذين آمنوا من بعد وروي أنه سمع رجلا يقرؤه بالواو فقال من أقرأك فقال أبي فدعاه
فقال أقرأنيه رسول الله وإنك لتبيع القرظ بالبقيع قال صدقت وإن شئت قلت شهدنا وغبتم
ونصرنا وخذلتم وآوينا وطردتم ومن ثم قال عمر لقد كنت أرانا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا
وارتفع السابقون بالابتداء وخبره رضي الله عنهم ومعناه رضي عنهم لأعمالهم ورضوا عنه لما أفاض
عليهم من نعمته الدينية والدنيوية وفي مصاحف أهل مكة تجري من تحتها وهي قراءة ابن كثير وفي سائر
المصاحف تحتها بغير من وممن حولكم يعني حول بلدتكم وهي المدينة منافقون وهم جهينة وأسلم
وأشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن أهل المدينة عطف على خبر المبتدأ الذي هو ممن حولكم ويجوز
أن يكون جملة معطوفة على المبتدأ والخبر إذا قدرت ومن أهل المدينة قوم مردوا على النفاق على
أن مردوا صفة موصوف محذوف كقوله أنا ابن جلا وعلى الوجه الأول لا يخلو من أن يكون
مبتدأ أو صفة لمنافقون فصل بينها وبينه بمعطوف على خبره مردوا على النفاق تمهروا فيه من
مرن فلان على عمله ومرد عليه إذا درب به وضري حتى لان عليه ومهر فيه ودل على مرانتهم عليه
ومهارتهم فيه بقوله لا تعلمهم أي يخفون عليك مع فطنتك وشهامتك وصدق فراستك لفرط
تنوقهم في تحامي ما يشككك في أمرهم ثم قال نحن نعلمهم أي لا يعلمهم إلا الله ولا يطلع على سرهم
غيره لأنهم يبطنون الكفر في سويداوات قلوبهم إبطانا ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين

من المؤمنين لا تشك معه في إيمانهم وذلك أنهم مردوا على النفاق وضروا به فلهم فيه اليد
الطولى سنعذبهم مرتين هما القتل وعذاب القبر وقيل الفضيحة وعذاب القبر
وعن ابن عباس أنهم اختلفوا في هاتين المرتين فقال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا يوم
الجمعة فقال اخرج يا فلان فإنك منافق اخرج يا فلان فإنك منافق فأخرج ناسا وفضحهم فهذا العذاب
الأول والثاني عذاب القبر وعن الحسن أخذ الزكاة من أموالهم ونهك أبدانهم ثم يردون إلى عذاب عظيم إلى
عذاب النار وآخرون اعترفوا بذنوبهم أي لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن
اعترفوا على أنفسهم بأنهم بئسما فعلوا متندمين وكانوا ثلاثة أبو لبابة مروان بن عبد
المنذر وأوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم أوثقوا أنفسهم
بلغهم ما نزل في المتخلفين فأيقنوا بالهلاك فأوثقوا أنفسهم على سواري المسجد فقدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسأل عنهم
فذكر له أنهم أقسموا أن لا يحلوا أنفسهم حتى يكون رسول الله هو الذي يحلهم فقال وأنا أقسم أن لا
أحلهم حتى أومر فيهم فنزلت فأطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا عنك
نتصدق بها وطهرنا فقال ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا فنزلت خذ من أموالهم خلطوا عملا صالحا
خروجا إلى الجهاد وآخر سيئا تخلفا عنه عن الحسن وعن الكلبي التوبة والإثم فإن قلت
قد جعل كل واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به قلت كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به لأن
المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه
وفيه ما ليس في قولك خلطت الماء باللبن لأنك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به وإذا قلته
بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كأنك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز أن يكون
من قولهم بعت الشاء شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم فإن قلت كيف قيل عسى الله أن يتوب عليهم وما ذكرت توبتهم
قلت إذا ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة فقد ذكرت توبتهم تطهرهم صفة لصدقة
وقرئ تطهرهم من أطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للأمر ولم يقرأ وتزكيهم إلا بإثبات
الياء والتاء في تطهرهم للخطاب أو لغيبة المؤنث وفي التزكية مبالغة في التطهير وزيادة فيه أو
بمعنى الإنماء والبركة في المال وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة أن يدعو
المصدق لصاحب الصدقة إذا أخذها وعن الشافعي رحمه الله أحب أن يقول الوالي عند أخذ
الصدقة آجرك الله فيما أعطيت وجعله طهورا وبارك لك فيما أبقيت وقرئ إن صلواتك على
التوحيد سكن لهم يسكنون إليه وتطمئن قلوبهم بأن الله قد تاب عليهم والله سميع يسمع اعترافهم
بذنوبهم ودعاءهم عليم بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم ألم يعلموا بالياء والتاء وفيه وجهان
أحدهما أن يراد المتوب عليهم يعني ألم يعلموا قبل أن يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم أن الله هو يقبل
التوبة إذا صحت ويقبل الصدقات إذا صدرت عن خلوص النية وهو للتخصيص والتأكيد
وأن الله من شأنه قبول توبة التائبين وقيل معنى التخصيص في هو أن ذلك ليس إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم إنما الله هو الذي يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها إليه وقيل لهم لا

التائبين اعملوا فان عملكم لا يخفى خيرا كان او شرا على الله وعباده كما رأيتم وتبين لكم والثاني ان يراد
غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة فقد روي انهم لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا
بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فان قلت ما معنى قوله ويأخذ الصدقات قلت
هو مجاز عن قبوله لها وعن ابن مسعود ان الصدقة تقع في يد الله قبل ان تقع في يد السائل والمعنى انه يتقبلها
ويضاعف عليها وقوله فسيرى الله وعيد لهم وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة
وقرئ مرجون ومرجؤون من ارجيته وارجأته اذا اخرته ومنه المرجئة وآخرون من المتخلفين
موقوف امرهم اما يعذبهم ان بقوا على الاصرار ولم يتوبوا واما يتوب عليهم ان تابوا وهم ثلثة كعب
بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا
يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم على السواري واظهار الجزع والغم
فلما علموا ان احدا لا ينظر اليهم فوضوا امرهم الى الله واخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله والله
عليم حكيم وفي قراءة عبد الله والله غفور رحيم واما للعباد اي خافوا عليهم العذاب وارجوا لهم الرحمة
وفي مصاحف اهل المدينة والشام الذين اتخذوا بغير واو لانها قصة على حيالها وفي سائرها بالواو على
عطف قصة مسجد الضرار الذي احدثه المنافقون على سائر قصصهم روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد
قباء بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم
اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله يصلي فيه ويصلي فيه ابو عامر الراهب
اذا قدم من الشام ليثبت لهم الفضل والزيادة على اخوتهم وهو الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق
وقال لرسول الله يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما
انهزمت هوازن خرج هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح
فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قباء وقالوا
للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلي
لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله صلينا
فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي
وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه
ففعلوا وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة ومات ابو عامر بالشام بقنسرين
ضرارا مضارة لاخوانهم اصحاب مسجد قباء ومعازة وكفرا وتقوية للنفاق وتفريقا بين المؤمنين
لانهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قباء فيغتص بهم فارادوا ان يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم
وارصادا واعدادا لاجل من حارب الله ورسوله وهو الراهب اعدوه له ليصلي فيه ويظهر على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كل مسجد بني مباهاة او رياء وسمعة او لغرض سوى ابتغاء وجه
الله او بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار وعن شقيق انه لم يدرك الصلوة في مسجد بني عامر
فقيل له مسجد بني فلان لم يصلوا فيه بعد فقال لا احب ان اصلي فيه فانه بني على ضرار وكل
مسجد بني على ضرار او رياء او سمعة فان اصله ينتهي الى المسجد الذي بني ضرارا وعن عطاء لما فتح الله الامصار

على عمر رضي الله عنه امر المسلمين ان يبنوا المساجد وان لا يتخذوا في مدينة مسجدين يضار احدهما
صاحبه فان قلت والذين اتخذوا ما محله من الاعراب قلت محله النصب على الاختصاص
كقوله والمقيمين الصلوة وقيل هو مبتدأ خبره محذوف معناه وفيمن وصفنا الذين اتخذوا
كقوله والسارق والسارقة فان قلت بم يتصل قوله من قبل قلت باتخذوا اي اتخذوا
مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف ان اردنا ما اردنا ببناء هذا المسجد الا الخصلة الحسنى
او الا الارادة الحسنى وهي الصلوة وذكر الله والتوسعة على المصلين لمسجد اسس على
التقوى قيل هو مسجد قبا اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقباء وهي يوم
الاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة وهو اولى لان الموازنة بين مسجدي قبا
اوقع وقيل هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعن ابي سعيد الخدري سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذي اسس على التقوى فاخذ حصباء فضرب بها الارض وقال
هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده فيه رجال يحبون ان يتطهروا قيل
لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا فاذا
الانصار جلوس فقال أمؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا
معهم فقال عليه السلام اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال
اتشكرون في الرخاء قالوا نعم فقال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر
الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط
فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي صلى الله عليه وسلم
رجال يحبون ان يتطهروا وقرئ ان يطهروا بالادغام وقيل هو عام في التطهر من النجاسات كلها
وقيل كانوا لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء اثر البول وعن الحسن هو التطهر من
الذنوب بالتوبة وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم فان قلت
ما معنى المحبتين قلت محبتهم للتطهر انهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشيء المشتهى
له على ايثاره ومحبة الله اياهم انه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه وقرئ اسس
بنيانه واسس بنيانه على البناء للفاعل والمفعول واسس بنيانه جمع اساس على الاضافة واساس
بنيانه بالفتح والكسر جمع اس واسس بنيانه على افعال جمع اس ايضا وآس بنيانه والمعنى
افمن اسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير ام من
اسسه على قاعدة هي اضعف القواعد واوهاها واقلها بقاء وهو الباطل والنفاق الذي مثله
مثل شفا جرف هار في قلة الثبات والاستمساك وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لانه جعل
مجازا عما ينافي التقوى فان قلت فما معنى قوله فانهار به في نار جهنم قلت لما جعل الجرف
الهاري مجازا عن الباطل قيل فانهار به في نار جهنم على معنى فطاح به الباطل في نار جهنم الا انه
رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف وليصور ان المبطل كانه اسس بنيانا
على شفا جرف من اودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها والشفا الحرف والشفير

وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر اصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار الهائر وهو
المتصدع الذي اشفى على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف ونظيره
شاك وصات في شائك وصائت والفه ليست بالف فاعل انما هي عينه واصله هور وشوك وصوت
ولا ترى ابلغ من هذا الكلام ولا ادل على حقيقة الباطل وكنه امره وقرئ جرف بسكون الراء فان قلت
فما وجه ما روى سيبويه عن عيسى بن عمر على تقوى من الله بالتنوين قلت قد جعل الالف للالحاق
لا للتانيث كتترى فيمن نون الحقها بجعفر وفي مصحف ابي فانهارت به قواعده وقيل حفرت بقعة
من مسجد الضرار فرئي الدخان يخرج منه وروي ان مجمع بن حارثة كان امامهم في مسجد الضرار فكلم
بنو عمرو بن عوف اصحاب مسجد قباء عمر بن الخطاب في خلافته ان ياذن لمجمع فيؤمهم في مسجدهم فقال
لا ولا نعمة عين اليس بامام مسجد الضرار فقال يا امير المؤمنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت بهم
والله يعلم اني لا اعلم ما اضمروا فيه وصدقه وامره بالصلوة بقومه ريبة شكا في الدين
ونفاقا وكان القوم منافقين وانما حملهم على بناء ذلك المسجد كفرهم ونفاقهم كما قال الله عز وجل ضرارا
وكفرا فلما هدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ازدادوا لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم تصميما على النفاق
ومقتا للاسلام فمعنى قوله لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم لا يزال هدمه سبب شك ونفاق
زائد على شكهم ونفاقهم لا يزول وسمه عن قلوبهم ولا يضمحل اثره الا ان تقطع قلوبهم قطعا
وتفرق اجزاء وحينئذ يسلون عنه واما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة
فيجوز ان يكون ذكر التقطيع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز ان يراد حقيقة تقطيعها
وما هو كائن منه بقتلهم او في القبور او في النار وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع
بفتح التاء بمعنى تتقطع وتقطع قلوبهم على ان الخطاب للرسول اي الا ان تقطع انت قلوبهم
بقتلهم وقرأ الحسن الى ان وفي قراءة عبد الله ولو قطعت قلوبهم وعن طلحة ولو قطعت قلوبهم
على خطاب الرسول او كل مخاطب وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما واسفا
على تفريطهم مثل الله اثابتهم بالجنة على بذلهم انفسهم واموالهم في سبيل الله بالشرى وروي
تاجرهم فاغلى لهم الثمن وعن عمر رضي الله عنه فجعل لهم الصفقتين جميعا وعن الحسن انفسا هو
خلقها واموالا هو رزقها وروي ان الانصار حين بايعوه على العقبة قال عبد الله بن رواحة
اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط
لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم قال فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح
البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابي وهو يقرؤها فقال
كلام من هذا قال كلام الله قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد
يقاتلون فيه معنى الامر كقوله تجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم وقرئ فيقتلون
ويقتلون على بناء الاول للفاعل والثاني للمفعول وعلى العكس وعدا مصدر مؤكد اي اخبر بان
هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله وعد ثابت قد اثبته في التوراة والانجيل كما
اثبته في القرآن قال ومن اوفى بعهده من الله لان اخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام

من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم فكيف بالغني الذي لا يجوز عليه قبيح قط ولا ترى ترغيبا في الجهاد
احسن منه وابلغ التائبون رفع على المدح اي هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين ويدل عليه قراءة
عبد الله وابي رضي الله عنهما التائبين بالياء الى قوله والحافظين نصبا على المدح ويجوز ان يكون جرا
صفة للمؤمنين وجوز الزجاج ان يكون مبتدأ خبره محذوف اي التائبون العابدون من اهل
الجنة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله وكلا وعد الله الحسنى وقيل هو رفع على البدل من
الضمير في يقاتلون ويجوز ان يكون مبتدأ وخبره العابدون وما بعده خبر بعد خبر اي التائبون
من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال وعن الحسن هم الذين تابوا من الشرك وتبرؤوا من النفاق
والعابدون الذين عبدوا الله وحده واخلصوا له العبادة وحرصوا عليها والسائحون الصائمون
شبهوا بذوي السياحة في الارض في امتناعهم من شهواتهم وقيل هم طلبة العلم يسيحون في الارض
يطلبونه في مظانه قيل قال لعمه ابي طالب انت اعظم الناس علي حقا واحسنهم عندي يدا فقل
كلمة تجب لي بها شفاعتي فابى فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح
مكة سال اي ابويه احدث به عهدا فقيل امه آمنة فزار قبرها بالابواء ثم قام مستعبرا
فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي
ونزلت وهذا اصح لان موت ابي طالب كان قبل الهجرة وهذا اخر ما نزل بالمدينة وقيل استغفر
لابيه وقيل قال المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لآبائنا وذوي قراباتنا وقد استغفر ابرهيم
لابيه وهذا محمد يستغفر لعمه ما كان للنبي ما صح له الاستغفار في حكم الله وحكمته
من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم لانهم ماتوا على الشرك وقرأ طلحة وما استغفر ابرهيم لابيه
وعنه وما يستغفر ابرهيم على حكاية الحال الماضية الا عن موعدة وعدها اياه اي وعدها
ابرهيم اباه وهو قوله لاستغفرن لك ويدل عليه قراءة الحسن وحماد الراوية وعدها اباه
فان قلت كيف خفي على ابرهيم ان الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعده قلت يجوز ان يظن
انه ما دام يرجى منه الايمان جاز الاستغفار له على ان امتناع جواز الاستغفار للكافر انما علم
بالوحي لان العقل يجوز ان يغفر الله للكافر الا ترى الى قوله صلى الله عليه وسلم لعمه لاستغفرن
لك ما لم انه وعن الحسن قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يستغفر لآبائه المشركين فقال
ونحن نستغفر لهم فنزلت وعن علي رضي الله عنه رأيت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له
فقال اليس قد استغفر ابرهيم فان قلت فما معنى قوله فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه
قلت معناه فلما تبين له من جهة الوحي انه لن يؤمن وانه يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه
قطع استغفاره فهو كقوله من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم اواه فعال من اوه
كلال من اللؤلؤ وهو الذي يكثر التاوه ومعناه انه لفرط ترحمه ورقته وحلمه
كان يتعطف على ابيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته عليه وقوله لارجمنك يعني
ما امر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهي عنه وبين انه
محظور لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للاسلام ولا يسميهم ضلالا ولا يخذلهم الا اذا

اقدموا عليه بعد حظره عليهم وعلمهم بانه واجب الاتقا والاجتناب واما قبل العلم والبيان فلا سبيل
عليهم كما لا يواخذون بشرب الخمر ولا ببيع الصاع بالصاعين قبل التحريم وهذا بيان لعذر من خاف
المواخذه بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهي عنه وفي هذه الآية شديدة ما ينبغي ان يغفل
عنها وهي ان المهدي للاسلام اذا اقدم على بعض محظورات الله داخل في حكم الاضلال والمراد بما يتقون
ما يجب اتقاوه للنهي فاما ما يعلم بالعقل كالصدق في الخبر ورد الوديعه فغير موقوف على التوقيف
تاب الله على النبي كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر واستغفر لذنبك وهو بعث للمومنين
على التوبه وانه ما من مومن الا وهو محتاج الى التوبه والاستغفار حتى النبي والمهاجرون والانصار
وابانه لفضل التوبه ومقدارها عند الله وان صفة التوابين الاوابين صفة الانبيا كما وصفهم
بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح وقيل معناه تاب الله عليه من اذنه للمنافقين في التخلف عنه
عفا الله عنك في ساعة العسرة في وقتها والساعة مستعملة في معنى الزمان المطلق كما استعملت الغداة
والعشية واليوم ✝ غداة طفت علما بكر بن وايل ✝ عشية قارعنا جذام وحميرا ✝
اذا جا يوما وارثي يبتغي الغنا ✝ والعسرة حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب
العشرة على بعير واحد وفي عسرة من الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة
وبلغت بهم الشدة ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الما وفي عسرة من الما
حتى نحروا الابل واعتصروا فرثها وفي شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة
الشديدة كاد تزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان او عن اتباع الرسول في تلك الغزوة
والخروج معه وفي كاد ضمير الشان وشبهه سيبويه بقولهم ليس خلق الله مثله وقرى تزيغ باليا
وفي قراة عبد الله من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يريد المتخلفين من المومنين كابي لبابة وامثاله
ثم تاب عليهم تكرير للتوكيد ويجوز ان يكون الضمير للفريق تاب عليهم لكيدودتهم وعلى الثلاثة
كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن اميه ومعنى خلفوا خلفوا عن الغزو وقيل عن ابي لبابة
واصحابه حيث تيب عليهم بعدهم وقرى خلفوا اي خلفوا الغازين بالمدينة او فسدوا من الخالفة
وخلوف الفم وقرا جعفر الصادق رضي الله عنه خالفوا وقرا الاعمش وعلى الثلاثة المخلفين
رحبت برحبها اي مع سعتها وهو مثل للحيرة في امرهم كانهم لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه
قلقا وجزعا مما هم فيه وضاقت عليهم انفسهم اي قلوبهم لا يسعها انس ولا سرور لانها حرجت من فرط
الوحشه والغم وظنوا وعلموا ان لا ملجا من سخط الله الا الى استغفاره ثم تاب عليهم ثم رجع عليهم
بالقبول والرحمه كرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا او ليتوبوا ايضا فيما يستقبل ان
فرطت منهم خطيئة علما منهم ان الله تواب على من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة روي ان ناسا من
المومنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عن الحسن
بلغني انه كان لاحدهم حائط كان خيرا من مائة الف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني الا ظلك وانتظار
ثمرك اذهب فانت في سبيل الله ولم يكن لآخر الا اهله فقال يا اهلاه ما بطاني ولا خلفني الا
الضن بك لا جرم والله لاكابدن المفاوز حتى الحق برسول الله فركب ولحق به

ولم يكن لآخر الا نفسه لا اهل ولا مال فقال يا نفس ما خلفني الا حب الحيوه لك والله لاكابدن الشدائد
حتى الحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فتابط زاده ولحق به قال الحسن كذلك والله المومن
يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن ابي ذر الغفاري ان بعيره ابطا به فحمل متاعه على ظهره واتبع
اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما راى سواده كن ابا ذر
فقال الناس هو ذاك فقال رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وعن
ابي خيثمه انه بلغ بستانه وكانت له امراة حسنا فرشت له في الظل وبسطت له الحصير
وقربت اليه الرطب والما البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وما بارد وامراة
حسنا ورسول الله في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه
ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال
كن ابا خيثمه فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق
به منهم الثلاثه قال كعب لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت عليه فرد علي كالمغضب
بعدما ذكرني وقال ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه والنظر
في عطفيه فقال معاذ الله ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلاثه فتنكر
لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نسانا
ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بندا من ذروة سلع ابشر يا كعب بن مالك فخررت
ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وتتابعت
البشارة فانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون
فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله عليك فلن انساها
لطلحه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب بخير
يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الآية وعن ابي بكر الوراق انه سئل عن التوبه
النصوح فقال ان تضيق على التايب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب
بن مالك وصاحبيه مع الصادقين وقرى من الصادقين وهم الذين صدقوا في دين الله نية وقولا
وعملا او الذين صدقوا في ايمانهم ومعاهدتهم الله ورسوله على الطاعة من قوله رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه وقيل هم الثلاثه اي كونوا مثل هولا في صدقهم وثباتهم وعن ابن عباس رضي الله عنه
الخطاب لمن آمن من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين والانصار وانتظموا في جملتهم
واصدقوا مثل صدقهم وقيل للمتخلفين من الطلقا عن غزوة تبوك وعن ابن مسعود رضي الله عنه
لا يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صبيه شيا ثم لا ينجزه اقروا ان شيتم وكونوا مع
الصادقين فهل فيها من رخصة ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه امروا بان يصحبوه على البأسا
والضرا وان يكابدوا معه الاهوال برغبة ونشاط واغتباط وان يلقوا انفسهم من الشدائد
ما تلقاه نفسه علما بانها اعز نفس عند الله واكرمها عليه فاذا تعرضت مع كرامتها

الضح ضوء الشمس

المراد بالطلقا الذين ... انفسهم ... المجر

وعن نفسها المخوض في شدة وهول وجب على سائر الانفس ان تتهافت فيما تعرضت له ولا يكترث لها
اصحابها ولا يقيموا لها وزنا وتكون اخف شيء عليهم واهونه فضلا ان يربؤا بانفسهم عن متابعتها
ومصاحبتها ويضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه وهذا نهي بليغ مع تقبيح لامرهم وتوبيخ لهم
عليه وتهييج لمتابعته بانفة وحمية ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان لهم ان يتخلفوا
من وجوب مشايعته كانه قيل ذلك الوجوب بسبب انهم لا يصيبهم شيء من عطش ولا تعب ولا مجاعة
في طريق الجهاد ولا يدوسون مكانا من امكنة الكفار بحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم وارجلهم ولا
يتصرفون في ارضهم تصرفا يغيظهم ويضيق صدورهم ولا ينالون من عدو نيلا ولا يرزؤنهم شيئا
بقتل او اسر او غنيمة او هزيمة او غير ذلك الا كتب لهم به عمل صالح واستوجبوا الثواب ونيل الزلفى
عند الله وذلك مما يوجب المشايعة ويجوز ان يراد بالوطء الايقاع والابادة لا الوطء بالاقدام
والحوافر كقوله صلى الله عليه وسلم آخر وطأة وطئها الله بوج والموطئ اما مصدر كالمورد
واما مكان فان كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه والنيل ايضا يجوز ان يكون مصدرا
مؤكدا وان يكون بمعنى المنيل ويقال نال منه اذا رزأه ونقصه وهو عام في كل ما يسوؤهم ويلحق
بهم ضررا وفيه دليل على ان من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشي
وكلام وغير ذلك وكذلك الشر وبهذه الاية استشهد اصحاب ابي حنيفة رحمة الله عليهم ان المدد
القادم بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمة لان وطء ديارهم مما يغيظهم وينكي فيهم ولقد
اسهم النبي صلى الله عليه وسلم لابني عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب وامد ابو بكر الصديق رضي الله عنه
المهاجرين بن ابي امية وزياد بن لبيد بعكرمة بن ابي جهل مع خمسمائة نفس فلحقوا بعد ما فتحوا فاسهم
لهم وعند الشافعي لا يشارك المدد الغانمين وقرأ عبيد بن عمير ظماء بالمد يقال ظمئ ظماءة وظماء
ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة ولو علاقة سوط ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان رضي الله عنه
في جيش العسرة ولا يقطعون واديا اي ارضا في ذهابهم ومجيئهم والوادي كل منعرج بين جبال
وآكام يكون منفذا للسيل وهو في الاصل فاعل من ودى اذا سال ومنه الودي وقد شاع في استعمال
العرب بمعنى الارض يقولون لا تصل في وادي غيرك الا كتب لهم ذلك الانفاق وقطع الوادي ويجوز
ان يرجع الضمير فيه الى عمل صالح ليجزيهم متعلق بكتب اي اثبت في صحائفهم لاجل الجزاء
اللام لتاكيد النفي ومعناه ان نفير الكافة عن اوطانهم لطلب العلم غير صحيح ولا ممكن وفيه انه
لو صح وامكن ولم يؤد الى مفسدة لوجب لوجوب التفقه على الكافة ولان طلب العلم فريضة على كل
مسلم ومسلمة فلولا نفر فحين لم يمكن نفير الكافة ولم يكن مصلحة فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة
اي من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة
فيه ويتجشموا المشاق في اخذها وتحصيلها ولينذروا قومهم وليجعلوا غرضهم ومرمى همتهم في التفقه
انذار قومهم وارشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من الاغراض الخسيسة ويؤمونه من
المقاصد الركيكة من التصدر والترؤس والتبسط في البلاد والتشبه بالظلمة في ملابسهم

ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا وفشو داء الضرائر بينهم وانقلاب حماليق احدهم اذا لمح ببصره
مدرسة لآخر او شرذمة جثوا بين يديه وتهالكه على ان يكون موطأ العقب دون الناس
كلهم فما ابعد هؤلاء من قوله عز وجل لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا لعلهم يحذرون ارادة
ان يحذروا الله فيعملوا عملا صالحا ووجه آخر وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا
بعث بعثا بعد غزوة تبوك وبعد ما انزل في المتخلفين من الآيات الشداد استبق المؤمنون
عن آخرهم الى النفير وانقطعوا جميعا عن استماع الوحي والتفقه في الدين فامروا ان ينفر
من كل فرقة منهم طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه
الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة اعظم اثرا من الجلاد بالسيف وقوله ليتفقهوا
الضمير فيه للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم ولينذروا قومهم ولينذر الفرق
الباقية قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم وعلى الاول
الضمير للطائفة النافرة الى المدينة للتفقه يلونكم يقربون منكم والقتال واجب مع
كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الاقرب فالاقرب اوجب ونظيره وانذر عشيرتك
الاقربين وقد حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا
الشام وقيل هم قريظة والنضير وفدك وخيبر وقيل الروم لانهم كانوا يسكنون
الشام والشام اقرب الى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على اهل كل ناحية
ان يقاتلوا من وليهم ما لم يضطر اليهم اهل ناحية اخرى وعن ابن عمر انه سئل عن قتال الديلم
فقال عليك بالروم وقرئ غلظة بالحركات الثلاث فالغلظة كالشدة والغلظة
كالضغطة والغلظة كالسخطة ونحوه واغلظ عليهم ولا تهنوا وهو يجمع الجرأة
والصبر على القتال وشدة العداوة والعنف في القتل والاسر ومنه ولا تأخذكم
بهما رأفة في دين الله مع المتقين ينصر من اتقاه فمنهم فمن
المنافقين من يقول بعضهم لبعض ايكم زادته هذه السورة ايمانا انكارا واستهزاء بالمؤمنين
واعتقادهم زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به وايكم مرفوع بالابتداء وقرأ
عبيد بن عمير ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته تقديره ايكم زادت زادته
هذه ايمانا فزادتهم ايمانا لانها ازيد للمتقين واثلج للصدر او فزادتهم عملا فان
زيادة العمل زيادة في الايمان لان الايمان يقع على الاعتقاد والعمل فزادتهم رجسا الى رجسهم
كفرا مضموما الى كفرهم لانهم كلما جددوا بتجديد الله الوحي كفرا ونفاقا ازداد كفرهم
واستحكم وتضاعف عقابهم اولا يرون قرئ بالياء والتاء يفتنون يبتلون بالمرض والقحط
وغيرهما من بلاء الله ثم لا ينتهون ولا يتوبون عن نفاقهم ولا يذكرون ولا يعتبرون ولا ينظرون
في امرهم او يبتلون بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعاينون امره وما ينزل الله عليه
من نصرته وتأييده او يفتنهم الشيطان فيكذبون وينقضون العهود مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

نتقلبهم وننكل بهم ثم لا ينزجرون نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا للوحي وسخرية به قائلين هل يراكم من احد من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم او تراموا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من احد وقيل معناه واذا انزلت سورة في عيب المنافقين صرف الله قلوبهم دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عما في قلوب اهل الايمان من الانشراح بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا من انفسكم من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي مثلكم ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة من النتائج بقوله عزيز عليه ما عنتم اي شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب حريص عليكم حتى لا يخرج احد منكم عن اتباعه والاستسعاد بدين الحق الذي جاء به بالمومنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم وقرئ من انفسكم اي من اشرفكم وافضلكم وقيل هي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعائشة رضي الله عنهما وقيل لم يجمع الله اسمين من اسمائه لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله رؤف رحيم فان تولوا فان اعرضوا عن الايمان بك وناصبوك فاستعن بالله وفوض اليه فهو كافيك معرتهم ولا يضرونك وهو ناصرك عليهم وقرئ العظيم بالرفع وعن ابن عباس رضي الله عنهما العرش لا يقدر احد قدره وعن ابي بن كعب آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول من انفسكم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل علي القرآن الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تعديد للحروف على طريق التحدي وتلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها ونطقه بها او وصف بصفة محدثه قال الاعشى

* وغريبة تأتي الملوك حكيمة * قد قلتها ليقال من ذا قالها *

الهمزة لانكار التعجب والتعجيب منه وان اوحينا اسم كان وعجبا خبره وقرأ ابن مسعود عجب فجعله اسما وهو نكرة وان اوحينا خبرا وهو معرفة كقوله * يكون مزاجها عسل وماء * والاجود ان تكون كان تامة وان اوحينا بدلا من عجب فان قلت ما معنى اللام في قوله اكان للناس عجبا وما الفرق بينه وبين قولك اكان عند الناس عجبا قلت معناه انهم جعلوه لهم اعجوبة يتعجبون منها ونصبوه علما لهم يوجهون نحوه استهزاءهم وانكارهم وليس في عند الناس هذا المعنى والذي تعجبوا منه ان يوحى الى بشر وان يكون رجلا من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وان يذكر لهم البعث وينذر بالنار ويبشر بالجنة وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرسل المبعوثين

الى الامم لم يكونوا الا بشرا مثلهم وقال الله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وارسال الفقير او اليتيم ليس بعجب ايضا لان الله انما يختار من استحق الاختيار لجمعه اسباب الاستقلال لما اختير له من النبوة والغنى والتقدم في الدنيا ليس من تلك الاسباب في شيء وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا انما العجب العجيب والمنكر في العقول تعطيل الجزاء ان انذر ان هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول ويجوز ان تكون المخففة من الثقيلة واصله انه انذر الناس على معنى ان الشان قولنا انذر الناس وان لهم الباء معه محذوفة قدم صدق عند ربهم اي سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة فان قلت لم سميت السابقة قدما قلت لما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وباعا لان صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم في الخير واضافته الى صدق دلالة على زيادة فضل وانه من السوابق العظيمة وقيل مقام صدق ان هذا الكتاب وما جاء به لسحر ومن قرأ لساحر فهذا اشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل عجزهم واعترافهم به وان كانوا كاذبين في تسميته سحرا وفي قراءة ابي ما هذا الا سحر يدبر يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة ويفعل ما يفعل المتحري للصواب الناظر في ادبار الامور وعواقبها لئلا يلقاه ما يكره آخرا والامر امر الخلق كله وامر ملكوت السموات والارض والعرش فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت قد دل بالجملة قبلها على عظمة شانه وملكه بخلق السموات والارض مع بسطتها واتساعها في وقت يسير وبالاستواء على العرش واتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وانه لا يخرج امر من الامور من قضائه وتقديره وكذلك قوله ما من شفيع الا من بعد اذنه دليل على العزة والكبرياء كقوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن ذلكم اشارة الى المعلوم بتلك العظمة اي ذلك العظيم الموصوف بما وصف به هو ربكم وهو الذي يستحق العبادة منكم فاعبدوه وحده ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك او انسان فضلا عن جماد لا يبصر ولا يسمع افلا تذكرون فانه ادنى التذكر والنظر ينبهكم على الخطا فيما انتم عليه اليه مرجعكم جميعا اي لا ترجعون في العاقبة الا اليه فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لقوله اليه مرجعكم وحقا مصدر مؤكد لقوله وعد الله انه يبدأ الخلق ثم يعيده استيناف معناه التعليل لوجوب المرجع اليه وهو ان الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق واعادته هو جزاء المكلفين على اعمالهم وقرئ انه يبدؤ الخلق بمعنى لانه او هو منصوب بالفعل الذي نصب وعد الله اي وعد الله وعدا بدء الخلق ثم اعادته والمعنى اعادة الخلق بعد بدئه وقرئ وعد الله على لفظ الفعل ويبدئ من ابدأ ويجوز ان يكون مرفوعا بما نصب حقا اي حق حقا بدء الخلق كقوله

* احقا عباد الله ان لست جائيا * ولا ذاهبا الا علي رقيب *

وقرئ حق انه يبدؤ الخلق كقولك حق ان زيدا منطلق بالقسط بالعدل وهو متعلق بيجزي والمعنى ليجزيهم

منه الاخرى بقسطه ويوفيهم اجورهم او بقسطهم وبما اقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا
الصالحات لان الشرك ظلم قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم والعصاة ظلام انفسهم وهذا
اوجه لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون الياء في ضياء منقلبة عن واو لكسرة ما قبلها وقرئ
ضئاء بهمزتين بينهما الف على القلب بتقديم اللام على العين كما قيل في عاق عاقي والضياء اقوى
من النور وقدره وقدر القمر والمعنى وقدر مسيره منازل او وقدره ذا منازل كقوله والقمر
قدرناه منازل والحساب وحساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي ذلك اشارة الى المذكور
اي ما خلقه الا ملتبسا بالحق الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا وقرئ يفصل بالياء
خصهم بالذكر لانهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر الى النظر والتدبر لا يرجون لقاءنا لا
يتوقعونه اصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم المذهلة باللذات وحب
العاجل عن التفطن للحقائق او لا يأملون حسن لقائنا كما يأمله السعداء او لا يخافون سوء
لقائنا الذي يجب ان يخاف ورضوا بالحيوة الدنيا من الآخرة واطمأنوا بها وسكنوا فيها سكون
من لا يزعج عنها فبنوا شديدا واملوا بعيدا يهديهم ربهم بايمانهم يسددهم بسبب ايمانهم للاستقامة
على سلوك السبيل المؤدي الى الثواب ولذلك جعل تجري من تحتهم الانهار بيانا له وتفسيرا لان
التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها او يهديهم في الآخرة بنور ايمانهم الى طريق الجنة
كقوله يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ومنه الحديث ان المؤمن اذا
خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له انا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة
والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول له انا عملك فينطلق به حتى يدخله النار
فان قلت فقد دلت هذه الآية على ان الايمان الذي يستحق به العبد الهداية والتوفيق والنور
يوم القيمة هو ايمان مقيد وهو الايمان المقرون بالعمل الصالح والايمان الذي لم يقترن بالعمل الصالح
فصاحبه لا توفيق له ولا نور قلت الامر كذلك الا ترى كيف اوقع الصلة مجموعا فيها بين
الايمان والعمل الصالح ثم قال بايمانهم اي بايمانهم هذا المضموم اليه العمل الصالح وهو بين واضح لا شبهة
فيه دعواهم دعاؤهم لان اللهم نداء لله ومعناه اللهم انا نسبحك كقول القانت في دعاء القنوت
اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد ويجوز ان يراد بالدعاء العبادة واعتبر الكرم ... هذا الآن يسبحوا الله
من دون الله على معنى ان لا تكليف في الجنة ولا عبادة وما عبادتهم الا ... وما كان صلاتهم
وذلك ليس بعبادة انما يلهمونه فينطقون به تلذذا بلا كلفة كقوله الذي هو التسبيح ان
عند البيت الا مكاء وتصدية وآخر دعواهم وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح ان
يقولوا الحمد لله رب العالمين ومعنى تحيتهم فيها سلام ان بعضهم يحيي بعضا بالسلام او
هي تحية الملائكة اياهم اضافة المصدر الى المفعول او تحية الله لهم وان هي المخففة من
الثقيلة واصله انه الحمد لله على ان الضمير للشان كقوله ان هالك كل من يحفى وينتعل
وقرئ ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد

المتن موضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم واسعافه
بطلبتهم حتى كان استعجالهم بالخير تعجيل لهم والمراد اهل مكة وقولهم فامطر علينا حجارة
من السماء يعني ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم اليه لقضي اليهم
اجلهم وقرئ لقضى اليهم اجلهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وتنصره قراءة عبد الله لقضينا
اليهم اجلهم فان قلت فكيف اتصل به قوله فنذر الذين لا يرجون لقاءنا وما معناه قلت قوله
ولو يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل كانه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي اليهم اجلهم
فنذرهم في طغيانهم الزاما للحجة عليهم لجنبه في موضع الحال بدليل عطف الحالين عليه اي
دعانا مضطجعا او قاعدا او قائما فان قلت فما فائدة ذكر هذه الاحوال قلت معناه ان
المضرور لا يزال داعيا لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها
ان كان منبطحا عاجزا عن النهوض متخاذل النوء او كان قاعدا لا يقدر على القيام او كان قائما
لا يطيق المشي والمضطرب الى ان يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها والمسحة بتمامها
ويجوز ان يراد ان من المضرورين من هو اشد حالا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو اخف وهو القادر
على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يستغنون عن الدعاء واستدفاع البلاء لان
الانسان للجنس مر اي مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر ونسي حال الجهد او مر عن موقف
الابتهال والتضرع لا يرجع اليه كانه لا عهد له به كان لم يدعنا كانه لم يدعنا فخفف
وحذف ضمير الشان قال كان ثدياه حقان كذلك مثل ذلك التزيين زين
للمسرفين الشيطان بوسوسته او الله عز وجل بخذلانه وتخليته ما كانوا يعملون من الاعراض
عن الذكر واتباع الشهوات لما ظرف لاهلكنا والواو في وجاءتهم للحال اي ظلموا بالتكذيب
وقد جاءتهم رسلهم بالحجج والشواهد على صدقهم وهي المعجزات وقوله وما كانوا ليؤمنوا يجوز
ان يكون عطفا على ظلموا وان يكون اعتراضا واللام لتاكيد النفي يعني وما كانوا يؤمنون حقا تاكيدا
لنفي ايمانهم وان الله قد علم انهم يصرون على كفرهم وان الايمان مستبعد منهم والمعنى ان
السبب في اهلاكهم تكذيبهم للرسل وعلم الله انه لا فائدة في امهالهم بعد ان الزموا الحجة
ببعثة الرسل كذلك مثل ذلك الجزاء يعني الاهلاك نجزي كل مجرم وهو وعيد لاهل مكة
على اجرامهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ يجزي بالياء ثم جعلناكم الخطاب للذين
بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم اي استخلفناكم في الارض بعد القرون التي اهلكناها لننظر
اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم على حسب عملكم وكيف في محل النصب بتعملون لا بننظر
لان معنى الاستفهام فيه يحجب ان يتقدم عليه عامله فان قلت كيف جاز النظر على الله تعالى
وفيه معنى المقابلة قلت هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشيء موجودا شبه بنظر
الناظر وعيان المعاين في تحققه غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة الاوثان والوعيد للمشركين
فقالوا ائت بقرآن آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك او بدله بان تجعل مكان آية عذاب

لانه داخل تحت قدرة الانسان
آية رحمة وتسقط ذكر الالهة وذم عبادتها فامر بان يجيب عن التبديل
وهو ان يضع مكان آية عذاب آية رحمة مما انزل وان يسقط ذكر الالهة واما الاتيان بقران اخر فغير
مقدور عليه للانسان ما يكون لي ما ينبغي لي وما يحل كقوله ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان ابدله
من تلقاء نفسي من قبل نفسي وقرئ بفتح التاء من غير ان يامرني بذلك ربي ان اتبع الا ما يوحى الي لا اتي
ولا اذر شيئا من نحو ذلك الا متبعا لوحي الله واوامره ان نسخت آية تبعت النسخ وان بدلت آية مكان
آية تبعت التبديل وليس الي تبديل ولا نسخ اني اخاف ان عصيت ربي بالتبديل والنسخ من عند نفسي
عذاب يوم عظيم فان قلت اما ظهر وتبين لهم العجز عن الاتيان بمثل القران حتى قالوا ائت
غير هذا قلت بلى ولكنهم كانوا لا يعترفون بالعجز وكانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل
هذا ويقولون افترى على الله كذبا فينسبونه الى الرسول ويزعمون انه قادر عليه وعلى مثله
مع علمهم بان العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها اذا عجزوا عنه كان الواحد منهم اعجز
فان قلت لعلهم ارادوا ائت بقران غير هذا او بدله من جهة الوحي كما اتيت بالقران من جهته
واراد بقوله ما يكون لي ان ابدله ما يتسهل لي وما يمكنني ان ابدله قلت يرده قوله اني اخاف
ان عصيت ربي فان قلت فما كان غرضهم وهم ادهى الناس وانكرهم في هذا الاقتراح
قلت الكيد والمكر اما اقتراح ابدال قران بقران ففيه انه من عندك وانك قادر على
مثله فابدل مكانه اخر واما اقتراح التبديل والتغيير فللطمع ولاختبار الحال وانه ان وجد
منه تبديل فاما ان يهلكه الله فينجوا منه او لا يهلكه فيتسخروا منه ويجعلوا التبديل حجة
عليه وتصحيحا لافترائه على الله قل لو شاء الله ما تلوته عليكم يعني ان تلاوته ليست الا بمشيئة الله واظهاره
امرا عجيبا خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل امي لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة
من عمره ولا نشأ في بلد فيه علماء فيقرأ عليكم كتابا فصيحا يبهر كل كلام فصيح ويعلو
على كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم من علوم الاصول والفروع واخبار مما كان وما يكون
ناطقا بالغيوب التي لا يعلمها الا الله وقد بلغ بين ظهرانيكم اربعين سنة تطلعون على احواله
ولا يخفى عليكم شيء من اسراره وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه به احد من اقرب الناس منه
والصقهم به ولا ادراكم به ولا اعلمكم به على لساني وقرأ الحسن ولا ادرأتكم به على لغة من يقول
اعطأته وارضأته في معنى اعطيته وارضيته وتعضده قراءة ابن عباس ولا انذرتكم به ورواه
الفراء ولا ادرأتكم به بالهمز وفيه وجهان احدهما ان تقلب الالف همزة كما قيل لبأت بالحج ورثأت
الميت وذلك لان الالف والهمزة من واد واحد ولذلك اذا حركت الالف انقلبت همزة
والثاني ان يكون من درأته اذا دفعته وادرأته اذا جعلته دارئا والمعنى ولا جعلتكم بتلاوته
خصماء تدرؤونني بالجدال وتكذبونني وعن ابن كثير ولا ادراكم به بلام الابتداء لاثبات الادراء
ومعناه لو شاء الله ما تلوته انا عليكم ولاعلمكم به على لسان غيري ولكنه يمن على
من يشاء من عباده فخصني بهذه الكرامة ورآني لها اهلا دون سائر الناس فقد لبثت فيكم

التبديل

عمرا يا لتبكرون يعني وقد اقمت فيما بينكم يافعا وكهلا فلم تعرفوني متعاطيا شيئا من نحوه
ولا قدرت عليه ولا كنت متواضعا بعلم وبيان فتتهموني باختراعه افلا تعقلون فتعلموا انه
ليس الا من الله لا من مثلي وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم ائت بقران غير هذا من اضافة
الافتراء اليه فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا يحتمل ان يريد افتراء المشركين على الله في قولهم انه ذو شريك
وذو ولد وان يكون تفاديا مما اضافوه اليه من الافتراء ما لا يضرهم ولا ينفعهم الاوثان التي هي
جماد لا يقدر على نفع ولا ضر وقيل ان عبدوها لم تنفعهم وان تركوا عبادتها لم تضرهم ومن حق
المعبود ان يكون مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية وكان اهل الطائف يعبدون
اللات واهل مكة العزى ومناة وهبل واسافا ونائلة وكانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله وعن النضر بن الحارث اذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات والعزى اتنبئون الله بما لا يعلم
اتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو انباء بما ليس بمعلوم لله واذا لم يكن معلوما له وهو العالم
الذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيئا لان الشيء ما يعلم ويخبر عنه فكان خبرا ليس له
مخبر عنه فان قلت كيف انبؤوا الله بذلك قلت هو تهكم بهم وبما ادعوه من المحال
الذي هو شفاعة الاصنام واعلام بان الذي انبؤوا به باطل غير منطو تحت الصحة فكانهم
يخبرونه بشيء لا يتعلق به علمه كما يخبر الرجل الرجل بما لا يعلمه وقرئ اتنبئون بالتخفيف
وقوله في السموات ولا في الارض تأكيد لنفيه لان ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم عما يشركون
قرئ بالياء والتاء وما موصولة او مصدرية اي عن الشركاء الذين يشركونهم به او عن اشراكهم وما كان
الناس الا امة واحدة حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير ان يختلفوا بينهم وذلك
في عهد ادم الى ان قتل قابيل هابيل وقيل بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا ولولا
كلمة سبقت من ربك وهو تأخير الحكم بينهم الى يوم القيامة لقضي بينهم عاجلا فيما اختلفوا
فيه ولتميز المحق من المبطل وسبق كلمته بالتاخير لحكمة اوجبت ان تكون هذه الدار دار
تكليف وتلك الدار دار ثواب وعقاب ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه ارادوا آية من الايات التي
كانوا يقترحونها وكانوا لا يعتدون بما انزل عليه من الايات العظام المتكاثرة التي لم ينزل
على احد من الانبياء مثلها وكفى بالقران وحده آية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة في الايات
دقيقة المسلك من بين المعجزات وجعلوا نزولها كلا نزول وكانه لم ينزل عليه آية قط حتى
قالوا لولا انزل عليه آية واحدة من ربه وذلك لفرط عنادهم وتماديهم في التمرد وانهماكهم في
الغي فقل انما الغيب لله اي هو المختص بعلم الغيب المستأثر به لا علم لي ولا لاحد به يعني ان الصارف
عن انزال الايات المقترحة امر مغيب لا يعلمه الا هو فانتظروا نزول ما اقترحتموه اني معكم من
المنتظرين لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الايات سلط الله القحط سبع سنين على اهل
مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون في ايات الله ويعادون
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكيدونه واذا الاولى للشرط والاخرى جوابها وهي للمفاجأة والمكر اخفاء
الكيد وطيه من الجارية الممكورة المطوية الخلق ومعنى مستهم خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها

فيهم فان قلت ما وصفهم بسرعة المكر فكيف صح قوله اسرع مكراه قلت دلت على ذلك كلمة
المفاجاه كانه قال واذا رحمناهم من بعد ضرا فاجوا وقوع المكر منهم وسارعوا اليه قبل ان يغسلوا
رؤسهم من مس الضرا ولم يتلبثوا ريثما يسيغون غصتهم والمعنى ان الله تعالى دبر عقابكم وهو موقعه
بكم قبل ان تدبروا كيف تعملون في اطفا نور الاسلام ان رسلنا يكتبون اعلام بان ما تظنونه خافيا
مطويا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم وقرى يمكرون بالياء والتاء وقيل مكرهم قولهم سقينا
بنو كذا وعن ابي هريرة ان الله ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم بها فتصبح طائفة منهم
بها كافرين يقولون مطرنا بنو كذا قرا زيد بن ثابت ينشركم ومثله قوله فانتشروا في الارض
بشر تنتشرون فان قلت كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر والتسيير
في البحر انما هو بالكون في الفلك قلت لم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير ولكن
مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما في حيزها كانه قيل يسيركم حتى اذا وقعت
الحادثة وكان كيت وكيت من مجي الريح العاصف وتراكم الامواج والظن للهلاك والدعا
بالانجا فان قلت ما جواب اذا قلت جاءتها فان قلت فدعوا قلت بدل من ظنوا
لان دعاهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به فان قلت ما فائدة صرف الكلام
عن الخطاب الى الغيبة قلت المبالغة كانه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي
منهم الانكار والتقبيح فان قلت ما وجه قراة ام الدرداء في الفلكي بزيادة يا النسب
قلت قيل بهما انهما زائدتان كما في الخارجي والاحمري ويجوز ان يراد به اللج والما الغمر الذي
لا تجري الفلك الا فيه والضمير في جرين للفلك لانه جمع فلك كالاسد في فعل اخي فعل
وفي قراة ام الدرداء للفلك الضالة الفلكي يدل عليه جاءتها جاءت الريح الطيبة
اي تلقتها وقيل الضمير للفلك من كل مكان من جميع امكنة الموج احيط بهم
لحاطة العدو بالحي مثلا في الهلاك مخلصين له الدين من غير اشراك لانهم لا يدعون
غيره معه لئن انجيتنا على ارادة القول او لان دعوا من جملة القول يبغون في الارض يفسدون
ويعيثون مترامين في ذلك ممعنين فيه من قولك بغى الجرح اذا ترامى الى الفساد فان قلت
معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون بحق قلت بلى وهو استيلا المسلمين على ارض الكفرة
دورهم واحراق زروعهم وقلع اشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة فان
قلت ما الفرق بين القراتين قلت اذا رفعت كان على انفسكم
الحيوة الدنيا بالنصب ... صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه انما بغيكم
خبر المبتدا الذي هو بغيكم وعلى انفسكم صلته ... منفعة الحيوة الدنيا لا بقا لها واذا
والذين جنسهم جنسكم يعني بغي بعضكم على بعض ومتاع الحيوة الدنيا في موضع المصدر
انفسكم خبر غير صلة معناه انما بغيكم وبال على انفسكم ومتاع الحيوة الدنيا ويجوز ان يكون الرفع على هو متاع الحيوة الدنيا
الموكد كانه قيل تتمتعون متاع الحيوة الدنيا

الكلام عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمكر ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا
تعن ناكثا وكان يتلوها وعنه صلى الله عليه وسلم اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي
واليمين الفاجرة وروى ثنتان يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس لو بغى جبل على
جبل لدك الباغي وكان المامون يتمثل بهذين البيتين في اخيه
يا صاحب البغي ان البغي مصرعة فاربع فخير فعال المرء اعدله
فلو بغى جبل يوما على جبل لاندك منه اعاليه واسفله
وعن محمد بن كعب ثلث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على انفسكم هذا
من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات
الارض في جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه فاختلط به
فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا اخذت الارض زخرفها وازينت كلام فصيح جعلت الارض
اخذة زخرفها على التمثيل بالعروس اذا اخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت
بغيرها من الوان الزين واصل ازينت تزينت فادغم وبالاصل قرا عبد الله وقرى وازينت على افعلت
بغير اعلال الفعل كاغيلت اي صارت ذات زينة وازيانت بوزن ابياضت قادرون عليها متمكنون
من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها اتاها امرنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات
بعد امنهم واستيقانهم انه قد سلم فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما يحصد من الزرع في
قطعه واستيصاله كان لم تغن كان لم يغن زرعها اي لم يلبث على حذف المضاف في هذه المواضع
لا بد منه والا لم يستقم المعنى وقرا الحسن كان لم يغن بالياء على ان الضمير للمضاف
المحذوف الذي هو الزرع وعن مروان انه قرا على المنبر كان لم تتغن بالامس من قول الاعشى
طويل الثوا طويل التغن والامس مثل في الوقت القريب كانه قيل كان لم تغن انفا
دار السلام الجنة اضافها الى اسمه تعظيما لها وقيل السلام السلامة لان اهلها سالمون من
كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم الا قيلا سلاما سلاما ويهدي
ويوفق من يشاء الذي علم ان اللطف يجدي عليه لان مشيته تابعة لحكمته ومعناه يدعو العباد
كلهم الى دار السلام ولا يدخلها الا المهديون الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة وهي
التفضل ويدل عليه قوله ويزيدهم من فضله وعن علي رضي الله عنه الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة
وعن ابن عباس الحسنى الحسنة والزيادة عشر امثالها وعن الحسن عشر امثالها الى سبعمائة ضعف وعن
مجاهد الزيادة مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة الزيادة ان تمر السحابة باهل الجنة
فتقول ما تريدون ان امطركم فلا يريدون شيا الا امطرتهم وزعمت المشبهة والمجبرة ان الزيادة
النظر الى وجه الله وجات بحديث مرقوع اذا دخل اهل الجنة الجنة نودوا ان يا اهل الجنة فيكشف
الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم الله شيا هو احب اليهم منه لا يرهق وجوههم لا يغشاها
قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة ولا اثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار

رحمه الاخرى الى قوله ترهقها قترة وترهقهم ذلة فان قلت
اذكارا بما تقدمهم التعسف جزاء سيئة بمثلها وكيف يتلايم قلت لا يخلوا اما ان
ما وجه قوله والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها كانه قيل وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة
والذين كسبوا معطوفا على قوله للذين احسنوا السيئات تجزى سيئة بمثلها على معنى جزاؤهم ان تجازى
بمثلها واما ان يقدر وجزاء الذين كسبوا ... وهذا اوجه من الاول لان في الاول عطفا على عاملين وان
سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وهذا اوجه ... الزيادة الفضل لانه دل بترك الزيادة على السيئة
كان الاخفش يجيزه وفي هذا دليل على ان المراد بالزيادة الفضل لانه دل بترك الزيادة على
على عدله ودل ثمة باثبات الزيادة على المثوبة على فضله وقرئ يرهقهم ذلة بالياء من الله من
اي لا يعصمهم احد من سخط الله وعذابه ويجوز ما لهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما يكون
للمؤمنين مظلما حال من الليل ومن قرا قطعا بالسكون جعله صفة من قوله بقطع من الليل
وتعضده قراءة ابي بن كعب كانما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم فان قلت اذا جعلت
مظلما حالا من الليل فما العامل فيه قلت لا يخلو اما ان يكون اغشيت من قبل ان من الليل
صفة لقوله قطعا فكان افضاؤه الى الموصوف كافضائه الى الصفة واما ان يكون معنى الفعل
في من الليل مكانكم الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم وانتم اكد به الضمير في
لسده مسد قوله الزموا وشركاؤكم عطف عليه وقرئ وشركاءكم على ان الواو بمعنى مع والعامل
فيه ما في مكانكم من معنى الفعل فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم والوصل التي كانت
بينهم في الدنيا او فباعدنا بينهم بعد الجمع بينهم في الموقف وبين شركائهم منهم فهم عبادتهم كقوله
اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا ضلوا عنا وقرئ فزايلنا بينهم كقولك صاعرته
وصعرته وكالمته وكلمته ما كنتم ايانا تعبدون انما كنتم تعبدون الشياطين حيث امروكم
ان تتخذوا لله اندادا فاطعتموهم ان كنا هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين
النافية وهم الملائكة والمسيح ومن عبدوه من دون الله من اولي العقل وقيل الاصنام
ينطقها الله عز وجل فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي زعموها وعلقوا بها اطماعهم
هنالك في ذلك المقام وفي ذلك الموقف او في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان تبلو
كل نفس تختبر وتذوق ما اسلفت من العمل فتعرف كيف هو اقبيح ام حسن انافع ام ضار امقبول
ام مردود كما يختبر الرجل الشيء ويتعرفه ليكتنه حاله ومنه قوله تعالى يوم تبلى السرائر وعن
عاصم نبلو كل نفس بالنون ونصب كل اي نختبرها باختبار ما اسلفت من العمل فنعرف حالها
حال عملها ان كان حسنا فهي سعيدة وان كان سيئا فهي شقية والمعنى نفعل بها فعل الخابر كقوله
ليبلوكم ايكم احسن عملا ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية بسبب
ما اسلفت من الشر وقرئ تتلو اي تتبع ما اسلفت لان عمله هو الذي يهديه الى طريق الجنة او الى
النار او تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير او شر مولاهم الحق ربهم الصادق ربوبيته لانهم كانوا

يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة او الذي يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذي لا يظلم احدا
وقرئ الحق بالنصب على تاكيد قوله ردوا الى الله كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل او على
المدح كقولك الحمد لله اهل الحمد وضل عنهم ما كانوا يفترون وضاع عنهم ما كانوا يدعون
انهم شركاء الله او بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الالهة من السماء والارض
اي يرزقكم منهما جميعا لم يقتصر برزقكم على جهة واحدة ليفيض عليكم نعمته ويوسع رحمته امن
يملك السمع والابصار من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سويا عليه من
الفطرة العجيبة او من يحميهما ويحصنهما من الافات مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفان
يؤذيهما ادنى شيء بكلاءته وحفظه ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير امر العالم كله جاء بالعموم بعد
الخصوص افلا تتقون افلا تقون انفسكم ولا تحذرون عليها عقابه فيما انتم بصدده من الضلال
فذلكم اشارة الى من هذه قدرته وافعاله ربكم الحق الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لمن
حقق النظر فماذا بعد الحق الا الضلال يعني ان الحق والضلال لا واسطة بينهما فمن تخطى الحق وقع
في الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك وعن السعادة الى الشقاء
كذلك مثل ذلك الحق حقت كلمة ربك اي كما حق وثبت ان الحق بعده الضلال او كما حق انهم مصروفون
عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا اي تمردوا في كفرهم وخرجوا الى الحد الاقصى
فيه وانهم لا يؤمنون بدل من الكلمة اي حق عليهم انتفاء الايمان وعلم الله منهم ذلك او حق عليهم كلمة
الله انهم من اهل الخذلان وان ايمانهم غير كائن او اراد بالكلمة العدة بالعذاب وانهم لا يؤمنون
تعليل بمعنى لانهم لا يؤمنون فان قلت كيف قيل لهم هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده
وهم غير معترفين بالاعادة قلت قد وضعت اعادة الخلق لظهور برهانها موضع ما ان
دفعه دافع كان مكابرا رادا للظاهر البين الذي لا مدخل للشبهة فيه دلالة على انهم في انكارهم
لها منكرون امرا مسلما معترفا بصحته عند العقلاء وقال لنبيه قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده
امره بان ينوب عنهم في الجواب يعني انه لا يدعهم لجاجهم ومكابرتهم ان ينطقوا بكلمة الحق فتكلم عنهم
يقال هداه للحق والى الحق فجمع بين اللغتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى
اشترى ومنه قوله امن لا يهدي بفتح الهاء وكسرها مع تشديد الدال والاصل يهتدي فادغم وفتحت
الهاء بحركة التاء وكسرت لالتقاء الساكنين وقرئ الا ان يهدى من هداه وهداه
للمبالغة ومنه قولهم تهدى ومعناه ان الله وحده هو الذي يهدي للحق بما ركب
في المكلفين من العقول واعطاهم من التمكين للنظر في الادلة التي نصبها لهم وبما لطف بهم ووفقهم
والهمهم واخطر ببالهم ووقفهم على الشرائع فهل من شركائكم الذين جعلتم اندادا لله احد من
الملائكة والمسيح وغيرهم يهدي الى الحق مثل هداية الله ثم قال افمن يهدي الى الحق
احق بالاتباع ام الذي لا يهدي اي لا يهتدي بنفسه او لا يهدي غيره الا

قل من يرزقكم من السماء والارض
قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده
قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق

ان يهديه الله وقيل معناه ام من لا يهتدي من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا ان ينقل
او لا يهتدي ولا يصح منه الاهتداء الا ان ينقله الله من حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه
فما لكم كيف تحكمون بالباطل حيث تزعمون انهم انداد الله وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله الا
ظنا لانه قول غير مستند الى برهان عندهم ان الظن في معرفة الله لا يغني من الحق وهو العلم شيئا
وقيل وما يتبع اكثرهم في قولهم للاصنام انها الهة وانها تشفع عند الله الا الظن والمراد
بالاكثر الجميع ان الله عليم بما يفعلون وعيد على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الآباء وقرئ تفعلون
بالتاء وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وهو ما تقدمه
من الكتب المنزلة لانه معجز دونها فهو عيار عليها وشاهد بصحتها كقوله وهو الحق مصدقا
لما بين يديه وقرئ ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب على ولكن هو تصديق وتفصيل
ومعنى وما كان ان يفترى وما صح وما استقام وكان محالا ان يكون مثله في علو امره واعجازه مفترى
وتفصيل الكتاب وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم
فان قلت بم اتصل قوله لا ريب فيه من رب العالمين قلت هو داخل في حيز الاستدراك كانه
قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين ويجوز ان يراد ولكن
كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق
وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لا شك فيه كريم ام يقولون افتراه بل ايقولون
اختلقه على ان الهمزة تقرير لالزام الحجة عليهم او انكار لقولهم واستبعاد والمعنى بل ايقولون
قل ان كان الامر كما تزعمون فاتوا انتم على وجه الافتراء بسورة مثله فانتم مثلي في العربية والفصاحة
ومعنى بسورة مثله اي شبيهة به في البلاغة وحسن النظم وقرئ بسورة مثله على الاضافة اي بسورة
كتاب مثله وادعوا من دون الله من استطعتم من خلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله
الله وحده هو القادر على ان ياتي بمثله لا يقدر على ذلك احد غيره فلا تستعينوا به وحده ثم استعينوا
بمن دونه ان كنتم صادقين انه افتراه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن وفاجؤوه في
بديهة السماع قبل ان يفقهوه ويعلموا كنه امره وقبل ان يتدبروه ويقفوا على تاويله ومعانيه
وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم كالناشئ على التقليد من الحشوية
اذا احس بكلمة لا توافق ما نشأ عليه والفه وان كانت اضوأ من الشمس في ظهور الصحة وبيان الاستقامة
انكرها في اول وهلة واشمأز منها قبل ان يحس ادراكها بحاسة سمعه من غير فكر في صحة او فساد
لانه لم يشعر قلبه الا صحة مذهبه وفساد ما عداه من المذاهب فان قلت ما معنى التوقع في قوله
ولما ياتهم تاويله قلت معناه انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التاويل
تقليدا للآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة
التوقع ليؤذن انهم علموا بعد علو شانه واعجازه لما كرر عليهم التحدي ورازوا قواهم في المعارضة واستيقنوا

عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا كذلك اي مثل ذلك التكذيب كذب الذين من قبلهم يعني
قبل النظر في معجزات الانبياء وقبل تدبرها من غير انصاف من انفسهم ولكن قلدوا الآباء وعاندوا ويجوز
ان يكون معنى ولما ياتهم تاويله ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار
بالغيوب اي عاقبته حتى يتبين لهم اهو كذب ام صدق يعني انه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه
ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب فتسرعوا الى التكذيب به قبل ان ينظروا في نظمه وبلوغه حد الاعجاز
وقبل ان يخبروا اخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه ومنهم من يؤمن به من يصدق به في نفسه
ويعلم انه حق ولكنه يعاند بالتكذيب ومنهم من يشك فيه لا يصدق به او يكون للاستقبال اي ومنهم
من سيؤمن به ومنهم من سيصر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او المصرين وان كذبوك وان تموا
على تكذيبك ويئست من اجابتهم فتبرأ منهم وخلهم فقد اعذرت كقوله فان عصوك فقل اني بريء
وقيل هي منسوخة باية السيف ومنهم من يستمعون اليك معناه ومنهم ناس يستمعون اليك اذا
قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون وناس ينظرون اليك ويعاينون ادلة
الصدق واعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون ثم قال افانت تقدر على اسماع الصم ولو انضم الى صممهم
عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس واستدل اذا وقع في صماخه دوي الصوت فاذا اجتمع سلب
السمع والعقل جميعا فقد تم الامر او تحسب انك تقدر على هداية العمي ولو انضم الى فقد البصر فقد
البصيرة لان الاعمى الذي له في قلبه بصيرة قد يحدس ويتظنن واما العمى مع الحمق فجهد البلاء
يعني انهم في اليأس من ان يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمي الذين لا عقول لهم ولا ابصار وقوله افانت
دلالة على انه لا يقدر على اسماعهم وهدايتهم الا الله عز وجل بالقسر والالجاء كما لا يقدر على رد
الاصم والاعمى المسلوبي العقل حديدي السمع والبصر راجحي العقل الا هو وحده ان الله لا يظلم الناس
شيئا اي لا ينقصهم شيئا مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل وانزال الكتب ولكنهم يظلمون انفسهم بالكفر
والتكذيب ويجوز ان يكون وعيدا للمكذبين يعني ان ما يلحقهم يوم القيامة من العذاب لاحق بهم على سبيل
العدل والاستيجاب ولا يظلمهم الله به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف ما كان سببا فيه الا ساعة
من النهار يستقربون وقت لبثهم في الدنيا وقيل في القبور لهول ما يرون يتعارفون بينهم يعرف بعضهم
بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة
الامر عليهم فان قلت كان لم يلبثوا ويتعارفون كيف موقعهما قلت اما الاولى فحال منهم
اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة واما الثانية فاما ان تتعلق بالظرف واما ان تكون مبينة
لقوله كان لم يلبثوا الا ساعة لان التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب تناكرا قد خسر على ارادة
القول اي يتعارفون بينهم قائلين ذلك وهي شهادة من الله تعالى على خسرانهم والمعنى انهم وضعوا في
تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر وما كانوا مهتدين للتجارة عارفين بها وهو استئناف فيه معنى
التعجب كانه قيل ما اخسرهم فالينا مرجعهم جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف كانه قيل
واما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك او نتوفينك قبل ان نريكه فنحن نريكه في الآخرة

فإن قلت الله شهيد على ما يفعلون في الدارين فما معنى ثم قلت ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها
ونتيجتها وهو العقاب كأنه قال ثم الله معاقب على ما يفعلون وقرأ ابن أبي عبلة ثَمَّ بالفتح أي هنالك ويجوز
أن يراد أن الله مؤدٍّ شهادته على أفعالهم يوم القيامة حين تنطق جلودهم وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم شاهدة
عليهم ولكل أمة رسول يبعث إليهم لينبههم على التوحيد ويدعوهم إلى دين الحق فإذا جاءهم رسولهم بالبينات
فكذبوه ولم يتبعوه قضي بينهم أي بين النبي ومكذبيه بالقسط بالعدل فأنجي الرسول وعذب المكذبون
كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا أو ولكل أمة من الأمم يوم القيامة رسول تنسب إليه
وتدعى به فإذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والإيمان كقوله وجيء بالنبيين
والشهداء وقضي بينهم متى هذا الوعد استعجال لما وعدوا من العذاب استبعادا له لا أملك لنفسي
ضرا من مرض أو فقر ولا نفعا من صحة أو غنى إلا ما شاء الله استثناء منقطع أي ولكن ما شاء الله
من ذلك كائن فكيف أملك لكم الضر وجلب العذاب لكل أمة أجل يعني أن عذابكم له أجل مضروب
عند الله وحد محدود من الزمان إذا جاء ذلك الوقت أنجز وعدكم لا محالة فلا تستعجلوا وقرأ ابن سيرين
فإذا جاء آجالهم بياتا نصب على الظرف بمعنى وقت بيات فإن قلت هلا قيل ليلا ونهارا
قلت لأنه أراد إن أتاكم عذابه وقت بيات فبيتكم وأنتم ساهون نائمون لا تشعرون كما
يبيت العدو المباغت والبيات بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وكذلك قوله نهارا معناه
في وقت أنتم فيه مشتغلون بطلب المعاش والكسب ونحوه بياتا وهم نائمون ضحى وهم يلعبون
في منه للعذاب والمعنى أن العذاب كله مكروه مر المذاق موجب للنفار فأي شيء يستعجلون منه
وليس شيء منه يوجب الاستعجال ويجوز أن يكون معناه التعجب كأنه قيل أي شيء هول شديد يستعجلون
منه ويجب أن يكون من للبيان في هذا الوجه وقيل الضمير في منه لله تعالى فإن قلت بم تعلق
الاستفهام وأين جواب الشرط قلت تعلق بأرأيتم لأن المعنى أخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون
وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال أو تعرفوا الخطأ فيه فإن قلت فهلا قيل ماذا
تستعجلون منه قلت أريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الإجرام لأن من حق المجرم
أن يخاف التعذيب على إجرامه ويهلك فزعا من مجيئه وإن أبطأ فضلا أن يستعجله ويجوز أن يكون
ماذا يستعجل منه المجرمون جوابا للشرط كقولك إن أتيتك ماذا تطعمني ثم تتعلق الجملة بأرأيتم
وأن يكون أثم إذا ما وقع آمنتم به جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا والمعنى إن أتاكم عذابه آمنتم
به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء في قوله
أفأمن أهل القرى أوأمن أهل القرى آلآن على إرادة القول أي قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب
آلآن آمنتم به وقد كنتم به تستعجلون يعني وقد كنتم به تكذبون لأن استعجالهم كان على جهة التكذيب
والإنكار وقرئ آلان بحذف الهمزة التي بعد اللام وإلقاء حركتها على اللام ثم قيل للذين ظلموا عطف
على قيل المضمر قبل آلآن ويستنبئونك ويستخبرونك فيقولون أحق هو وهو استفهام على جهة

الإنكار والاستهزاء وقرأ الأعمش آلحق هو وهو أدخل في الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض بأنه
باطل وذلك أن اللام للجنس فكأنه قيل أهو الحق لا الباطل أو أهو الذي تسمونه الحق والضمير للعذاب
الموعود إي بمعنى نعم في القسم خاصة كما كان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة وسمعتهم يقولون
في التصديق إيو فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده وما أنتم بمعجزين بفائتين العذاب
وهو لاحق بكم لا محالة ظلمت صفة لنفس على ولو أن لكل نفس ظالمة ما في الأرض أي ما في
الدنيا اليوم من خزائنها وأموالها وجميع منافعها على كثرتها لافتدت به لجعلته فدية لها
يقال فداه فافتدى ويقال افتداه أيضا بمعنى فداه وأسروا الندامة لما رأوا العذاب
لأنهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الأمر وتفاقمه ما سلبهم
قواهم وبهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا ولا ما يفعله الجازع سوى إسرار الندم والحسرة في
القلوب كما ترى المقدم للصلب يثخنه ما دهمه من فظاعة الخطب ويغلب حتى لا ينبس بكلمة
ويبقى جامدا مبهوتا وقيل أسر رؤساؤهم الندامة من سفلتهم الذين أضلوهم حياء منهم وخوفا
من توبيخهم وقيل أسروها أخلصوها إما لأن إخفاءها إخلاصها وإما من قولهم سر الشيء لخالصه
وفيه تهكم بهم وبإخلاصهم وقت إخلاص الندامة وقيل أسروا الندامة أظهروها من قولهم
أسر الشيء وأشره إذا أظهره وليس هناك تجلد وقضي بينهم أي بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك
ذكر الظلم ثم أتبع ذلك الإعلام بأن له الملك كله وأنه المثيب المعاقب وما وعده من الثواب والعقاب
فهو حق وهو القادر على الإحياء والإماتة لا يقدر عليهما غيره وإلى حسابه وجزائه المرجع ليعلم
أن الأمر كذلك فيخاف ويرجى ولا يغتر به المغترون قد جاءتكم موعظة أي قد جاءكم كتاب جامع
لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد وهو شفاء أي دواء لما في صدوركم من العقائد الفاسدة
ودعاء إلى الحق ورحمة لمن آمن به منكم أصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا
والتكرير للتأكيد والتقرير وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد
الدنيا فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كأنه قيل إن فرحوا بشيء
فليخصوهما بالفرح فإنه لا مفروح به أحق منهما ويجوز أن يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا
فبذلك فليفرحوا ويجوز أن يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك فبمجيئها فليفرحوا
وقرئ فلتفرحوا بالتاء وهو الأصل والقياس وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي وعنه
لتأخذوا مصافكم قالها في بعض الغزوات وفي قراءة أبي فافرحوا وهو راجع إلى الأصل وقرئ مما يجمعون
بالياء والتاء وعن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب
الله والإسلام وقيل فضله الإسلام ورحمته ما وعد عليه أرأيتم أخبروني وما أنزل الله في
موضع النصب بأنزل أو بأرأيتم في معنى أخبرونيه فجعلتم منه حراما وحلالا أي أنزله الله رزقا حلالا كله
فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقولهم هذه أنعام وحرث حجر ما في بطون هذه الأنعام
خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا آلله أذن لكم متعلق بأرأيتم وقل تكرير للتوكيد

والمعنى أخبروني آلله أذن لكم في التحليل والتحريم فأنتم تفعلون ذلك بإذنه أم تكذبون على الله في نسبة ذلك إليه ويجوز أن يكون الهمزة للإنكار وأم منقطعة بمعنى بل **أتفترون على الله** تقريرا للافتراء وكفى بهذه الآية زاجرة زجرا بليغا عن التجوز فيما يسأل عنه من الأحكام وباعثة على وجوب الاحتياط فيه وأن لا يقول أحد في شيء جائز أو غير جائز إلا بعد إيقان وإتقان ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت وإلا فهو مفتر على الله **يوم القيامة** منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه يعني أي شيء ظن المفترين في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالإحسان والإساءة وهو وعيد عظيم حيث أبهم أمره وقرأ عيسى بن عمر وما ظن على لفظ الفعل ومعناه وأي ظن ظنوا يوم القيامة وجيء به على لفظ الماضي لأنه كائن فكأن قد كان **إن الله لذو فضل على الناس** حيث أنعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام **ولكن أكثرهم لا يشكرون** هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا إليه **وما تكون في شأن** ما نافية والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والشأن الأمر وأصله الهمز بمعنى القصد من شأنت شأنه إذا قصدت قصده والضمير في منه للشأن لأن تلاوة القرآن شأن من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو معظم شأنه أو للتنزيل كأنه قيل وما تتلو من التنزيل من قرآن لأن كل جزء منه قرآن والإضمار قبل الذكر تفخيم له أو لله عز وجل **ولا تعملون** أنتم جميعا من عمل إلا كنا عليكم شهودا شاهدين رقباء نحصي عليكم **إذ تفيضون** فيه من أفاض في الأمر إذا اندفع فيه **وما يعزب** وقرئ بالضم والكسر وما يبعد وما يغيب عنه ومنه الروض العازب ولا أصغر من ذلك ولا أكبر القراءة بالنصب والرفع والوجه النصب على نفي الجنس والرفع على الابتداء ليكون كلاما برأسه وفي العطف على محل من مثقال ذرة أو على لفظ مثقال ذرة فتحا في موضع الجر لامتناع الصرف إشكال لأن قولك لا يعزب عنه شيء إلا في كتاب مشكل **فإن قلت** لم قدمت الأرض على السماء بخلاف قوله في سورة سبأ عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض **قلت** حق السماء أن تقدم على الأرض ولكنه لما ذكر شهادته على شؤون أهل الأرض وأحوالهم وأعمالهم ووصل بذلك قوله لا يعزب عنه لاءم ذلك أن قدم الأرض على السماء على أن العطف بالواو حكمه حكم التثنية **أولياء الله** الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وقد فسر ذلك في قوله الذين آمنوا وكانوا يتقون فهو توليهم إياه **لهم البشرى** في الحياة الدنيا وفي الآخرة فهو توليه إياهم وعن سعيد بن جبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من أولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعني السمت والهيئة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الإخبات والسكينة وقيل هم المتحابون في الله وعن عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول إن من عباد الله عبادا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما أعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ الآية **الذين آمنوا** نصب أو رفع على المدح أو على وصف الأولياء أو على الابتداء والخبر **لهم البشرى** والبشرى في الدنيا ما بشر الله به المؤمنين

المتقين في غير موضع من كتابه وعن النبي صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له وعنه عليه السلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقيل هي محبة الناس له والذكر الحسن وعن أبي ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة وأما البشرى في الآخرة فتلقي الملائكة إياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم وإعطاء الصحائف بأيمانهم وما يقرؤون منها وغير ذلك من البشارات **لا تبديل** لكلمات الله لا تغيير لأقواله ولا إخلاف لمواعيده كقوله ما يبدل القول لدي وذلك إشارة إلى كونهم مبشرين في الدارين وكلتا الجملتين اعتراض **ولا يحزنك** وقرئ ولا يحزنك من أحزنه **قولهم** تكذيبهم لك وتهديدهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وإبطال أمرك وسائر ما يتكلمون به في شأنك **إن العزة لله جميعا** استئناف بمعنى التعليل كأنه قيل ما لي لا أحزن فقيل إن العزة لله جميعا أي إن الغلبة والقهر في ملكة الله جميعا لا يملك أحد شيئا منها لا هم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إنا لننصر رسلنا وقرأ أبو حيوة أن العزة لله بالفتح بمعنى لأن العزة على صريح التعليل ومن جعله بدلا من قولهم ثم أنكره فالمنكر هو تخريجه لا ما أنكر من القراءة به **هو السميع العليم** يسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون ويعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك **من في السماوات ومن في الأرض** يعني العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان وإنما خصهم ليؤذن أن هؤلاء إذا كانوا له وفي ملكته فهم عبيد كلهم وهو سبحانه وتعالى ربهم ولا يصلح أحد منهم للربوبية ولا أن يكون شريكا له فيها فما وراءهم مما لا يعقل أحق أن لا يكون له ندا أو شريكا وليدل على أن من اتخذ غيره ربا من ملك أو إنسي فضلا عن صنم أو غير ذلك فهو مبطل تابع لما أدى إليه التقليد وترك النظر ومعنى وما يتبع وما يتبعون شركاء أي وما يتبعون حقيقة الشركاء وإن كانوا يسمونها شركاء لأن شركة الله في الربوبية محال **إن يتبعون إلا الظن** إلا ظنهم أنها شركاء وإن هم إلا يخرصون يحزرون ويقدرون أن تكون شركاء تقديرا باطلا ويجوز أن يكون وما يتبع في معنى الاستفهام يعني وأي شيء يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون وعلى الأول بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فاقتصر على أحدهما للدلالة ويجوز أن تكون ما موصولة معطوفة على من كأنه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أي وله شركاؤهم وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه تدعون بالتاء ووجهه أن يحمل وما يتبع على الاستفهام أي وأي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين يعني أنهم يتبعون الله ويطيعونه فما لكم لا تفعلون مثل فعلهم كقوله أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة فقال إن يتبع هؤلاء المشركون إلا الظن ولا يتبعون ما يتبع الملائكة والنبيون من الحق ثم نبه على عظم قدرته ونعمته الشاملة لعباده التي يستحق بها أن يوحدوه بالعبادة بأنه جعل لهم الليل مظلما ليسكنوا فيه مما يقاسون في نهارهم من تعب التردد في المعاش والنهار **مبصرا** مضيئا يبصرون فيه مطالب أرزاقهم ومكاسبهم **لقوم** يسمعون سماع معتبر مدكر **سبحانه** تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لنفي الولد لأن ما يطلب به الولد من يلد وما يطلبه له السبب في كلها الحاجة فمن الحاجة منتفية عنه كان الولد عنه منتفيا **له ما في السموات** وما في الأرض

له

فهو منتف بالكلية لهم عن آخرهم اذ لا احد منهم ولذا إن عندكم من سلطان بهذا ما عندكم من حجة بهذا
القول والباء حقها أن تتعلق بقوله إن عندكم على أن يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما
عندكم بأرضكم موز كأنه قيل إن عندكم فيما تقولون سلطان أتقولون على الله ما لا تعلمون لما
نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فدل على أن كل قول لا برهان عليه لقائله فذاك جهل
وليس بعلم يفترون على الله الكذب بإضافة الولد إليه متاع في الدنيا أي افتراؤهم هذا منفعة
قليلة في الدنيا وذلك حيث يقيمون رياستهم في الكفر ومناصبة النبي صلى الله عليه وسلم بالتظاهر
به ثم يلقون الشقاء المؤبد بعده كبر عليكم عظم عليكم وشق وثقل ومنه قوله تعالى وإنها
لكبيرة إلا على الخاشعين ويقال تعاظمه الأمر مقامي مكاني يعني نفسه كما تقول فعلت هذا لمكان
فلان وفلان ثقيل الظل ومنه ولمن خاف مقام ربه بمعنى خاف ربه أو قيامي ومكثي بين أظهركم
مددا طوالا ألف سنة إلا خمسين عاما أو مقامي وتذكيري لأنهم كانوا إذا وعظوا الجماعة قاموا
على أرجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى صلوات الله عليه أنه كان
يعظ الحواريين قائما وهم قعود فأجمعوا أمركم وشركاءكم من أجمع الأمر وأزمعه إذا نواه وعزم
عليه قال هل أغدون يوما وأمري مجمع أي مجتمع والواو بمعنى مع يعني فأجمعوا أمركم
مع شركائكم وقرأ الحسن وشركاؤكم بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير تأكيد بالمنفصل
لقيام الفاصل مقامه لطول الكلام كما تقول اضرب زيدا وعمرو وقرئ فاجمعوا من الجمع وشركاءكم
نصب للعطف على المفعول أو لأن الواو بمعنى مع وفي قراءة أبي فأجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم
فإن قلت كيف جاز إسناد الإجماع إلى الشركاء قلت على وجه التهكم كقوله قل ادعوا شركاءكم
ثم كيدوني فإن قلت ما معنى الأمرين أمرهم الذي يجمعونه وأمرهم الذي لا يكون عليهم غمة
قلت أما الأمر الأول فالقصد إلى إهلاكه يعني فأجمعوا ما تريدون من إهلاكي واحتشدوا فيه
وابذلوا وسعكم في كيدي وإنما قال ذلك إظهارا لقلة مبالاته وثقته بما وعده ربه من كلاءته وعصمته
وأنهم لن يجدوا إليه سبيلا وأما الثاني ففيه وجهان أحدهما أن يراد مصاحبتهم له وما كانوا فيه معه
من الحال الشديدة عليهم المكروهة عندهم يعني ثم أهلكوني لئلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم
عليكم غمة أي غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة والثاني أن يراد به ما أريد بالأمر الأول والغمة
السترة من غمه إذا ستره ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ولا غمة في فرائض الله أي لا تستر ولكن يجاهر
بها يعني ولا يكن قصدكم إلى إهلاكي مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهرونني به ثم اقضوا
إلي ذلك الأمر الذي تريدون بي أي أدوا إلي قطعه وتصحيحه كقوله وقضينا إليه ذلك الأمر أو أدوا
إلي ما هو حق عليكم عندكم من هلاكي كما يقضي الرجل غريمه ولا تنظرون ولا تمهلوني وقرئ ثم أفضوا
إلي بالفاء بمعنى ثم انتهوا إلي بشركم وقيل هو من أفضى الرجل إذا خرج إلى الفضاء أي أصحروا به إلي وأبرزوه لي
فإن توليتم فإن أعرضتم عن تذكيري ونصيحتي فما سألتكم من أجر إن أجري
ما ينفركم عني وتتهمونني لأجله من طمع في أموالكم وطلب أجر على عظتكم إلا على الله وهو

الثواب الذي يثيبني به في الآخرة أي ما نصحتكم إلا لوجه الله لا لغرض من أغراض الدنيا وأمرت أن
أكون من المسلمين الذين لا يأخذون على تعليم الدين شيئا ولا يطلبون به دنيا يريد أن ذلك مقتضى الإسلام
والذي كل مسلم مأمور به والمراد أن يجعل الحجة لازمة لهم ويبرئ ساحته فذكر أن توليهم لم يكن عن
تفريط منه في شيء مما يرجعهم إلى الطريق الذي يجب أن يسلكوا عليه وإنما ذلك لعنادهم وتمردهم
فكذبوه فتموا على تكذيبه وكان تكذيبهم له في آخر المدة المتطاولة كتكذيبهم في أولها وذلك
عند مشارفة الهلاك بالطوفان وجعلناهم خلائف يخلفون الهالكين بالغرق كيف كان عاقبة
المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن أنذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثله وتسلية له من بعده
من بعد نوح رسلا إلى قومهم يعني هودا وصالحا وإبراهيم ولوطا وشعيبا فجاؤوهم بالبينات بالحجج الواضحة
المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما كان إيمانهم إلا ممتنعا كالمحال لشدة شكيمتهم في
الكفر وتصميمهم عليه بما كذبوا به من قبل يريد أنهم كانوا قبل بعثة الرسل أهل جاهلية
مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كأن لم يبعث إليهم أحد كذلك نطبع
مثل ذلك الطبع المحكم نطبع على قلوب المعتدين والطبع جار مجرى الكناية عن عنادهم ولجاجهم
لأن الخذلان يتبعه ألا ترى كيف أسند إليهم الاعتداء ووصفهم به من بعدهم من بعد الرسل
بآياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن قبولها وهو أعظم الكبر أن يتهاون العبيد برسالة ربهم
بعد تبينها ويتعظموا عن تقبلها وكانوا قوما مجرمين كفارا ذوي آثام عظام فلذلك استكبروا
عنها واجترؤوا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا فلما عرفوا أنه هو الحق وأنه من عند الله لا من قبل موسى
وهارون قالوا لحبهم الشهوات إن هذا لسحر مبين وهم يعلمون أن الحق أبعد شيء من السحر الذي ليس إلا
تمويها وباطلا فإن قلت هم قطعوا بقولهم إن هذا لسحر مبين على أنه سحر فكيف قيل لهم أتقولون
أسحر هذا قلت فيه أوجه أن يكون معنى قوله أتقولون للحق أتعيبونه وتطعنون فيه وكان
عليكم أن تذعنوا له وتعظموه من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول إذا قال بعضهم لبعض
ما يسوؤه ونحو القول الذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم ثم قال أسحر هذا فأنكر ما قالوه في عيبه
والطعن عليه وأن يحذف مفعول أتقولون وهو ما دل عليه قولهم إن هذا لسحر مبين كأنه قيل
أتقولون ما تقولون يعني قولهم إن هذا لسحر مبين ثم قيل أسحر هذا وأن يكون جملة قوله أسحر هذا ولا يفلح
الساحرون حكاية لكلامهم كأنهم قالوا أجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون
كما قال موسى للسحرة ما جئتم به السحر إن الله سيبطله لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل أخوان ومطاوعهما
الالتفات والانفتال عما وجدنا عليه آباءنا يعنون عبادة الأصنام وتكون لكما الكبرياء في الأرض
أي الملك لأن الملوك موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك الجبار ووصف بالصيد والشوس
ولهذا وصف ابن الرقيات مصعبا في قوله ملكه ملك رأفة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء
ينفي ما عليه الملوك من ذلك ويجوز أن يقصدوا ذمهما وأنهما إن ملكا أرض مصر تجبرا وتكبرا كما قال
القبطي لموسى إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين أي مصدقين لكما فيما

الصيد الكبر بالعنق
والشوس الكبر بالعين

قوله ما جئتم به ما موصولة وقعت مبتدأ والسحر خبر
كانه قيل الذي جئتم به السحر ويجوز ان تكون ما الحجر بالبا ما جيتم به وقرئ آلسحر على الاستفهام فعلى
هذا ما استفهامية وقرئ بطرح ويجوز ... فرعون ... من ايات الله وقرئ ما جئتم به سحر وقرأ ابي ما اتيتم به
اي الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقرأ عبد الله ما جئتم به سحر وقرأ ابي ما اتيتم به
فعلى القراءة ما استفهامية اي اي شئ جئتم به اهو السحر وقرئ السحر على الاستفهام ان الله سيبطله سيمحقه او سيظهر بطلانه باظهار المعجزة على الشعوذة
سحر والمعنى لا ما اتيت به ان الله سيبطله سيمحقه او يظهر بطلانه ولكن يسلط عليه الدمار ويحق الله الحق ويثبته
لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار فما آمن لموسى في اول امره الا ذرية من قومه
بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته بامره ومشيئته طائفة من ابنائهم مع الخوف وقيل الضمير
وذلك انه دعا الاباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من ابنائهم وقيل الضمير لفرعون والذرية
في قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته فان قلت
قلت الى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر والمراد انه ذو
الاعم يرجع الضمير في قوله وملائهم على خوف من فرعون وقيل فمن اشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون
اعقابهم من له ويجوز ان يرجع الى الذرية اي على خوف من فرعون وملائهم قوله ان يفتنهم بدل يعذبهم فرعون لعال في الارض
لعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم ويدل عليه قوله ان يفتنهم وانه لمن المسرفين في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادعائه الربوبية ان كنتم آمنتم بالله
لغالب فيها قاهر فعليه توكلوا اليه استندوا امركم في العصمة من فرعون ثم شرط في التوكل الاسلام
صدقتم به وباياته فعليه توكلوا لانه لا يحصل التوكل الا بالمخالفة لاحظ للشيطان فيه الشرط التوكل لا يوجد
وهو ان يسلموا انفسهم لله اي يجعلوها له سالمة فقالوا على الله توكلنا
مع التخليط ونظيره في الكلام ان ضربك زيد فاضربه ان كانت بك قوة واجابة دعائهم ونجاتهم
انما قالوا ذلك لان القوم كانوا مخلصين لا جرم ان الله سبحانه قبل توكلهم واجابة دعائهم ونجاهم
واهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في ارضه فمن اراد ان يصلح للتوكل على ربه والمفوض اليه فعليه
برفض التخليط الى الاخلاص لا تجعلنا فتنة موضع فتنة لهم اي عذاب يعذبوننا او يفتنونا عن ديننا او
فتنة لهم يفتنون بنا ويقولون لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا تبوءا المكان اتخذه مباءة كقولك
توطنه اذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون اليه للعبادة
والصلوة فيه واجعلوا بيوتكم قبلة اي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى ومن معه
يصلون الى الكعبة وكانوا في اول الامر مأمورين بان يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا
عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على ذلك في اول الاسلام بمكة فان قلت كيف
نوع الخطاب فثنى اولا ثم جمع ثم وحد آخرا قلت خوطب موسى وهرون عليهما السلام ان يتبوءا لقومهما
بيوتا ويختاراها للعبادة وذلك مما يفوض الى الانبياء ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد
والصلوة فيها لان ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى صلى الله عليه بالبشارة التي هي الغرض تعظيما لها
وللمبشر بها الزينة ما يتزين به من لباس او حلي او فرش او اثاث او غير ذلك وعن ابن عباس كانت لهم
من فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت فان قلت
ما معنى قوله ربنا ليضلوا عن سبيلك قلت هو دعاء بلفظ الامر كقوله ربنا اطمس واشدد
وذلك انه لما عرض عليهم آيات الله وبيناته عرضا مكررا وردد عليهم النصائح والمواعظ زمانا
طويلا وحذرهم عذاب الله وانتقامه وانذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال المبين ورآهم

لا يزيدون على عرض الايات الا كفرا وعلى الانذار الا استكبارا وعلى النصيحة الا نبوا ولم يبق له
مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة انه لا يجيء منهم الا الغي والضلال وان ايمانهم كالمحال الذي
لا يدخل تحت الصحة او علم ذلك بوحي من الله اشتد غضبه عليهم وافرط مقته وكراهته لحالهم
فدعا الله عليهم بما علم انه لا يكون غيره كما تقول لعن الله ابليس واخزى الله الكفرة مع علمك انه لا
يكون غير ذلك وليشهد عليهم بانه لم يبق له فيهم حيلة وانهم لا يستاهلون الا ان يخذلوا ويخلى بينهم
وبين ضلالهم يتسكعون فيه كانه قال ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلالا وليطبع
الله على قلوبهم فلا يؤمنوا وما علي منهم هم احق بذلك واحق كما يقول الاب المشفق لولده الشاطر
اذا لم يقبل منه حسرة على ما فاته من قبول نصيحته وحرجا عليه لا ان يريد خلاعته واتباعه هواه
ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان فلا يؤمنوا جواب للدعاء الذي هو اشدد
او دعاء بلفظ النهي وقد حملت اللام في ليضلوا على التعليل على انهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال
فكانهم اوتوها ليضلوا وقوله فلا يؤمنوا عطف على ليضلوا وقوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد
على قلوبهم دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف عليه وقرأ الفضل الرقاشي اإنك آتيت على
الاستفهام واطمس بضم الميم قد اجيبت دعوتكما قيل كان موسى يدعو وهرون يؤمن وعن الحسن
جميعا يدعوان والمعنى ان دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته فاستقيما فاثبتا
على ما انتما عليه من الدعوة والزيادة في الزام الحجة فقد لبث نوح في قومه الف عام الا قليلا ولا
تستعجلا قال ابن جريج فمكث موسى بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون
اي لا تتبعا طريق الجهلة بعادة الله في تعليق الامور بالمصالح ولا تعجلا فان العجلة ليست
بمصلحة وهذا كما قال لنوح عليه السلام اني اعظك ان تكون من الجاهلين وقرئ ولا تتبعان بالنون
الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية وبتخفيف التاء من تبع وقرأ الحسن وجوزنا
من اجاز المكان وجاوزه وجوزه وليس من جوز الذي في بيت الاعشى واذا تجوزها حبال قبيلة
لانه لو كان منه لكان حقه ان يقال وجوزنا بني اسرائيل في البحر كما قال كما جوز السكي في الباب فيتق
فاتبعهم فلحقهم يقال تبعته حتى اتبعته وقرأ الحسن وعدوا وقرئ انه بالفتح على حذف الباء التي
هي صلة الايمان وانه بالكسر على الاستئناف بدلا من آمنت كرر المعنى الواحد ثلاث مرات
في ثلاث عبارات حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث اخطأ وقته وقاله حين لم يقبل احتياطا
وكانت المرة الواحدة كافية في حال الاختيار وعند بقاء التكليف الآن اتؤمن الساعة
في وقت الاضطرار حين ادركك الغرق وايست من نفسك قيل قال ذلك حين الجمه الغرق
وقيل قاله بعد ان غرق في نفسه والذي يحكى انه حين قال آمنت اخذ جبريل من
حال البحر فدسه في فيه فللغضب لله على الكافر في وقت قد علم ان ايمانه لا ينفعه واما ما يضم
اليه من قوله خشية ان تدركه رحمة الله فمن زيادات الباهتين لله وملائكته وفيه جهالتان
احداهما ان الايمان يصح بالقلب كايمان الاخرس فحال البحر لا يمنعه والاخرى ان من كره ايمان الكافر
واحبه بقاءه على الكفر فهو كافر لان الرضا بالكفر كفر من المفسدين من الضالين المضلين عن الايمان

كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وروى
ان جبريل اتاه بفتيا ما قول الامير في عبد لرجل نشأ في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى
السيادة دونه فكتب فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده
الكافر نعماءه ان يغرق في البحر فلما الجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه **ننجيك** بالتشديد
والتخفيف نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر وقيل نلقيك بنجوة من الارض وقرئ ننحيك بالحاء
نلقيك بناحية مما يلي البحر وذلك انه طرح بعد الغرق بجانب البحر قال كعب رماه الماء الى الساحل كانه
ثور **ببدنك** في موضع الحال اي في الحال التي لا روح فيك وانما انت بدن او ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه
شيء ولم يتغير او عريانا لست الا بدنا من غير لباس او بدرعك قال عمرو بن معدي كرب
اعاذل شكتي بدني وسيفي وكل مقلص سلس القياد وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرأ ابو
حنيفة رحمه الله عليه بابدانك وهي على وجهين اما ان يكون مثل قولهم هوى باجرامه يعني ببدنك كله
وافيا باجزائه او يريد بدروعك كانه كان مظاهرا بينها **لمن خلفك** آية لمن وراءك من الناس علامة
وهم بنو اسرائيل وكان في انفسهم ان فرعون اعظم شانا من ان يغرق وروي انهم قالوا ما مات فرعون ولا يموت ابدا
وقيل اخبرهم موسى عليه السلام بهلاكه فلم يصدقوه فالقاه الله على الساحل حتى عاينوه وكان مطرحه
على ممر من بني اسرائيل حتى عرفوه وقيل لمن خلفك لمن ياتي بعدك من القرون ومعنى كونه آية ان تظهر
للناس عبوديته ومهانته وان ما كان يدعيه من الربوبية باطل محال وانه مع ما كان فيه من عظم الشان
وكبرياء الملك آل امره الى ما ترون لعصيانه ربه فما الظن بغيره او لتكون عبرة تعتبر بها الامم
بعدك فلا يجترؤوا على نحو ما اجترأت عليه اذا سمعوا بحالك وبهوانك على الله وقرئ لمن خلقك بالقاف
اي لتكون لخالقك آية كسائر آياته ويجوز ان يراد ليكون طرحك على الساحل وحدك وتمييزك من بين
المغرقين لئلا يشتبه على الناس امرك ولئلا يقولوا لادعائك العظمة ان مثله لا يغرق ولا يموت آية
من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره وليعلموا ان ذلك تعمد منه لاماطة الشبهة في امرك **مبوأ صدق**
منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام **فما** اختلفوا في دينهم وما تشعبوا فيه شعبا الا من بعد ما
قرؤوا التورية وكسبوا العلم بدين الحق ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة وعلموا ان الاختلاف فيه
عنه وقيل هو العلم بمحمد صلى الله عليه وسلم واختلاف بني اسرائيل وهم اهل الكتاب اختلافهم في صفته
وانه هو او ليس به بعد ما جاءهم العلم والبيان انه هو كما قال الله تعالى الذين آتيناهم الكتاب
يعرفونه كما يعرفون ابناءهم **فان قلت** كيف قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان كنت في شك مع قوله للكفرة وانهم لفي شك منه مريب
قلت فرق عظيم بين قوله وانهم لفي شك منه مريب
باثبات الشك لهم على سبيل التاكيد والتحقيق وبين قوله فان كنت في شك بمعنى الفرض والتمثيل كانه قيل فان
وقع لك شك مثلا وخيل لك الشيطان خيالا منه تقديرا فاسأل الذين يقرؤون الكتاب والمعنى ان الله
عز وجل قدم ذكر بني اسرائيل وهم قراء الكتاب ووصفهم بان العلم قد جاءهم لان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
مكتوب عندهم في التورية والانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فاراد ان يؤكد علمهم بصحة القرآن
وصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويبالغ في ذلك فقال فان وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من خالجته

شبهة في الدين ان يسارع الى حلها واماطتها اما بالرجوع الى قوانين الدين وادلته واما بمقادحة
العلماء المنبهين على الحق فسل علماء اهل الكتاب يعني انهم من الاحاطة بصحة ما انزل اليك
بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومسائلتهم فضلا عن غيرك فالغرض وصف الاحبار بالرسوخ في
العلم بصحة ما انزل الى رسول الله بالشك فيه ثم قال لقد جاءك الحق من ربك اي ثبت عندك بالآيات
والبراهين القاطعة ان ما اتاك هو الحق الذي لا مدخل فيه للمرية فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين
كذبوا بآيات الله اي فاثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بآيات الله ويجوز ان
يكون على طريقة التهييج والالهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد
اذ انزلت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزوله لا اشك ولا اسأل
بل اشهد انه الحق وعن ابن عباس لا والله ما شك طرفة عين ولا سأل احدا منهم **وقيل** خوطب رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمراد خطاب امته ومعناه فان كنتم في شك مما انزلنا اليكم كقوله
وانزلنا اليكم نورا مبينا **وقيل** الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك كقول العرب اذا
عز اخوك فهن **وقيل** ان للنفي اي فما كنت في شك فسل يعني لا نامرك بالسؤال لانك شاك ولكن
لتزداد يقينا كما ازداد ابراهيم بمعاينة احياء الموتى وقرئ فسل الذين يقرؤون الكتب **حقت**
عليهم كلمة ربك ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح واخبر به الملائكة انهم يموتون كفارا
فلا يكون غيره وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد تعالى الله عن ذلك **فلولا** كانت فهلا
كانت قرية واحدة من القرى التي اهلكناها تابت عن الكفر واخلصت الايمان قبل المعاينة
ولم تؤخر كما اخر فرعون الى ان اخذ بمخنقه **فنفعها** ايمانها بان يقبله
الله منها لوقوعه في وقت الاختيار وقرأ ابي وعبد الله فهلا كانت الا قوم يونس استثناء من
القرى لان المراد اهاليها وهو استثناء منقطع بمعنى لكن قوم يونس لما آمنوا ويجوز ان يكون متصلا
والجملة في معنى النفي كانه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس ~~لما آمنوا ويجوز ان يكون~~
~~متصلا والجملة في معنى النفي كانه قيل ما~~ وانتصابه على اصل الاستثناء وقرئ بالرفع على البدل هكذا
روي عن الجرمي والكسائي وروي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه
فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة
وقيل قال لهم يونس ان اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان راينا اسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت
خمس وثلاثون اغامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود
سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين
النساء والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا
الايمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم الله وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود
بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده
وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم وقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين
لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض
قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا

بمخنقه
يقبله

ولو شا ربك مشية القسر والالجا لآمن من في الارض كلهم جميعا على وجه الاحاطه
والشمول جميعا مجتمعين على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه الا ترى الى قوله افانت تكره الناس
يعني انما يقدر على اكراههم واضطرارهم الى الايمان هو لا انت وايلا الاسم حرف الاستفهام للاعلام بان
الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الشان في المكره من هو وما هو الا هو وحده لا مشارك فيه لانه هو القادر على
ان يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وما كان لنفس يعني من النفوس
التي علم انها تومن الا باذن الله اي بتسهيله وهو منح الالطاف ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون
قابل الاذن بالرجس وهو الخذلان والنفس المعلوم ايمانها بالذين لا يعقلون وهم المصرون على الكفر
كقوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون وسمى الخذلان رجسا وهو العذاب لانه سببه وقرى الرجز بالزاي وقرى
ونجعل بالنون ماذا في السموات والارض من الايات والعبر وما تغني الايات والنذر والرسل المنذرون
او الانذارات عن قوم لا يومنون وقرى وما يغني بالياء وما نافية او استفهامية ايام الذين خلوا
وقايع الله فيهم كما يقال ايام العرب لوقايعها ثم ننجي رسلنا معطوف على كلام محذوف يدل عليه
الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا على حكاية الاحوال الماضية
والذين امنوا ومن امن معهم كذلك ننجي المومنين مثل ذلك الانجا ننجي المومنين منكم ونهلك المشركين
وحقا علينا اعتراض يعني حق ذلك علينا حقا وقرى ننجي بالتشديد يا ايها الناس يا اهل مكة ان كنتم
في شك من ديني وصحته وسداده فهذا ديني فاسمعوا وصفه واعرضوه على عقولكم وانظروا فيه بعين
الانصاف لتعلموا انه دين لا مدخل فيه للشك وهو اني لا اعبد الحجارة التي تعبدونها من دون
الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وانما وصفه بالتوفي ليريهم انه الحقيق بان يخاف ويتقى ويعبد
دون ما لا يقدر على شي وامرت ان اكون من المومنين يعني ان الله امرني بذلك بما ركب في
من العقل وبما اوحى الي في كتابه وقيل معناه ان كنتم في شك من ديني وما انا عليه اثبت عليه ام
اتركه واوافقكم فلا تحدثوا انفسكم بالمحال ولا تشكوا في امري واقطعوا عني اطماعكم واعلموا اني
لا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولا اختار الضلالة على الهدى كقوله قل يا ايها الكافرون لا اعبد
ما تعبدون وان اكون اصله بان اكون فحذف الجار وهذا الحذف يحتمل ان يكون من الحذف المطرد الذي هو حذف الحروف الجارة
مع ان وان وان يكون من الحذف غير المطرد وهو قوله امرتك الخير فاصدع بما تومر فان قلت عطف قوله وان اقم
على ان اكون فيه اشكال لان ان لا تخلو من ان تكون التي للعبارة او التي تكون مع الفعل في تاويل المصدر
فلا يصح ان تكون التي للعبارة وان كان الامر مما يتضمن معنى القول لان عطفها على الموصولة يابى ذلك
والقول بكونها موصولة مثل الاولى لا يساعد عليه لفظ الامر وهو اقم لان الصلة حقها ان تكون
جملة تحتمل الصدق والكذب قلت قد سوغ سيبويه ان توصل ان بالامر والنهي وشبه ذلك بقولهم
انت الذي تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما تكون معه في معنى المصدر والامر والنهي دالان على
المصدر دلالة غيرهما من الافعال اقم وجهك استقم اليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالا وحنيفا حال
من الدين او من الوجه فان فعلت معناه فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه
بالفعل ايجازا فانك اذا من الظالمين اذا جزا للشرط وجواب لسوال مقدر كان سائلا سال
عن تبعة عبادة الاوثان ووصفها بانها لا تنفع ولا تضر ان الله عز وجل هو الضار النافع

ان اصابه بضر لم يقدر على كشفه الا هو وحده دون كل احد فكيف بالجماد الذي لا شعور به
وكذلك ان اراده بخير لم يرد احد ما يريده به من فضله واحسانه فكيف بالاوثان فهو الحقيق
اذا بان توجه اليه العبادة دونها وهو ابلغ من قوله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره
او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته فان قلت لم ذكر المس في احدهما والارادة في الثاني
قلت كانه اراد ان يذكر الامرين جميعا الارادة والاصابة في كل واحد من الضر والخير وانه لا راد
لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر المس وهو الاصابة في احدهما والارادة
في الاخر ليدل بما ذكر على ما ترك على انه قد ذكر الاصابة بالخير في قوله يصيب به من يشاء من عباده والمراد بالمشية
مشية المصلحة قد جاءكم الحق فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة فمن اختار الهدى واتباع الحق فما نفع باختياره
الا نفسه ومن آثر الضلال فما ضر الا نفسه واللام وعلى دلا على معنى النفع والضر وكل اليهم الامر بعد
ابانة الحق وازاحة العلل وفيه حث على ايثار الهدى واطراح الضلال مع ذلك وما انا عليكم بوكيل
بحفيظ موكول الي امركم وحملكم على ما اريد انما انا بشير ونذير واصبر على دعوتهم واحتمال اذاهم
واعراضهم حتى يحكم الله لك بالنصرة عليهم والغلبة وروي انها لما نزلت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الانصار فقال انكم ستجدون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني يعني اني امرت في هذه الاية بالصبر
على ما سامتني الكفرة فصبرت فاصبروا انتم على ما يسومكم الامراء الجورة قال انس فلم نصبر
وروي ان ابا قتادة رضي الله عنه تخلف عن تلقي معوية حين قدم المدينة وقد تلقته الانصار
ثم دخل عليه فقال له ما لك لم تتلقنا فقال لم تكن عندنا دواب قال فاين النواضح قال قطعناها
في طلبك وطلب ابيك يوم بدر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار انكم ستلقون
بعدي اثرة قال معوية فماذا قال قال فاصبروا حتى تلقوني قال فاصبروا اذن فقال عبد الرحمن
بن حسان: الا ابلغ معوية بن حرب امير الظالمين نثا كلامي بانا صابرون فمنظروكم الى يوم التغابن
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق
بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

سورة هود مكية وهي مائة وثلث وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم احكمت آياته نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقض
ولا خلل كالبناء المحكم المرصف ويجوز ان يكون نقلا بالهمزة من حكم بضم الكاف اذا صار حكيما
اي جعلت حكيمة كقوله آيات الكتاب الحكيم وقيل منعت من الفساد من قولهم احكمت الدابة
اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح قال جرير: ابني حنيفة احكموا سفهاءكم اني اخاف عليكم ان اغضبا
وعن قتادة احكمت من الباطل ثم فصلت كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والاحكام
والمواعظ والقصص او جعلت فصولا سورة سورة وآية آية او فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة
واحدة او فصل فيها ما يحتاج اليه العباد اي بين ولخص وقرى احكمت آياته ثم فصلت اي احكمتها

أنا ثم فصلتها وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت أي فرقت بين الحق والباطل فإن قلت ما معنى
ثم قلت ليس معناها التراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة أحسن الإحكام
مفصلة أحسن التفصيل وفلان كريم الأصل ثم كريم الفعل وكتاب خبر مبتدأ محذوف وأحكمت
صفة له وقوله من لدن حكيم خبير صفة ثانية ويجوز أن يكون خبرا بعد خبر وأن يكون صلة
أحكمت وفصلت أي من عنده إحكامها وتفصيلها وفيه طباق حسن لأن المعنى أحكمها
حكيم وفصلها أي بينها وشرحها خبير عالم بكيفيات الأمور ألا تعبدوا إلا الله وأن استغفروا
أي أمركم بالتوحيد والاستغفار ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ منقطعا عما قبله على لسان النبي صلى الله عليه وسلم
إغراء منه على اختصاص الله بالعبادة ويدل عليه قوله إنني لكم منه نذير وبشير كأنه قال ترك عبادة
غير الله إنني لكم منه نذير كقوله تعالى فضرب الرقاب والضمير في منه لله عز وجل أي إنني لكم نذير وبشير
من جهته كقوله رسول من الله أو هي صلة لنذير أي أنذركم منه ومن عذابه إن كفرتم وأبشركم بثوابه
إن آمنتم فإن قلت ما معنى ثم في قوله ثم توبوا إليه قلت معناه استغفروا من الشرك ثم ارجعوا
إليه بالطاعة أو استغفروا والاستغفار توبة ثم أخلصوا التوبة واستقيموا عليها كقوله
ثم استقاموا يمتعكم يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة
متتابعة إلى أجل مسمى إلى أن يتوفاكم كقوله فلنحيينه حياة طيبة ويؤت كل ذي فضل فضله
ويعط في الآخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه أو فضله في الثواب
والدرجات تتفاضل في الجنة على قدر تفاضل الطاعات وإن تولوا وإن تتولوا عذاب يوم كبير هو يوم
القيامة وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل وبين عذاب اليوم الكبير بأن مرجعهم إلى من هو قادر
على كل شيء فكان قادرا على أشد ما أراد من عذابهم الجزاء وقرئ وإن تولوا من ولى يثنون صدورهم
يزورون عن الحق وينحرفون عنه لأن من أقبل على الشيء استقبله بصدره ومن ازور عنه وانحرف ثنى
عنه صدره وطوى عنه كشحه ليستخفوا منه يعني ويريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع رسوله
والمؤمنين على ازورارهم ونظير إضمار يريدون لعود المعنى إلى إضماره الإضمار في قوله تعالى أن اضرب
بعصاك البحر فانفلق معناه فضرب فانفلق ومعنى ألا حين يستغشون ثيابهم ويريدون الاستخفاء
حين يستغشون ثيابهم أيضا كراهة لاستماع كلام الله كقول نوح عليه السلام جعلوا أصابعهم
في آذانهم واستغشوا ثيابهم ثم قال يعلم ما يسرون وما يعلنون يعني أنه لا تفاوت في علمه بين
إسرارهم وإعلانهم فلا وجه لتوصلهم إلى ما يريدون من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم صدورهم
واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده روي أنها نزلت في الأخنس بن شريق وكان يظهر
لرسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة وله منطق حلو وحسن سياق للحديث وكان يعجب رسول الله
مجالسته ومحادثته وهو يضمر خلاف ما يظهر وقيل نزلت في المنافقين وقرئ تثنوني صدورهم
واثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة قرئ بالتاء والياء وعن ابن

عباس لتثنوني وقرئ تثنون وأصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش وضعف
من الكلأ يريد مطاوعة صدورهم للثني كما ينثني الهش من النبات أو أراد ضعف إيمانهم ومرض
قلوبهم وقرئ تثنئن من اثنأن افعال منه ثم همز كما قيل ابيأضت وادهأمت وقرئ تثنوي بوزن
ترعوي فإن قلت كيف قال على الله رزقها بلفظ الوجوب وإنما هو تفضل قلت هو
تفضل إلا أنه لما ضمن أن يتفضل به عليهم رجع التفضل واجبا كنذور العباد والمستقر مكانه
من الأرض ومسكنه والمستودع حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب أو رحم أو بيضة
كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في اللوح يعني ذكرها مكتوب فيه
مبين وكان عرشه على الماء أي ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والأرض وارتفاعه فوقها إلا الماء
وفيه دليل على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والأرض وقيل وكان الماء على متن الريح
والله أعلم بذلك وكيف ما كان فالله ممسك كل ذلك بقدرته وكلما ازداد ذلك إلى الأجرام
كان أحوج إليه وإلى إمساكه ليبلوكم متعلق بخلق أي خلقهن لحكمة بالغة وهي أن يجعلها
مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم الطاعات واجتناب المعاصي فمن شكر
وأطاع أثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما أشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم يريد ليفعل
بكم ما يفعل المبتلي لأحوالكم كيف تعملون فإن قلت كيف جاز تعليق فعل البلوى قلت
لما في الاختبار من معنى العلم لأنه طريق إليه فهو ملابس له كما تقول انظر أيهم أحسن وجها
واسمع أيهم أحسن صوتا لأن النظر والاستماع من طرق العلم فإن قلت كيف قيل أيكم
أحسن عملا وأعمال المؤمنين هي التي تتفاوت إلى حسن وأحسن فأما أعمال المؤمنين والكافرين فتفاوتها
إلى حسن وقبيح قلت الذين هم أحسن عملا هم المتقون وهم الذين استبقوا إلى تحصيل
ما هو غرض الله من عباده فخصهم بالذكر واطرح ذكر من وراءهم تشريفا لهم وتنبيها على مكانهم
منه وليكون ذلك لطفا للسامعين وترغيبا في حيازة فضلهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ليبلوكم
أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله وقرئ ولئن قلت أنكم مبعوثون
بفتح الهمزة ووجهه أن يكون من قولهم ائت السوق أنك تشتري لحما وأنك تشتري بمعنى علك
أي ولئن قلت لهم لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم وظنوه ولا تبتوا القول بإنكاره
لقالوا إن هذا إلا سحر مبين يبتون القول ببطلانه ويجوز أن تضمن قلت معنى ذكرت ومعنى قولهم إن
هذا إلا سحر أن هذا باطل وأن بطلانه كبطلان السحر تشبيها له به أو أشاروا بهذا إلى
القرآن لأن القرآن هو الناطق بالبعث فإذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته إنكار ما فيه من البعث
وغيره وقرئ إن هذا إلا ساحر يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل العذاب عذاب الآخرة
وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس قتل جبريل المستهزئين إلى أمة إلى جماعة من الأوقات ما يحبسه
ما يمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء يوم يأتيهم منصوب بخبر ليس
ويستدل به من يستجيز تقديم خبر ليس على ليس وذلك أنه إذا جاز تقديم معمول خبرها عليها

على ذلك دليلا على جواز تقدمه اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع العامل **وحاق بهم** العذاب الذي كانوا به يستعجلون وانما وضع يستهزؤن موضع يستعجلون لان استعجالهم كان على جهة الاستهزاء والمعنى ويحيق بهم الا انه جاء على عادة الله في اخباره **الانسان** للجنس **رحمة** نعمة من صحة وامن وجدة **ثم نزعناها منه** ثم سلبناه تلك النعمة **انه ليؤس** شديد اليأس من ان تعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه ولا استرجاع **كفور** عظيم الكفران لما سلف له من التقلب في نعمة الله نساء له **ذهب السيئات عني** اي المصائب التي ساءتني **انه لفرح** اشر بطر **فخور** على الناس بما اذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر **الا الذين آمنوا** فان عادتهم ان نالتهم رحمة ان يشكروا وان زالت عنهم نعمة ان يصبروا كانوا يقترحون عليه آيات تعنتا لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية في رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فحرك الله منه وهيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك اي لعلك تترك ان تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به وضائق به صدرك بان تتلوه عليهم **ان يقولوا** مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز اي هلا انزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم انزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم قال انما انت نذير اي ليس عليك الا ان تنذرهم بما اوحي اليك وتبلغهم ما امرت بتبليغه ولا عليك ردوا او تهاونوا او اقترحوا **والله على كل شيء وكيل** يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب ان يفعل فتوكل عليه وكل امرك اليه وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم **فان قلت** لم عدل عن ضيق الى ضائق **قلت** ليدل على انه ضيق عارض غير ثابت لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان افسح الناس صدرا ومثله قولك زيد سيد وجواد تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين فاذا اردت الحدوث قلت سائد وجائد والضمير في افتراه لما يوحى اليك تحداهم اولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخاير في الخط لصاحبه اكتب عشرة اسطر نحو ما اكتب فاذا تبين له العجز عن مثل خطه قال قد اقتنعت منك بسطر واحد **مثله** بمعنى امثاله ذهابا الى مماثلة كل واحدة منها له مفتريات صفة لعشر سور لما قالوا افترى القرآن واختلقه من عند نفسه وليس من عند الله قال وهبوا اني اختلقته من عند نفسي ولم يوح الي وان الامر كما قلتم فاتوا انتم ايضا بكلام مثله مختلق من عند انفسكم فانتم عرب فصحاء مثلي لا تعجزون عن مثل ما اقدر عليه من الكلام **فان قلت** كيف يكون ما ياتون به مثله وما ياتون به مفترى وهذا غير مفترى **قلت** معناه مثله في حسن النظم والبيان وان كان مفترى

ما وجه جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله قل **قلت** معناه فان لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لان رسول الله والمؤمنين كانوا يتحدونهم وقد قال في موضع آخر فان لم يستجيبوا لك فاعلموا ويجوز ان يكون الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله فان شئت حرمت النساء سواكم وان يكون الخطاب للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم يعني فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وان طاقتهم اقصر من ان يبلغوه **فاعلموا** انما انزل بعلم الله اي انزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه واعلموا عند ذلك ان لا اله الا الله وحده وان توحيده واجب والاشراك به ظلم عظيم **فهل** انتم مسلمون مبايعون بالاسلام بعد هذه الحجة القاطعة وهذا وجه حسن مطرد ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذي انتم عليه وازدادوا يقينا وثبات قدم على انه منزل من عند الله وعلى التوحيد ومعنى فهل انتم مسلمون فهل انتم مخلصون **نوف** اليهم نوصل اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق **وقيل** هم اهل الرياء يقال للقراء منهم اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ولمن وصل الرحم وتصدق فعلت حتى يقال فقد قيل ولمن قاتل فقتل قاتلت حتى يقال فلان جريء فقد قيل وعن انس هم اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن **وقيل** هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسهم لهم في الغنائم وقرئ يوف بالياء اي يوف الله عز وجل وتوف اليهم اعمالهم بالتاء على البناء للمفعول وفي قراءة الحسن نوفي بالتخفيف واثبات الياء لان الشرط وقع ماضيا **كقوله** يقول لا غائب مالي ولا حرم **وحبط ما صنعوا** فيها وحبط في الآخرة ما صنعوه او صنيعهم يعني لم يكن له ثواب لانهم لم يريدوا به الآخرة انما ارادوا به الدنيا وقد وفي اليهم ما ارادوا **وباطل** ما كانوا يعملون اي كان عملهم في نفسه باطلا لانه لم يعمل لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له وقرئ وبطل على الفعل وعن عاصم وباطلا بالنصب وفيه وجهان ان يكون ما ابهامية وينتصب بيعملون ومعناه وباطلا اي باطل كانوا يعملون وان يكون بمعنى المصدر على وبطل بطلانا ما كانوا يعملون **افمن كان على بينة** معناه امن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بينة اي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يريد ان بين الفريقين تفاوتا بعيدا وتباينا بينا واراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كان على بينة من ربه اي على برهان من الله وبيان ان دين الاسلام حق وهو دليل العقل **ويتلوه** ويتبع ذلك البرهان شاهد منه اي شاهد يشهد بصحته وهو القرآن منه من الله او شاهد من القرآن **ومن قبله** ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة اي ويتلو ذلك البرهان ايضا من قبل القرآن كتاب موسى وقرئ كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على بينة من ربه وهو الدليل على ان القرآن حق ويتلوه ويقرأ القرآن شاهد منه شاهد ممن

كان على بينة كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله قل كفى بالله شهيدا
بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن قبله كتاب موسى ويتلو من قبل القرآن التورية
اماما كتابا مؤتما به في الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل اليهم اولئك يعني من
كان على بينة يؤمنون به يؤمنون بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب يعني اهل مكة ومن ضامهم
من المتحزبين على رسول الله فالنار موعده فلا تك في مرية وقرئ مرية بالضم وهما الشك
منه من القرآن او من الموعد يعرضون على ربهم يحبسون في الموقف وتعرض اعمالهم وتشهد
عليهم الاشهاد من الملائكة والنبيين بانهم الكذابون على الله بانه اتخذ ولدا او شريكا
ويقال الا لعنة الله على القوم الظالمين فوا خزياه ووا فضيحتاه والاشهاد جمع شاهد
او شهيد كاصحاب او اشراف ويبغونها عوجا يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة او يبغون
اهلها ان يعوجوا بالارتداد وهم الثانية لتاكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به اولئك لم يكونوا
معجزين في الارض اي ما كانوا يعجزون الله في الدنيا ان يعاقبهم لو اراد عقابهم وما كان لهم
من دون الله من اولياء من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه اراد انظارهم وتاخير عقابهم الى هذا
اليوم وهو من كلام الاشهاد يضاعف لهم العذاب وقرئ يضعف ما كانوا يستطيعون
السمع ولعل بعض المجبرة يتوثب اذا عثر عليه فيوعوع به على اهل العدل كانه لم يسمع
الناس يقولون في كل لسان هذا كلام لا استطيع ان اسمعه وهذا مما يمجه سمعي ويجوز
ان يريد بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء انهم جعلوا آلهتهم اولياء من دون الله وولايتها ليست بشيء فما
كان لهم في الحقيقة من اولياء ثم بين نفي كونهم اولياء بقوله ما كانوا يستطيعون السمع وما
كانوا يبصرون يعني انهم لا يصلحون للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض بوعيد
خسروا انفسهم اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله فكان خسرانهم في تجارتهم ما لا خسران
اعظم منه وهو انهم خسروا انفسهم وضل عنهم وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو ما كانوا
يفترون من الآلهة وشفاعتها لا جرم تفسيره في مكان آخر هم الاخسرون لا ترى احدا ابين خسرا
منهم واخبتوا الى ربهم واطمانوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع من
الخبت وهي الارض المطمئنة ومنه قولهم للشيء الدني الخبيت قال
ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيت وقيل التاء فيه بدل
من الثاء شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع وهو من اللف والطباق
وفيه معنيان ان يشبه الفريق تشبيهين اثنين كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف
والعناب وان يشبه بالذي جمع بين العمى والصمم او الذي جمع بين البصر والسمع على ان تكون الواو في والاصم وفي والسميع
لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآيب هل يستويان
مثلا تشبيها اي ارسلناه نوحا باني لكم نذير ومعناه ارسلناه ملتبسا بهذا الكلام
وهو قوله اني لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كان والمعنى على الكسر وهو

قولك ان زيدا كالاسد وقرئ بالكسر على ارادة القول ان لا تعبدوا بدل من اني لكم نذير اي ارسلناه
بان لا تعبدوا الا الله او تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير وصف اليوم بأليم من الاسناد
المجازي لوقوع الالم فيه فان قلت فاذا وصف به العذاب قلت مجازي مثله لان الاليم
في الحقيقة هو المعذب ونظيرهما قولك نهارك صائم وجد جده الملا الاشراف من قولهم
فلان مليء بكذا اذا كان مطيقا له وقد ملؤ بالامر لانهم ملؤا بكفايات الامور واضطلعوا
بها وبتدبيرها او لانهم متمالئون اي متظاهرون متساندون او لانهم يملؤن القلوب هيبة
والمجالس ابهة او لانهم ملاء بالاحلام والآراء الصائبة ما نراك الا بشرا مثلنا تعريض بانهم
احق منه بالنبوة وان الله لو اراد ان يجعلها في احد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب انك واحد
من الملا وموازيهم في المنزلة فما جعلك احق منهم الا ترى الى قولهم وما نرى لكم علينا من فضل او ارادوا
انه كان ينبغي ان يكون ملكا لا بشرا والاراذل جمع الارذل كقوله اكابر مجرميها واحاسنكم
اخلاقا وقرئ بادي الراي بالهمز وغير الهمز يعني اتبعوك اول الراي او ظاهر الراي وانتصابه على
الظرف اصله وقت حدوث اول رايهم فحذف ذلك واقيم المضاف اليه مقامه ارادوا ان اتباعهم
لك انما هو شيء عن لهم بديهة من غير روية ونظر وانما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتاخرهم في الاسباب
الدنيوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فكان الاشرف
عندهم من له جاه ومال كما ترى اكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه
اكرامهم واهانتهم ولقد زل عنهم ان التقدم في الدنيا لا يقرب احدا من الله وانما يبعده ولا
يرفعه بل يضعه فضلا ان يجعله سببا في الاختيار للنبوة والتاهيل لها على ان الانبياء بعثوا
مرغبين في طلب الآخرة ورفض الدنيا مزهدين فيها مصغرين لشانها وشان من اخلد اليها فما
ابعد حالهم من الاتصاف بما يبعد من الله والتشرف بما هو ضعة عند الله من فضل من زيادة
شرف علينا تؤهلك للنبوة بل نظنكم كاذبين فيما تدعونه ارايتم اخبروني ان كنت على بينة
على برهان من ربي وشاهد منه يشهد بصحة دعواي وآتاني رحمة من عنده يعني ان البينة على ان
البينة في نفسها هي الرحمة ويجوز ان يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة فان قلت فقوله
فعميت ظاهر على الوجه الاول فما وجهه على الوجه الثاني وحقه ان يقال فعميتا قلت
الوجه ان يقدر فعميت بعد البينة وان يكون حذفه للاقتصار على ذكره مرة ومعنى عميت
فخفيت وقرئ فعميت بمعنى اخفيت وفي قراءة ابي فعماها عليكم فان قلت فما حقيقته قلت
حقيقته ان الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره
فمعنى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد فان قلت
فما حقيقة انلزمكموها قلت المعنى انكرهكم على قبولها ونقسركم على الاهتداء بها وانتم لها كارهون يعني انكرهكم على قبولها
وانتم تكرهونها ولا تختارونها ولا اكراه في الدين وقرئ بضم الميم الاولى

متصلين جميعا وجوز ان يكون الثاني منفصلا كقولك انلزمكم اياها ونحوه فسيكفيكهم الله
وحكي عن ابي عمرو اسكان الميم ووجهه ان الحركة لم تكن الا خلسة خفيفة فظنها الراوي سكونا
والاسكان الصريح لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين لان الحركة الاعرابية لا يسوغ طرحها
الا في ضرورة الشعر والضمير في قوله لا اسالكم عليه راجع الى قوله لهم اني لكم نذير مبين ان لا تعبدوا
الا الله وقرئ وما انا بطارد الذين امنوا بالتنوين فان قلت ما معنى قوله انهم ملاقوا ربهم قلت
على الاصل
معناه انهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم او يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما
ظهر لي منهم وما اعرف غيره منهم او على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على بادي الراي من غير
نظر وتفكر وما علي ان اشق عن قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر كما تزعمون
ونحوه ولا تطرد الذين يدعون ربهم الاية او هم مصدقون بلقاء ربهم موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة
تجهلون تتسافهون على المومنين وتدعونهم اراذل من قوله الا لا يجهلن احد علينا
او تجهلون لقاء ربكم او تجهلون انهم خير منكم من ينصرني من الله من يمنعني من انتقامه ان طردتهم وكانوا
يسالونه ان يطردهم ليومنوا انفة من ان يكونوا معهم على سواء ولا اعلم الغيب معطوف على عندي
خزائن الله اي لا اقول عندي خزائن الله ولا اقول انا اعلم الغيب ومعناه لا اقول لكم عندي خزائن
الله فادعي فضلا عليكم في الغنى حتى تجحدوا فضلي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل ولا ادعي علم
الغيب حتى تنسبوني الى الكذب والافتراء او حتى اطلع على ما في نفوس اتباعي وضمائر قلوبهم ولا اقول
اني ملك حتى تقولوا لي ما انت الا بشر مثلنا ولا احكم على من استرذلتم من المومنين لفقرهم ان الله لن يوتيهم
خيرا في الدنيا والاخرة لهوانهم عليه كما تقولون مساعدة لكم ونزولا على هواكم اني اذا لمن الظالمين
تزدري افتعال من زرى عليه اذا عابه وازرى به قصر به يقال ازريت به
اذا قلت شيئا من ذلك وازدرته عينه واقتحمته عينه جادلتنا فاكثرت معناه اردت جدالنا وشرعت فيه فاكثرته كقولك
جاد فلان فاكثر واطاب بما تعدنا من العذاب المعجل انما ياتيكم به الله اي ليس الاتيان بالعذاب
الي انما هو الى من كفرتم به وعصيتموه ان شاء يعني ان اقتضت حكمته ان يعجله لكم وقرا ابن عباس فاكثرت
جدلنا فان قلت ما وجه ترادف هذين الشرطين قلت قوله ان كان الله يريد ان يغويكم
جزاء ما دل عليه قوله لا ينفعكم نصحي وهذا الدال في حكم ما دل عليه فوصل بشرط كما وصل الجزاء
بالشرط في قولك ان احسنت الي احسنت اليك ان امكنني فان قلت فما معنى قوله ان كان الله يريد
ان يغويكم قلت اذا عرف الله من الكافر الاصرار فخلاه وشانه ولم يلجئه سمي ذلك اغواء واضلالا
كما انه اذا عرف منه انه يتوب ويرعوي فلطف به سمي ارشادا وهداية وقيل ان يغويكم
ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك ومعناه انكم اذا كنتم من التصميم على الكفر
بالمنزلة التي لا ينفعكم نصائح الله ومواعظه وسائر الطافه كيف ينفعكم نصحي
واجرامي بلفظ المصدر والجمع كقوله والله يعلم اسرارهم واسرارهم ونحو جرم واجرام قفل واقفال
وننصر الجمع ان فسره الاولون باثامي والمعنى ان صح وثبت اني افتريته فعلي عقوبة اجرامي اي افترائي

وكان حقي حينئذ ان تعرضوا عني وتتالبوا علي وانا بريء يعني ولم يثبت ذلك وانا بريء منه ومعنى
مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي فلا وجه لاعراضكم ومعاداتكم الا من قد امن اقناط من ايمانهم
وانه كالمحال الذي لا تعلق به للتوقع الا من قد امن الا من قد وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه وقد للتوقع
وقد اصابت محزها فلا تبتئس فلا تحزن حزن بائس مستكين قال
ما يقسم الله اقبل غير مبتئس به واقعد كريما ناعم البال والمعنى فلا تحزن بما فعلوه
من تكذيبك وايذائك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام لك منهم باعيننا في موضع الحال بمعنى
اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا باعيننا كان لله معه اعينا تكلؤه ان يزيغ في صنعته
عن الصواب وان لا يحول بينه وبين عمله احد من اعدائه ووحينا وانا نوحي اليك ونلهمك كيف
تصنع عن ابن عباس لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطائر
ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تدعني في شان قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك انهم مغرقون
انهم محكوم عليهم بالاغراق قد وجب ذلك وقضي به القضاء وجف القلم فلا سبيل الى كفه كقوله يا ابراهيم
اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم اتيهم عذاب غير مردود ويصنع الفلك حكاية حال ماضية
سخروا منه ومن عمله السفينة وكان يعملها في برية بيهماء في ابعد موضع من الماء وفي وقت عز الماء
فيه عزة شديدة فكانوا يتضاحكون ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا فانا نسخر منكم
يعني في المستقبل كما تسخرون منا الساعة اي نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم
الغرق في الدنيا والحرق في الاخرة وقيل ان تستجهلونا فيما نصنع فانا نستجهلكم فيما انتم عليه
من الكفر والتعرض لسخط الله وعذابه فانتم اولى بالاستجهال منا او ان تستجهلونا فانا نستجهلكم
في استجهالكم لانكم لا تستجهلون الا عن جهل بحقيقة الامر وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة
في البعد عن الحقائق وروي ان نوحا عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع
وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السماء ثلثين ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلثة بطون
فحمل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب
هو ومن معه في البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وحمل معه جسد ادم وجعله معترضا بين الرجال
والنساء وعن الحسن كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى
عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب
فاخذ كفا من ذلك التراب فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب بن حام قال
فضرب الكثيب بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن راسه وقد شاب فقال له
عيسى اهكذا هلكت قال لا مت وانا شاب ولكني ظننت انها الساعة فمن ثم شبت قال حدثنا عن سفينة
نوح قال كان طولها الف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلث طبقات طبقة فيها الدواب
والوحوش وطبقة فيها الانس وطبقة فيها الطير ثم قال له عد باذن الله كما كنت فعاد ترابا من ياتيه في محل
النصب بتعلمون اي فسوف تعلمون الذي ياتيه عذاب يخزيه ويعني به اياهم ويريد بالعذاب عذاب

البناء وهو الغرق ويحل عليه حلول الدين والحق اللازم الذي لا انفكاك له عنه **عذاب مقيم**
وهو عذاب الآخرة **حتى** هي التي يبتدأ بعدها الكلام أدخلت على الجملة من الشرط والجزاء فإن قلت
وقعت غاية لماذا قلت لقوله ويصنع الفلك أي وكان يصنعها إلى أن جاء وقت الموعد فإن قلت
فإذا اتصلت حتى بيصنع فما تصنع بما بينهما من الكلام قلت هو حال من يصنع كأنه قال يصنعها
والحال أنه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه فإن قلت فما جواب كلما قلت سخروا
وقال استئناف على تقدير سؤال سائل أو تجعل سخروا بدلا من مر أو صفة لملأ وقال
جوابا أهلك عطف على اثنين وكذلك ومن آمن يعني واحمل أهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى من أهله
من سبق عليه القول أنه من أهل النار وما سبق عليه القول بذلك إلا للعلم بأنه يختار الكفر لا لتقديره عليه
وإرادته به تعالى الله عن ذلك **إلا قليل** روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
كانوا ثمانية نوح وأهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن محمد بن إسحاق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة
وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة وأولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية
وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء اركبوا فيها يجوز أن يكون كلاما واحدا وكلامين فالكلام الواحد أن يتصل
باسم الله باركبوا حالا من الواو بمعنى اركبوا فيها مسمين الله أو قائلين باسم الله وقت إجرائها ووقت
إرسائها إما لأن المجرى والمرسى للوقت وإما لأنهما مصدران كالإجراء والإرساء حذف منهما الوقت المضاف
كقولهم خفوق النجم ومقدم الحاج ويجوز أن يراد مكانا الإجراء والإرساء وانتصابهما بما في اسم الله من معنى الفعل
أو بما فيه من إرادة القول والكلامان أن يكون باسم الله مجراها ومرساها جملة مقتضبة من مبتدأ وخبر
أي باسم الله إجراؤها وإرساؤها وما يروى أنه كان إذا أراد أن تجري قال باسم الله فجرت وإذا أراد أن ترسو قال باسم الله
فرست ويجوز أن يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله إجراؤها وإرساؤها أي بقدرته
وأمره وقرئ مجراها ومرساها بفتح الميم من جرى ورسا إما مصدرين أو وقتين أو مكانين وقرأ مجاهد مجريها
ومرسيها بلفظ اسم الفاعل مجروري المحل صفتين لله فإن قلت ما معنى قولك جملة مقتضبة قلت
معناه أن نوحا عليه السلام أمرهم بالركوب ثم أخبرهم بأن مجراها ومرساها بذكر اسم الله أو بأمره وقدرته
ويحتمل أن تكون غير مقتضبة بأن تكون في موضع الحال كقوله وجاءوا بها بشكر علينا
فلا تكون كلاما برأسه ولكن فضلة من فضلات الكلام الأول وانتصاب هذه الحال عن ضمير الفلك
كأنه قيل اركبوا فيها مجراة ومرساة باسم الله بمعنى التقدير كقوله ادخلوها خالدين **إن ربي لغفور رحيم**
لولا مغفرته لذنوبكم ورحمته إياكم لما نجاكم فإن قلت بم اتصل قوله وهي تجري بهم قلت
بمحذوف دل عليه اركبوا فيها باسم الله كأنه قيل فركبوا فيها يقولون باسم الله وهي تجري بهم أي تجري
وهم فيها **في موج** كالجبال يريد موج الطوفان شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها
فإن قلت الموج ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه وزخيره وكان الماء قد التقى وطبق ما بين
السماء والأرض وكانت الفلك تجري في جوف الماء كما تسبح السمكة فما معنى جريها في الموج
قلت كان ذلك قبل التطبيق وقبل أن يغمر الطوفان الجبال ألا ترى إلى قول ابنه سآوي
إلى جبل يعصمني من الماء قيل كان اسم ابنه كنعان وقيل يام وقرأ علي عليه السلام ابنها والضمير

امرأته وقرأ محمد بن علي وعروة بن الزبير ابنه بفتح الهاء يريدان ابنها فاكتفيا بالفتحة عن الألف
وبه ينصر مذهب الحسن قال قتادة سألته فقال والله ما كان ابنه فقلت إن الله حكى عنه إن ابني
من أهلي وأنت تقول لم يكن ابنه وأهل الكتاب واستدل بقوله من أهلي ولم يقل مني ولنسبته إلى أمه وجهان
أحدهما أن يكون ربيبا له كعمر بن أبي سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يكون لغير رشدة وهذه غضاضة
عصمت منها الأنبياء عليهم السلام وقرأ السدي ونادى نوح ابناه على الندبة والترثي أي قال يا ابناه **والمعزل**
مفعل من عزله عنه إذا نحاه وأبعده يعني وكان في مكان عزل فيه نفسه عن أبيه وعن مركب المؤمنين وقيل
كان في معزل عن دين أبيه **يا بني** قرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الإضافة وبالفتح اقتصارا
عليه من الألف المبدلة من ياء الإضافة في قولك يا بنيا أو سقطت الياء والألف لالتقاء الساكنين
لأن الراء بعدهما ساكنة **إلا من رحم** إلا الراحم وهو الله تعالى أو لا عاصم اليوم من الطوفان إلا من رحم الله
أي إلا مكان من رحم الله من المؤمنين وذلك أنهم غفور رحيما في قوله إن ربي لغفور رحيم ودل على أنه لما
جعل الجبل عاصما من الماء قال لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان
من رحمهم الله ونجاهم يعني السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة إلا من رحمه الله كقوله ماء دافق
وعيشة راضية وقيل إلا من رحم استثناء منقطع كأنه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم
كقوله ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وقرئ إلا من رحم على البناء للمفعول نداء الأرض والسماء بما ينادى
به الحيوان المميز على لفظ التخصيص والإقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله
يا أرض ويا سماء ثم أمرهما بما يؤمر به أهل التمييز والعقل من قوله ابلعي ماءك وأقلعي من الدلالة على الاقتدار
العظيم وأن السماوات والأرض وهذه الأجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه
كأنها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور وتبينوا
تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على
مشيئته على الفور من غير ريث فكما يرد عليهم أمره كان المأمور به مفعولا لا حبس ولا إبطاء **والبلع**
عبارة عن النشف **والإقلاع** الإمساك يقال أقلع المطر وأقلعت الحمى **وغيض** الماء من غاضه إذا نقصه
وقضي الأمر وأنجز ما وعد الله نوحا من هلاك قومه واستوت واستقرت السفينة على الجودي وهو
جبل بالموصل **وقيل بعدا** يقال بعد بعدا وبعدا إذا أرادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت
ونحو ذلك ولذلك اختص بدعاء السوء ومجيء أخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال
والكبرياء وأن تلك الأمور العظام لا تكون إلا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وأن فاعلها
فاعل واحد لا يشارك في أفعاله فلا يذهب الوهم إلى أن يقول غيره يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي
ولا أن يقضي ذلك الأمر الهائل غيره ولا أن تستوي السفينة على متن الجودي وتستقر عليه إلا بتسويته
وإقراره ولما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علماء البيان هذه الآية ورقصوا لها رؤوسهم
لا لتجانس الكلمتين وهما قوله ابلعي وأقلعي وذلك وإن كان لا يخلي الكلام من حسن فهو كغير الملتفت
إليه بإزاء تلك المحاسن التي هي اللب وما عداها قشور وعن قتادة استقلت بهم السفينة
لعشر خلون من رجب وكانت في الماء خمسين ومائة يوم واستقرت بهم على الجودي شهرا وهبط بهم

يوم عاشوراء وروي انها مرت بالبيت فطافت به سبعا وقد اعتقه الله من الغرق وروي ان
نوحا عليه السلم صام يوم الهبوط وامر من معه فصاموا شكرا لله تعالى نداؤه ربه دعاؤه له
وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية اهله فان قلت فاذا كان النداء هو قوله
رب فكيف عطف قال رب على نادى بالفاء قلت اريد بالنداء ارادة النداء ولو اريد النداء نفسه
لجاء كما جاء قوله اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب بغير فاء ان ابني من اهلي اي بعض اهلي لانه كان ابنه من صلبه
او كان ربيبا له فهو بعض اهله وان وعدك الحق وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في انجازه
والوفاء به وقد وعدتني ان تنجي اهلي فما بال ولدي وانت احكم الحاكمين اي اعلم الحكام واعدلهم لانه لا
فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ورب غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمانك قد
لقب اقضى القضاة ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر واستعبر ويجوز ان يكون من الحكمة على ان يبنى من الحكمة
حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع وحائض وطالق على مذهب الخليل انه عمل غير صالح تعليل
لانتفاء كونه من اهله وفيه ايذان بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان نسيبك في دينك ومعتقدك من
الاباعد في المنصب وان كان حبشيا وكنت قرشيا لصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك وان كان
امس اقاربك رحما فهو ابعد بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمه كقولها
فانما هي اقبال وادبار وقيل الضمير لنداء نوح عليه السلم اي ان نداءك هذا عمل غير صالح وليس بذاك
فان قلت فهلا قيل انه عمل فاسد قلت لما نفاه عن اهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفي التي يستبقى
معها لفظ المنفي وآذن بذلك انه انما انجى من انجى من اهله لصلاحهم لا لانهم اهلك واقاربك وان هذا لما انتفى
عنه الصلاح لم تنفعه ابوتك كقوله كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما
من الله شيئا وقرئ عمل غير صالح وقرئ فلا تسألن بكسر النون بغير ياء الاضافة وبالنون الثقيلة بياء
وبغير ياء يعني فلا تلتمس مني ملتمسا او التماسا لا تعلم اصواب هو ام غير صواب حتى تقف على كنهه وذكر
المسألة دليل على ان النداء كان قبل ان يغرق حين خاف عليه فان قلت لم سمى نداءه سؤالا ولا
سؤال فيه قلت قد تضمن دعاؤه معنى السؤال وان لم يصرح به لانه اذا ذكر الموعد بنجاة اهله
في وقت مشارفة ولده الغرق فقد استنجز وجعل سؤال ما لا يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظه
ان لا يعود اليه والى امثاله من افعال الجاهلين فان قلت قد وعده ان ينجي اهله وما كان عنده
ان ابنه ليس منهم دينا فلما اشفى على الغرق تشابه عليه الامر لان العدة قد سبقت له وقد عرف
الله حكيما لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف الميعاد فطلب اماطة الشبهة وطلب اماطة الشبهة
واجب فلم زجر وسمى سؤاله جهلا قلت ان الله عز وعلا قدم له الوعد بانجاء اهله مع استثناء
من سبق عليه القول منهم فكان عليه ان يعتقد ان في جملة اهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح
وان كلهم ليسوا بناجين وان لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق في انه من المستثنين لا من المستثنى
منهم فعوتب على ان اشتبه عليه ما يجب ان لا يشتبه اني اعوذ بك من ان اطلب منك في المستقبل ما لا علم لي
بصحته تأدبا بادبك واتعاظا بموعظتك والا تغفر لي ما فرط مني من ذلك وترحمني بالتوبة علي
اكن من الخاسرين وروي يا نوح اهبط بضم الباء بسلام منا مسلما محفوظا من جهتنا او مسلما عليك

مكرما وبركات عليك ومباركا عليك والبركات الخيرات النامية وقرئ وبركة
عليك على التوحيد وعلى امم ممن معك يحتمل ان تكون من للبيان فتراد الامم الذين كانوا
معه في السفينة لانهم كانوا جماعات او قيل لهم امم لان الامم تتشعب منهم وان تكون لابتداء
الغاية اي على امم ناشئة ممن معك وهي الامم الى آخر الدهر وهو الوجه وقوله وامم رفع
بالابتداء وسنمتعهم صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك امم سنمتعهم وانما حذف لان
قوله ممن معك يدل عليه والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى امم مؤمنين ينشؤون
ممن معك وممن معك امم ممتعون بالدنيا منقلبون الى النار وكان نوح عليه السلم ابا الانبياء والخلق
بعد الطوفان منه وممن كان معه في السفينة وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام
كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيمة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا
والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالامم الممتعة
قوم هود وصالح ولوط وشعيب تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع على الابتداء والجمل
بعدها اخبار اي تلك القصة بعض انباء الغيب موحاة اليك مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا
من قبل ايحائي اليك واخباري بها او من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي او من قبل هذا الوقت
فاصبر على تبليغ الرسالة واذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو
ما قيض لنوح ولقومه ان العاقبة في الفوز والنصر والغلبة للمتقين وقوله ولا قومك معناه
ان قومك الذين انت منهم على كثرتهم ووفور عددهم اذا لم يعرفوا ذلك ولم يسمعوه ولا عرفوه
فكيف برجل منهم كما تقول لم يعرف هذا عبد الله ولا اهل بلده اخاهم واحدا منهم وانتصابه
للعطف على ارسلنا نوحا وهودا عطف بيان غيره بالرفع صفة على محل الجار والمجرور وقرئ غيره بالجر
صفة على اللفظ ان انتم الا مفترون تفترون على الله الكذب باتخاذكم الاوثان له شركاء ما
من رسول الا واجه قومه بهذا القول لان شأنهم النصيحة والنصيحة لا يمحضها الا حسم المطامع
وما دام يتوهم شيء منها لم تنجع ولم تنفع افلا تعقلون اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها
اجرا الا من الله وهو ثواب الآخرة ولا شيء انفى للتهمة من ذلك وقيل استغفروا ربكم آمنوا به ثم توبوا
اليه من عبادة غيره لان التوبة لا تصح الا بعد الايمان والمدرار الكثير الدرور كالمغزار
وانما قصد استمالتهم الى الايمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة لان القوم كانوا اصحاب
زروع وبساتين وعمارات حراصا عليها اشد الحرص فكانوا احوج شيء الى الماء وكانوا مدلين بما اوتوا
من هذه القوة والبطش والبأس والنجدة مستحرزين بها من العدو مهيبين في كل ناحية وقيل
اراد القوة في المال وقيل القوة على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت ارحام
نسائهم وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه وفد على معوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال اني رجل
ذو مال ولا يولد لي فعلمني شيئا لعل الله يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر
في يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معوية فقال هلا سألته مم قال ذلك

يوم عاشورا وروي انها مرت بالبيت فطافت به سبعا وقد اعتقه الله من الغرق وروي ان
نوحا عليه السلم صام يوم الهبوط وامر من معه فصاموا شكرا لله تعالى ونادى نوح ربه دعاه له
وهو قوله رب نجني مما بعدني من اقتضا وعدك في تنجية اهلي فان قلت فاذا كان النداء هو قوله
رب فكيف عطف فقال رب على نادى بالفا قلت اريد بالندا ارادة الندا ولو اريد الندا نفسه
لجا كما جا قوله اذ نادى ربه ندا خفيا قال رب بغير فا ان ابني من اهلي اي بعض اهلي لانه كان ابنه من صلبه
او كان ربيبا له فهو بعض اهله وان وعدك الحق وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في انجازه
والوفا به وقد وعدتني ان تنجي اهلي فما بال ولدي وانت احكم الحاكمين اي اعلم الحكام واعدلهم لانه لا
فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ورب غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زماننا قد
لقب اقضى القضاة ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر واستعبر ويجوز ان يكون من الحكمة على ان يبنى من الحكمة
حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع وحائض وطالق على مذهب الخليل انه عمل غير صالح تعليل
لانتفا كونه من اهله وفيه ايذان بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان نسيبك في دينك ومعتقدك من
الاباعد في المنصب وان كان حبشيا وكنت قرشيا لصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك وان كان
امس اقاربك رحما فهو ابعد بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمه كقولها
فانما هي اقبال وادبار وقيل الضمير لندا نوح عليه السلم اي ان نداك هذا عمل غير صالح وليس بذاك
فان قلت فهلا قيل انه عمل فاسد قلت لما نفاه عن اهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفي التي يستبقى
معها لفظ المنفي واذن بذلك انه انما انجى من انجى من اهله لصلاحهم لا لانهم اهلك واقاربك وان هذا لما انتفى
عنه الصلاح لم تنفعه ابوتك كقوله كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما
من الله شيا وقرى عمل غير صالح فلا تسالن بكسر النون بغير يا الاضافة وبالنون الثقيلة بيا
وبغير يا يعني فلا تلتمس مني ملتمسا او التماسا لا تعلم اصواب هو ام غير صواب حتى تقف على كنهه وذكر
المسلة دليل على ان الندا كان قبل ان يغرق حين خاف عليه فان قلت لم سمي نداه سوالا ولا
سوال فيه قلت قد تضمن دعاوه معنى السوال وان لم يصرح به لانه اذا ذكر الموعد بنجاة اهله
في وقت مشارفة ولده الغرق فقد استنجز وجعل سوال ما لا يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظه
ان لا يعود اليه والى امثاله من افعال الجاهلين فان قلت قد وعد ان ينجي اهله وما كان عنده
ان ابنه ليس منهم دينا فلما اشفى على الغرق تشابه عليه الامر لان العدة قد سبقت له وقد عرف
الله حكيما لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف الميعاد فطلب اماطة الشبهة وطلب اماطة الشبهة
واجب فلم زجر وسمي سواله جهلا قلت ان الله عز وعلا قدم له الوعد بانجا اهله مع استثنا
من سبق عليه القول منهم فكان عليه ان يعتقد ان في جملة اهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح
وان كلهم ليسوا بناجين وان لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق في انه من المستثنين لا من المستثنى
منهم فعوتب على ان اشتبه عليه ما يجب ان لا يشتبه اني اعوذ بك ان اطلب منك في المستقبل ما لا علم لي
بصحته تادبا بادبك واتعاظا بموعظتك والا تغفر لي ما فرط مني من ذلك وترحمني بالتوبة علي
اكن من الخاسرين وقرى يا نوح اهبط بضم البا بسلام منا مسلما محفوظا من جهتنا او مسلما عليك

مكرما

مكرما وبركات عليك ومباركا عليك والبركات الخيرات النامية وقرى وبركة
عليك على التوحيد وعلى امم ممن معك يحتمل ان تكون من للبيان فتراد الامم الذين كانوا
معه في السفينة لانهم كانوا امما وجماعات او قيل لهم امم لان الامم تتشعب منهم وان تكون لابتدا
الغاية اي على امم ناشية ممن معك وهي الامم الى اخر الدهر وهو الوجه وقوله وامم رفع
بالابتدا وسنمتعهم صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك امم سنمتعهم وانما حذف لان
قوله ممن معك يدل عليه والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى امم مومنين ينشون
ممن معك وممن معك امم ممتعون بالدنيا منقلبون الى النار وكان نوح عليه السلم ابا الانبيا والخلق
بعد الطوفان منه وممن كان معه في السفينة وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام
كل مومن ومومنة الى يوم القيمة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا
والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالامم الممتعة
قوم هود وصالح ولوط وشعيب تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع على الابتدا والجمل
بعدها اخبار اي تلك القصة بعض انبا الغيب موحاة اليك مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا
من قبل ايحاي اليك واخباري بها او من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي او من قبل هذا الوقت
فاصبر على تبليغ الرسالة واذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو
ما قيض لنوح ولقومه ان العاقبة في الفوز والنصر والغلبة للمتقين وقوله ولا قومك معناه
ان قومك الذين انت منهم على كثرتهم ووفور عددهم اذا لم يكن ذلك شانهم ولا سمعوه ولا عرفوه
فكيف برجل منهم كما تقول لم يعرف هذا عبد الله ولا اهل بلده اخاهم واحدا منهم وانتصابه
للعطف على ارسلنا نوحا وهودا عطف بيان غيره بالرفع صفة على محل الجار والمجرور وقرى غيره بالجر
صفة على اللفظ ان انتم الا مفترون تفترون على الله الكذب باتخاذكم الاوثان له شركا ما
من رسول الا واجه قومه بهذا القول لان شانهم النصيحة والنصيحة لا يمحضها الا حسم المطامع
وما دام يتوهم شي منها لم تنجع ولم تنفع افلا تعقلون اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها
اجرا الا من الله وهو ثواب الاخرة ولا شي انفى للتهمة من ذلك استغفروا ربكم امنوا به ثم توبوا
اليه من عبادة غيره لان التوبة لا تصح الا بعد الايمان مدرارا كثير الدرور كالمغزار
وانما قصد استمالتهم الى الايمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة لان القوم كانوا اصحاب
زروع وبساتين وعمارات حراصا عليها اشد الحرص فكانوا احوج شي الى الما وكانوا مدلين بما اوتوا
من هذه القوة والبطش والباس والنجدة مستحرزين بها من العدو مهيبين في كل ناحية وقيل
اراد القوة في المال وقيل القوة على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلث سنين وعقمت ارحام
نسايهم وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه وفد على معوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال اني رجل
ذو مال ولا يولد لي فعلمني شيا لعل الله يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر
في يوم واحد سبعماية مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معوية فقال هلا سالته مم قال ذلك

فوتكم وقيل اخرى ضنا اليه الرجل فقال الم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم باموال
وبنين ولا تتولوا ولا تعرضوا عني وعما ادعوكم اليه وارغبكم فيه مجرمين مصرين على اجرامكم واثامكم
ما جئتنا ببينة كذب منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انزل عليه اية من ربه
مع فوت اياته الحصر عن قولك حال من الضمير في تاركي الهتنا كانه قيل وما نترك الهتنا صادرين عن
قولك وما نحن لك بمؤمنين وما يصح من امثالنا ان يصدقوا مثلك فيما تدعوهم اليه اقناطا له من الاجابة اعتراك
مفعول نقول والا لغو والمعنى ما نقول الا قولنا اعتراك بعض الهتنا بسوء اي خبلك ومسك بجنون
لسبك اياها وصدك عنها وعداوتك لها مكافاة لك منها على سوء فعلك بسوء الجزاء فمن ثم تتكلم
بكلام المجانين وتهذي بهذيان المبرسمين وليس بعجب من اولئك ان يسموا التوبة والاستغفار خبلا
وجنونا وهم عاد اعلام الكفر واوتاد الشرك وانما العجب من قوم من المتظاهرين بالاسلام سمعناهم يسمون
التائب من ذنوبه مجنونا والمنيب الى ربه مخبولا ولم نجدهم معه على عشر ما كانوا عليه في ايام جاهليته
من المواددة وما ذاك الا لعرق من الالحاد ابى الا ان ينبض وضب من الزندقة اراد ان يطلع راسه وقد دلت
اجوبتهم المتقدمة على ان القوم كانوا جفاة غلاظ الاكباد لا يبالون بالبهت ولا يلتفتون الى النصح ولا
تلين شكيمتهم للرشد وهذا الاخير دال على جهل مفرط وبله متناه حيث اعتقدوا في حجارة انها
تنتصر وتنتقم ولعلهم حين اجازوا العقاب كانوا يجيزون الثواب من اعظم الايات ان يواجه بهذا
الكلام رجل واحد امة عطاشا الى اراقة دمه يرمونه عن قوس واحدة وذلك لثقته بربه وانه يعصمه
منهم فلا تنشب فيه مخالبهم ونحو ذلك قال نوح عليه السلام لقومه ثم اقضوا الي ولا تنظرون اكد براءته من
الهتهم وشركهم ووثقها بما جرت به عادة الناس من توثيقهم الامور بشهادة الله وشهادة العباد
فيقول الرجل الله شهيد على اني لا افعل كذا ويقول لقومه كونوا شهداء على اني لا افعله فان قلت
هلا قيل اني اشهد الله واشهدكم قلت لان اشهاد الله على البراءة من الشرك اشهاد صحيح ثابت
في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده واما اشهادهم فما هو الا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة
بهم فحسب فعدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما وجيء به على لفظ الامر بالشهادة كما يقول الرجل
لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد علي اني لا احبك تهكما به واستهانة بحاله مما تشركون من دونه من
اشراككم الهة من دونه او مما تشركونه من الهة من دونه اي انتم تجعلونها شركاءه ولم يجعلها هو شركاء ولم
ينزل بذلك سلطانا فكيدوني جميعا انتم والهتكم اعجل ما تفعلون من غير انظار فاني لا ابالي
بكيدكم ولا اخاف معرتكم وان تعاونتم علي وانتم الاقوياء الشداد فكيف تضرني الهتكم وما هي الا جماد
لا يضر ولا ينفع وكيف تنتقم مني اذا نلت منها وصددت عن عبادتها بان تخبلني وتذهب بعقلي ولما ذكر
توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته
عليه وعليهم ومن كون كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والاخذ بناصيتها تمثيل
لذلك ان ربي على صراط مستقيم يريد انه على طريق الحق والعدل في ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده
معتصم به فان تولوا فان تتولوا فان قلت الابلاغ كان قبل التولي فكيف وقع جزاء للشرط

قلت معناه فان تتولوا لم اعاتب على تفريط في الابلاغ وكنتم محجوجين بان ما ارسلت به اليكم
قد بلغكم فابيتم الا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول ويستخلف ربي كلام مستانف يريد ويهلككم
الله ويجيء بقوم اخرين يخلفونكم في دياركم واموالكم ولا تضرونه بتوليكم شيئا من ضرر قط لانه
لا يجوز عليه المضار والمنافع وانما تضرون انفسكم وفي قراءة عبد الله ويستخلف بالجزم وكذلك
ولا تضروه عطفا على محل فقد ابلغتكم والمعنى ان تتولوا يعذرني ويستخلف قوما غيركم ولا تضروه
الا انفسكم على كل شيء حفيظ اي رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم
او من كان رقيبا على الاشياء كلها حافظا لها وكانت مفتقرة الى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم
والذين امنوا معه قيل كانوا اربعة الاف فان قلت ما معنى تكرير التنجية قلت ذكر اولا
انه حين اهلك عدوهم نجاهم ثم قال ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ
وذلك ان الله عز وجل بعث عليهم السموم فكانت تدخل في انوفهم وتخرج من ادبارهم فتقطعهم عضوا عضوا
وقيل اراد بالثانية التنجية من عذاب الاخرة ولا عذاب اغلظ منه واشد وقوله برحمة منا
يريد بسبب الايمان الذي انعمنا عليهم بالتوفيق له وتلك عاد اشارة الى قبورهم واثارهم كانه قال
سيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استانف وصف احوالهم فقال جحدوا بايات ربهم
وعصوا رسله لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لا نفرق بين احد من رسله وقيل لم
يرسل اليهم الا هود وحده كل جبار عنيد يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم الى تكذيب الرسل ومعنى
اتباع امرهم طاعتهم ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم
على وجوههم في عذاب الله الا وتكرار ها مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لامرهم وتفظيع له
وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم فان قلت بعدا دعاء بالهلاك فما معنى الدعاء به عليهم
بعد هلاكهم قلت معناه الدلالة على انهم كانوا مستاهلين له الا ترى الى قوله [...]
الاخرى لا تبعدوا ابدا وبلى والله قد بعدوا قوم هود عطف بيان لعاد فان قلت ما
الفائدة في هذا البيان والبيان حاصل بدونه قلت الفائدة فيه ان يوسموا بهذه الدعوة وسما
ويجعل فيهم امرا محققا لا شبهة فيه بوجه من الوجوه لان عادا عادان الاولى القديمة التي هم قوم هود
والقصة فيهم والاخرى ارم هو انشاكم من الارض لم ينشئكم منها الا هو ولم يستعمركم فيها غيره وانشاؤهم
منها خلق ادم من التراب واستعمركم فيها وامركم بالعمارة والعمارة متنوعة الى واجب وندب ومباح ومكروه وكان
ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف
الرعايا فسال نبي من انبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي وعن
معاوية بن ابي سفيان انه اخذ في احياء الارض في اخر امره فقيل له فقال ما حملني عليه الا قول القائل
ليس الفتى بفتى لا يستضاء به ولا يكون له في الارض اثار وقيل استعمركم من العمر نحو
استبقاكم من البقاء وقد جعل من العمرى وفيه وجهان احدهما ان يكون استعمر في معنى اعمر كقولك
استهلكه في معنى اهلكه ومعناه اعمركم فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء اعماركم

والثاني ان يكون بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لان الرجل اذا ورث داره من بعده فكانما
اعمره اياها لانه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره قريب داني الرحمة سهل المطلب مجيب لمن دعاه وسأله
فينا فيما بيننا مرجوا كانت تلوح منك مخايل الخير وامارات الرشد فكنا نرجوك لننتفع بك وتكون
مشاورا في الامور ومسترشدا في التدابير فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا ان لا خير
فيك وعن ابن عباس فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما
نحن عليه اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا على حكاية حال ماضية مريب من ارابه اذا اوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء
الطمأنينة باليقين او من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة على الاسناد المجازي قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة
من ربي بحرف الشك وكان على يقين انه على بينة لان خطابه للجاحدين فكانه قال قدروا اني على بينة من ربي
واني نبي على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربي في اوامره فمن ينصرني من عذاب الله فما تزيدونني
اذن حينئذ غير تخسير يعني تخسرون اعمالي وتبطلونها او فما تزيدونني بما تقولون لي وتحملونني عليه غير
ان اخسركم اي انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم خاسرون آية نصب على الحال وعاملها ما دل عليه
اسم الاشارة من معنى الفعل فان قلت فبم يتعلق لكم قلت بآية حالا منها متقدمة لانها لو تأخرت
لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال عذاب قريب عاجل لا يستأخر عن مسكم لها بسوء الا يسيرا
وذلك ثلاثة ايام ثم يقع عليكم تمتعوا استمتعوا بالعيش في داركم في بلدكم وتسمى البلاد الديار
لانه يدار فيها اي يتصرف يقال ديار بكر لبلادهم وتقول العرب الذين حوالي مكة نحن من عرب الدار
يريدون من عرب البلد وقيل في دار الدنيا وقيل عقروها يوم الاربعاء وهلكوا يوم السبت
فاتسع في الظرف بحذف الحرف واجرائه مجرى المفعول به كقولك يوم مشهود من قوله ويوم شهدناه
او على المجاز كانه قيل للوعد نفي بك فاذا وفي به فقد صدق ولم يكذب او وعد غير كذب على ان
المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول وكالمصدوقة بمعنى الصدق ومن خزي يومئذ وقرئ بفتح
الميم لانه مضاف الى اذ وهو غير متمكن كقوله على حين عاتبت المشيب فان قلت علام عطف
قلت على نجينا لان تقديره ونجيناهم من خزي يومئذ كما قال ونجيناهم من عذاب غليظ وكانت التنجية
يومئذ اي من ذله ومهانته وفضيحته ولا خزي اعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه
ويجوز ان يريد بيومئذ يوم القيمة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة وقرئ الا ان ثمودا ولثمود كلاهما بالصرف
وامتناعه فالصرف للذهاب الى الحي او الاب الاكبر ومنعه للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة رسلنا
يريد الملائكة عن ابن عباس جاء جبريل والملكان معه وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل وقيل كانوا
تسعة وعن السدي احد عشر بالبشرى هي البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط والظاهر الولد
سلمنا عليك سلاما قال سلام امركم سلام وقرئ فقالوا سلم قال سلم بمعنى السلام وقيل السلم
خلاف الحرب حرام وانشد مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح فما لبث
ان جاء فما لبث في المجيء به بل عجل فيه او فما لبث مجيئه والعجل ولد البقرة ويسمى الحسيل والخبش بلغة
اهل السراة وكان مال ابراهيم البقر حنيذ مشوي بالرضف في اخدود وقيل حنيذ يقطر دسمه من

حنذت الفرس اذا القيت عليها الجل حتى تقطر عرقا ويدل عليه بعجل سمين نكرهم
وانكره واستنكره ومنكور قليل في كلامهم وكذلك انا انكرك ولكن منكر
ومستنكر وقال الاعشى وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا
قيل كان ينزل على طرف من الارض فخاف ان يريدوا به مكروها وقيل كانت عادتهم انه اذا
مس من يطرقهم طعامهم امنوه والا خافوه والظاهر انه احس بانهم ملائكة ونكرهم لانه تخوف
ان يكون نزولهم لامر انكره الله عليه او لتعذيب قومه الا ترى الى قولهم لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط
وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم ارسلوا فاوجس فاضمر واحس منهم خيفة لانهم رأوا اثر
الحزن والتغير في وجهه او عرفوه بتعريف الله او علموا ان علمه بانهم ملائكة موجب للخوف لانهم كانوا
لا ينزلون الا بعذاب وامرأته قائمة قيل كانت قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم وقيل
كانت قائمة على رؤوسهم تخدمهم وفي مصحف عبد الله وامرأته قائمة وهو قاعد فضحكت سرورا
بزوال الخيفة وبهلاك اهل الخبائث او تعجبا من غفلتهم وقد اظلهم العذاب
وقيل كانت تقول لابراهيم اضمم لوطا ابن اخيك اليك فاني اعلم انه ينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت
سرورا لما اتى الامر على ما توهمت وقيل فضحكت فحاضت وقرأ محمد بن زياد الاعرابي فضحكت بفتح
الحاء يعقوب رفع بالابتداء كانه قيل ومن وراء اسحق يعقوب مولود او موجود اي من بعده وقيل
الوراء ولد الولد وعن الشعبي انه قيل له اهذا ابنك فقال نعم من الوراء وكان ولد ولده وقرئ يعقوب
بالنصب كانه قيل ووهبنا لها اسحق ومن وراء اسحق يعقوب على طريقة قوله ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب
الالف في يا ويلتا بدل من ياء الاضافة وكذلك في يا لهفا ويا عجبا وقرأ الحسن يا ويلتي بالياء على الاصل
شيخا نصب بما دل عليه اسم الاشارة وقرئ شيخ على انه خبر مبتدأ محذوف اي هذا بعلي هو شيخ او بعلي
بدل من المبتدأ وشيخ خبر او يكونان معا خبرين قيل بشرت ولها تسعون سنة ولابراهيم مائة
وعشرون سنة ان هذا لشيء عجيب ان يولد ولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة التي اجراها الله
وانما انكر عليها الملائكة تعجبها فقالوا اتعجبين من امر الله لانها كانت في بيت الآيات
ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان عليها ان تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي
سائر النساء الناشئات في غير بيوت النبوة وان تسبح الله وتمجده مكان التعجب والى ذلك اشارت
الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت ارادوا ان هذه وامثالها
مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالانعام به يا اهل بيت النبوة فليست بمكان عجب وامر الله قدرته
وحكمته وقوله رحمة الله وبركاته عليكم كلام مستأنف علل به انكار التعجب كانه قيل
اياك والتعجب فان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة
والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابراهيم حميد فاعل ما يستوجب
به الحمد من عباده مجيد كريم كثير الاحسان اليهم واهل البيت نصب على النداء او على الاختصاص

لأن أهل البيت مدح لهم والمراد أهل بيت خليل الرحمن (الروع) ما أوجس من الخيفة حين نكر أضيافه
والمعنى أنه لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملئ سروراً بسبب البشرى بدل الغم فرغ للمجادلة (فإن قلت)
أين جواب لما قلت هو محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به وأجمعوا و(يجادلنا) كلام
مستأنف دال على الجواب وتقديره اجترأ على خطابنا أو فطن لمجادلتنا أو قال كيت وكيت ثم ابتدأ فقال
يجادلنا في قوم لوط (وقيل) يجادلنا هو جواب لما وإنما جيء به مضارعاً على حكاية الحال (وقيل) إن لما
ترد المضارع إلى معنى الماضي كما ترد إن الماضي إلى معنى الاستقبال (وقيل) معناه أخذ يجادلنا
وأقبل يجادلنا والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته إياهم أنهم قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية فقال أرأيتم
لو كان فيها خمسون رجلاً من المؤمنين أتهلكونها قالوا لا قال فأربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى
بلغ العشرة قالوا لا قال أرأيتم إن كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال إن فيها
لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله (في قوم لوط) في معناهم وعن ابن عباس قالوا له إن كان فيهم خمسة
يصلون رفع عنهم العذاب وعن قتادة ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير (وقيل) كان فيها أربعة آلاف
ألف إنسان (إن إبراهيم لحليم) غير عجول على كل من أساء إليه (أواه) كثير التأوه من الذنوب (منيب) تائب راجع
إلى الله بما يحب ويرضى وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرأفة والرحمة فبين أن ذلك مما حمله على
المجادلة فيهم رجاء أن يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة والإنابة كما حمله على الاستغفار
لأبيه (يا إبراهيم) على إرادة القول أي قالت له الملائكة (أعرض عن هذا) الجدال وإن كانت الرحمة ديدنك فلا
فائدة فيه (إنه قد جاء أمر ربك) وهو قضاؤه وحكمه الذي لا يصدر إلا عن صواب وحكمة والعذاب نازل
بالقوم لا محالة لا مرد له بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك كانت مساءة لوط وضيق ذرعه لأنه حسب
أنهم إنس فخاف عليهم خبث قومه وأن يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم وروي أن الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم
حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فلما مشى معهم منطلقاً بهم إلى منزله قال لهم أما بلغكم أمر هذه
القرية قالوا وما أمرهم قال أشهد بالله إنها لشر قرية في الأرض عملاً يقول ذلك أربع مرات فدخلوا
معه منزله ولم يعلم بذلك أحد فخرجت امرأته فأخبرت بهم قومها يقال يوم عصيب وعصبصب إذا كان
شديداً من قولك عصبه إذا شده (يهرعون) يسرعون كأنما يدفعون دفعاً (ومن قبل) ومن
قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها فضروا بها ومرنوا عليها وقل عندهم استقباحها
فلذلك جاؤوا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء (وقيل) معناه وقد عرف لوط عادتهم في
عمل الفواحش قبل ذلك (هؤلاء بناتي) أراد أن يقي أضيافه ببناته وذلك غاية الكرم والمراد
بناتي فتزوجوهن وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزاً كما زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه
من عتبة بن أبي لهب وأبي العاص بن الربيع قبل الوحي وهما كافران (وقيل) كان لهم سيدان مطاعان
فأراد أن يزوجهما ابنتيه وقرأ ابن مروان هن أطهر لكم بالنصب وضعفه سيبويه وقال إن
ابن مروان تربع في لحنه وذلك أن
انتصابه على أن يجعل حالاً قد عمل فيها ما في هؤلاء من معنى الفعل كقوله هذا بعلي شيخاً أو ينصب
هذا أبو العاص ...

قوله بعضهم كأنه قيل خذوا هؤلاء وبناتي بدل ويعمل هذا المضمر في الحال وهن فصل وهذا
لا يجوز لأن الفصل مختص بالوقوع بين جزئي الجملة ولا يقع بين الحال وذي الحال وقد خرج له وجه
لا يكون هن فيه فصلاً وذلك أن يكون هؤلاء مبتدأ وبناتي هن جملة في موضع خبر المبتدأ كقولك هذا
أخي هو ويكون أطهر حالاً (فاتقوا الله) بإيثارهن عليهم (ولا تخزوني) ولا تهينوني ولا تفضحوني من الخزي
أو ولا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء (في ضيفي) في حق ضيوفي فإنه إذا خزي ضيف الرجل أو جاره فقد
خزي الرجل وذلك من عراقة الكرم وأصالة المروءة (أليس منكم رجل رشيد) رجل واحد يهتدي
إلى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء وقرئ ولا تخزون بطرح الياء ويجوز أن يكون عرض
البنات عليهم مبالغة في تواضعه لهم وإظهاراً لشدة امتعاضه مما أوردوا عليه طمعاً في أن
يستحيوا منه ويرقوا له إذا سمعوا ذلك فيتركوا له ضيوفه مع ظهور الأمر واستقرار العلم عنده
وعندهم أن لا مناكحة بينه وبينهم ومن ثم قالوا لقد علمت مستشهدين بعلمه (ما لنا في بناتك من حق)
لأنك لا ترى مناكحتنا وما هو إلا عرض سابري (وقيل) لما اتخذوا إتيان الذكران مذهباً وديناً
لتواطئهم عليه كان عندهم أنه هو الحق وأن نكاح الإناث من الباطل فلذلك قالوا ما لنا في بناتك
من حق قط لأن نكاح الإناث أمر خارج من مذهبنا الذي نحن عليه ويجوز أن يقولوه على وجه الخلاعة
والغرض نفي الشهوة (وإنك لتعلم ما نريد) عنوا إتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة جواب لو محذوف
كقوله ولو أن قرآناً سيرت به الجبال يعني لو أن لي بكم قوة لفعلت بكم وصنعت والمعنى لو قويت عليكم بنفسي
أو أويت إلى قوي أستند إليه وأتمنع به فيحميني منكم فشبه
القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته ولذلك قالت الملائكة وقد وجدت عليه
إن ركنك لشديد وقال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد
وقرئ أو آوي إلى ركن بالنصب بإضمار أن كأنه قيل لو أن لي بكم قوة أو أوياً كقولها
للبس عباءة وتقر عيني
وقرئ إلى ركن بضمتين وروي أنه أغلق بابه حين جاؤوا وجعل
يرادهم ما حكى الله عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما لقي لوط من الكرب قالوا
يا لوط إن ركنك لشديد إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب
فدخلوا فاستأذن جبريل ربه في عقوبتهم فأذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه
وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس
أعينهم وأعماهم كما قال الله فطمسنا أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء
النجاء فإن في بيت لوط قوماً سحرة (لن يصلوا إليك) جملة موضحة للتي قبلها لأنهم إذا كانوا رسل الله
لم يصلوا إليه ولم يقدروا على ضرره وقرئ فأسر بالقطع والوصل وإلا امرأتك بالرفع والنصب
وروي أنه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا الصبح فقال أريد أسرع من ذلك فقالوا أليس الصبح
بقريب وقرئ الصبح بضمتين (فإن قلت) ما وجه قراءة من قرأ إلا امرأتك بالنصب (قلت)

استثناء من قوله فأسر بأهلك والدليل عليه قراءة عبد الله فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك ويجوز أن ينتصب عن لا يلتفت على الأصل في الاستثناء وإن كان الفصيح هو البدل على قراءة من قرأ بالرفع فأبدلها عن أحد وفي إخراجها مع أهله روايتان روي أنه أخرجها معهم وأمر أن لا يلتفت منهم أحد إلا هي فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فأدركها حجر فقتلها وروي أنه أمر بأن يخلفها مع قومها فإن هواها إليهم فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها أي جعل جبريل جناحه في أسفلها ثم رفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وأتبعوا الحجارة من فوقهم من سجيل قيل هي كلمة معربة من سنك كل بدليل قوله حجارة من طين وقيل إنه من أسجله إذا أرسله لأنها ترسل على الظالمين ويدل عليه قوله لنرسل عليهم حجارة وقيل مما كتب الله أن يعذب به من السجل وسجل لفلان منضود نضد في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه في إثر بعض متتابعا مسومة معلمة للعذاب وعن الحسن أنها معلمة ببياض وحمرة وقيل عليها سيما تعلم بها أنها ليست من حجارة الأرض وقيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به وما هي من كل ظالم ببعيد وفيه وعيد لأهل مكة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل فقال يعني ظالمي أمتك ما من ظالم منهم إلا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة وقيل الضمير للقرى أي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في أسفارهم بعيد ويجوز أن يراد وما هي بمكان بعيد لأنها إذا هوت منها فهي أسرع شيء لحوقا بالمرمي به فكأنها بمكان قريب منه إني أراكم بخير بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف أو إني أراكم بنعمة من الله حقها أن تقابل بغير ما تفعلون أو إني أراكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما أنتم عليه كقول مؤمن آل فرعون يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا يوم محيط مهلك من قوله وأحيط بثمره وأصله من إحاطة العدو فإن قلت وصف العذاب بالإحاطة أبلغ أم وصف اليوم بها قلت بل وصف اليوم لأن اليوم زمان يشتمل على الحوادث فإذا أحاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما إذا أحاط بنعيمه فإن قلت النهي عن النقصان أمر بالإيفاء فما فائدة قوله أوفوا قلت نهوا أولا عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لأن في التصريح بالقبيح نعيا على المنهي وتعييرا له ثم ورد الأمر بالإيفاء الذي هو حسن في العقول مصرحا بلفظه زيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجيء به مقيدا بالقسط أي ليكن الإيفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان أمرا بما هو الواجب لأن ما جاوز العدل فضل وأمر مندوب إليه وفيه توقيف على أن الموفي عليه أن ينوي بالوفاء القسط لأن الإيفاء وجه حسن أنه قسط وعدل فهذه ثلاث فوائد البخس الهضم والنقص ويقال للمكس البخس قال زهير

وفي كل ما باع امرؤ بخس درهم

وروي مكس درهم وكانوا يأخذون من كل شيء يباع شيئا كما يفعل السماسرة أو كانوا يمكسون الناس أو كانوا ينتقصون من أثمان ما يشترون من الأشياء فنهوا عن ذلك ولا تعثوا في الأرض مفسدين نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز أن يجعل التطفيف والبخس عيثا منهم في الأرض بقية الله ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم

خير لكم إن كنتم مؤمنين بشرط أن تؤمنوا وإنما خوطبوا بترك التطفيف والبخس والفساد في الأرض وهم كفرة بشرط الإيمان ويجوز أن يريد ما يبقى لكم عند الله من الطاعات خير لكم كقوله والباقيات الصالحات خير عند ربك وإضافة البقية إلى الله من حيث إنها رزقه الذي يجوز أن يضاف إليه وأما الحرام فلا يضاف إلى الله ولا يسمى رزقا وإذا أريد بها الطاعة فكما تقول طاعة الله وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه ومراقبته التي تصرف عن المعاصي والقبائح وما أنا عليكم بحفيظ وما بعثت لأحفظ عليكم أعمالكم وأجازيكم عليها وإنما بعثت مبلغا منبها على الخير وناصحا وقد أعذرت حين أنذرت وكان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه إذا رأوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم أصلواتك تأمرك السخرية والهزء والصلوة وإن جاز أن تكون آمرة على طريق المجاز كما كانت ناهية في قوله إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر لكن قالوا إن الصلوة آمرة بالجميل والمعروف كما يقال تدعو إليه وتبعث عليه إلا أنهم ساقوا الكلام مساق الطنز وجعلوا الصلوة آمرة على سبيل التهكم بصلاته وأرادوا أن هذا الذي تأمر به من ترك عبادة الأوثان باطل لا وجه لصحته وأن مثله لا يدعوك إليه داع عقلي وإنما دعاك إليه أمر هذيان ووسوسة شيطان وهو صلواتك التي تداوم عليها في ليلك ونهارك وعندهم أنها من باب الجنون ومما يتولع به المجانين والموسوسون من بعض الأقوال والأفعال ومعنى تأمرك أن نترك تأمرك بتكليف أن نترك ما يعبد آباؤنا فحذف المضاف الذي هو التكليف لأن الإنسان لا يؤمر بفعل غيره وقرئ أصلاتك بالتوحيد وقرأ ابن أبي عبلة أو أن تفعل في أموالنا ما تشاء بالخطاب فيهما وهو ما كان يأمرهم به من ترك التطفيف والبخس والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير وقيل كان ينهاهم عن حذف الدراهم والدنانير وتقطيعها وأرادوا بقولهم إنك لأنت الحليم الرشيد نسبته إلى غاية السفه والغي فعكسوا ليتهكموا به كما يتهكم بالشحيح الذي لا يبض حجره فيقال له لو أبصرك حاتم لسجد لك وقيل معناه إنك لأنت المتواصف بالحلم والرشد في قومك يعنون أن ما تريد لا يطابق حالك وما شهرت به ورزقني منه أي من لدنه رزقا حسنا حلالا طيبا من غير بخس ولا تطفيف فإن قلت أين جواب أرأيتم وما له لم يثبت كما أثبت في قصة نوح ولوط قلت جوابه محذوف وإنما لم يثبت لأن إثباته في القصص دل على مكانه ومعنى الكلام ينادي عليه والمعنى أخبروني إن كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وكنت نبيا على الحقيقة أيصح أن لا آمركم بترك عبادة الأوثان والكف عن المعاصي والأنبياء لا يبعثون إلا لذلك يقال خالفني فلان إلى كذا إذا قصده وأنت مول عنه وخالفني عنه إذا ولى عنه وأنت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفني إلى الماء يريد أنه قد ذهب إليه واردا وأنا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله تعالى وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه يعني أن أسبقكم إلى شهواتكم التي نهيتكم عنها لأستبد بها دونكم إن أريد إلا الإصلاح ما أريد إلا أن أصلحكم بموعظتي ونصيحتي وأمري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما استطعت ظرف أي مدة استطاعتي للإصلاح وما دمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا أو بدل من الإصلاح

اي المقدار الذي استطعته منه ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف على قولك الا الاصلاح اصلاح
ما استطعت او مفعول للمصدر كقوله ضعيف النكاية اعداءه اي ما اريد الا ان اصلح ما
استطعت اصلاحه من فاسدكم وما توفيقي الا بالله وما كوني موفقا لاصابة الحق فيما آتي واذر
ووقوعه موافقا لرضى الله الا بمعونته وتاييده والمعنى انه استوفق ربه في امضاء الامر على سننه وطلب
منه التاييد والاظهار على عدوه وفي ضمنه تهديد للكفار وحسم لاطماعهم فيه جرم مثل كسب في تعديه
الى مفعول واحد والى مفعولين يقول جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا وكسبته اياه قال
جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا ومنه قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم اي
لا يكسبنكم شقاقي اصابة العذاب وقرا ابن كثير بضم الياء من اجرمته ذنبا اذا جعلته جارما
له اي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي الى مفعول واحد كما نقل اكسبه المال من كسب
المال وكما لا فرق بين كسبته مالا واكسبته اياه فكذلك لا فرق بين جرمته ذنبا واجرمته اياه
والقراءتان مستويتان في المعنى لا تفاوت بينهما الا ان المشهورة افصح لفظا كما ان كسبته مالا
افصح من اكسبته والمراد بالفصاحة انه على السنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم ادور
واكثر استعمالا وقرا ابو حيوة ورويت عن نافع مثل ما اصاب بالفتح لاضافته الى غير متمكن
كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت وما قوم لوط منكم ببعيد يعني انهم اهلكوا
في عهد قريب من عهدكم فهم اقرب الهالكين منكم او لا يبعدون منكم في الكفر والمساوي وما
يستحق به الهلاك فان قلت ما بال بعيد لم يرد على ما يقتضيه قوم من حمله على لفظه او معناه
قلت اما ان يراد وما اهلاكهم بشيء بعيد او وما هم بشيء بعيد او بزمان او مكان بعيد ويجوز ان يسوى في
بعيد وقريب وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق
ونحوهما رحيم ودود عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من الاحسان
والاجمال ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول لانهم كانوا لا يلقون اليه اذهانهم رغبة عنه
وكراهية له كقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه او كانوا يفقهونه ولكنهم لم يقبلوه
فكانهم لم يفقهوه او قالوا ذلك على وجه الاستهانة به كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبأ
بحديثه ما ادري ما تقول او جعلوا كلامه هذيانا وتخليطا لا ينفعهم كثير منه وكيف لا
كلامه وهو خطيب الانبياء وقيل كان الثغ فينا ضعيفا لا قوة لك ان اردنا بك سوءا
فلا تقدر على الامتناع منا ان اردنا بك مكروها او عن الحسن ضعيفا مهينا وقيل ضعيفا
اعمى وحمير تسمي المكفوف ضعيفا كما يسمى ضريرا وليس بسديد لان فينا يابى ذلك الا ترى انه
لو قيل انا لنراك فينا اعمى لم يكن كلاما لان الاعمى اعمى فيهم وفي غيرهم ولذلك قللوا
جعلوهم رهطا والرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى التسعة ولهذا قالوا ولولا رهطك
لهم واعتدادا بهم لانهم كانوا على ملتهم لا خوفا من شوكتهم وعزتهم لرجمناك لقتلناك شر
قتلة وما انت علينا بعزيز اي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن
الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من اهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا

دل ايلاء الضمير حرف النفي على ان الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كانه قيل وما انت علينا بعزيز
بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك قال في جوابهم ارهطي اعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت
علينا لم يصح هذا الجواب فان قلت فالكلام واقع فيه وفي رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه فكيف
صح قوله ارهطي اعز عليكم من الله قلت تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله فحين عز عليهم
رهطه دونه كان رهطه اعز عليهم من الله الا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله
واتخذتموه وراءكم ظهريا ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبا به والظهري
منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسبة الى الامس امسي بما تعملون
محيط قد احاط بها علما فلا يخفى عليه شيء منها على مكانتكم اي اعملوا المكانة من ان يكون بمعنى
المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة او تكون مصدرا من مكن مكانة فهو مكين والمعنى
اعملوا قارين على جهتكم التي انتم عليها من الشرك والشنآن لي او اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين
لها اني عامل على حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتاييد ويمكنني من ياتيه يجوز ان تكون من استفهامية
معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كانه قيل سوف تعلمون اينا ياتيه عذاب يخزيه واينا هو كاذب وان
تكون موصولة قد عمل فيها كانه قيل سوف تعلمون الشقي الذي ياتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب
فان قلت اي فرق بين ادخال الفاء ونزعها في سوف تعلمون قلت ادخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع
للوصل ونزعها وصل خفي تقديري بالاستيناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا فماذا
يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت فقال سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستيناف
للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب واقوى الوصلين وابلغهما الاستيناف وهو باب من ابواب علم
البيان تتكاثر محاسنه وارتقبوا وانتظروا العاقبة وما اقول لكم اني معكم رقيب اي
منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب والصريم بمعنى الضارب والصارم او بمعنى المراقب
كالعشير والنديم او بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع فان قلت قد ذكر
عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم اتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم فكان القياس ان يقول
من ياتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من ياتيه عذاب يخزيه الى الجاحدين ومن هو صادق الى النبي
المبعوث اليهم قلت القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب
يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم فان قلت ما بال الساقتين في قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو
والساقتان الوسطيان بالفاء قلت قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد وذلك قوله
ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجيء بالفاء الذي هو للتسبيب كما تقول وعدته فلما
جاء الميعاد كان كيت وكيت واما الاخريان فلم تقعا بتلك المثابة وانما وقعتا مبتداتين فكان
حقهما ان تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة الجاثم اللازم لمكانه لا يبرح
كالابد يعني ان جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو فقعد ميتا كان لم يغنوا
قال القتيبي كان لم يقيموا فيها احياء متصرفين مترددين الا بعدا لمدين البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد
بمعنى الرشد الا ترى الى قوله كما بعدت وقرا السلمي بعدت بضم العين والمعنى في البناءين واحد

شقاقي

وهو نقيض القرب الا انهم ارادوا التفصلة بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء
كما فرقوا بين ضمائر الخير والشر فقالوا وعد واوعد وقراءة السلمي جاءت على الاصل اعتبار المعنى البعد
من غير تخصيص كما يقال ذهب فلان ومضى في معنى الموت وقيل معناه بعدهم من رحمة الله كما بعدت
ثمود منها بآياتنا وسلطان مبين فيه وجهان ان اراد بهذه الايات معجزاته وبالسلطان ... على صدق
نبوته وان يراد بالسلطان المبين العصا لانها ابهرها وما امر فرعون برشيد تجهيل لمتبعيه
حيث شايعوه على امره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه ادنى مسكة من العقل وذلك
انه ادعى الالهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالعسف والظلم والشر الذي لا يأتي الا من شيطان مارد
ومثله بمعزل من الالهية ذاتا وافعالا فاتبعوه وسلموا له دعواه وتتابعوا على طاعته لامر
الرشيد الذي فيه رشد اي وما في امره رشد انما هو غي صريح وضلال ظاهر مكشوف وانما يتبع
العقلاء من يرشدهم ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم وفيه انهم عاينوا الايات والسلطان المبين
في امر موسى عليه السلم وعلموا ان معه الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في امره رشد
قط يقدم قومه اي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه ويجوز
ان يريد بقوله وما امر فرعون برشيد وما امره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله يقدم قومه تفسيرا
لذلك وايضاحا اي كيف يرشد امر من هذه عاقبته والرشد مستعمل في كل ما يحمد ويرتضى كما
استعمل الغي في كل ما يذم ويتسخط ويقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه قادمة الرحل كما
يقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش فان قلت هلا قيل يقدم قومه فيوردهم
النار ولم جيء بلفظ الماضي قلت لان الماضي يدل على امر موجود مقطوع به فكانه قيل
يقدمهم فيوردهم النار لا محالة والورد المورود والمورد الذي يرد وشبه بالفارط
الذي يتقدم الواردة الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم قيل بئس الورد المورود الذي يردونه النار
لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضده واتبعوا في هذه لعنة
اي يلعنون في الدنيا ويلعنون في الاخرة بئس الرفد المرفود رفدهم اي بئس العون المعان وذلك
ان اللعنة في الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة في الاخرة وقيل بئس العطاء
المعطى ذلك مبتدأ من انباء القرى نقصه عليك خبر بعد خبر اي ذلك النبأ بعض انباء القرى
المهلكة مقصوص عليك منها الضمير للقرى اي بعضها باق وبعضها عاف الاثر قائم وحصيد كالزرع
القائم على ساقه والذي حصد فان قلت ما محل هذه الجملة قلت هي مستأنفة لا محل
لها وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما به اهلكوا فما اغنت عنهم
آلهتهم فما قدرت ان ترد عنهم بأس الله التي يدعون يعبدون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك
حين جاءهم عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب تخسير يقال تب اذا خسر وتببه غيره اوقعه
في الخسران وكذلك اخذ ربك ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك والنصب ... وقرئ وكذلك اخذ
ربك بلفظ الفعل وقرئ اذ اخذ القرى وهي ظالمة حال من القرى ان اخذه اليم شديد وجيع صعب
الماخذ وهذا تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل اهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها

لكل من ظلم غيره او نفسه بذنب يقترفه فعلى كل من اذنب ان يحذر اخذ ربه الاليم الشديد فيبادر التوبة
ولا يغتر بالامهال ان في ذلك اشارة الى ما قص الله من قصص الامم الهالكة بذنوبهم لآية لعبرة لمن خاف لانه
ينظر الى ما احل الله بالمجرمين في الدنيا وما هو الا انموذج مما اعد لهم في الآخرة فاذا راى عظمه وشدته اعتبر به
عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظة ولطفا في زيادة التقوى والخشية من الله ونحوه ان في ذلك لعبرة
لمن يخشى ذلك اشارة الى يوم القيمة لان عذاب الآخرة دل عليه والناس رفع باسم المفعول الذي هو مجموع كما يرفع بفعله
اذا قلت يجمع له الناس فان قلت لاي فائدة اوثر اسم المفعول على فعله قلت لما في اسم المفعول من دلالة
على ثبات معنى الجمع لليوم وانه يوم لا بد من ان يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس له وانه الموصوف بذلك صفة لازمة
وهو اثبت ايضا لاسناد الجمع الى الناس وانهم لا ينفكون منه ونظيره قول المتهدد ان لك لمنهوبا مالك محروب
يتعذر عليه ... ما قلت لك ... يجمعون لما فيه من الحساب والثواب والعقاب ومن قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع
فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا اي شهدنا فيه ومشهود مشهود
فيه اي لان الموقف لا يغيب عنه احد والمراد بالمشهود الذي كثر شاهدوه ومنه قولهم لفلان مجلس
مشهود وطعام محضور قال في محفل من نواصي الناس مشهود فان قلت ما منعك ان تجعل
اليوم مشهودا في نفسه دون ان تجعله مشهودا فيه كما قال الله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه
قلت الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتميزه من بين الايام فان جعلته مشهودا في نفسه
فسائر الايام كذلك مشهودات كلها ولكن يجعل مشهودا فيه حتى يحصل التميز كما تميز يوم الجمعة
عن ايام الاسبوع بكونه مشهودا فيه دونها ولم يجز ان يكون مشهودا في نفسه لان سائر ايام الاسبوع
مثله يشهدها كل من يشهده وكذلك قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الشهر منتصب ظرفا
لا مفعولا به وكذلك الضمير في فليصمه والمعنى فمن شهد منكم في الشهر فليصم فيه يعني من كان منكم
مقيما حاضرا في الوطن في شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبته مفعولا فالمسافر والمقيم كلاهما يشهدان
الشهر لا يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر الاجل يطلق على مدة التاجيل كلها وعلى منتهاها
تقولون انتهى الاجل وبلغ الاجل آخره ويقولون حل الاجل فاذا جاء اجلهم يريد آخر مدة التاجيل
والعد انما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله وما نؤخره الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة
معدودة بحذف المضاف وقرئ وما يؤخره بالياء يوم يأت بغير ياء ونحوه قولهم لا ادر حكاه الخليل
وسيبويه وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل فان قلت فاعل يأتي ما هو
قلت الله عز وجل كقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله او يأتي ربك وجاء ربك وبعضده قراءة
وما نؤخره بالياء وقوله باذنه ويجوز ان يكون الفاعل ضمير اليوم كقوله هل ينظرون الا ان تأتيهم
الملائكة فان قلت بم انتصب الظرف قلت اما ان ينتصب بلا تكلم واما باضمار اذكر
واما بالانتهاء المحذوف في قوله الا لاجل معدود اي ينتهي الاجل يوم يأتي فان قلت فاذا جعلت الفاعل
ضمير اليوم فقد جعلت اليوم وقتا للاتيان اليوم وحدد الوقت الذي يأتي فيه اليوم قلت المراد اتيان هوله
وشدائده لا تكلم وهو نظير قوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن فان قلت
كيف يوفق بين هذا وبين قوله يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله هذا يوم لا ينطقون

ولا يؤذن لهم فيعتذرون قلت ذلك يوم طويل له مواقف ومواطن ففي بعضها يجادلون عن أنفسهم
وفي بعضها يكفون عن الكلام فلا يؤذن لهم وفي بعضها يؤذن لهم فيتكلمون وفي بعضها يختم على
أفواههم وتتكلم أيديهم وتشهد أرجلهم فمنهم الضمير لأهل الموقف ولم يذكروا لأن ذلك معلوم ولأن
قوله لا تكلم نفس يدل عليه وقد مر ذكر الناس في قوله مجموع له الناس والشقي الذي وجبت له النار
لإساءته والسعيد الذي وجبت له الجنة لإحسانه وقراءة العامة بفتح الشين وعن الحسن شُقوا
بالضم كما قرئ سُعدوا والزفير إخراج النفس والشهيق ردّه قال الشماخ يصف حمارا
بعيد مدى التطريب أول صوته زفير ويتلوه شهيق محشرج ما دامت السموات والأرض
فيه وجهان أحدهما أن تراد سموات الآخرة وأرضها وهي دائمة مخلوقة للأبد والدليل على أن لها
سموات وأرضا قوله يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وقوله وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث
نشاء ولأنه لا بد لأهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم إما سماء يخلقها الله أو يظلهم العرش وكل ما أظلك
فهو سماء والثاني أن يكون عبارة عن التأبيد ونفي الانقطاع كقول العرب ما دام تعار وما أقام ثبير
وما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات التأبيد فإن قلت فما معنى الاستثناء في قوله إلا ما شاء
ربك وقد ثبت خلود أهل الجنة والنار في الأبد من غير استثناء قلت هو استثناء من الخلود في عذاب
النار ومن الخلود في نعيم الجنة وذلك أن أهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير
وبأنواع من العذاب سوى عذاب النار بما هو أغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخسؤه لهم وإهانته
إياهم وكذلك أهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو أكبر منها وأجل موقعا منهم وهو رضوان الله كما قال
وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان
من الله أكبر ولهم ما يتفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه إلا هو فهو
المراد بالاستثناء والدليل عليه قوله عطاء غير مجذوذ ومعنى قوله في مقابلته إن ربك فعال لما يريد
أنه يفعل بأهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي أهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له فتأمله فإن
القرآن يفسر بعضه بعضا ولا يخدعنك عنه قول المجبرة إن المراد بالاستثناء خروج أهل الكبائر من
النار بالشفاعة فإن الاستثناء الثاني ينادي على تكذيبهم ويسجل بافترائهم وما ظنك بقوم
نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت عن عبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين على جهنم يوم تصفق
فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا وقد بلغني أن من الضلال من اغتر بهذا الحديث
فاعتقد أن الكفار لا يخلدون في النار وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين زادنا الله هداية
إلى الحق ومعرفة بكتابه وتنبيها على أن نعقل عنه ولئن صح هذا عن ابن العاص فمعناه أنهم يخرجون
من حر النار إلى برد الزمهرير فذلك خلو جهنم وصفق أبوابها وأقول ما كان لابن عمرو في سيفيه
ومقاتلته بهما علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ما يشغله عن تسيير هذا الحديث عطاء غير مجذوذ
غير مقطوع ولكنه ممتد إلى غير نهاية كقوله لهم أجر غير ممنون لما قص قصص عبدة الأوثان وذكر
ما أحل بهم من نقمه وما أعد لهم من عذابه قال فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء أي فلا تشك بعد ما أنزل
عليك من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم بها لما أصاب أمثالهم قبلهم تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وعدة بالانتقام منهم ووعيدا لهم ثم قال ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل يريد

أن حالهم في الشرك مثل حال آبائهم من غير تفاوت بين الحالين وقد بلغك ما نزل بآبائهم فسينزل بهم مثله
وهو استئناف معناه تعليل النهي عن المرية وما في مما وكما يجوز أن تكون مصدرية وموصولة أي
من عبادتهم وكعبادتهم أو مما يعبدون من الأوثان ومثل ما يعبدون منها وإنا لموفوهم نصيبهم أي
حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم أنصباءهم فإن قلت كيف نصب غير منقوص حالا عن النصيب
الموفى قلت يجوز أن يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل ألا تراك تقول وفيته شطر حقه وحقه
كاملا أو ناقصا فاختلف فيه أي آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في القرآن ولولا كلمة يعني كلمة الإنظار
إلى يوم القيامة لقضي بينهم بين قوم موسى أو قومك وهذه من جملة التسلية أيضا وإن كلا التنوين
عوض من المضاف إليه يعني وإن كلهم وإن جميع المختلفين فيه ليوفينهم جواب قسم محذوف واللام في لما موطئة
للقسم وما مزيدة والمعنى وإن جميعهم والله ليوفينهم ربك أعمالهم من حسن وقبيح وإيمان وجحود وقرئ
وإن كلا بالتخفيف على إعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لأصلها الذي هو التثقيل وقرأ
أبي وإن كل لما ليوفينهم على أن إن نافية ولما بمعنى إلا وقرأ عبد الله وإن كل إلا
ليوفينهم وقرأ الزهري وسليمان بن أرقم وإن كلا لما ليوفينهم بالتنوين كقوله أكلا لما والمعنى
وإن كلا ملمومين بمعنى مجموعين كأنه قيل وإن كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون
فاستقم كما أمرت فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي أمرت بها على جادة الحق غير عادل عنها
ومن تاب معك معطوف على المستتر في استقم وإنما جاز العطف عليه ولم يؤكد بمنفصل لقيام
الفاصل مقامه والمعنى فاستقم أنت وليستقم من تاب عن الكفر وآمن معك ولا تطغوا ولا تخرجوا
عن حدود الله إنه بما تعملون بصير عالم فهو مجازيكم به فاتقوه وعن ابن عباس رضي الله عنه
ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع القرآن آية كانت أشد ولا أشق عليه من هذه الآية
ولهذا قال شيبتني هود والواقعة وأخواتهما وروي أن أصحابه قالوا له لقد أسرع فيك الشيب
فقال شيبتني هود وعن بعضهم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت له روي عنك أنك
قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت ما الذي شيبك منها أقصص الأنبياء وهلاك الأمم قال لا
ولكن قوله فاستقم كما أمرت وعن جعفر الصادق رضي الله عنه فاستقم كما أمرت قال افتقر
إلى الله بصحة العزم وقرئ ولا تركنوا بفتح الكاف وضمها مع فتح التاء وعن أبي عمرو بكسر التاء
وفتح الكاف على لغة تميم في كسرهم حروف المضارعة إلا الياء في كل ما كان من باب علم يعلم ونحوه
قراءة فتمسكم النار بكسر التاء وقرأ ابن أبي عبلة ولا تُركنوا على البناء للمفعول من أركنه
إذا أماله والنهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع إليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم
ومداهنتهم والرضى بأعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين إلى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم
لهم وتأمل قوله ولا تركنوا فإن الركون هو الميل اليسير وقوله إلى الذين ظلموا أي إلى الذين وجد
منهم الظلم ولم يقل إلى الظالمين وحكي أن الموفق صلى خلف الإمام فقرأ بهذه الآية فغشي عليه فلما
أفاق قيل له فقال هذا فيمن ركن إلى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن رحمه الله جعل الله
الدين بين لاءين ولا تطغوا ولا تركنوا ولما خالط الزهري السلاطين كتب إليه أخ له في الدين

اى ما يعبدون هم

عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو لك الله ويرحمك
أصبحت شيخا كبيرا وقد أثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك
أخذ الله الميثاق على العلماء قال الله سبحانه لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم أن أيسر ما ارتكبت
وأخف ما احتملت أنك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك
باطلا حين أدناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك إلى بلائهم وسلما
يصعدون فيك إلى ضلالهم يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما أيسر ما
عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما أكثر ما أخذوا منك في جنب ما أفسدوا عليك من دينك فما يؤمنك
أن تكون ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا
فإنك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد
حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء والسلام وقال سفيان في جهنم
واد لا يسكنه إلا القراء الزائرون للملوك وعن الأوزاعي ما من شيء أبغض إلى الله من عالم يزور عاملا
وعن محمد بن مسلمة الذباب على العذرة أحسن من قارئ على باب هؤلاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه ولقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك في
برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت **وما لكم** من دون الله من أولياء
حال من قوله فتمسكم النار أي فتمسكم النار وأنتم على هذه الحال ومعناه وما لكم من دون الله من أولياء
يقدرون على منعكم من عذابه لا يقدر على منعكم منه غيره **ثم** لا تنصرون ثم لا ينصركم هو لأنه وجب
في حكمته تعذيبكم وترك الإبقاء عليكم فإن قلت فما معنى ثم قلت معناها الاستبعاد
لأن النصرة من الله مستبعدة مع استيجابهم العذاب واقتضاء حكمته له **طرفي** النهار غدوة وعشية
وزلفا من الليل وساعات من الليل وهي ساعاته القريبة من آخر النهار من أزلفه إذا قربه وازدلف إليه وصلاة
الغدوة الفجر وصلاة العشية الظهر والعصر لأن ما بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء
وانتصاب طرفي النهار على الظرف لأنهما مضافان إلى الوقت كقولك أقمت عنده جميع النهار
وأتيته نصف النهار وأوله وآخره تنصب هذا كله على إعطاء المضاف حكم المضاف إليه وقرئ
وزلفا بضمتين وزلفا بسكون اللام وزلفى بوزن قربى فالزلف جمع
زلفة كظلم في ظلمة والزلف بالسكون نحو بسرة وبسر والزلف بضمتين نحو بسر في بسر
والزلفى بمعنى الزلفة كما أن القربى بمعنى القربة وهو ما يقرب من آخر النهار من الليل وقيل
زلفا من الليل وقربا من الليل وحقها على هذا التفسير أن تعطف على الصلوة أي أقم الصلوة طرفي
النهار وأقم زلفا من الليل على معنى وأقم صلوات تتقرب بها إلى الله عز وجل في بعض الليل **إن الحسنات**
يذهبن السيئات فيه وجهان أحدهما أن يراد تكفير الصغائر بالطاعات وفي الحديث إن الصلوة
إلى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر والثاني أن الحسنات يكن لطفا في تركها
كقوله إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل نزلت في أبي اليسر عمرو بن غزية الأنصاري
كان يبيع التمر فأتته امرأة فأعجبته فقال لها إن في البيت أجود من هذا التمر فذهب بها

إلى بيته وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما فعل
فقال أنتظر أمر ربي فلما صلى صلاة العصر نزلت فقال نعم اذهب فإنها كفارة لما عملت وروي أنه أتى
أبا بكر فأخبره فقال استر على نفسك وتب إلى الله فأتى عمر فقال له مثل ذلك ثم أتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فنزلت فقال عمر أهذا له خاصة أم للناس عامة فقال بل للناس عامة وروي أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال له توضأ وضوءا حسنا وصل ركعتين إن الحسنات يذهبن السيئات **ذلك** إشارة
إلى قوله فاستقم فما بعده **ذكرى** للذاكرين عظة للمتعظين **واصبر** كر إلى التذكير بالصبر بعد ما جاء بما
هو خاتمة للتذكير وهذا الكر من خصوصيته ومزيته وتنبيه على مكان الصبر ومحله كأنه
قال وعليك بما هو أهم مما ذكرت به وأحق بالتوصية وهو الصبر على امتثال ما أمرت به والانتهاء عما
نهيت عنه فلا يتم شيء منه إلا به فإن الله لا يضيع أجر المحسنين جاء بما هو مشتمل على الاستقامة
وإقامة الصلوات والانتهاء عن الطغيان والركون إلى الظالمين والصبر وغير ذلك من الحسنات
فلولا كان من القرون فهلا كان وقد حكي عن الخليل كل لولا في القرآن فمعناها هلا إلا التي
في الصافات وما صحت هذه الحكاية فقد جاءت في غير الصافات لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء ولولا
رجال مؤمنون ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم **أولوا** بقية أولوا فضل وخير وسمي الفضل
والجودة بقية لأن الرجل يستبقي مما يخرجه أجوده وأفضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال
فلان من بقية القوم أي من خيارهم وبه فسر بيت الحماسة إن تذنبوا ثم تأتيني بقيتكم
ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز أن تكون البقية بمعنى البقوى
كالتقية بمعنى التقوى أي فهلا كان منهم ذوو إبقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط
الله وعقابه وقرئ أولوا بقية بوزن لقية من بقاه يبقيه إذا راقبه وانتظره ومنه
بقينا رسول الله والبقية المرة من مصدره والمعنى فلولا كان منهم أولوا مراقبة وخشية
من انتقام الله كأنهم ينتظرون إيقاعه بهم لإشفاقهم **إلا قليلا** استثناء منقطع معناه
ولكن قليلا ممن أنجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي ومن في ممن أنجينا
للبيان لا للتبعيض لأن النجاة إنما هي للناهين وحدهم بدليل قوله عز وجل أنجينا الذين
ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا **فإن قلت** هل لوقوع هذا الاستثناء متصلا وجه يحمل عليه
قلت إن جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا لأنه يكون تحضيضا لأولي البقية
على النهي عن الفساد إلا للقليل من الناجين منهم كما تقول هلا قرأ قومك القرآن إلا الصلحاء منهم
مريدا استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة القرآن **فإن قلت** في تحضيضهم على النهي عن الفساد
معنى نفيه عنهم فكأنه قيل ما كان من القرون أولوا بقية إلا قليلا كان استثناء متصلا
ومعنى صحيحا وكان انتصابه على أصل الاستثناء وإن كان الأفصح أن يرفع على البدل **واتبع الذين**
ظلموا أراد بالذين ظلموا تاركي النهي عن المنكرات أي لم يهتموا بما هو ركن
عظيم من أركان الدين وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعقدوا هممهم بالشهوات
واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترفه من حب الرياسة والثروة وطلب أسباب العيش

المضي ويقضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم وقرأ ابن عمرو في رواية الجعفي واتُّبع الذين ظلموا
يعني واتبعوا جزاء ما اترفوا فيه ويجوز ان يكون المعنى في القراءة المشهورة انهم اتبعوا جزاء اترافهم
وهذا معنى قوي لتقدم الانجاء كانه قيل الا قليلا ممن انجينا منهم وهلك السائرون فان قلت
علام عطف قوله واتبع الذين ظلموا قلت ان كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمر
لان المعنى الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا
وان كان معناه واتبعوا جزاء الاتراف فالواو للحال كانه قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا
جزاءهم فان قلت فقوله وكانوا مجرمين قلت على اترفوا اي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان
تابع الشهوات مغمور بالآثام او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر او على اتبعوا اي اتبعوا شهواتهم
وكانوا مجرمين بذلك ويجوز ان يكون اعتراضا وحكما عليهم بانهم قوم مجرمين كان بمعنى صح واستقام
واللام لتاكيد النفي **بظلم** حال من الفاعل والمعنى واستحال في الحكمة ان يهلك الله القرى ظالما
لها واهلها قوم مصلحون تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بان اهلاك المصلحين من الظلم وقيل
الظلم الشرك ومعناه انه لا يهلك القرى بسبب شرك اهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم
ولا يضمون الى شركهم فسادا آخر **ولو شاء ربك** لجعل الناس امة واحدة يعني اضطرارا الى
ان يكونوا اهل امة واحدة اي ملة واحدة وهي ملة الاسلام كقوله ان هذه امتكم امة واحدة وهذا الكلام
يتضمن نفي الاضطرار وانه لم يضطرهم الى الاتفاق على دين الحق ولكن مكنهم من الاختيار الذي
هو اساس التكليف فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا فلذلك قال ولا يزالون مختلفين
الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه ولذلك خلقهم
ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام الاول وتضمنه يعني ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان
عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره **وتمت كلمة**
ربك وهي قوله للملائكة لاملأن جهنم من الجنة والناس لعلمه بكثرة من يختار الباطل **وكلا**
التنوين فيه عوض من المضاف اليه كانه قيل وكل نبأ نقص عليك من انباء الرسل بيان لكل وما نثبت
به فؤادك بدل من كلا ويجوز ان يكون المعنى وكل اقتصاص نقص عليك على معنى وكل نوع من انواع
الاقتصاص نقص عليك يعني على الاساليب المختلفة وما نثبت به مفعول نقص ومعنى تثبيت فؤاده
زيادة يقينه وما فيه طمأنينة قلبه لان تكاثر الادلة اثبت للقلب وارسخ للعلم **وجاءك** في هذه الحق
اي في هذه السورة او في هذه الانباء المقتصة فيها ما هو حق وموعظة وذكرى **وقل** للذين لا يؤمنون
من اهل مكة وغيرهم **اعملوا** على حالكم وجهتكم التي انتم عليها **انا** عاملون وانتظروا بنا الدوائر
انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما اقتص الله من النعم النازلة باشباهكم **ولله** غيب السموات والارض
لا يخفى عليه خافية مما يجري فيهما فلا تخفى عليه اعمالكم واليه يرجع الامر كله فلا بد ان يرجع اليه امرهم
وامرك فينتقم لك منهم **فاعبده** وتوكل عليه فانه كافيك **وما ربك** بغافل عما تعملون
وقرئ تعملون بالتاء اي انت وهم على تغليب المخاطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطي
من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى

وما كان ربك
ليهلك القرى
بظلم الخ

الحمد لله ذكره

سورة يوسف مكية وهي مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم **الر تلك** اشارة الى آيات السورة **والكتاب المبين** السورة اي
تلك الآيات التي انزلت اليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر امرها في اعجاز العرب وتبكيتهم
او التي تبين لمن تدبرها انها من عند الله لا من عند البشر او الواضحة التي لا تشتبه على العرب
معانيها لنزولها بلسانهم او قد ابين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف فقد روي ان علماء
اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف
انا انزلناه انا انزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه قرآنا عربيا وسمي بعض القرآن
قرآنا لانه اسم جنس يقع على كله وبعضه **لعلكم تعقلون** ارادة ان تفهموه وتحيطوا بمعانيه
ولا يلتبس عليكم ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته **القصص** على وجهين يكون
مصدرا بمعنى الاقتصاص يقال قص الحديث يقصه قصصا كقولك شله يشله شللا اذا طرده
ويكون فعلا بمعنى مفعول كالنفض والحسب ونحوه النبأ والخبر في معنى المنبأ به والمخبر به
ويجوز ان يكون من تسمية المفعول بالمصدر كالخلق والصيد فان اريد المصدر فمعناه نحن
نقص عليك احسن الاقتصاص بما اوحينا اليك هذا القرآن اي بايحائنا اليك هذه السورة
على ان يكون احسن منصوبا نصب المصدر لاضافته اليه ويكون المقصوص محذوفا لان قوله بما اوحينا
اليك هذا القرآن مغن عنه ويجوز ان ينتصب هذا القرآن بنقص كانه قيل نحن نقص عليك احسن
الاقتصاص هذا القرآن بايحائنا اليك والمراد باحسن الاقتصاص انه اقتص على ابدع طريقة
واعجب اسلوب الا ترى ان هذا الحديث مقتص في كتب الاولين وفي كتب التواريخ ولا ترى
اقتصاصه في كتاب منها مقاربا لاقتصاصه في القرآن وان اريد بالقصص المقصوص فمعناه
نحن نقص عليك احسن ما يقص من الاحاديث وانما كان احسن لما يتضمن من العبر والنكت
والحكم والعجائب التي ليست في غيرها والظاهر انه احسن ما يقتص في بابه كما يقال في الرجل
هو اعلم الناس وافضلهم يراد في فنه فان قلت مم اشتقاق القصص قلت من قص اثره
اذا اتبعه لان الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القرآن اذا قرأه لانه
يتلو اي يتبع ما حفظ منه آية بعد آية **وان كنت** ان مخففة من الثقيلة واللام هي التي تفرق
بينها وبين النافية والضمير في قبله راجع الى قوله ما اوحينا والمعنى وان الشأن والحديث كنت من قبله
لمن الغافلين عنه اي من الجاهلين به ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرف منه
اذ قال يوسف بدل من احسن القصص وهو من بدل الاشتمال لان الوقت مشتمل على القصص وهو
المقصوص فاذا قص وقته فقد قص او باضمار اذكر ويوسف اسم عبراني وقيل عربي وليس بصحيح
لانه لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف فان قلت فما تقول فيمن قرأ يوسف
بكسر السين او يوسف بفتحها هل يجوز على قراءته ان يقال هو عربي لانه على وزن المضارع المبني
للفاعل والمفعول من آسف وانما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل قلت لا لان القراءة المشهورة
قامت بالشهادة على ان الكلمة اعجمية فلا تكون عربية تارة واعجمية اخرى ونحو يوسف يونس

أي ج

صلبه وقيل علم يعقوب ان يوسف يكون نبيا واخوته انبياء استدلالا بضوء الكواكب فلذا قال
وعلى آل يعقوب وقيل لما بلغت الرؤيا اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضي ان يسجد له اخوته حتى سجد له
ابواه وقيل كان يعقوب مؤثرا له بزيادة المحبة والشفقة لصغره ولما يرى فيه من المخايل وكان
اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة فكان يضمه كل ساعة الى صدره ولا يصبر عنه
فتبالغ فيهم الحسد وقيل لما قص رؤياه على يعقوب قال هذا امر مشتت يجمعه الله لك بعد دهر طويل
وال يعقوب اهله وهم نسله وغيرهم واصل آل اهل بدليل تصغيره على أهيل الا انه لا يستعمل الا
فيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحائك ولا آل الحجام ولكن اهلهما واراد بالابوين الجد
وابا الجد لانهما في حكم الاب في الاصالة ومن ثم يقولون ابن فلان وان كان بينهما وسائط **وابرهيم واسحق**
عطف بيان لابويك **ان ربك عليم** بمن يستحق له الاجتباء **حكيم** يتم نعمته الا على من يستحقها **لقد كان في يوسف واخوته**
اي في قصتهم وحديثهم **آيات** علامات ودلائل على قدرة الله وحكمته في كل شيء **للسائلين** لمن سأل عن
قصتهم وعرفها وقيل آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سألوه من اليهود عنها فاخبرهم بالصحة
من غير سماع من احد ولا قراءة كتاب وقرئ آية وفي بعض المصاحف عبرة وقيل انما قص الله تعالى على
النبي صلى الله عليه وسلم خبر يوسف وبغي اخوته عليه لما رأى من بغي قومه عليه ليتأسى به وقيل اسماؤهم
روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا وزبولون ويشجر وكانوا من ليا بنت خالة يعقوب فلما توفيت تزوج اختها راحيل
فولدت له بنيامين ويوسف **اذ قالوا ليوسف** اللام لام الابتداء وفيها تاكيد وتحقيق لمضمون الجملة اي ان زيادة
محبته لهما امر ثابت لا شبهة فيه **واخوه** بنيامين وانما قالوا اخوه وهم جميعا اخوته لان امهما كانت واحدة
وقيل احب في الاثنين لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث اذا كان معه من
ولا بد من الفرق مع لام التعريف واذا اضيف جاز الامران والواو في ونحن عصبة واو الحال يعني انه يفضلهما
في المحبة علينا وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة عشرة رجال كفاة نقوم
بمرافقه فنحن احق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما **ان ابانا لفي ضلال مبين**
اي في ذهاب عن طريق الصواب في ذلك والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا وقيل الى الاربعين
سموا بذلك لانهم جماعة تعصب بهم الامور ويستكفون النوائب وروى النزال بن سبرة عن علي رضي الله عنه
ونحن عصبة بالنصب وقيل معناه ونحن نجتمع عصبة وعن ابن الانباري هذا كما تقول العرب انما
العامري عمته اي يتعمم عمته **اقتلوا** يوسف من جملة ما حكي بعد قوله اذ قالوا كانهم
اطبقوا على ذلك الامر الا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل الامر بالقتل شمعون وقيل دان والباقون
كانوا راضين فجعلوا آمرين **او اطرحوه ارضا** منكورة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها
واخلائها من الناس ولابهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة **يخل لكم وجه ابيكم**
يقبل عليكم اقبالة واحدة لا يلتفت عنكم الى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها
وينازعهم اياها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم لان الرجل اذا اقبل على الشيء اقبل
بوجهه ويجوز ان يراد بالوجه الذات كما قال ويبقى وجه ربك وقيل يخل لكم يفرغ لكم من الشغل

وسعی

بيوسف **من بعده** من بعد يوسف اي من بعد كفايته بالقتل او التغريب او يرجع الضمير الى مصدر
اقتلوا او اطرحوا **قوما صالحين** تائبين الى الله مما جنيتم عليه او يصلح ما بينكم وبين ابيكم
بعذر تمهدونه او تصلح دنياكم وتنتظم اموركم بعده بخلو وجه ابيكم **وتكونوا** اما جزم عطفا
على يخل لكم واما منصوب باضمار ان والواو بمعنى مع كقوله وتكتموا الحق **قال قائل منهم** هو يهوذا وكان احسنهم
فيه رأيا وهو الذي قال فلن ابرح الارض قال لهم ان القتل عظيم **لا تقتلوا يوسف والقوه في غيابة الجب** في غوره
سمي بها لغيبته عن عين الناظر واظلم من اسفله قال المنخل
فان انا يوما غيبتني غيابتي فسيروا بسيري في العشيرة والاهل اراد بغيابته حفرته التي
دفن فيها وقرئ غيابات على الجمع وغيابات بالتشديد وقرأ الجحدري غيبة **والجب** البئر التي لم
تطو لان الارض تجب جبا لا غير **يلتقطه** ياخذه **بعض السيارة** بعض الاقوام الذين يسيرون
في الطريق وقرئ تلتقطه بالتاء على المعنى لان بعض السيارة سيارة كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم
ومنه ذهبت بعض اصابعه **ان كنتم فاعلين** ان كنتم على ان تفعلوا ما يحصل به غرضكم فهذا
هو الرأي **قالوا يا ابانا ما لك لا تأمنا** وقرئ باظهار النونين وبالادغام باشمام وبغير اشمام وتيمنا بكسر التاء
مع الادغام والمعنى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه وما وجد منا في بابه
ما يدل على خلاف النصيحة والمقة وارادوا به لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رأيه
وعادته في حفظه منهم وفيه دليل على انه احس منهم بما اوجب ان لا يأمنهم عليه **يرتع**
يتسع في اكل الفواكه وغيرها واصل الرتعة الخصب **نرتع**
ونلعب بالنون وقرئ نرتع من ارتعى يرتعي
ونلعب بالياء ويرتع من ارتعى ماشيته وقرأ العلاء بن سيابة يرتع بكسر العين
ويلعب بالرفع على الابتداء **فان قيل** كيف استجاز لهم يعقوب عليه السلام اللعب **قلت**
كان لعبهم الاستباق والانتضال ليمرنوا انفسهم بما يحتاج اليه لقتال العدو لا للهو
بدليل قوله انا ذهبنا نستبق وانما سموه لعبا لانه في صورته **ليحزنني** اللام لام الابتداء كقوله
ان ربك ليحكم بينهم وبدخولها احد ما ذكره سيبويه من شبهي المضارع اعتبر الهم بشيئين احدهما
ان ذهابهم به ومفارقته اياه مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة والثاني خوفه عليه من عدوة
الذئب اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم او قل به اهتمامهم ولم تصدق بحفظه عنايتهم وقيل رأى في
المنام ان الذئب قد شد على يوسف فكان يحذره فمن ثم قال ذلك فلقنهم العلة وفي امثالهم البلاء موكل
بالمنطق وقرئ الذئب بالهمزة على الاصل وبالتخفيف وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح اذا اتت من كل
جهة **قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة** اللام موطئة للقسم وقوله انا اذا
لخاسرون جواب القسم مجزئ عن جزاء الشرط والواو في ونحن عصبة واو الحال حلفوا لهم لئن كان ما
خافه من خطفة الذئب اخاه من بينهم وحالهم انهم عشرة رجال بحيث تعصب بهم الامور وتكفى الخطوب
بهم انا اذا لخاسرون هالكون ضعفا وخورا او عجزا او مستحقون لان يهلكوا لانه لا غناء

أن يهلكوا

مشتت — ليا — تفضلهما — النزال — اي العمامة — ارتعی — سيابه — لان اللام سبب ... وعد الحزن ... والسكنات سبب — تحذره

عندهم والحظوة في حياتهم او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والدمار وان يقال خسّرهم الله
ودمّرهم حين اكل الذئب بعضهم وهم حاضرون وقيل ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا
اذن وخسرناها فان قلت قد اعتذر اليهم بعذرين فلم اجابوا عن احدهما دون الاخر قلت هو الذي
كان يغيظهم ويذيقهم الامرّين فاعاروه اذانا صمّا ولم يعبؤا به ان يجعلوه مفعول اجمعوا من
اجمع الامر وازمعه فاجمعوا امركم وقرئ في غيابات الجب قيل هو بئر بيت المقدس وقيل بارض
الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلثة فراسخ من منزل يعقوب وجواب لمّا محذوف ومعناه فعلوا
به ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم لما برزوا به الى البرية اظهروا له العداوة واخذوا يهينونه
ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه الا بالاهانة والضرب حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح
يا ابتاه لو تعلم ما يصنع بابنك اولاد الاماء فقال يهوذا اما اعطيتموني موثقا ان لا تقتلوه فلما ارادوا
القاءه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يديه فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال
يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به وانما نزعوه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقالوا
ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا يؤنسوك ودلوه في البئر فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البئر
ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا
ان يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا ياتيه بالطعام ويروى ان ابرهيم صلوات الله عليه حين
القي في النار جرّد عن ثيابه فاتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابرهيم الى اسحق
واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فجاءه جبريل فاخرجه والبسه اياه واوحينا
اليه قيل اوحى اليه في الصغر كما اوحى الى يحيى وعيسى عليهما السلم وقيل كان اذ ذاك مدركا وعن الحسن
كان له سبع عشرة سنة لتنبئنهم بامرهم هذا وانما اوحى اليه ليؤنسه في الظلمة والوحشة ويبشره
بما يؤول اليه امره ومعناه لتتخلصن مما انت فيه ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون
انك يوسف لعلو شانك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن اوهامهم ولطول العهد المبدل للهيئات
والاشكال وذلك انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على
يده ثم نقره فطنّ فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان يدنيه
دونكم وانكم انطلقتم به فالقيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيكم اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس
ويجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون بقوله واوحينا على انا آنسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة وهم لا
يشعرون ذلك ويحسبون انه مرهق مستوحش لا انيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على انه وعيد لهم
فقوله وهم لا يشعرون متعلق باوحينا لا غير وعن الحسن عشيا على تصغير عشي يقال لقيته
عشيانا وعشيشيانا واصيلانا واصيلالا ورواه ابن جني عشى بضم العين والقصر وقال عشوا من البكاء
وروي ان امراة حاكمت الى شريح فبكت فقال له الشعبي يا ابا امية اما تراها تبكي فقال قد جاء
اخوة يوسف يبكون وهم ظلمة ولا ينبغي لاحد ان يقضي الا بما امر ان يقضي به من السنة المرضية وروي

انه لما سمع صوتهم فزع وقال ما لكم يا بني هل اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما لكم واين
يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي نتسابق والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال
والتناضل والارتماء والترامي وغير ذلك والمعنى نتسابق في العدو او في الرمي وجاء في التفسير ننتضل
بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين ولو كنا عندك من اهل الصدق والثقة لشدة محبتك
ليوسف فكيف وانت سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا بدم كذب ذي كذب او وصف بالمصدر
مبالغة كانه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته ونحوه
فهن به جود وانتم به بخل وقرئ كذبا بالنصب على الحال بمعنى جاؤا به كاذبين ويجوز ان
يكون مفعولا له وقرات عائشة رضي الله عنها كدب بالدال غير المعجمة اي كدر وقيل طري
وقال ابن جني اصله من الكدب وهو الفوف البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث كانه دم
قد اثر في قميصه روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه وروي ان يعقوب
لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى
خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق
عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف ثلث ايات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على
وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قدّ من دبره فان قلت على قميصه ما محله
قلت محله النصب على الظرف كانه قيل وجاؤا فوق قميصه بدم كما تقول جاؤا على جماله باحماله
فان قلت هل يجوز ان يكون حالا مقدمة قلت لا لان حال المجرور لا تتقدم عليه سولت
سهلت من السول وهو الاسترخاء اي سهلت لكم انفسكم امرا عظيما ارتكبتموه من يوسف
وهونته في اعينكم [illegible] يعرف من حسدهم
[illegible] فصبر جميل خبر او مبتدا لكونه موصوفا اي فامري صبر جميل او
فصبر جميل امثل وفي قراءة ابي فصبرا جميلا والصبر الجميل جاء في الحديث المرفوع
انه الذي لا شكوى فيه ومعناه لا شكوى فيه الى الخلق الا ترى الى قوله انما اشكو بثي وحزني الى
الله وقيل لا اعايشكم على كآبة الوجه بل اكون لكم كما كنت وقيل سقط حاجبا يعقوب
على عينيه وكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى
الله اليه يا يعقوب اتشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها لي والله المستعان اي استعينه
على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه وجاءت سيارة رفقة تسير من قبل
مدين الى مصر وذلك بعد ثلثة ايام من القاء يوسف في الجب فاخطؤا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان
الجب في قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه يوسف
فارسلوا واردهم والوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم وكان يقال له مالك بن دعر الخزاعي ليطلب لهم الماء
يا بشرى نادى البشرى كانه يقول تعالي فهذا من آونتك وقرئ يا بشراي على اضافتها
الى نفسه وفي قراءة الحسن وغيره يا بشريّ بالياء مكان الالف جعلت الياء بمنزلة الكسرة قبل

بالاضافة وهي لغة للعرب مشهورة ثم جعلها اهل الشهوات يقولون في دعائهم يا بشرى [illegible] وعن نافع
يا بشراي بالسكون وليس بالوجه لما فيه من التقاء الساكنين على غير حده الا ان يقصد الوقف وقيل
لما ادلى دلوه اي ارسلها في الجب تعلق يوسف بالحبل فلما خرج اذا هو بغلام احسن ما يكون فقال
يا بشراي هذا غلام وقيل ذهب به فلما دنا من اصحابه صاح بذلك يبشرهم به **واسروه** الضمير
للوارد واصحابه اخفوه من الرفقة وقيل اخفوا امره ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم دفعه
الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وعن ابن عباس ان الضمير لاخوة يوسف وانهم قالوا للرفقة هذا غلام
لنا قد ابق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه **بضاعة** نصب على الحال اي اخفوه
متاعا للتجارة والبضاعة ما بضع من المال للتجارة اي قطع **والله** عليم بما يعملون لم يخف عليه
اسرارهم او هو وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم او والله عليم بما يعمل اخوة يوسف بابيهم
واخيهم من سوء الصنيع **وشروه** وباعوه بثمن بخس مبخوس ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرا
او زيف ناقص العيار دراهم لا دنانير **معدودة** قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا لا يزنون
الا ما بلغ الاوقية وهي الاربعون ويعدون ما دونها وقيل للقليلة معدودة لان الكثيرة
تمتنع من عدها لكثرتها وعن ابن عباس كانت عشرين درهما وعن السدي اثنين وعشرين
وكانوا فيه من الزاهدين من الذين يرغبون عما في ايديهم فيبيعه بما طف من الثمن لانهم التقطوه والملتقط
للشيء متهاون به لا يبالي بم باعه ولانه يخاف ان يعرض له مستحق ينتزعه من يده فيبيعه من اول مساوم
باوكس الثمن ويجوز ان يكون معنى شروه واشتروه يعني الرفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين
لانهم اعتقدوا انه آبق فخافوا ان يخطروا بما لهم فيه ويروى ان اخوته اتبعوهم يقولون استوثقوا
منه لا يابق وقوله فيه ليس من صلة الزاهدين لان الصلة لا تتقدم على الموصول [illegible]
وكانوا زهدا من الصابرين وانما هو بيان كانه قيل في اي شيء زهدوا فقال زهدوا فيه **وقال الذي**
اشتراه قيل هو قطفير او اطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان
بن الوليد رجل من العماليق وقد آمن بيوسف ومات في حياة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب
فدعاه يوسف الى الاسلام فابى واشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة واقام في منزله ثلاث عشرة
سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله تعالى الحكمة والعلم وهو ابن
ثلث وثلثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في ايامه فرعون موسى عاش
اربعمائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد
فرعون يوسف وقيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل
ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه
قطفير بذلك المبلغ **اكرمي** مثواه اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما اي حسنا مرضيا
بدليل قوله انه ربي احسن مثواي والمراد تفقديه بالاحسان وتعهديه بحسن الملكة حتى

وقال الذي اشتراه الآية
الريان

تكون نفسه طيبة في صحبتنا ساكنة في كنفنا ويقال للرجل كيف ابو مثواك وام مثواك
لمن ينزل به من رجل او امراة يراد هل تطيب نفسك بثوائك عنده وهل يراعي حق نزولك واللام
في لامراته متعلقة بقال لا باشتراه **عسى** ان ينفعنا لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم
مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله فينفعنا فيه بكفايته وامانته او نتبناه ونقيمه
مقام الولد وكان قطفير عقيما لا يولد له وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك ولذلك قيل افرس
الناس ثلاثة العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامراته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا والمراة التي
قالت لابيها يا ابت استأجره وابو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما وروي انه سأله
عن نفسه فاخبره بنسبه فعرفه وكذلك اشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب
العزيز عليه والكاف منصوب بتقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف مكنا له اي كما انجيناه وعطفنا
عليه العزيز كذلك مكنا له في ارض مصر وجعلناه ملكا متصرفا فيها بامره ونهيه **ولنعلمه** من
تأويل الاحاديث كان ذلك الانجاء والتمكين لان غرضنا ليس الا ما تحمد عاقبته من علم وعمل
والله غالب على امره اي على امر نفسه لا يمنع عما يشاء او على امر يوسف اراد به اخوته ما ارادوا
ولم يكن الا ما اراد الله ودبره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيد الله
ولما بلغ اشده قيل في الاشد ثماني عشرة سنة وعشرون وثلث وثلثون **آتيناه حكما** حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل واجتناب ما يجهل فيه وقيل
وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه كان محسنا في عمله متقيا في عنفوان امره
ان الله آتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه وعن الحسن من احسن عبادة ربه في شبيبته آتاه
الله الحكمة في اكتهاله **وراودته** مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب كان المعنى خادعته
عن نفسه اي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد ان يخرجه من يده يحتال ان يغلبه
عليه ويأخذه منه وهي عبارة عن التمحل لمواقعته اياها **وغلقت** الابواب قيل كانت سبعة
[illegible] بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبناؤه كبناء اين وعيط
[illegible] هيهات [illegible] اذا تعجبوا وهيت بكسر وهيت بضم [illegible]
الاصوات للبيان [illegible] لك اقول هذا كما تقول هلم لك واللام من صلة الفعل [illegible]
[illegible] **معاذ الله** اعوذ بالله معاذا **انه ربي احسن** مثواي [illegible]
[illegible] **انه لا يفلح** الظالمون [illegible]
[illegible] **ولقد همت به** [illegible]
[illegible] **لولا ان راى برهان ربه** [illegible]
[illegible] لولا اني خفت الله [illegible]

الله لقتلته ۝ فإن قلت كيف جاز على نبي الله أن يكون منه همّ بالمعصية وقصد إليها قلت
المراد أن نفسه مالت إلى المخالطة ونازعت إليها عن شهوة الشباب وقرمه ميلاً يشبه الهم
به والقصد إليه وكما تقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعزائم وهو يكسر ما
به ويرده بالنظر في برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم ولو لم يكن ذلك الميل
الشديد المسمى همّاً لشدته لما كان صاحبه ممدوحاً عند الله بالامتناع لأن استعظام الصبر على
الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدته ولو كان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه الله بأنه من عباده
المخلصين ويجوز أن يريد بقوله وهمّ بها وشارف أن يهم بها كما يقول الرجل قتلته لو لم أخف الله
يريد مشارفة القتل ومشافهته كأنه شرع فيه ۝ فإن قلت قوله وهمّ بها داخل تحت حكم القسم
في قوله ولقد همت به أم هو خارج منه ۝ قلت الأمران جائزان ومن حق القارئ إذا قدّر
خروجه من حكم القسم وجعله كلاماً برأسه أن يقف على قوله ولقد همت به ويبتدئ قوله وهمّ
بها لولا أن رأى برهان ربه وفيه أيضاً إشعار بالفرق بين الهمين ۝ فإن قلت لم جعلت جواب لولا
محذوفاً يدل عليه همّ بها وهلا جعلته هو الجواب مقدماً ۝ قلت لأن لولا لا يتقدم عليها جوابها
من قبل أنه في حكم الشرط وللشرط صدر الكلام وهو مع ما في حيزه من الجملتين مثل كلمة واحدة ولا
يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض وأما حذف بعضها إذا دل الدليل عليه فجائز ۝ فإن قلت
فلم جعلت لولا متعلقة بهمّ بها وحده ولم تجعلها متعلقة بجملة قوله ولقد همت به وهمّ بها لأن الهم
لا يتعلق بالجواهر ولكن بالمعاني فلا بد من تقدير المخالطة والمخالطة لا تكون إلا من اثنين معاً فكأنه
قيل ولقد هما بالمخالطة لولا أن منع مانع أحدهما ۝ قلت نعم ما قلت ولكن الله سبحانه قد جاء بالهمين
على سبيل التفصيل حيث قال ولقد همت به وهمّ بها وكان لا غنى له [illegible] فوجب أن يكون التقدير
ولقد همت بمخالطته وهمّ بمخالطتها على أن المراد بالمخالطتين توصلها إلى ما هو حظها من قضاء
شهوتها منه وتوصله إلى ما هو حظه من قضاء شهوته منها لولا أن رأى برهان ربه فترك التوصل
إلى حظه من الشهوة فلذلك كانت لولا حقيقة بأن تعلق بهمّ بها وحده وقد فسر همّ يوسف
بأنه حلّ الهميان وجلس منها مجلس المجامع وبأنه حلّ تكة سراويله وقعد بين شعبها الأربع
وهي مستلقية على قفاها وفسر البرهان بأنه سمع صوتاً إياك وإياها فلم يكترث له فسمعه
ثانياً فلم يعمل به فسمع ثالثاً أعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضاً على أنملته
وقيل ضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من أنامله وقيل كل ولد يعقوب له اثنا عشر ولداً
إلا يوسف فإنه ولد له أحد عشر ولداً من أجل ما نقص من شهوته حين همّ وقيل صيح به يا يوسف
لا تكن كالطائر كان له ريش فلما زنى قعد لا ريش له وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد
ولا معصم مكتوب فيها وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا
الزنى إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله
فلم ينجع فيه فقال الله لجبريل أدرك عبدي قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل وهو

يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب في ديوان الأنبياء وقيل رأى تمثال العزيز وقيل قامت
المرأة إلى صنم كان هناك فسترته وقالت أستحيي منه أن يرانا فقال يوسف استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر
ولا أستحيي من السميع البصير العليم بذات الصدور وهذا ونحوه مما يورده أهل الحشو والجبر الذين
دينهم بهت الله وأنبيائه وأهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل
ولو وجدت من يوسف عليه السلام أدنى زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره كما نعيت
على آدم صلوات الله عليه زلته وعلى داود وعلى نوح وعلى أيوب وعلى ذي النون وذكرت توبتهم
واستغفارهم كيف وقد أثني عليه وسمي مخلصاً فعلم بالقطع أنه ثبت في ذلك المقام الدحض وأنه
جاهد نفسه مجاهدة أولي القوة والعزم ناظراً في دليل التحريم ووجه القبح حتى استحق من الله
الثناء فيما أنزل من كتبه الأولين ثم في القرآن الذي هو حجة على سائر كتبه ومصداق لها ولم يقتصر
إلا على استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له لسان صدق في الآخرين كما جعله
لجده الخليل إبراهيم وليقتدي به الصالحون إلى آخر الدهر في العفة وطيب الإزار والتثبت في
مواقف العثار فأخزى الله أولئك في إيرادهم ما يؤدي إلى أن يكون أنزل الله السورة التي هي أحسن
القصص في القرآن العربي المبين لتقتدي بنبي من أنبياء الله في القعود من شعب الزانية وفي حل تكته
للوقوع عليها وفي أن ينهاه ربه ثلاث كرات ويصاح به من عنده ثلاث صيحات بقوارع القرآن وبالتوبيخ
العظيم وبالوعيد الشديد وبالتشبيه بالطائر الذي سقط ريشه حين سفد غير أنثاه وهو
جاثم في مربضه لا يتحلحل ولا ينتهي ولا ينتبه حتى يتداركه الله تعالى بجبريل وبإجباره ولو أن أوقح
الزناة وأشطرهم وأحدهم حدقة وأجلحهم وجهاً لقي بأدنى ما لقي به نبي الله مما ذكروا لما بقي له عرق
ينبض ولا عضو يتحرك فيا له من مذهب ما أفحشه ومن ضلال ما أبينه ۝ كذلك الكاف منصوب المحل
أي مثل ذلك التثبيت ثبتناه أو مرفوعه أي الأمر مثل ذلك ۝ لنصرف عنه السوء من خيانة السيد والفحشاء
من الزنا ۝ إنه من عبادنا المخلصين الذين أخلصوا دينهم لله وبالفتح الذين أخلصهم الله لطاعته بأن عصمهم
ويجوز أن يريد بالسوء مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بشهوة ونحو ذلك وقوله من عبادنا معناه
بعض عبادنا أي هو مخلص من جملة المخلصين أو هو ناشئ منهم لأنه من ذرية إبراهيم الذين قال فيهم إنا
أخلصناهم بخالصة ۝ واستبقا الباب وتسابقا إلى الباب على حذف الجار وإيصال الفعل كقوله واختار
موسى قومه أو على تضمين استبقا معنى ابتدرا نفر منها يوسف فأسرع يريد الباب ليخرج وأسرعت وراءه لتمنعه
الخروج ۝ فإن قلت كيف وحد الباب وقد جمعه في قوله وغلقت الأبواب ۝ قلت أراد الباب البراني
الذي هو المخرج من الدار والمخلص وقد روى كعب أنه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط
حتى خرج من الأبواب ۝ وقدت قميصه من دبر اجتذبته من خلفه فانقد أي انشق حين هرب منها إلى الباب
وتبعته تمنعه ۝ وألفيا سيدها وصادفا بعلها وهو قطفير تقول المرأة لبعلها سيدي وقيل
إنما لم يقل سيدهما لأن ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيداً له على الحقيقة قيل ألفياه مقبلاً يريد أن
يدخل وقيل جالساً مع ابن عم المرأة لما اطلع منها زوجها على تلك الهيئة المريبة وهي مغتاظة

عن يوسف فلم يتمالك أن يجمع بين تبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة ونسبة الغضب على يوسف وتخويفه طمعا في أن يواتيها خيفة منها ومن مكرها وكرها لما آيست من مواتاته طوعا ألا ترى إلى قولها ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وما نافية أي ليس جزاؤه إلا السجن ويجوز أن تكون استفهامية بمعنى أي شيء جزاؤه إلا السجن كما تقول من في الدار إلا زيد فإن قلت كيف لم تصرح في قولها بذكر يوسف وأنه أراد بها سوءا قلت قصدت العموم وأن كل من أراد بأهلك سوءا فحقه أن يسجن أو يعذب لأن ذلك أبلغ فيما قصدت من تخويف يوسف وقيل العذاب الأليم الضرب بالسياط ولما أغرت به وعرضته للسجن والعذاب وجب عليه الدفع عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي ولولا ذلك لكتم عليها وشهد شاهد من أهلها قيل كان ابن عم لها وإنما ألقى الله الشهادة على لسان من هو من أهلها لتكون أوجب للحجة عليها وأوثق لبراءة يوسف وأنفى للتهمة عنه وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع إليه الملك ويستشيره ويجوز أن يكون بعض أهلها كان في الدار فبصر بها من حيث لا تشعر فأغضبه الله ليوسف بالشهادة له والقيام بالحق وقيل كان ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم أربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى فإن قلت لم سمي قوله شهادة وما هو بلفظ الشهادة قلت لما أدى مؤدى الشهادة في أن ثبت به قول يوسف وبطل قولها سمي شهادة فإن قلت الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها بعد فعل الشهادة قلت لأنها قول من القول أو على إرادة القول كأنه قيل وشهد شاهد فقال إن كان قميصه فإن قلت إن دل قد قميصه من دبر على أنها كاذبة وأنها هي التي تبعته واجتذبت ثوبه إليها فقدته فمن أين دل قده من قبل على أنها صادقة وأنه كان تابعها قلت من وجهين أحدهما أنه إذا كان تابعها وهي دافعة عن نفسها فقدت قميصه من قدامه بالدفع والثاني أن يسرع خلفها ليلحقها فيتعثر في مقادم قميصه فيشقه وقرئ من قبل ومن دبر بالضم على مذهب الغايات والمعنى من قبل القميص ومن دبره وأما التنكير فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وعن ابن أبي إسحاق من قبل ومن دبر بالفتح كأنه جعلهما علمين للجهتين فمنعهما الصرف للعلمية والتأنيث وقرئ بسكون العين فإن قلت كيف جاز الجمع بين إن الذي هو للاستقبال وبين كان قلت لأن المعنى أن يعلم أنه كان قميصه قد ونحوه كقولك إن أحسنت إلي فقد أحسنت إليك من قبل لمن يمتن عليك بإحسانه تريد إن تمتن علي أمتن عليك فلما رأى يعني قطفير وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها قال إنه إن قولك ما جزاء من أراد بأهلك سوءا أو إن هذا الأمر وهو طمعها في يوسف من كيدكن الخطاب لها ولأمتها وإنما استعظم كيد النساء لأنه وإن كان في الرجال إلا أن النساء ألطف كيدا وأنفذ حيلة ولهن في ذلك نيقة ورفق وبذلك يغلبن الرجال ومنه قوله تعالى ومن شر النفاثات في العقد والقصريات من بينهن معهن ما ليس مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء أنا أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان لأن الله تعالى يقول إن كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء إن كيدكن عظيم يوسف حذف منه حرف النداء لأنه منادى قريب

تقريبا له وتلطيفا لمحله أعرض عن هذا الأمر واكتمه ولا تحدث به واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطئ إذا أذنب متعمدا وإنما قال من الخاطئين بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الإناث وما كان العزيز إلا حليما روي أنه كان قليل الغيرة وقال نسوة وكن خمسا امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي كتأنيث اللمة ولذلك لم تلحق فعله تاء التأنيث وفيه لغتان كسر النون وضمها في المدينة في مصر امرأة العزيز يردن قطفير والعزيز الملك بلسان العرب فتاها غلامها يقال فتاي وفتاتي أي غلامي وجاريتي قد شغفها حبا خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل إلى الفؤاد والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب قال النابغة

وقد حال هم دون ذلك والج * مكان الشغاف تبتغيه الأصابع

وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير إذا هنأه فأحرقه بالقطران قال

كما شعف المهنوءة الرجل الطالي

ونصب حبا على التمييز إنا لنراها في ضلال مبين في خطأ وبعد عن طريق الصواب فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتهن إياها وسمي الاغتياب مكرا لأنه في خفية وحال غيبة كما يخفي الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن سرها فأفشينه عليها أرسلت إليهن دعتهن قيل دعت أربعين امرأة منهن الخمس المذكورات وأعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة وهي قعودهن متكئات والسكاكين في أيديهن أن يدهشن ويبهتن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها لأن المتكئ إذا بهت لشيء وقعت يده على يده ولا يبعد أن تقصد الحيلة في المكر بهن حين تخرجه عليهن مجتمعات لما يبهرهن من حسنه فيقطعن أيديهن ويقلن ما يقلن فيكون ذلك عذرا لها عندهن وقيل متكأ مجلس طعام لأنهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث على عادة المترفين ولذلك نهي أن يأكل الرجل متكئا وآتت كل واحدة منهن سكينا وقرئ متكا بغير همز وعن مجاهد متكأ طعاما يحز حزا كأن المعنى يعتد بالسكين لأن القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين وقرئ متكأ بتشديد التاء من غير همز كقوله متزي والمتك الأترج أو ما يقطع من متكه إذا بتكه وقرئ متكا وهو الأترج وأنشد

فأهدت متكة لبني أبيها * تخب بها العثمثمة الوقاح

وقيل الزماورد وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه أعظمنه وهبن ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق قيل كان فضل يوسف على

الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وعن النبي صلى الله عليه وسلم مررت بيوسف الليلة التي عرج بي
الى السماء فقلت لجبريل من هذا فقال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رأيته قال كالقمر ليلة البدر
وقيل كان يوسف اذا سار في ازقة مصر يرى تلالؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من السماء عليها
وقيل كان يشبه آدم يوم خلقه ربه وقيل ورث
الجمال من جدته سارة وقيل اكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال اكبرت المرأة اذا حاضت وحقيقته
دخلت في الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر الى حد الكبر وكان ابا الطيب اخذ من هذا التفسير قوله
خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق وقطعن ايديهن وجرحنها
كما تقول كنت اقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها حاشى كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء تقول
اساء القوم حاشى زيد قال حاشى ابي ثوبان ان به ضنا عن الملحاة والشتم وهي حرف من حروف الجر
فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاشى الله براءة الله وتنزيه الله وهي قراءة ابن مسعود على اضافة
حاشى الى الله اضافة البراءة ومن قرأ حاشى لله فنحو قولك سقيا لك كأنه قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرأ
وينزه والدليل على تنزيل حاشى منزلة المصدر قراءة ابي السمال حاشى لله بالتنوين وقراءة ابي عمرو حاش لله
بحذف الالف الاخيرة وقراءة الاعمش حشى لله بحذف الالف الاولى وقرئ حاش لله بسكون الشين على ان الفتحة
اتبعت الالف في الاسقاط وهي ضعيفة لما فيها من التقاء الساكنين على غير حده وقرئ حاشى الاله فان قلت
فلم جاز في حاشى لله ان لا ينون بعد اجرائه مجرى براءة لله قلت مراعاة لاصله الذي هو الحرفية الا ترى
الى قولهم جلست من عن يمينه كيف تركوا عن غير معرب على اصله وعلى في قوله غدت من عليه
منقلبة الى لفظ الياء مع الضمير والمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل
مثله واما قوله حاشى لله ما علمنا عليه من سوء فالتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما هذا بشرا
نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه لما عليه محاسن الصور واثبتن له الملكية وبتتن
بها الحكم وذلك لان الله عز وجل ركز في الطباع ان لا احسن من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح
من الشيطان ولذلك يشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما وما ركز ذلك فيها الا لان الحقيقة
كذلك كما ركز في الطباع ان لا يدخل الشر في الشياطين وان اجمع الخير في الملائكة الا ما عليه الفئة
الخاسئة المجبرة من تفضيل الانسان على الملك وما هو الا من تعكيسهم للحقائق وجحودهم للعلوم
الضرورية ومكابرتهم في كل باب واعمال ما عمل ليس هي اللغة القدمى الحجازية وبها ورد القرآن
ومنها قوله ما هن امهاتهم ومن قرأ على سليقته من بني تميم قرأ بشر بالرفع وهي قراءة ابن مسعود وقرئ ما هذا
بشرى اي ما هو بعبد مملوك لئيم ان هذا الا ملك كريم تقول هذا بشرى اي حاصل بشرى بمعنى هذا مشترى
وتقول هذا لك بشرى ام بكرى والقراءة هي الاولى لموافقتها المصحف ومطابقته بشر لملك
قالت فذلكن ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاقه ان يحب ويفتتن به
وربا بحاله واستبعادا لمحله ويجوز ان يكون اشارة الى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعاني
تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن ثم لمتنني فيه تعني انكن لم تصورنه الاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع
بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به

البليغ والتحفظ الشديد كأنه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها ونحوه استمسك واستوسع
الفتق واستجمع الرأي واستفحل الخطب وهذا بيان لما كان من يوسف عليه السلام لا مزيد عليه وبرهان
لا شيء انور منه على انه بريء مما اضاف اليه اهل الحشو مما فسروا به الهم والبرهان فان قلت
الضمير في آمره راجع الى الموصول ام الى يوسف قلت بل الى الموصول والمعنى ما آمر به فحذف الجار
كما في قوله امرتك الخير ويجوز ان تجعل ما مصدرية فيرجع الى يوسف ومعناه
ولئن لم يفعل امري اياه اي موجب امري ومقتضاه قرئ وليكونن بالتشديد والتخفيف
والتخفيف اولى لان النون كتبت في المصحف الفا على حكم الوقف وذلك لا يكون الا في الخفيفة
وقرئ السجن بالفتح على المصدر وقال رب عوني على اسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن تنصحن
له وزين له مطاوعتها وقلن له اياك والقاء نفسك في السجن والصغار فالتجأ الى ربه عند
ذلك وقال رب نزول السجن احب الي من ركوب المعصية فان قلت نزول السجن مشقة على
النفس شديدة وما دعونه اليه لذة عظيمة فكيف كانت المشقة احب اليه وآثر عنده قلت
نظرا الى حسن الصبر على احتمالها لوجه الله وفي قبح المعصية وفي عاقبة كل واحدة منهما لا نظرا
الى مشتهى النفس ومكروهها والا تصرف عني كيدهن فزع منه الى الطاف الله وعصمته كعادة الانبياء
والصالحين فيما عزموا عليه ووطنوا عليه انفسهم من الصبر لا ان يطلب منه الاجبار على التعفف والالجاء
اليه اصب اليهن اميل اليهن والصبوة الميل الى الهوى ومنها الصبا لان النفوس تصبو
اليها لطيب نسيمها وروحها وقرئ اصب اليهن من الصبابة من الجاهلين من الذين لا يعملون بما
يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء او من السفهاء لان الحكيم لا يفعل القبيح وانما
ذكر الاستجابة ولم يتقدم الدعاء لان قوله والا تصرف عني فيه معنى طلب الصرف والدعاء باللطف
ثم بدا لهم فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه
وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء اي ظهر لهم رأي ليسجننه والضمير في لهم للعزيز واهله من بعد ما رأوا
الآيات وهي الشواهد على براءته وما كان ذلك الا باستنزال المرأة لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب
وكان مطواعا لها وجملا ذلولا زمامه في يدها حتى انساه ذلك ما عاين من الآيات وعمل برأيها في سجنه
والحاق الصغار به كما اوعدته به وذلك لما ايست من طاعته لها او لطمعها في ان يذلله السجن
ويسخره لها وفي قراءة الحسن لتسجننه بالتاء على الخطاب خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز
وحده على وجه التعظيم حتى حين الى زمان كأنها اقترحت ان يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه وفي
قراءة ابن مسعود عتى حين وهي لغة هذيل وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقرأ عتى حين فقال من اقرأك
قال ابن مسعود فكتب اليه ان الله انزل هذا القرآن فجعله عربيا وانزله بلغة قريش فاقرئ الناس بلغة
قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل والسلام مع تدل على الصحبة واستحداثها تقول خرجت مع الامير تريد مصاحبا له
فيجب ان يكون دخولهما السجن مصاحبين له فتيان عبدان للملك خبازه وشرابيه رقي اليه انهما يسمانه فامر بهما الى السجن فادخلا السجن
ساعة ادخل يوسف اني اراني يعني في المنام وهي حكاية حال ماضية اعصر خمرا يعني عنبا تسمية
للعنب بما يؤول اليه وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود اعصر عنبا
من المحسنين من الذين

يحسنون عبارة الرؤيا أي يجيدونها رأيا بعض أهل السجن يقص عليه رؤياه فيؤولها له فقالا له ذلك أو من العلماء لأنهما سمعاه يذكر للناس ما علما به أنه عالم أو من المحسنين إلى أهل السجن فأحسن إلينا بأن تفرج عنا الغمة بتأويل ما رأينا إن كانت لك يد في تأويل الرؤيا وروي أنه كان إذا مرض رجل منهم قام عليه وإذا ضاق وسع له وإذا احتاج جمع له وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول أبشروا واصبروا تؤجروا إن لهذا لأجرا فقالوا بارك الله عليك ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن أنت يا فتى قال أنا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله إسحق بن خليل الله إبرهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني أحسن جوارك فكن في أي بيوت السجن شئت وروي أن الفتيين قالا له إنا لنحبك من حين رأيناك فقال أنشدكما بالله لا تحباني فوالله ما أحبني أحد قط إلا دخل علي من حبه بلاء لقد أحبتني عمتي فدخل علي من حبها بلاء ثم أحبني أبي فدخل علي من حبه بلاء ثم أحبتني زوجة صاحبي فدخل علي من حبها بلاء فلا تحباني بارك الله فيكما وعن الشعبي أنهما تحالما ليمتحناه فقال الشرابي إني أراني في بستان فإذا بأصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها في كأس الملك وسقيته وقال الخباز إني أراني وفوق رأسي ثلاث سلال فيها أنواع الأطعمة وإذا سباع الطير تنهش منها **فإن قلت** إلام يرجع الضمير في قوله نبئنا بتأويله **قلت** إلى ما قصا عليه والضمير يجري مجرى اسم الإشارة في نحوه كأنه قيل نبئنا بتأويل ذلك لما استعبراه ووصفاه بالإحسان افترص ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الإخبار بالغيب وأنه ينبئهما بما يحمل إليهما من الطعام في السجن قبل أن يأتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كما أخبرهما وجعل ذلك تخلصا إلى أن يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الإيمان ويزينه لهما ويقبح إليهما الشرك بالله وهذه طريقة على كل ذي علم أن يسلكها مع الجهال والفسقة إذا استفتاه واحد منهم أن يقدم الهداية والإرشاد والموعظة والنصيحة أولا ويدعوه إلى ما هو أولى به وأوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك وفيه أن العالم إذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه أن يقتبس منه وينتفع به في الدين لم يكن من باب التزكية **بتأويله** ببيان ماهيته وكيفيته لأن ذلك يشبه تفسير المشكل والإعراب عن معناه **ذلكما** إشارة لهما إلى التأويل أي ذلك التأويل والإخبار بالمغيبات مما علمني ربي وأوحى به إلي ولم أقله عن تكهن وتنجم **إني** تركت يجوز أن يكون كلاما مبتدأ وأن يكون تعليلا لما قبله أي علمني ذلك وأوحى به إلي لأني رفضت ملة أولئك واتبعت ملة الأنبياء المذكورين وهي الملة الحنيفية وأراد بأولئك الذين لا يؤمنون أهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم وتكرير هم للدلالة على أنهم خصوصا كافرون بالآخرة وأن غيرهم قوما مؤمنين بها وهم الذين على ملة إبرهيم ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيها على ما كانوا عليه من الظلم والكبائر التي لا يرتكبها إلا من هو كافر بدار الجزاء ويجوز أن يكون فيه تعريض بما مني به من جهتهم حين أودعوه السجن بعد ما رأوا الآيات الشاهدة على براءته وأن ذلك ما يقدم عليه إلا من هو شديد الكفر بالجزاء وذكر آباءه ليريهما أنه من بيت النبوة بعد أن عرفهما أنه نبي يوحى إليه بما ذكر من إخباره بالغيوب لتقوى رغبتهما في الاستماع إليه واتباع قوله **ما كان لنا** ما صح لنا معشر الأنبياء

أن نشرك بالله أي شيء كان من ملك أو جني أو إنسي فضلا أن نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر ثم قال ذلك التوحيد من فضل الله علينا وعلى الناس أي على الرسل وعلى المرسل إليهم لأنهم نبهوهم عليه وأرشدوهم إليه **ولكن أكثر** الناس المبعوث إليهم لا يشكرون فضل الله فيشركون ولا ينتبهون وقيل إن ذلك من فضل الله علينا لأنه نصب لنا الأدلة التي ننظر فيها ونستدل بها وقد نصب مثل تلك الأدلة لسائر الناس من غير تفاوت ولكن أكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون اتباعا لأهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين **يا صاحبي** السجن يريد يا صاحبي في السجن فأضافهما إلى السجن كما تقول يا سارق الليلة فكما أن الليلة مسروق فيها غير مسروقة فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب وإنما المصحوب غيره وهو يوسف عليه السلام ونحوه قولك لصاحبيك يا صاحبي الصدق فتضيفهما إلى الصدق ولا تريد أنهما صحبا الصدق ولكن كما تقول رجلا صدق وسميتهما صاحبين لأنهما صحباك ويجوز أن يريد يا ساكني السجن كقوله أصحاب النار وأصحاب الجنة **أأرباب** متفرقون يريد التفرق في العدد والتكاثر يقول أأن تكون لكما أرباب شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا **خير** لكما أم أن يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية بل هو القهار الغالب هذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الأصنام **ما تعبدون** خطاب لهما ولمن على دينهما من أهل مصر إلا أسماء يعني أنكم سميتم ما لا يستحق الإلهية آلهة ثم طفقتم تعبدونها فكأنكم لا تعبدون إلا أسماء فارغة لا مسميات تحتها ومعنى **سميتموها** سميتم بها يقال سميته بزيد وسميته زيدا **ما أنزل الله** بها أي بتسميتها من سلطان من حجة إن الحكم في أمر العبادة والدين إلا لله ثم بين ما حكم به فقال أمر أن لا تعبدوا إلا إياه **ذلك** الدين القيم الثابت الذي دلت عليه البراهين **أما أحدكما** يريد الشرابي فيسقي ربه خمرا سيده وقرأ عكرمة فيسقي ربه أي يسقى ما يروى به على البناء للمفعول روي أنه قال للأول ما رأيت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده وأما القضبان الثلاثة فإنها ثلاثة أيام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود إلى ما كنت عليه وقال للثاني ما رأيت من السلال ثلاثة أيام ثم تخرج فتقتل **قضي** الأمر قطع وتم ما تستفتيان فيه **فإن قلت** ما استفتيا في أمر واحد بل في أمرين مختلفين فما وجه التوحيد **قلت** المراد بالأمر ما اتهما به من سم الملك وما سجنا من أجله وظنا أن ما رأياه في معنى ما نزل بهما فكأنهما كانا يستفتيانه في الأمر الذي نزل بهما أعاقبته نجاة أم هلاك فقال لهما قضي الأمر الذي فيه تستفتيان أي ما يجر إليه من العاقبة وهي هلاك أحدهما ونجاة الآخر **وقيل** جحدا وقالا ما رأينا شيئا فأخبرهما أن ذلك كائن صدقتما أو كذبتما **ظن** أنه ناج الظان هو يوسف عليه السلام إن كان تأويله بطريقة الاجتهاد وإن كان بطريق الوحي فالظان هو الشرابي أو يكون الظن بمعنى اليقين **اذكرني** عند ربك صفني عند الملك بصفتي وقص عليه قصتي لعله يرحمني وينتاشني من هذه الورطة **فأنساه** الشيطان فأنسى الشرابي ذكر ربه أن يذكره لربه وقيل فأنسى يوسف ذكر الله حين وكل أمره إلى غيره **بضع** سنين البضع ما بين الثلاث إلى التسع وأكثر الأقاويل على أنه لبث فيه سبع سنين **فإن قلت** كيف يقدر الشيطان على الإنساء **قلت** يوسوس إلى العبد بما يشغله عن الشيء من أسباب النسيان حتى يذهب عنه ويزول عن قلبه ذكره وأما الإنساء ابتداء فلا يقدر عليه إلا

الله عز وجل بأن نسيهم إياها وأنسيهم. فإن قلت ما وجه إضافة الذكر إلى ربه إذا أريد به الملك وما هي بإضافة
المصدر إلى الفاعل ولا إلى المفعول. قلت قد لابسه في قولك فأنساه الشيطان ذكر ربه أو عند ربه
فجازت إضافته إليه لأن الإضافة تكون بأدنى ملابسة أو على تقدير فأنساه الشيطان ذكر إخبار ربه
فحذف المضاف الذي هو الإخبار. فإن قلت لم أنكر على يوسف عليه السلام الاستعانة بغير الله في كشف ما
كان فيه وقد قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال حكاية عن عيسى عليه السلام من أنصاري إلى الله وفي
الحديث الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه المسلم من فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربة
من كرب الآخرة وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذه النوم ليلة من الليالي
وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد فسمعت غطيطه وهل ذلك إلا مثل التداوي بالأدوية والتقوي
بالأشربة والأطعمة وإن كان ذلك لأن الملك كان كافرا فلا خلاف في جواز أن يستعان بالكفار في دفع الظلم
والغرق والحرق ونحو ذلك من المضار. قلت كما اصطفى الله الأنبياء على خليقته فقد اصطفى لهم
أحسن الأمور وأفضلها والأولى بها والأحسن والأولى بالنبي أن لا يكل أمره إذا ابتلي ببلاء إلا إلى ربه ولا
يعتضد إلا به خصوصا إذا كان المعتضد به كافرا لئلا يشمت به الكفار ويقولوا لو كان هذا على الحق وكان
له رب لأغاثه لما استغاث بنا. وعن الحسن أنه كان يبكي إذا قرأها ويقول نحن إذا نزل بنا أمر فزعنا إلى الناس
لما دنا فرج يوسف رأى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته رأى سبع بقرات سمان خرجن من
نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا
أخر يابسات قد استحصدت وأدركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد
في قومه من يحسن عبارتها. سمان جمع سمين وسمينة وكذلك رجال ونسوة كرام. فإن قلت هل من فرق
بين إيقاع سمان صفة للمميز وهو بقرات دون المميز وهو سبع وأن يقال سبع بقرات سمانا. قلت إذا
أوقعتها صفة لبقرات فقد قصدت إلى أن تميز السبع بنوع من البقرات وهي السمان منهن لا بجنسهن
ولو وصفت بها السبع لقصدت إلى تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت المميز
بالجنس بالسمن. فإن قلت هلا قيل سبع عجاف على الإضافة. قلت التمييز موضوع لبيان الجنس
والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده. فإن قلت فقد يقولون ثلاثة فرسان وخمسة أصحاب. قلت الفارس
والصاحب والراكب ونحوها صفات جرت مجرى الأسماء فأخذت حكمها وجاز فيها ما لم يجز في غيرها ألا تراك لا تقول
عندي ثلاثة ضخام وأربعة غلاظ. فإن قلت ذاك مما يشكل وما نحن بسبيله لا إشكال فيه ألا ترى
أنه لم يقل بقرات سبع عجاف لوقوع العلم بأن المراد البقرات. قلت ترك الأصل لا يجوز مع وقوع الاستغناء
عما ليس بأصل وقد وقع الاستغناء بقولك سبع عجاف عما تقترحه من التمييز بالوصف. والعجف الهزال الذي
ليس بعده. والسبب في وقوع عجاف جمعا لعجفاء وأفعل وفعلاء لا يجمعان على فعال حمله على سمان لأنه
نقيضه ومن دأبهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض. فإن قلت هل في الآية دليل على
أن السنبلات اليابسة كانت سبعا كالخضر. قلت الكلام مبني على انصبابه إلى هذا العدد في
البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب أن يتناول معنى الأخر السبع ويكون قوله وأخر يابسات
بمعنى وسبعا أخر. فإن قلت هل يجوز أن يعطف قوله وأخر يابسات على سنبلات خضر فيكون مجرور
المحل. قلت يؤدي إلى تدافع وهو أن عطفها على سنبلات خضر يقتضي أن يدخل في حكمها فيكون

معها مميزا للسبع المذكور ولفظ الآخر يقتضي أن يكون غير السبع بيانه أنك تقول عنده سبعة
رجال قيام وقعود بالجر فيصح لأنك ميزت السبعة برجال موصوفين بالقيام والقعود على أن بعضهم
قيام وبعضهم قعود فلو قلت عنده سبعة رجال قيام وآخرين قعود تدافع ففسد. يا أيها الملأ كأنه
أراد الأعيان من العلماء والحكماء. واللام في قوله للرؤيا إما أن تكون للبيان كقوله وكانوا فيه
من الزاهدين وإما أن تدخل لأن العامل إذا تقدم عليه معموله لم يكن في قوته على العمل فيه مثله إذا تأخر
عنه فعضد بها كما يعضد بها اسم الفاعل إذا قلت هو عابر للرؤيا لانحطاطه عن الفعل في القوة
ويجوز أن يكون للرؤيا خبر كان كما تقول كان فلان لهذا الأمر إذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون
خبر آخر أو حال وأن يضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كأنه قيل إن كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا
وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر أمرها كما تقول عبرت النهر إذا قطعته حتى تبلغ آخر
عرضه وهو عبره ونحوه أولت الرؤيا إذا ذكرت مآلها وهو مرجعها وعبرت الرؤيا بالتخفيف
هو الذي اعتمده الأثبات ورأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر وقد عثرت على بيت
أنشده المبرد في كتاب الكامل لبعض الأعراب: رأيت رؤيا ثم عبرتها وكنت للأحلام عبارا
أضغاث أحلام تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان وأصل
الأضغاث ما جمع من أخلاط النبات وحزم الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والإضافة بمعنى من أي أضغاث
من أحلام والمعنى هي أضغاث أحلام. فإن قلت ما هو إلا حلم واحد فلم قالوا أضغاث أحلام فجمعوا. قلت
هو كما تقول فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخز لمن لا يركب إلا فرسا واحدا وما له إلا عمامة فردة تزيدا في
الوصف فهؤلاء أيضا تزيدوا في وصف الحلم بالبطلان فجعلوه أضغاث أحلام ويجوز أن يكون قد قص
عليهم مع هذه الرؤيا رؤى غيرها. وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين إما أن يريدوا بالأحلام المنامات
الباطلة خاصة فيقولوا ليس لها عندنا تأويل فإن التأويل إنما هو للمنامات الصحيحة الصالحة وإما
أن يعترفوا بقصور علمهم وأنهم ليسوا في تأويل الأحلام بنحارير. وادكر بالدال وهو الفصيح وعن الحسن
واذكر بالذال أي تذكر الذي نجا من الفتيين من القتل يوسف وما شاهد منه. بعد أمة
بعد مدة طويلة وذلك أنه حين استفتى الملك في رؤياه وأعضل على الملأ تأويلها تذكر الناجي
يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه إليه أن يذكره عند الملك. وقرأ الأشهب العقيلي بعد
إمة بالكسر والإمة النعمة قال عدي: ثم بعد الفلاح والملك والإمة وارتهم هناك القبور
أي بعدما أنعم عليه بالنجاة. وقرئ بعد أمه أي بعد نسيان يقال أمه يأمه أمها إذا نسي ومن قرأ
بسكون الميم فقد خطئ. أنا أنبئكم بتأويله أنا أخبركم به عمن عنده علمه وفي قراءة الحسن أنا آتيكم بتأويله
فأرسلون فابعثوني إليه لأسأله ومروني باستعباره. وعن ابن عباس لم يكن السجن في المدينة المعنى
فأرسلوه إلى يوسف فأتاه فقال يوسف أيها الصديق أيها البليغ في الصدق وإنما قال له ذلك لأنه
ذاق وتعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما أول ولذلك كلمه كلام محترز
فقال لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون لأنه ليس على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم

وقال الذي نجا منهما

فربما لم يعلموا او معنى لعلهم يعلمون لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من
محنتك تزرعون خبر في معنى الامر كقوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون وانما تخرج الامر في صورة الخبر
للمبالغة في ايجاب ايجاد المامور به فيجعل كانه يوجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه في معنى الامر
قوله فذروه في سنبله دأبا بسكون الهمزة وتحريكها وهما مصدرا دأب في العمل وهو حال من المامورين
اي دائبين اما على تدأبون دأبا واما على ايقاع المصدر حالا بمعنى ذوي دأب فذروه في سنبله لئلا يأكله السوس
وهو على الاسناد المجازي جعل اكل اهلهن مسندا اليهن تحصنون تحرزون وتخبؤون يغاث الناس
من الغوث او من الغيث يقال غيثت البلاد اذا مطرت ومنه قول الاعرابية غثنا ما شئنا يعصرون
بالياء والتاء يعصرون العنب والزيتون والسمسم وقيل يحلبون الضروع وقرئ يعصرون على البناء
للمفعول من عصره اذا انجاه وهو مطابق للاغاثة ويجوز ان يكون المبني للفاعل بمعنى ينجون كانه
قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل يعصرون يمطرون من
اعصرت السحابة وفيه وجهان اما ان تضمن اعصرت معنى مطرت فيعدى تعديته واما ان يقال الاصل
اعصرت عليهم فحذف الجار واوصل الفعل تأويل البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب
والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بان العام الثامن يجيء مباركا
خصيبا كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحي او عرفنا به زاده الله علم سنه فان قلت
معلوم ان السنين المجدبة اذا انتهت كان انتهاؤها بالخصب والا لم توصف بالانتهاء فلم قلت
علم ذلك من جهة الوحي قلت ذلك معلوم علما مطلقا لا مفصلا وقوله فيه يغاث الناس
وفيه يعصرون تفصيل لحال العام وذلك لا يعلم الا بالوحي انما تأنى وتثبت في اجابة الملك وقدم
سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما قرف به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون الى تقبيح امره
عنده ويجعلوه سلما الى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما خلد في السجن سبع سنين الا لامر عظيم
وجرم كبير حق به ان يسجن ويعذب ويستكف شره وفيه دليل على ان الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب
اتقاء الوقوف في مواقفها قال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم
ومنه قال عليه الصلوة والسلام للمارين به في معتكفه وعنده بعض نسائه هي فلانة اتقاء التهمة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات
العجاف والسمان ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب ولما ابتغيت العذر
ان كان لحليما ذا اناة وانما قال سل الملك عن شأن النسوة ولم يقل سله ان يفتش عن شأنهن لان السؤال
مما يهيج الانسان ويحركه للبحث عما سئل عنه فاراد ان يورد عليه السؤال ليجد في التفتيش عن حقيقة
القصة وفص الحديث حتى يتبين له براءته بيانا مكشوفا يتميز فيه الحق من الباطل وقرئ النسوة بضم
النون ومن كرمه وحسن ادبه انه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب
واقتصر على ذكر المقطعات ايديهن ان ربي بكيدهن عليم ان الله تعالى عليم بكيدهن عظيم لا يعلمه الا
الله لبعد غوره او استشهد بعلم الله على انهن كدنه وانه برئ مما قرف به او اراد الوعيد لهن

عجب حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو

هو عليم بكيدهن فيجازيهن عليه قال ما خطبكن ما شأنكن اذ راودتن يوسف عن نفسه هل وجدتن منه
فيه ميلا اليكن قلن حاش لله تعجبا من عفته وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة ومن نزاهته عنها
قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق اي ثبت واستقر وقرئ حصحص على البناء للمفعول وهو من حصحص
البعير اذا القى ثفناته للاناخة قال فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما
ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة والنزاهة واعترافهن على انفسهن بانه لم يتعلق بشيء مما قرفنه به
لانهن خصومه واذا اعترف الخصم بان صاحبه على الحق وهو على الباطل لم يبق لاحد مقال وقالت المجبرة
الحشوية نحن قد بقي لنا مقال ولا بد لنا ان ندق في فروة من ثبتت نزاهته ذلك ليعلم من كلام
يوسف اي ذلك التثبت والتشمر لظهور البراءة ليعلم اني لم اخنه بظهر الغيب في حرمته
بالغيب حال من الفاعل او المفعول على معنى وانا غائب عنه خفي عن عينه او وهو غائب عني خفي عن عيني
ويجوز ان يكون ظرفا اي بمكان الغيب وهو الخفاء والاستتار وراء الابواب السبعة المغلقة
وليعلم ان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده وكانه تعريض بامرأته في خيانتها
امانة زوجها وبه في خيانته امانة العزيز حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه ويجوز ان يكون
تأكيدا لامانته وانه لو كان خائنا لما هدى الله كيده ولا سدده ثم اراد ان يتواضع لله ويهضم
نفسه لئلا يكون لها مزكيا وبحالها في الامانة معجبا ومفتخرا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا سيد ولد آدم ولا فخر وليتبين ان ما فيه من الامانة ليس به وحده وانما هو بتوفيق الله ولطفه
وعصمته فقال وما ابرئ نفسي من الزلل وما اشهد لها بالبراءة الكلية ولا ازكيها ولا اعلو
[illegible] في هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذي هو ميل النفس عن طريق الشهوة البشرية
لا من طريق القصد والعزم واما ان يريد عموم الاحوال ان النفس لامارة بالسوء اراد الجنس
اي ان هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات الا ما رحم ربي الا البعض
الذي رحمه ربي بالعصمة كالملائكة ويجوز ان يكون ما رحم في معنى الزمان اي الا وقت رحمة
ربي يعني انها امارة بالسوء في كل وقت واوان الا وقت العصمة ويجوز ان يكون استثناء
منقطعا اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة كقوله ولا هم ينقذون الا رحمة
منا [illegible] ذلك ليعلم الله اني لم اخنه [illegible] خيانة
العزيز اي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف اني لم اخنه ولم اكذب عليه في حال الغيبة وجئت
بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فاني قد خنته حين قرفته
وقلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن واودعته السجن تريد الاعتذار مما كان منها
ان كل نفس لامارة بالسوء الا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف
ان ربي غفور رحيم استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت فان قلت كيف صح ان
يجعل من كلام يوسف ولا دليل على ذلك قلت كفى بالمعنى دليلا قائدا الى ان يجعل من
كلامه ونحوه قوله قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم
فماذا تأمرون وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم وعن ابن جريج هذا

من تقديم القرآن وتأخيره ذهب إلى أن ذلك ليعلم متصل بقوله ما بال النسوة اللاتي قطعن
أيديهن ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة فزعموا أن يوسف حين قال أني لم أخنه بالغيب
قال له جبريل ولا حين هممت بها وقالت له امرأة العزيز ولا حين حللت تكة سراويلك يا يوسف
وذلك لتهالكهم على بهت الله ورسله يقال استخلصه واستخصه إذا جعله خالصا
لنفسه وخاصا به فلما كلمه وشاهد منه ما لم يحتسب قال إنك اليوم لدينا
مكين أمين ذو مكانة ومنزلة أمين مؤتمن على كل شيء وروي أن الرسول جاءه فقال أجب الملك
فخرج من السجن ودعا لأهله اللهم عطف عليهم قلوب الأخيار ولا تعم عليهم الأخبار
فهم أعلم الناس بالأخبار في الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور
الأحياء وشماتة الأعداء وتجربة الأصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا
فلما دخل على الملك قال اللهم إني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره
ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائي وكان الملك يتكلم
بسبعين لسانا فكلمه بها فأجابه بجميعها فتعجب منه وقال أيها الصديق إني أحب
أن أسمع رؤياي منك قال رأيت بقرات فوصف لونهن وأحوالهن ومكان خروجهن ووصف
السنابل وما كان منها على الهيئة التي رآها الملك لا يخرم منها حرفا وقال له من حقك أن
تجمع الطعام في الأهراء فيأتيك الخلق من النواحي ويمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز
ما لم يجتمع لأحد قبلك اجعلني على خزائن الأرض ولني خزائن أرضك إني حفيظ عليم أمين أحفظ
ما تستحفظنيه عالم بوجوه التصرف وصف نفسه بالأمانة والكفاية اللتين هما
طلبة الملوك ممن يولونه وإنما قال ذلك ليتوصل إلى إمضاء أحكام الله وإقامة الحق وبسط
العدل والتمكن مما لأجله تبعث الأنبياء إلى العباد ولعلمه أن أحدا غيره لا يقوم مقامه في
ذلك فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله
أخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته ولكنه أخر ذلك سنة
فإن قلت كيف جاز أن يتولى عملا من يد كافر ويكون تبعا له وتحت أمره وطاعته قلت
روى مجاهد أنه قد أسلم وعن قتادة هو دليل على أنه يجوز أن يتولى الإنسان عملا من يد سلطان
جائر وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه وإذا علم النبي أو العالم أنه
لا سبيل إلى الحكم بأمر الله ودفع الظلم إلا بتمكين الملك الكافر أو الفاسق فله أن يستظهر به وقيل
كان الملك يصدر عن رأيه ولا يعترض عليه في كل ما رأى فكان في حكم التابع له والمطيع
وكذلك ومثل ذلك التمكين الظاهر مكنا ليوسف في أرض مصر روي أنها كانت أربعين
فرسخا في أربعين يتبوأ منها حيث يشاء أي كل مكان أراد أن يتخذه منزلا ومتبوأ له
لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت ملكته وسلطانه روي أن الملك توجه
وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت وروي
أنه قال له أما السرير فأشد به ملكك وأما الخاتم فأدبر به أمرك وأما التاج فليس من

الأهراء جمع هرا وهو الموضع الذي يجمع فيه الطعام

لباسي ولا لباس آبائي فقال قد وضعته إجلالا لك وإقرارا بفضلك فجلس على السرير
ودانت له الملوك وفوض الملك إليه أمره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امرأته
فلما دخل عليها قال أليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين إفراثيم وميشا
وأقام العدل بمصر وأحبته الرجال والنساء وأسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع
من أهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الأولى حتى لم يبق معهم
شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا
والله ما رأينا كاليوم ملكا أجل ولا أعظم منه فقال للملك كيف رأيت صنع الله بي فيما
خولني فما ترى قال الرأي رأيك قال فإني أشهد الله وأشهدك أني أعتقت أهل مصر عن آخرهم
ورددت عليهم أملاكهم وكان لا يبيع من أحد من الممتارين أكثر من حمل بعير تقسيطا بين
الناس وأصاب أرض كنعان وبلاد الشام نحو ما أصاب مصر وأرسل يعقوب بنيه ليمتاروا
واحتبس بنيامين برحمتنا بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء من اقتضت
الحكمة أن نشاء ذلك له ولا نضيع أجر المحسنين أن نأجرهم في الدنيا ولأجر الآخرة خير لهم قال
سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا
وما له في الآخرة من خلاق وتلا هذه الآية لم يعرفوه لطول العهد ومفارقته إياهم في سن الحداثة
ولاعتقادهم أنه قد هلك ولذهابه عن أوهامهم لقلة فكرهم فيه واهتمامهم بشأنه ولبعد
حاله التي بلغها من الملك والسلطان عن حاله التي فارقوه عليها طريحا في البئر مشريا بدراهم
معدودة حتى لو تخيل لهم أنه هو لكذبوا أنفسهم وظنونهم ولأن الملك مما يبدل الزي
ويلبس صاحبه من التهيب والاستعظام ما ينكر له المعروف وقيل رأوه على زي فرعون
عليه ثياب الحرير جالسا على سرير في عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج فما خطر ببالهم أنه هو
وقيل ما رأوه إلا من بعيد بينهم وبينه مسافة وحجاب وما وقفوا إلا حيث يقف طلاب الحوائج وإنما
عرفهم لأنه فارقهم وهم رجال ورأى زيهم قريبا من زيهم إذ ذاك ولأن همته كانت معقودة بهم
وبمعرفتهم فكان يتأمل ويتفطن وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له ولما جهزهم بجهازهم أي أصلحهم
بعدتهم وهي عدة السفر من الزاد وما يحتاج إليه المسافر وأوقر ركائبهم بما جاؤوا له من الميرة
وقرئ بجهازهم بكسر الجيم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم لا بد من مقدمة سبقت له معهم حتى اجتر
القول هذه المسألة روي أنه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم أخبروني من أنتم وما شأنكم فإني
أنكركم قالوا نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا تنظرون
عورة بلادي قالوا معاذ الله نحن إخوة بنو أب واحد وهو شيخ صديق نبي من الأنبياء اسمه يعقوب
قال كم أنتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد قال فكم أنتم ها هنا قالوا عشرة قال فأين الأخ الحادي
عشر قالوا هو عند أبيه يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم أنكم لستم بعيون وإن الذي تقولون
حق قالوا إنا ببلاد لا يعرفنا فيها أحد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وأتوني بأخيكم
من أبيكم وهو يحمل رسالة من أبيكم حتى أصدقكم فاقترعوا فأصابت القرعة شمعون وكان أحسنهم
رأيا في يوسف فخلفوه عنده وكان قد أحسن إنزالهم وضيافتهم ولا تقربون فيه وجهان أن

إفراثيم ومنشا

وجاء إخوة يوسف

يكون داخلا في حكم الجزاء مجزوما عطفا على محل قوله فلا كيل لكم كأنه قيل فان لم تاتوني به تحرموا
ولا تقربوا وان يكون بمعنى النهي **سنراود** عنه اباه سنخادعه عنه وسنجتهد ونحتال حتى ننتزعه
من يده **وانا** لفاعلون وانا لقادرون على ذلك لا نتعايا به او وانا لفاعلون ذلك لا محالة لا نفرط
فيه ولا نتوانى **لفتيته** وقرئ لفتيانه وهما جمع فتى كاخوة واخوان في اخ وفعلة للقلة
وفعلان للكثرة اي لغلمانه الكيالين **لعلهم** يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها وحق التكرم
باعطاء البدلين **اذا** انقلبوا الى اهلهم وفرغوا ظروفهم **لعلهم** يرجعون لعل معرفتهم بذلك تدعوهم
الى الرجوع الينا وكانت بضاعتهم النعال والادم وقيل تخوف ان لا يكون عند ابيه من المتاع
ما يرجعون به وقيل لم ير من الكرم ان ياخذ من ابيه واخوته ثمنا وقيل علم ان ديانتهم تحملهم على
رد البضاعة لا يستحلون امساكها فيرجعون لاجلها وقيل معنى لعلهم يرجعون لعلهم
يردونها **منع** منا الكيل يريدون قول يوسف فان لم تاتوني به فلا كيل لكم لانهم اذا انذروا
بمنع الكيل فقد منع الكيل **نكتل** نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام ما نحتاج اليه وقرئ
يكتل بمعنى يكتل اخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا او يكن سببا للاكتيال فان امتناعه
بسببه **هل** آمنكم يريد انكم قلتم في يوسف وانا له لحافظون كما تقولونه في اخيه ثم خنتم بضمانكم
فما يؤمنني من مثل ذلك ثم قال **فالله** خير حافظا فتوكل على الله فيه ودفعه اليهم وحافظا تمييز
كقولك هو خيرهم رجلا ولله دره فارسا ويجوز ان يكون حالا وقرئ حفظا وقرا الاعمش فالله
خير حافظ وقرا ابو هريرة خير الحافظين **وهو** ارحم الراحمين فارجوا ان ينعم علي بحفظه ولا يجمع
علي مصيبتين وقرئ ردت الينا بكسر الراء على ان كسرة الدال المدغمة نقلت الى الراء كما قيل قيل وبيع
وحكى قطرب ضرب زيد على نقل كسرة الراء فيمن سكنها **ما نبغي** للنفي اي ما نبغي في القول وما نتزيد
فيما وصفنا لك من احسان الملك واكرامه وكانوا قالوا له انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا
كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا كرامته او ما نبغي شيئا وراء ما فعل بنا من الاحسان
او على الاستفهام بمعنى اي شيء نطلب وراء هذا وفي قراءة ابن مسعود ما تبغي بالتاء على مخاطبة
يعقوب معناه اي شيء تطلب وراء هذا من الاحسان او من الشاهد على صدقنا وقيل معناه
ما نريد منك بضاعة اخرى وقوله هذه بضاعتنا ردت الينا جملة مستانفة موضحة لقوله ما نبغي
والجمل بعدها معطوفة عليها على معنى ان بضاعتنا ردت الينا فنستظهر بها **ونمير** اهلنا في رجوعنا
الى الملك **ونحفظ** اخانا فما يصيبه شيء مما تخافه ونزداد باستصحاب اخينا وسق بعير زائد على
اوساق اباعرنا فاي شيء نبتغي وراء هذه المباغي التي نستصلح بها احوالنا ونوسع ذات ايدينا
وانما قالوا ونزداد كيل بعير لما ذكرنا انه كان لا يزيد للرجل على حمل بعير للتقسيط
فان قلت هذا اذا فسرت البغي بالطلب فاما اذا فسرته بالكذب والتزيد في القول فما [illegible]
ردت الينا يا ابانا ما الصدق فيه وانما التزيد [illegible] قوله هذه بضاعتنا [illegible]
تصنع بالجمل البواقي قلت اعطفها على قوله ما نبغي على معنى لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا
ونفعل كيت وكيت ويجوز ان يكون كلاما مبتدا كقولك وينبغي ان نمير اهلنا كما تقول

فلان واجتهدت في تحصيل غرضه ويجب ان اسعى وينبغي لي ان لا اقصر ويجوز ان يراد ما نبغي
وما ننطق الا بالصواب فيما نشير به عليك من تجهيزنا مع اخينا ثم قالوا هذه بضاعتنا نستظهر
بها ونمير اهلنا ونفعل ونصنع بيانا لانهم لا يبغون في رايهم وانهم مصيبون فيه وهو وجه حسن
واضح **ذلك** كيل يسير اي ذلك مكيل قليل لا يكفينا يعنون ما يكال لهم فارادوا ان يزدادوا
اليه ما يكال لاخيهم او يكون ذلك اشارة الى كيل بعير اي ذلك الكيل شيء قليل يجيبنا اليه الملك
ولا يضايقنا فيه او سهل عليه متيسر لا يتعاظمه ويجوز ان يكون من كلام يعقوب وان حمل
بعير واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد كقوله ذلك ليعلم **لن ارسله** معكم منافي الحال وقد رايت
منكم ما رايت **حتى** تؤتون موثقا من الله حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اراد
ان يحلفوا له بالله وانما جعل الحلف بالله موثقا منه لان الحلف به مما توكد به العهود
وتشدد وقد اذن الله في ذلك فهو اذن منه **لتاتنني** به جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لتاتنني به
الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به او الا ان تهلكوا فان قلت اخبرني
عن حقيقة هذا الاستثناء ففيه اشكال قلت ان يحاط بكم مفعول له والكلام المثبت الذي هو قوله
لتاتنني به في تاويل النفي معناه لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم اي لا تمتنعون منه لعلة
من العلل الا لعلة واحدة وهي ان يحاط بكم فهو استثناء من اعم العام في المفعول له والاستثناء من اعم
العام لا يكون الا في النفي وحده فلا بد من تاويله بالنفي ونظيره من الاثبات المتاول بمعنى النفي قولهم
اقسمت بالله لما فعلت والا فعلت تريد ما اطلب منك الا الفعل على ما نقول **وكيل** رقيب مطلع وانما نهاهم ان يدخلوا من باب واحد لانهم كانوا ذوي بهاء وشارة حسنة وقد
اشتهروا في مصر بالقربة عند الملك والتكرمة الخاصة التي لم تكن لغيرهم فكانوا مظنة
لطموح الابصار اليهم من بين الوفود وان يشار اليهم بالاصابع ويقال هؤلاء اضياف الملك
انظروا اليهم ما احسنهم من فتيان وما احقهم بالاكرام لامر ما اكرمهم الملك وقربهم وفضلهم على
الوافدين عليه فخاف لذلك ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة امرهم في الصدور فيصيبهم
ما يسوءهم ولذلك لم يوصهم بالتفرق في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس فان قلت
هل لاصابة العين وجه تصح عليه قلت يجوز ان يحدث الله عز وجل عند النظر الى الشيء
والاعجاب به نقصانا فيه وخللا من بعض الوجوه ويكون ذلك ابتلاء من الله وامتحانا لعباده ليتميز
المحققون من اهل الحشو فيقول المحقق هذا فعل الله ويقول الحشوي هو اثر العين كما قال وما
جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الاية وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يعوذ الحسن والحسين
فيقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل هامة ومن كل عين لامة **وما اغني** عنكم من الله
من شيء يعني ان اراد الله بكم سوءا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما اشرت به عليكم من التفرق وهو
مصيبكم لا محالة **ان الحكم** الا لله ثم قال ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي متفرقين ما كان يغني عنهم
راي يعقوب ودخولهم متفرقين شيئا قط حيث اصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من اضافة السرقة اليهم
وافتضاحهم بذلك واخذ اخيهم بوجدان الصواع في رحله وتضاعف المصيبة على ابيهم **الا حاجة**

الشارة الهيئة الحسنة

استثناء منقطع على معنى ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي شفقته عليهم واظهارها
بما قال لهم ووصاهم به **وانه** لذو علم لما علمناه يعني قوله وما اغني عنكم وعلمه بان القدر
لا يغني عنه الحذر **آوى** اليه اخاه ضم اليه بنيامين وروي انهم قالوا له هذا اخونا قد
جئناك به فقال لهم احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندي فانزلهم واكرمهم اضافهم واجلس كل
اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف
بقي اخوكم وحيدا فاجلسه معه على مائدته وجعل يواكله وقال انتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم
بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى اصبح وسأله عن ولده
فقال لي عشرة بنين اشتققت اسماءهم من اسم اخ لي هلك فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك
الهالك فقال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه
وقال له اني انا اخوك يوسف **فلا** تبتئس فلا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله قد احسن
الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما اعلمتك وعن ابن عباس تعرف اليه وعن وهب انما قال انا
اخوك بدل اخيك المفقود فلا تبتئس بما تلقى منهم من الحسد والاذى فقد امنتهم وروي انه
قال له فانا لا افارقك قال لقد علمت اغتمام والدي بي فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك
الا ان اشهرك بما لا يجمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم انادي
عليك بانك سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم قال افعل **السقاية** مشربة يسقى بها وهي
الصواع قيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به وقيل كانت الدواب تسقى بها ويكال
بها وقيل كانت اناء مستطيلا يشبه المكوك وقيل هي المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه
تشرب به الاعاجم وقيل كانت من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت من ذهب وقيل كانت
مرصعة بالجواهر **ثم اذن** مؤذن ثم نادى مناد اذنه اعلمه واذن اكثر الاعلام ومنه
المؤذن لكثرة ذلك منه روي انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا ثم امر بهم فادركوا
وحبسوا ثم قيل لهم ذلك **ايتها العير** القافلة وهي الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تذهب وتجيء وقيل
هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كانها جمع عير واصلها فعل كسقف وسقف
فعل بها فعل ببيض وعيد والمراد اصحاب العير كقوله يا خيل الله اركبي وقرأ ابن مسعود وجعل
السقاية به على حذف جواب لما كانه قيل فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية في رحل اخيه
امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن وقرأ ابو عبد الرحمن السلمي تفقدون من افقدته اذا وجدته
فقيدا وقرئ صواع وصاع وصوع وصوغ بفتح الصاد وضمها والغين معجمة والعين مهملة
زعيم يقوله المؤذن يريد واني بحمل البعير كفيل اؤديه الى من جاء به واراد وسق بعير من طعام جعلا
لمن حصله **تالله** قسم فيه معنى التعجب مما اضيف اليهم وانما قالوا لقد علمتم فاستشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم
من دلائل دينهم وامانتهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك ولانهم دخلوا وافواه رواحلهم مكعمة
لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد من اهل السوق ولانهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم

وما كنا سارقين وما كنا نوصف قط بالسرقة وهي منافية لحالنا **قالوا** فما جزاؤه الضمير للصواع
اي فما جزاء سرقته ان كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة منه **قالوا** جزاؤه من وجد في رحله
وكان حكم السارق عند آل يعقوب ان يسترق سنة فلذلك استفتوا في جزائه وقولهم فهو جزاؤه
تقرير للحكم اي فاخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كقولك حق زيد ان يكسى ويطعم وينعم
عليه فذلك حقه او فهو حقه لتقرر ما ذكرته من استحقاقه وتلزمه ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدا والجملة
الشرطية كما هي خبره على اقامة الظاهر فيها مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو
هو فوضع الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك من اخو زيد فيقول لك اخوه من يقعد الى جنبه فهو
هو فرجع الضمير الاول الى من والثاني الى الاخ ثم تقول فهو اخوه مقيما للمظهر مقام المضمر ويحتمل ان
يكون جزاؤه خبر مبتدا محذوف اي المسؤول عنه جزاؤه ثم افتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه
كما يقول من يستفتي في جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم ثم يقول ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم
فبدأ باوعيتهم قيل قال لهم المؤذن لابد من تفتيش اوعيتكم فانصرف بهم الى يوسف فبدأ بتفتيش
اوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله
لا نتركه حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك ولانفسنا فاستخرجوه منه وقرأ الحسن وعاء اخيه
بضم الواو وهي لغة وقرأ سعيد بن جبير اعاء اخيه بقلب الواو همزة . فان قلت لم ذكر ضمير
الصواع مرات ثم انثه . قلت قالوا رجعوا بالتانيث على السقاية او انث الصواع لانه
يذكر ويؤنث ولعل يوسف كان يسميه سقاية وعبيده صواعا فقد وقع فيما يتصل به من
الكلام سقاية وفيما يتصل بهم منه صواعا **كذلك** كدنا مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف
يعني علمناه اياه واوحينا به اليه **ما كان** ليأخذ اخاه في دين الملك تفسير للكيد وبيان له لانه
كان في دين ملك مصر وما كان يحكم به في السارق ان يغرم مثلي ما اخذ لا ان يلزم ويستعبد
الا ان يشاء الله اي ما كان ياخذه الا بمشيئة الله واذنه فيه وقرئ يرفع بالياء ودرجات بالتنوين
وفوق كل ذي علم عليم هم دونه في العلم وهو الله عز وعلا . فان قلت ما اذن الله فيه يجب ان
يكون حسنا فاي وجه حسن هذا الكيد وما هو الا بهتان وتسريق لمن لم يسرق وتكذيب
لمن لم يكذب وهو قوله انكم لسارقون فما جزاؤه ان كنتم كاذبين . قلت هو في صورة البهتان
وليس ببهتان في الحقيقة لان قوله انكم لسارقون تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف
وقيل كان ذلك القول من المؤذن لا من يوسف وقوله ان كنتم كاذبين فرض لانتفاء
براءتهم وفرض التكذيب لا يكون تكذيبا على انه لو صرح لهم بالتكذيب كما صرح لهم بالتسريق لكان
له وجه لانهم كانوا كاذبين في قولهم وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وحكم هذا الكيد
حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها الى مصالح ومنافع دينية كقوله لايوب وخذ بيدك
ضغثا ليتخلص من جلدها ولا يحنث وكقول ابراهيم هي اختي لتسلم من يد الكافر وما الشرائع
كلها الا مصالح وطرق الى التخلص من الوقوع في المفاسد وقد علم الله تعالى في هذه الحيلة
التي لقنها يوسف مصالح عظيمة فجعلها سلما وذريعة اليها فكانت حسنة جميلة وانزاحت

عنها وجه القبح لما ذكرنا روي انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين
نكس اخوته رؤسهم حيا واقبلوا عليه وقالوا ما الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا
يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلا متى اخذت هذا الصاع فقال بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم
البلا ذهبتم باخي فاهلكتموه ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم
فما اضافوا الى يوسف من السرقة قيل كان اخذ في صباه صنما لجده ابي امه فكسره والقاه بين
الجيف في الطريق وقيل دخل كنيسة واخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه
وقيل كان في المنزل عناق او دجاجة فاعطاها السائل وقيل كانت لابراهيم عليه السلام منطقة
يتوارثها اكابر ولده فورثها اسحق ووقعت الى ابنته وكانت اكبر اولاده فحضنت يوسف وهي عمته
بعد وفاة امه وكانت لا تصبر عنه فلما شب اراد يعقوب ان ينتزعه منها فعمدت الى المنطقة فحزمتها
على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف
فقالت انه لي سلم افعل به ما شئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت فاسرها اضمار على شريطة التفسير
وانما انث لان قوله انتم شر مكانا جملة او كلمة على تسميتهم الطائفة من الكلام كلمة كانه قيل فاسر
الجملة او الكلمة التي هي قوله انتم شر مكانا وفي قراءة ابن مسعود فاسره على التذكير
يريد القول او الكلام ومعنى انتم شر مكانا انتم شر منزلة في السرق لانكم سارقون بالصحة لسرقتكم
اخاكم من ابيكم والله اعلم بما تصفون يعلم انه لم يصح لي ولا لاخي سرقة وليس الامر كما تصفون
استعطفوه بذكر ابيهم حتى اباه يعقوب وانه شيخ كبير السن او كبير القدر وان
بنيامين احب اليه منهم وكانوا قد اخبروه بان ولدا له قد هلك وهو عليه ثكلان وانه
مستانس باخيه فخذ احدنا مكانه فخذه بدله على وجه الاسترهان او الاستعباد انا نراك
من المحسنين الينا فاتمم احسانك او من عادتك الاحسان فاجر على عادتك ولا تغيرها معاذ
الله هو كلام موجه ظاهره انه وجب على قضية فتواكم اخذ من وجد الصواع في رحله واستعباده
فلو اخذنا غيره كان ذلك ظلما في مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم انه ظلم وباطنه ان الله امرني
واوحى الي باخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة او لمصالح جمة علمها في ذلك فلو اخذت غير من امرني
باخذه كنت ظالما وعاملا على خلاف الوحي ومعنى معاذ الله ان ناخذ نعوذ بالله معاذا من ان ناخذ
فاضيف المصدر الى المفعول به وحذف من واذا جواب لهم وجزاء لان المعنى ان اخذنا بدله ظلمنا
استيئسوا يئسوا وزيادة السين والتاء في المبالغة نحو ما مر في استعصم والنجي على معنيين
يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا
وبمعنى المصدر الذي هو التناجي كما قيل النجوى بمعناه ومنه قيل قوم نجي كما قيل واذ هم نجوى
تنزيلا للمصدر منزلة الاوصاف ويجوز ان يقال هم نجي كما قيل هم صديق لانه بزنة المصادر
وجمع انجية وقال * اني اذا ما القوم كانوا انجية * ومعنى خلصوا اعتزلوا وانفردوا عن
الناس خالصين لا يخالطهم سواهم نجيا ذوي نجوى او فوجا نجيا اي مناجيا لمناجاة بعضهم بعضا
واحسن منه انهم تمحضوا تناجيا لاستجماعهم لذلك وافاضتهم فيه بجد واهتمام كانهم في نفسهم

صورة التناجي وحقيقته وكان تناجيهم في تدبير امرهم على اي صفة يذهبون وماذا يقولون
لابيهم في شان اخيهم كقوم تعايوا بما دهمهم من الخطب فاحتاجوا الى التشاور كبيرهم في السن
وهو روبيل وقيل رئيسهم وهو شمعون وقيل كبيرهم في العقل والراي وهو يهوذا ما فرطتم
في يوسف فيه وجوه ان يكون ما صلة اي ومن قبل هذا قصرتم في شان يوسف لم تحفظوا عهد ابيكم
وان يكون مصدرية على ان محل المصدر الرفع على الابتدا وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه
ووقع من قبل تفريطكم في يوسف او النصب عطفا على مفعول الم تعلموا وهو ان اباكم كانه قيل الم تعلموا
اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل في يوسف وان تكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه
اي قدمتموه في حق يوسف من الجناية العظيمة ومحله الرفع او النصب على الوجهين فلن ابرح الارض
فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لي ابي في الانصراف اليه او يحكم الله لي بالخروج منها او بالانتصاف
ممن اخذ اخي او بخلاصه من يده بسبب من الاسباب وهو خير الحاكمين لانه لا يحكم ابدا الا بالعدل والحق
وقرئ سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه بالسرقة الا بما علمنا من سرقته وتيقناه لان
الصواع استخرج من وعائه ولا شي ابين من هذا وما كنا للغيب حافظين وما علمنا انه سيسرق حين
اعطيناك الموثق او ما علمنا انك تصاب به كما اصبت بيوسف ومن قرا سرق فمعناه وما شهدنا الا
بقدر ما علمنا من التسريق وما كنا للغيب للامر الخفي حافظين اسرق بالصحة ام دس الصاع في رحله ولم
يشعر القرية التي كنا فيها هي مصر اي ارسل الى اهلها فسلهم عن كنه القصة والعير التي اقبلنا
فيها اصحاب العير وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب وقيل من اهل صنعا معناه فرجعوا
الى ابيهم فقالوا له ما قال لهم اخوهم فقال بل سولت لكم انفسكم امرا اردتموه والا فما ادرى ذلك
الرجل ان السارق يوخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم بهم جميعا بيوسف واخيه وروبيل
او غيره انه هو العليم بحالي في الحزن والاسف الحكيم الذي لم يبتلني بذلك الا لحكمة ومصلحة وتولى
عنهم واعرض عنهم كراهة لما جاوا به يا اسفا اضاف الاسف وهو اشد الحزن والحسرة الى نفسه والالف
بدل من يا الاضافة والتجانس بين لفظتي الاسف ويوسف مما يقع مطبوعا غير متعمل فيملح ويبدع
ونحوه اثاقلتم الى الارض ارضيتم وهم ينهون عنه وينأون عنه ويحسبون انهم يحسنون صنعا من سبا
بنبا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة
محمد صلى الله عليه وسلم الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وانما قال يا اسفاه فان قلت
فلم تاسف على يوسف دون اخيه ودون الثالث والرزء الاحدث اشد على النفس واظهر اثرا
قلت هو دليل على تمادي اسفه على يوسف وانه لم يقع فائت عنده موقعه وان الرزء فيه مع تقادم
عهده كان غضا عنده طريا * ولم تنسني اوفى المصيبات بعده *
كان ليعقوب مصيباته التي ترتبت عليها الرزايا في ولده فكان الاسف عليه اسفا على من لحق به
وابيضت عيناه اذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته الى بياض كدر
قيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا قرئ من الحزن ومن الحزن الحزن كان سبب
البكا الذي حدث منه البياض فكانه حدث من الحزن قيل ما جفت عينا يعقوب من وقت
فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله من يعقوب وعن رسول

الله صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال
فما كان له من الأجر قال أجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة قط **فإن قلت** كيف جاز
لنبي الله أن يبلغ به الجزع ذلك المبلغ **قلت** الإنسان مجبول على أن لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن
ولذلك حمد صبره وأن يضبط نفسه حتى لا يخرج إلى ما لا يحسن ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ولده إبراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وإنا عليك يا إبراهيم
لمحزونون وإنما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه
وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله
تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وإنما نهيتكم عن صوتين أحمقين صوت
عند الفرح وصوت عند الترح وعن الحسن أنه بكى على ولد أو غيره فقيل له في ذلك فقال
ما رأيت الله جعل الحزن عارا على يعقوب **فهو كظيم** فهو مملوء من الغيظ على أولاده ولا يظهر
ما يسوؤهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله وهو مكظوم من كظم السقاء إذا شده على ملئه والكظم
بفتح الظاء مخرج النفس يقال أخذ بأكظامه **تفتأ** أراد لا تفتأ فحذف حرف النفي لأنه لا يلتبس
بالإثبات لأنه لو كان إثباتا لم يكن بد من اللام والنون ونحوه فقلت يمين الله أبرح قاعدا
ومعنى لا تفتأ لا تزال وعن مجاهد لا تفتر من حبه كأنه جعل الفتوء والفتور أخوين يقال ما فتئ
يفعل وما فتر فما فتئت خيل تثوب وتدعي ويلحق منها لاحق وتقطع **حرضا**
مشفيا على الهلاك مرضا وأحرضه المرض ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
لأنه مصدر والصفة حرض بكسر الراء ونحوه دنف ودنف وجاءت القراءة بهما جميعا وقرأ الحسن
حرضا بضمتين ونحوه في الصفات جنب وغرب **البث** أصعب الهم الذي لا يصبر عليه
صاحبه فيبثه إلى الناس أي ينشره ومنه باثه أمره وأبثه إياه ومعنى إنما أشكو إلى الله
إني لا أشكو إلى أحد منكم ومن غيركم إنما أشكو إلى ربي داعيا له وملتجئا إليه فخلوني وشكايتي وهذا معنى
توليه عنهم أي فتولى عنهم إلى الله والشكاية إليه وقيل دخل على يعقوب جار له فقال يا يعقوب
قد تهشمت وفنيت وما بلغت من السن ما بلغ أبوك فقال هشمني وأفناني ما ابتلاني الله
به من هم يوسف فأوحى الله إليه يا يعقوب أتشكوني إلى خلقي قال يا رب خطيئة أخطأتها فاغفر
لي فغفر له فكان بعد ذلك إذا سئل قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وروي أنه أوحي إلى يعقوب
إنما وجدت عليكم لأنكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وإن أحب خلقي إلي الأنبياء
ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها
فبكت حتى عميت **وأعلم من الله ما لا تعلمون** أي أعلم من صنعه ورحمته وحسن ظني به أنه
يأتيني بالفرج من حيث لا أحتسب وروي أنه رأى ملك الموت في منامه فسأله هل قبضت
روح يوسف فقال لا والله هو حي فاطلبه وقرأ الحسن وحزني بفتحتين وحزني بضمتين
قتادة **فتحسسوا** من يوسف وأخيه فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما وقرئ بالجيم كما قرئ بهما
في الحجرات وهما تفعل من الإحساس وهو المعرفة ومن الاجتساس

الطلب ومنه قالوا لمشاعر الإنسان الحواس والجواس **من روح الله** من فرجه وتنفيسه
وقرأ الحسن وقتادة من روح الله بالضم أي من رحمته التي يحيا بها العباد **الضر** الهزال
من الشدة والجوع **مزجاة** مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من أزجيته
إذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت من متاع الأعراب صوفا وسمنا
وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والأقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ
إلا بوضيعة **فأوف لنا الكيل** الذي هو حقنا **وتصدق علينا** وتفضل علينا بالمسامحة
والإغماض عن رداءة البضاعة أو زدنا على حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة لا تلزمه صدقة
لأن الصدقات محظورة على الأنبياء وقيل كانت تحل لغير نبينا صلى الله عليه وسلم وسئل
ابن عيينة عن ذلك فقال ألم تسمع وتصدق علينا أراد أنها كانت حلالا لهم والظاهر أنهم
تمسكنوا له وطلبوا إليه أن يتصدق عليهم ومن ثم رق لهم وملكته الرحمة عليهم فلم
يتمالك أن عرفهم نفسه وقوله **إن الله يجزي المتصدقين** شاهد لذلك لذكر الله وجزائه
والصدقة العطية التي تبتغى بها المثوبة من الله ومنه قول الحسن لمن سمعه يقول اللهم
تصدق علي إن الله لا يتصدق إنما يتصدق الذي يبتغي الثواب قل اللهم أعطني أو تفضل
علي أو ارحمني **هل علمتم** أتاهم من جهة الدين وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما
عن معرفة وجه القبح الذي يجب أن يراعيه التائب فقال هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف وأخيه
إذ أنتم جاهلون لا تعلمون قبحه فلذلك أقدمتم عليه يعني هل علمتم قبحه فتبتم إلى الله منه
لأن علم القبح يدعو إلى الاستقباح والاستقباح يجر إلى التوبة فكان كلامه شفقة
عليهم وتنصحا لهم في الدين لا معاتبة وتثريبا إيثارا لحق الله على حق نفسه في ذلك المقام
الذي يتنفس فيه المكروب وينفث المصدور ويتشفى المغيظ المحنق ويدرك ثأره الموتور
فلله أخلاق الأنبياء ما أوطأها وأسجحها ولله حصى عقولهم ما أرزنها وأرجحها وقيل لم يرد
نفي العلم عنهم لأنهم كانوا علماء ولكنهم لما لم يفعلوا ما يقتضيه العلم ولا يقدم عليه إلا
جاهل سماهم جاهلين وقيل معناه إذ أنتم صبيان في حد السفه والطيش قبل أن تبلغوا
أوان الحلم والرزانة وروي أنهم لما قالوا مسنا وأهلنا الضر وتضرعوا إليه ارفضت عيناه
ثم قال هذا القول وقيل أدوا إليه كتاب يعقوب من يعقوب إسرائيل الله بن إسحق ذبيح الله
ابن إبراهيم خليل الله إلى عزيز مصر أما بعد فإنا أهل بيت موكل بنا البلاء أما جدي
فشدت يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار عليه بردا وسلاما
وأما أبي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب
أولادي إلي فذهب به إخوته إلى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله
الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به فذهبوا
به ثم رجعوا وقالوا إنه سرق وإنك حبسته لذلك وإنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فإن

فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرا يوسف الكتاب
لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ذلك وروي انه لما قرا الكتاب بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا
تظفر كما ظفروا ه فان قلت ما فعلتم باخيه ه قلت تعريضهم اباه للغم والثكل بافراده عن
اخيه لابيه وامه وجفاؤهم به حتى كان لا يستطيع ان يكلم احدا منهم الا كلام الذليل
للعزيز وايذاؤهم له بانواع الاذى وقرئ اانك على الاستفهام وانك على الايجاب وفي قراءة ابي
أإنك او انت يوسف على معنى أإنك يوسف او انت يوسف فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وهذا
كلام متعجب مستغرب لما يسمع فهو يكرر الاستثبات ه فان قلت كيف عرفوه ه قلت راوا
في روائه وشمائله حين كلمهم بذلك ما شعروا به انه هو مع علمهم بان ما خاطبهم به لا يصدر مثله
الا عن حنيفي مسلم من سنخ ابرهيم لا عن بعض اعزاء مصر وقيل تبسم عند ذلك فعرفوه بثناياه وكانت
كاللؤلؤ المنظوم وقيل ما عرفوه حتى رفع التاج عن راسه فنظروا الى علامة بقرنه كانت
ليعقوب وسارة مثلها تشبه الشامة البيضاء ه فان قلت قد سالوه عن نفسه فلم اجابهم
عنها وعن اخيه على ان اخاه كان معلوما لهم ه قلت لانه كان في ذكر اخيه بيان لما سالوه عنه
من يتق من خاف الله وعقابه ويصبر عن المعاصي وعلى الطاعات فان الله لا يضيع اجر
المحسنين وضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين لقد آثرك الله علينا اي فضلك
علينا بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين وان شاننا وحالنا انا كنا خاطئين متعمدين للاثم لم نتق
ولم نصبر لا جرم ان الله اعزك بالملك واذلنا بالتمسكن بين يديك لا تثريب عليكم لا تانيب
عليكم ولا عتب واصل التثريب من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه ازالة
الثرب كما ان التجليد والتقريع ازالة الجلد والقرع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية الهزال والعجف
الذي ليس بعده فضرب مثلا للتقريع الذي يمزق الاعراض ويذهب بماء الوجوه ه فان قلت بم تعلق
اليوم ه قلت بالتثريب او بالمقدر في عليكم من معنى الاستقرار او بيغفر والمعنى لا اثربكم
اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الايام ثم ابتدا فقال يغفر الله
لكم فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر الله لك على لفظ الماضي والمضارع جميعا
ومنه قول الشميذر يهديكم الله ويصلح بالكم او اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله لما
تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ بعضادتي باب
الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما ترونني فاعلا بكم قالوا نظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد
قدرت فقال اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم وروي ان ابا سفيان لما جاء ليسلم قال له
العباس اذا اتيت رسول الله فاتل عليه لا تثريب عليكم اليوم ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
غفر الله لك ولمن علمك وروي ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة
وعشيا ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف ان اهل مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرون
الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الان بكم

وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني من حفدة ابرهيم اذهبوا بقميصي قيل هو
القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة امره جبريل ان يرسله اليه
فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفي يات بصيرا يصر بصيرا كقولك جاء
البناء محكما بمعنى صار ويشهد له فارتد بصيرا او يات الي وهو بصير وينصره قوله واتوني
باهلكم اي ياتني ابي ويأتني آله جميعا وقيل يهوذا هو الحامل قال انا احزنته بحمل القميص
ملطوخا بالدم اليه فافرحه كما احزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة
ثمانين فرسخا فصلت العير خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل
منه وجاوز حيطانه وقرا ابن عباس ولما انفصل العير قال لولد ولده ومن حوله من قومه
اني لاجد ريح يوسف اوجده الله ريح القميص حين اقبل من مسيرة ثمان لولا ان تفندون التفنيد النسبة
الى الفند وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة
لانها لم تكن في شبيبتها ذات راي فتفند في كبرها والمعنى لولا تفنيدكم اياي لصدقتموني
لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما في افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره
ورجائك للقائه وكان عندهم انه قد مات القاه طرح البشير القميص على وجه يعقوب
او القاه يعقوب فارتد فرجع بصيرا يقال ارتده اذا ارتجعه الم اقل لكم
يعني قوله اني لاجد ريح يوسف او قوله ولا تياسوا من روح الله وقوله اني اعلم كلام مبتدا
لم يقع عليه القول ولك ان توقعه عليه وتريد قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون
وروي انه سال البشير عن يوسف فقال هو ملك مصر فقال ما اصنع بالملك على اي دين تركته
قال على دين الاسلام قال الان تمت النعمة سوف استغفر لكم اخر الاستغفار الى وقت
السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليتعمد به وقت الاجابة وقيل ليتعرف حالهم في صدق التوبة واخلاصها
وقيل اراد الدوام على الاستغفار لهم فقد روي انه كان يستغفر لهم كل ليلة
جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل قام الى الصلاة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم
اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحى اليه ان الله قد
غفر لك ولهم اجمعين وروي انهم قالوا وقد غشيتهم الكآبة وما يغني عنا عفوكما ان لم يعف عنا
ربنا فان لم يوح اليك بالعفو فلا قرت لنا عين ابدا فاستقبل الشيخ القبلة قائما يدعو
وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها
الهلكة نزل جبريل فقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعد على النبوة
فلما دخلوا على يوسف قيل وجه يوسف الى ابيه جهازا ومائتي راحلة
ليتجهز اليه بمن معه وخرج يوسف والملك في اربعة الاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم
فتلقوا يعقوب وهو يمشي متوكئا على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون
مصر قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل ان يوسف

قال العلماء النقباء يا أبت بكيت علي حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا قال بلى ولكن خشيت
أن تسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل إن يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين
رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا سوى
الذرية والهرمى وكانت الذرية ألف ألف ومائتي ألف آوى إليه أبويه ضمهما إليه واعتنقهما
قال الحسن كانت أمه حية وقيل هما أبوه وخالته ماتت أمه فتزوجها وجعلها أحد الأبوين
لأن الرابة تدعى أما لقيامها مقام الأم أو لأن الخالة أم كما أن العم أب ومنه قوله وإله آبائك إبراهيم وإسمعيل
وإسحق فإن قلت ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر قلت كأنه حين استقبلهم نزل لهم في
مضرب أو بيت ثم فدخلوا عليه وضم إليه أبويه ثم قال لهم ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين ولما دخل
مصر وجلس في مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا إليه أكرم أبويه فرفعهما على السرير وخروا له سجدا
يعني الإخوة الأحد عشر والأبوين ويجوز أن يكون قد خرج في قبة من قباب الملوك التي تحمل على
البغال فأمر أن يرفع إليه أبواه فدخلا عليه القبة فآواهما إليه بالضم والاعتناق وقربهما منه
وقال بعد ذلك ادخلوا مصر فإن قلت بم تعلقت المشيئة قلت بالدخول مكيفا بالأمن لأن القصد
إلى اتصافهم بالأمن في دخولهم فكأنه قيل اسلموا وآمنوا في دخولكم إن شاء الله ونظيره قولك للغازي
ارجع سالما غانما إن شاء الله فلا تعلق المشيئة بالرجوع مطلقا ولكن مقيدا بالسلامة والغنيمة مكيفا
بهما والتقدير ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله دخلتم آمنين ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام ثم اعترض بالجملة الجزائية
بين الحال وذي الحال ومن بدع التفاسير أن قوله إن شاء الله من باب التقديم والتأخير وأن موضعها
ما بعد قوله سوف أستغفر لكم ربي في كلام يعقوب وما أدري ما أقول فيه وفي نظائره فإن قلت كيف جاز لهم
أن يسجدوا لغير الله قلت كانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة
وتقبيل اليد ونحوها مما جرت عليه عادة الناس من أفعال شهرت في التعظيم والتوقير وقيل ما كانت
إلا انحناء دون تعفير الجباه وخرورهم سجدا يأباه وقيل معناه وخروا لأجل يوسف سجدا لله شكرا وهو أيضا
فيه نبوة يقال أحسن إليه وبه وكذلك أساء إليه وبه قال أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة
من البدو من البادية لأنهم كانوا أهل عمد وأصحاب مواش يتنقلون في المياه والمناجع نزغ أفسد بيننا
وأغرى وأصله من نخس الرائض الدابة وحملها على الجري يقال نزغه ونسغه إذا نخسه لطيف لما يشاء
لطيف التدبير لأجله رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب وروي أن يوسف أخذ بيد يعقوب وطاف به
في خزائنه فأدخله خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما أدخله
خزانة القراطيس قال يا بني ما أعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت إلي على ثمان مراحل قال أمرني
جبريل قال أوما تسأله قال أنت أبسط إليه مني فسله فقال جبريل الله أمرني بذلك لقولك وأخاف أن يأكله
الذئب قال فهلا خفتني وروي أن يعقوب أقام معه أربعا وعشرين سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه بالشام إلى جنب
أبيه إسحق فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد إلى مصر وعاش بعد أبيه ثلثا وعشرين سنة فلما تم أمره وعلم أنه
لا يدوم له طلبت نفسه الملك الدائم الخالد فتاقت نفسه إليه فتمنى الموت وقيل ما تمناه
نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم أهل مصر وتشاحوا في دفنه كل يحب

في مكايدهم حتى هموا بالقتال فرأوا من الرأي أن يعملوا له صندوقا من مرمر فجعلوه فيه ودفنوه
في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل إلى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعا واحدا وولد له افرائيم وميشا
وولد لافرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد توارثت الفراعنة من العمالقة بعده مصر ولم
يزل بنو إسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه إلى أن بعث الله موسى صلوات الله عليه من الملك
من للتبعيض لأنه لم يؤت إلا بعض ملك الدنيا أو بعض ملك مصر وبعض التأويل أنت
وليي الذي تتولاني بالنعمة في الدارين وتوصل الملك الفاني بالملك الباقي توفني مسلما طلب للوفاة
على حال الإسلام وأن يختم له بالخير والحسنى كما قال يعقوب لولده ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ويجوز أن يكون
تمنيا للموت على ما قيل وألحقني بالصالحين من آبائي أو على العموم وعن عمر بن عبد العزيز أن ميمون بن
مهران بات عنده فرآه كثير البكاء والمسألة للموت فقال له صنع الله على يديك خيرا كثيرا أحييت
سننا وأمت بدعا وفي حياتك خير وراحة للمسلمين فقال أفلا أكون كالعبد الصالح لما أقر
الله عينه وجمع له أمره قال توفني مسلما وألحقني بالصالحين فإن قلت علام انتصب فاطر السموات
والأرض قلت على أنه وصف لقوله رب كقولك أخا زيد حسن الوجه أو على النداء ذلك إشارة
إلى ما سبق من نبأ يوسف والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومحله الابتداء وقوله من أنباء الغيب
نوحيه إليك خبران ويجوز أن يكون اسما موصولا بمعنى الذي ومن أنباء الغيب صلته ونوحيه الخبر
والمعنى أن هذا النبأ غيب لم يحصل لك إلا من جهة الوحي لأنك لم تحضر بني يعقوب حين أجمعوا أمرهم
وهو إلقاؤهم أخاهم في البئر كقوله وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب هذا تهكم بقريش وبمن
كذبه لأنه لم يخف على أحد من المكذبين أنه لم يكن من حملة هذا الحديث وأشباهه ولا لقي فيها
أحدا ولا سمع منه ولم يكن من علم قومه فإذا أخبر به وقص هذا القصص العجيب الذي أعجز حملته
والرواة لم تقع شبهة في أنه ليس منه وأنه من جهة الوحي فإذا أنكروه تهكم بهم وقيل لهم قد
علمتم يا مكابرة أنه لم يكن مشاهدا لمن مضى من القرون الخالية ونحوه وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا
إلى موسى الأمر وهم يمكرون بيوسف ويبغون له الغوائل وما أكثر الناس يريد العموم كقوله
وإن أكثر الناس لا يؤمنون وعن ابن عباس أراد أهل مكة أي وما هم بمؤمنين ولو حرصت وتهالكت
على إيمانهم لتصميمهم على الكفر وعنادهم وما تسألهم على ما تحدثهم به وتذكرهم أن ينيلوك منفعة
وجدوى كما يعطي حملة الأحاديث والأخبار إن هو إلا ذكر عظة من الله للعالمين عامة وحث على طلب
النجاة على لسان رسول من رسله وكأين من آية من الآيات والدلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده يمرون
عليها يشاهدونها وهم عنها معرضون لا يعتبرون بها وقرئ والأرض بالرفع على الابتداء ويمرون
خبره وقرأ السدي والأرض بالنصب على ويطؤون الأرض يمرون عليها وفي مصحف عبد الله والأرض
يمشون عليها برفع الأرض والمراد ما يرون من آثار الأمم الهالكة وغير ذلك من العبر وما يؤمن أكثرهم
بالله بأنه خلقه وخلق السموات والأرض المراد ما يرون من آثار الأمم الهالكة وغير ذلك من
العبر وما يؤمن أكثرهم في إقراره بالله وبأنه خلقه وخلق السموات والأرض إلا وهو مشرك بعبادته
الوثن وعن الحسن هم أهل الكتاب معهم شرك وإيمان وعن ابن عباس هم الذين يشبهون الله بخلقه غاشية

نعمة تغشاهم وقيل ما يغمرهم من العذاب ويجللهم وقيل الصواعق ﴿قل هذه سبيلي﴾ هذه السبيل التي هي
الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلي والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان ثم فسر سبيله بقوله ﴿أدعو إلى الله
على بصيرة﴾ أي أدعو إلى دينه بحجة واضحة غير عمياء ﴿أنا﴾ تأكيد للمستتر في أدعو ﴿ومن اتبعني﴾ عطف عليه
يريد أدعو إليها أنا ويدعو إليها من اتبعني ويجوز أن يكون أنا مبتدأ وعلى بصيرة خبرا مقدما ومن اتبعني
عطفا على أنا إخبارا مبتدأ بأنه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى ويجوز أن يكون على بصيرة حالا من أدعو
عاملة الرفع في أنا ومن اتبعني ﴿وسبحان الله﴾ وأنزهه تنزيها ﴿وما أنا من المشركين وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا﴾ لا ملائكة لأنهم كانوا يقولون لو شاء ربنا
لأنزل ملائكة وعن ابن عباس يريد ليست فيهم امرأة وقيل في سجاح المتنبئة ولم يبعث الله ذكرانا ﴿نوحي إليهم﴾
وقرئ نوحي إليهم بالنون ﴿من أهل القرى﴾ لأنهم أعلم وأحلم وأهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة ﴿ولدار الآخرة﴾
ولدار الساعة أو الحال الآخرة ﴿خير للذين اتقوا﴾ الذين خافوا الله فلم يشركوا به ولم يعصوه وقرئ ﴿أفلا
تعقلون﴾ بالتاء والياء ﴿حتى﴾ متعلق بمحذوف دل عليه الكلام كأنه قيل وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا فتراخى
نصرهم حتى ﴿إذا استيأس الرسل﴾ عن النصر ﴿وظنوا أنهم قد كذبوا﴾ أي كذبتهم أنفسهم حين حدثتهم بأنهم ينصرون
أو كذبهم القائلون رجاءهم لقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى أن مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار
النصر من الله وتأميله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا أن لا نصر لهم في الدنيا ﴿جاءهم نصرنا﴾
فجأة من غير احتساب وعن ابن عباس وظنوا حين ضعفوا وغلبوا أنهم قد أخلفوا ما وعدهم الله من
النصر وقال كانوا بشرا وتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله فإن صح هذا عن
ابن عباس فقد أراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما
عليه البشرية وأما الظن الذي هو ترجيح أحد الجائزين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال رسل
الله الذين هم أعرف الناس بربهم وأنه متعال عن خلف الميعاد منزه عن كل قبيح وقيل وظن المرسل إليهم أن
الرسل قد كذبوا أي أخلفوا أو وظن المرسل إليهم أنهم كذبوا من جهة الرسل أي كذبتهم الرسل في أنهم
ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه وقرئ كذبوا بالتشديد على وظن الرسل أنهم قد كذبتهم قومهم فيما وعدوهم
من العذاب والنصرة عليهم وقرئ كذبوا بالتخفيف على البناء للفاعل على وظن الرسل أنهم قد كذبوا فيما حدثوا
به قومهم من النصرة إما على تأويل ابن عباس أو على أن قومهم إذا لم يروا لموعدهم أثرا قالوا لهم إنكم قد كذبتمونا
فيكونون كاذبين عند قومهم أو وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوا ولو قرئ بهذا مسندا إلى الكفار لكان معناه
وظن الرسل أن قومهم كذبوهم في موعدهم وقرئ ﴿فنجي﴾ بالتخفيف والتشديد من أنجاه ونجاه وفنجي على لفظ الماضي
المبني للمفعول وقرأ ابن محيصن فنجا والمراد بمن نشاء المؤمنون لأنهم الذين يستأهلون أن يشاء نجاتهم ويقرر ذلك
بقوله ﴿ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين﴾ الضمير في قصصهم للرسل وينصره قراءة من قرأ قصصهم بكسر القاف
وقيل هو راجع إلى يوسف وإخوته فإن قلت فإلام يرجع الضمير فيما كان حديثا يفترى من الكلام
قلت إلى القرآن أي ما كان القرآن حديثا يفترى ﴿ولكن تصديق الذي بين يديه﴾ من الكتب الإلهية
﴿وتفصيل كل شيء﴾ يحتاج إليه في الدين لأنه القانون الذي يستند إليه السنة والإجماع والقياس
العقل وانتصاب ما بعده على العطف على خبر كان وقرئ ذلك بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف
عن النبي صلى الله عليه وسلم علموا أرقاءكم سورة يوسف فإنه أيما مسلم تلاها وعلمها أهله وما
ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لا يحسد مسلما

سورة الرعد مختلف فيها وهي خمس وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿المر﴾ إشارة إلى آيات السورة والمراد بها الكتاب السورة أي تلك الآيات
آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها ثم قال ﴿والذي أنزل إليك من ربك﴾ من القرآن كله هو الحق الذي لا مزيد عليه
لا هذه السورة وحدها وفي أسلوب هذا الكلام قول الأنمارية هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين
طرفاها تريد الكملة ﴿الله الذي رفع السماوات﴾ مبتدأ وخبر ويجوز أن يكون الموصول صفة والخبر ﴿يدبر
الأمر يفصل الآيات﴾ ... ﴿بغير عمد ترونها﴾ ... وقرئ عمد
... ﴿يدبر الأمر﴾ أمر ملكوته وربوبيته ﴿يفصل الآيات﴾ آياته في كتبه المنزلة ... ﴿لعلكم بلقاء ربكم توقنون﴾
... من جميع أنواع الثمرات ... ﴿جعل فيها زوجين اثنين﴾
الأسود والأبيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما أشبه ذلك من الأصناف المختلفة ﴿يغشي الليل
النهار﴾ يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعد ما كان أبيض منيرا وقرئ يغشي بالتشديد ﴿وفي الأرض قطع متجاورات﴾
مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة إلى سبخة وكريمة إلى زهيدة وصلبة إلى رخوة وصالحة
للزرع لا للشجر وأخرى على عكسها مع انتظامها جميعا في جنس الأرضية وذلك دليل على أن ...
الأجناس والأنواع ومن يسعى بها ... وكذلك الكروم والزروع والنخيل النابتة في هذه القطع المختلفة
... متغايرة الثمر في الأشكال والألوان والطعوم والروائح ... ﴿وجنات﴾ ... على جعل وقرئ وجنات بالنصب
... ﴿وزرع ونخيل﴾ بالجر عطفا على أعناب ... ﴿صنوان﴾ جمع صنو وهي النخلة لها رأسان
... وقرئ بالضم وهو لغة بني تميم وقيس ﴿يسقى﴾ بالتاء والياء ﴿ونفضل﴾ ...
﴿في الأكل﴾ بضم الكاف وسكونها ﴿وإن تعجب﴾ يا محمد من إنكارهم
البعث فعجب قولهم ... لإعادة أهون شيء عليه ... فكان إنكارهم أعجوبة من الأعاجيب ﴿أإذا كنا
ترابا أئنا لفي خلق جديد﴾ ... في محل الرفع بدلا من قولهم ... ﴿أولئك الذين كفروا بربهم﴾ ... ﴿وأولئك الأغلال في أعناقهم﴾
... ﴿وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ ... إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا
... ﴿ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة﴾ بالنقمة قبل العافية ... ﴿وقد خلت من قبلهم المثلات﴾ عقوبات
أمثالهم من المكذبين ... والمثلة العقوبة بوزن السمرة والمثلة لما بين
العقاب والمعاقب عليه من المماثلة ... وقرئ المثلات بضم الميم وسكون الثاء ...
بالسمرة والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء ... ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾ أي مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب ومحله الحال يعني ظالمين أنفسهم

وفيه اوجه ان يريد السيئات المكفرة لمجتنب الكبائر او الكبائر بشرط التوبة او يريد بالمغفرة الستر
والامهال وروي انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ احدا العيش
ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد لولا انزل عليه آية من ربه لم يعتدوا بالآيات المنزلة على
رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية واحياء الموتى فقيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت رجل ارسلت منذرا مخوفا لهم من سوء العاقبة وناصحا كغيرك من الرسل
وما عليك الا الاتيان بما يصح به انك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة باية آية كانت والآيات كلهن سواء
في حصول صحة الدعوى بها لا تفاوت بينها والذي عنده كل شيء بمقدار يعطي كل نبي آية على حسب ما اقتضاه
علمه بالمصالح وبما يرى لهما ولكل قوم هاد من الانبياء يهديهم الى الدين ويدعوهم الى الله بوجه من الهداية وبآية
خص بها ولم يجعل الانبياء شرعا واحدا في آيات مخصوصة ووجه آخر وهو ان يكون المعنى انهم يجحدون كون ما انزل
عليك آيات ويعاندون فلا يهمنك ذلك انما انت منذر فما عليك الا ان تنذر لا ان تثبت الايمان في صدورهم
ولست بقادر عليه ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالالجاء وهو الله تعالى ولقد دل بما اردفه من ذكر آيات
علمه وتقديره الاشياء على قضايا حكمته ان اعطاء كل منذر آيات خلاف آيات غيره امر مدبر بالعلم النافذ
مقدر بالحكمة الربانية ولو علم في اجابتهم الى مقترحهم خيرا او مصلحة لاجابهم اليه واما على الوجه الثاني
فقد دل به على ان من هذه قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم العالم باي طريق يهديهم ولا سبيل
الى ذلك لغيره الله يعلم يحتمل ان يكون كلاما مستأنفا وان يكون المعنى هو الله تفسيرا لهاد على الوجه
الاخير ثم ابتدئ فقيل يعلم ما تحمل كل انثى وما في ما تحمل وما تغيض وما تزداد اما موصولة واما مصدرية فان كانت
موصولة فالمعنى انه يعلم ما تحمله من الولد على اي حال هو من ذكورة وانوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر
وغير ذلك من الاحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم ما تغيضه الارحام اي تنقصه يقال غاض الماء وغضته
انا ومنه قوله تعالى وغيض الماء وما تزداده اي تأخذه زائدا تقول اخذت منه حقي وازددت منه كذا ومنه قوله تعالى
وازدادوا تسعا ويقال زدته فزاد بنفسه وازداد وما تنقصه الرحم وتزداده عدد الولد فانها تشتمل
على واحد وقد تشتمل على اثنين وثلاثة واربعة ويروى ان شريكا كان رابع اربعة في بطن امه ومنه جسد الولد فانه
يكون تاما ومخدجا ومنه مدة ولادته فانها تكون اقل من تسعة اشهر وازيد عليها الى سنتين عند ابي حنيفة والى اربع
عند الشافعي والى خمس عند مالك وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان بقي في بطن امه اربع سنين
ولذلك سمي هرما ومنه الدم فانه يقل ويكثر وان كانت مصدرية فالمعنى انه يعلم حمل كل انثى ويعلم غيض
الارحام وازديادها لا يخفى عليه شيء من ذلك ومن اوقاته واحواله ويجوز ان يراد غيوض ما في الارحام وزيادته
فاسند الفعل الى الارحام وهو لما فيها على ان الفعلين غير متعديين ويعضده قول الحسن الغيضوضة ان
تضع لثمانية اشهر او اقل من ذلك والازدياد ان تزيد على تسعة اشهر وعنه الغيض الذي يكون سقطا لغير تمام والزيادة
ما ولد لتمام بمقدار بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر الكبير
العظيم الشأن الذي كل شيء دونه المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها
سارب ذاهب في سربه بالفتح اي في طريقه ووجهه يقال سرب في الارض سروبا والمعنى سواء عنده من
استخفى اي طلب الخفاء في مختبأ بالليل في ظلمة ومن يضطرب في الطرقات ظاهرا بالنهار يبصره
كل احد فان قلت كان حق العبارة ان يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار حتى

يتناول معنى الاستواء المستخفي والسارب والا فقد تناول واحدا هو مستخف وسارب
الا ان يقدر قلت فيه وجهان احدهما ان قوله وسارب عطف على من هو مستخف لا على مستخف والثاني انه عطف على مستخف الا ان من في معنى الاثنين
كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار
والضمير في له مردود على من كانه قيل لمن اسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب معقبات جماعات من الملائكة
تعتقب في حفظه وكلاءته والاصل معتقبات فادغمت التاء في القاف كقوله وجاء المعذرون بمعنى
المعتذرون ويجوز معقبات بكسر العين ولم يقرأ به او هو مفعلات من عقبه اذا جاء على عقبه كما يقال
قفاه لان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه يحفظونه من امر الله هما صفتان
جميعا وليس من امر الله بصلة للحفظ كانه قيل له معقبات من امر الله او يحفظونه من اجل امر الله
اي من اجل ان الله امرهم بحفظه والدليل عليه قراءة علي وابن عباس وزيد بن علي وجعفر بن محمد وعكرمة يحفظونه
بامر الله او يحفظونه من بأس الله ونقمته اذا اذنب بدعائهم له ومسألتهم ربهم ان يمهله رجاء ان يتوب وينيب
كقوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان
يحفظونه في توهمه وتقديره من امر الله اي من قضاياه ونوازله او على التهكم به وقرئ له معاقيب جمع
معقب او معقبة والياء عوض من حذف احدى القافين في التكسير ان الله لا يغير ما بقوم من العافية
والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الحال الجميلة بكثرة المعاصي من دونه من وال ممن يلي امرهم ويدفع عنهم خوفا وطمعا
لا يجوز ان يكونا مفعولا لهما لانهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل الا على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف
وارادة طمع او على معنى اخافة واطماعا ويجوز ان يكونا منتصبين على الحال من البرق كانه في نفسه خوف وطمع او على
ذا خوف وذا طمع او من المخاطبين اي خائفين وطامعين ومعنى الخوف والطمع ان وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق
ويطمع في الغيث قال ابو الطيب فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى يرجى الحيا منها وتخشى الصواعق
وقيل يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن في جرينه التمر والزبيب ومن له بيت يكف ومن البلاد
ما لا ينتفع اهله بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع ويحيى به السحاب اسم الجنس والواحدة سحابة والثقال
جمع ثقيلة لانك تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول امرأة كريمة ونساء كرام وهي الثقال بالماء
ويسبح الرعد بحمده ويسبح سامعوا الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له اي يضجون بسبحان الله
والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده وعن علي رضي الله عنه سبحان من سبحت له
واذا اشتد الرعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا
قبل ذلك وعن ابن عباس ان اليهود سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب
معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب ومن بدع المتصوفة
الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات افئدتهم والمطر بكاؤهم والملائكة من خيفته ويسبح الملائكة
من هيبته واجلاله وذكر علمه النافذ في كل شيء واستواء الظاهر والخفي عنده وما دل على قدرته الباهرة
ووحدانيته ثم قال وهم يعني الذين كفروا وكذبوا رسول الله وانكروا آياته يجادلون في الله حيث ينكرون
على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث واعادة الخلائق بقولهم من يحيي العظام وهي رميم ويردون الوحدانية
باتخاذ الشركاء والانداد ويجعلونه بعض الاجسام المتوالدة بقولهم الملائكة بنات الله فهذا جدالهم بالباطل
ليدحضوا به الحق وقيل الواو للحال اي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم وذلك ان

أربد أخا لبيد بن ربيعة العامري قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله
فرمى الله عامراً بغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية وأرسل على أربد صاعقة فقتلته أخبرنا عن
ربنا أمن نحاس هو أم من حديد {المحال} المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا إذا تكلف استعمال
الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان إذا كاده وسعى به إلى السلطان ومنه الحديث ولا تجعله علينا ماحلاً مصدقاً وقال
الأعشى: فرع نبع يهتز في غصن المجد غزير الندى شديد المحال. والمعنى أنه شديد المكر والكيد
لأعدائه يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون وقرأ الأعرج بفتح الميم على أنه مفعل من حال يحول محالاً إذا احتال
ومنه أحول من ذئب أي أشد حيلة ويجوز أن يكون المعنى شديد الفقار ويكون مثلاً في القوة والقدرة كما جاء فساعد الله
أشد وموساه أحد لأن الحيوان إذا اشتد محاله كان منعوتاً بشدة القوة والاضطلاع بما يعجز عنه
غيره ألا ترى إلى قولهم فقرته الفواقر وذلك أن الفقار عمود الظهر وقوامه {دعوة الحق} فيه وجهان أحدهما
أن تضاف الدعوة إلى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة إليه في قولك كلمة الحق للدلالة على
ملابسته للحق واختصاصه به وأنها بمعزل من الباطل والمعنى أن الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤاله
إن كان مصلحة له فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقاً بأن يوجه إليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع
بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي دعاؤه والثاني أن تضاف إلى الحق الذي هو الله عز وعلا على معنى دعوة المدعو الحق
الذي يسمع فيجيب وعن الحسن رحمه الله الحق هو الله وكل دعاء إليه دعوة الحق فإن قلت ما وجه اتصال هذين
الوصفين بما قبله قلت أما على قصة أربد فظاهر لأن إصابته بالصاعقة محال من الله ومكر به من
حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلى صاحبه اللهم اخسفهما بما شئت فأجيب فيهما فكانت
الدعوة دعوة حق وأما على الأول فوعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله بحلول محاله بهم وإجابة دعوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم إن دعا عليهم فيهم {والذين يدعون} والآلهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله
{لا يستجيبون لهم بشيء} من طلباتهم {إلا كباسط كفيه} إلا استجابة كاستجابة باسط كفيه أي كاستجابة
الماء من بسط كفيه إليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته
إليه ولا يقدر أن يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع إجابتهم
ولا يقدر على نفعهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغترف الماء بيديه ليشربه
فبسطهما ناشراً أصابعه فلم تلق كفاه منه شيئاً ولم يبلغ طلبته من شربه وقرئ تدعون بالتاء وكباسطٍ
كفيه بالتنوين {إلا في ضلال} إلا في ضياع لا منفعة فيه لأنهم إن دعوا الله لم يجبهم وإن دعوا الآلهة لم تستطع
إجابتهم {ولله يسجد} أي ينقاد لإحداث ما أراده فيهم من أفعاله شاؤوا أو أبوا لا يقدرون أن يمتنعوا
عليه وينقاد له ظلالهم أيضاً حيث تتصرف على مشيئته في الامتداد والتقلص والفيء والزوال
{قل الله} حكاية لاعترافهم وتأكيد له عليهم لأنه إذا قال لهم من رب السموات والأرض لم يكن لهم بد من أن يقولوا الله كقوله قل من رب السموات السبع ورب
العرش العظيم سيقولون لله وهذا كما يقول المناظر لصاحبه أهذا قولك فإذا قال هذا قولي قال هذا قولك
فيحكي إقراره تقريراً له عليه واستيثاقاً منه ثم يقول له فيلزمك على هذا القول كيت وكيت ويجوز أن يكون
تلقيناً أي إن كعوا عن الجواب فلقنهم فإنهم يتلقنونه ولا يقدرون أن ينكروه {أفاتخذتم من دونه أولياء}
أبعد أن علمتموه رب السموات والأرض اتخذتم من دونه أولياء فجعلتم ما كان يجب أن يكون سبب التوحيد

من علمكم وإقراركم سبب الإشراك {لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً} لا يستطيعون لأنفسهم أن ينفعوها
أو يدفعوا عنها ضراً فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموهم على الخالق الرازق المثيب المعاقب فما أبين
ضلالكم {أم جعلوا} بل أجعلوا ومعنى الهمزة الإنكار و{خلقوا} صفة لشركاء يعني أنهم لم يتخذوا لله شركاء
خالقين قد خلقوا مثل خلق الله فتشابه عليهم خلق الله وخلقهم حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما
قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد إذ لا فرق بين خالق وخالق
ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق {قل الله خالق كل شيء} لا خالق غير الله
ولا يستقيم أن يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة {وهو الواحد} المتوحد بالربوبية {القهار}
لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه كما ضرب الأعمى
والبصير والظلمات والنور مثلاً لهما فمثل الحق وأهله بالماء الذي ينزله من السماء فتسيل به أودية
الناس فيحيون به وينفعهم أنواع المنافع وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ الأواني
والآلات المختلفة ولو لم يكن إلا الحديد الذي فيه البأس الشديد لكفى به وأن ذلك ماكث في الأرض باق بقاء
ظاهراً يثبت الماء في منافعه وتبقى آثاره في العيون والآبار والحبوب والثمار التي تنبت به مما يدخر
ويكنز وكذلك الجواهر تبقى أزمنة متطاولة وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه
عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمي به وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه إذا أذيب فإن قلت لم نكرت
الأودية قلت لأن المطر لا يأتي إلا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض أودية الأرض دون
بعض فإن قلت فما معنى قوله بقدرها قلت بمقدارها الذي عرف الله أنه نافع للممطور
عليهم غير ضار ألا ترى إلى قوله وأما ما ينفع الناس لأنه ضرب المطر مثلاً للحق فوجب أن يكون مطراً خالصاً
للنفع خالياً من المضرة ولا يكون كبعض الأمطار والسيول الجواحف فإن قلت فما فائدة قوله رابياً
قلت الغاية في قوله بقدرها لأنه جمع الماء والفلز في النفع في قوله وأما ما ينفع الناس فذكر وجه الانتفاع بما يوقد عليه منه وذكره
في الحلية والمتاع وقوله ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع
مع إظهار الكبرياء بذكره على وجه التهاون به كما هو هجيرى الملوك عبارة جامعة لأنواع الفلز
ومن لابتداء الغاية أي ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء أو للتبعيض بمعنى وبعضه
زبد مثله {جفاء} يجفؤه السيل أي يرمي به وجفأت القدر بزبدها وأجفأ السيل وأجفل
وقرأ رؤبة بن العجاج جفالاً وعن أبي حاتم لا يقرأ بقراءة رؤبة لأنه كان يأكل الفأر
{للذين استجابوا} اللام متعلقة بيضرب أي كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين الذين
استجابوا وللكافرين الذين لم يستجيبوا أي هما مثلا الفريقين و{الحسنى} صفة لمصدر استجابوا أي استجابوا
الاستجابة الحسنى وقوله لو أن لهم كلام مبتدأ في ذكر ما أعد لغير المستجيبين وقيل قد تم الكلام عند قوله
الأمثال وما بعده كلام مستأنف والحسنى مبتدأ خبره للذين استجابوا والمعنى
لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لو مع ما في حيزه {سوء الحساب} المناقشة
وعن النخعي أن يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شيء دخلت همزة الإنكار على الفاء في قوله
أفمن يعلم لإنكار أن تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل في أن حال من علم أنما أنزل إليك من ربك الحق فاستجاب

بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيتحير كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والابريز انما يتذكر
اولوا الالباب اي الذين عملوا على قضيات عقولهم فنظروا واستبصروا الذين يوفون بعهد الله مبتدأ واولئك
لهم عقبى الدار خبره كقوله والذين ينقضون عهد الله اولئك لهم اللعنة ويجوز ان يكون صفة لاولي
الالباب والاول اوجه وعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الشهادة بربوبيته واشهدهم على انفسهم
الست بربكم قالوا بلى ولا ينقضون الميثاق وان ينقضون كل ما وثقوه على انفسهم وقبلوه من الايمان بالله
وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص ما امر الله به ان يوصل من الارحام والقرابات
ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الايمان انما المؤمنون اخوة
بالاحسان اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم والنصيحة لهم وطرح التفرقة
بين انفسهم وبينهم وافشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم وشهود جنائزهم ومنه مراعاة حق الاصحاب
والخدم والجيران والرفقاء في السفر وكل ما تعلق منهم بسبب حتى الهرة والدجاجة وعن
الفضيل بن عياض ان جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من اين انتم قالوا من اهل خراسان قال اتقوا
الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا ان العبد لو احسن الاحسان كله وكانت له دجاجة فاساء اليها لم يكن
من المحسنين ويخشون ربهم اي يخشون وعيده كله ويخافون خصوصا سوء الحساب فيحاسبون انفسهم
قبل ان يحاسبوا والذين صبروا [illegible] فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والاموال ومشاق التكليف ابتغاء
وجه الله لا ليقال ما اصبره واحمله للنوازل واوقره عند الزلازل ولا لئلا يعاب بالجزع ولئلا يشمت
به الاعداء كقوله وتجلدي للشامتين ولا لانه لا طائل تحته ولا مرد فيه للفائت كقوله
ما ان جزعت ولا هلعت ولا يرد بكاي زندا وكل عمل له وجوه يعمل عليها فعلى المؤمن
ان ينوي منها ما به كان حسنا عند الله والا لم يستحق به ثوابا وكان فعله كلا فعل مما رزقناهم من
الحلال لان الحرام لا يكون رزقا ولا يسند الى الله سرا وعلانية يتناول النوافل لانها في السر افضل
والفرائض لوجوب المجاهرة بها نفيا للتهمة ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعونها بها فيجازون الاساءة
بالحسن من الكلام وما يرد عليهم من غيرهم وعن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا
وصلوا وعن ابن كيسان اذا اذنبوا تابوا وقيل اذا راوا منكرا امروا بتغييره عقبى الدار عاقبة الدنيا
وهي الجنة لانها التي اراد الله ان يكون عاقبة الدنيا ومرجع اهلها جنات عدن بدل من عقبى الدار
فنعم بفتح النون [illegible] كثرة العين [illegible]
وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول وقرأ ابن ابي عبلة صلح بضم اللام والفتح افصح [illegible]
اذا [illegible] الاعمال الصالحة [illegible] ابوي كل واحد منهم فكانه قيل من ابائهم وامهاتهم
في موضع الحال [illegible] عليكم او [illegible] فان قلت بم تعلق بما صبرتم قلت
تقديره هذا بما صبرتم تعنون هذا الثواب بسبب صبركم او بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه
هذه الملاذ والنعم والمعنى لئن تعبتم في الدنيا فقد استرحتم الساعة كقوله بما اسلفتم [illegible]
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان ياتي قبور الشهداء على راس كل حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى
الدار ويجوز ان يتعلق بسلام اي يسلم عليكم ونكرمكم بصبركم من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه به
من الاعتراف والقبول سوء الدار يحتمل ان يراد به سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار ويجوز ان

الدار

يراد بالدار جهنم وسوءها عذابها الله يبسط الرزق اي الله وحده هو يبسط الرزق ويقدره
دون غيره وهو الذي بسط رزق اهل مكة ووسعه عليهم
واشروا فرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم وفرحوا بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر
يخفى عليهم ان نعيم الدنيا في جنب نعيم الاخرة ليس الا شيئا نزرا يتمتع به كعجالة الراكب وما يتعجله من
تمرات او شربة سويق او نحو ذلك فان قلت كيف طابق قوله ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الاخرة
الله يضل من يشاء قلت هو كلام يجري مجرى التعجب من قولهم لولا انزل عليه اية من ربه فكانه قال
التي اوتيها رسول الله لم يؤت نبي قبله وكفى بالقرآن وحده اية وراء كل اية فاذا جحدوه ولم يعتدوا
به وجعلوه كان اية لم تنزل عليه قط كان موضعا للتعجب والاستنكار فكانه قيل لهم ما اعظم عنادكم وما
اشد تصميمكم على كفركم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم من التصميم وشدة الشكيمة في الكفر
فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت كل اية ويهدي اليه من كان على خلاف صفتكم اناب اقبل الى الحق
ورجع عن العناد الذين امنوا بدل من اناب وتطمئن قلوبهم بذكر الله بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق
والاضطراب من خشيته كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله او تطمئن بذكر دلائله الدالة على
وحدانيته او تطمئن بالقرآن لانه معجزة بينة تسكن القلوب وتثبت اليقين فيها الذين امنوا مبتدأ وطوبى
مصدر من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك اصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب او الرفع كقولك طيبا
لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك والقراءة في قوله وحسن ماب بالرفع والنصب تدل على محليها والام
في لهم للبيان مثلها في سقيا لك والواو في طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كموقن وموسر وقرئ
طيبى لهم فكسر الطاء لتسلم الياء كما قيل بيض ومعيشة كذلك ارسلناك مثل ذلك الارسال
ارسلناك يعني ارسلناك ارسالا له شان وفضل على سائر الارسال في امة قد خلت من قبلها امم اي تقدمتها امم كثيرة فهي اخر الامم وانت خاتم الانبياء لتتلو
عليهم لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون وحالهم انهم يكفرون
بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء وما بهم من نعمة فمنه فكفروا بنعمته في ارسال مثلك
اليهم وانزال هذا القرآن المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم قل هو ربي الواحد المتعالي عن الشركاء لا اله الا هو عليه توكلت
في نصرتي عليكم واليه متاب فيثيبني على مصابرتكم ومجاهدتكم ولو ان قرانا جوابه محذوف كما تقول للغلام
لو انك ابذ وتترك الجواب والمعنى ولو ان قرانا سيرت به الجبال عن مقارها او زعزعت عن
مضاجعها او قطعت به الارض حتى تتصدع وتتزايل قطعا او كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا
القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في الانذار والتخويف كما قال لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته
خاشعا متصدعا من خشية الله وهذا تعظيم لما فيه قوله لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك من
ان الاعظم ما اوحي الى رسول الله من القرآن وقيل معناه ولو ان قرانا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض
وتكليم الموتى وتنبيههم لما امنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملئكة الاية وقيل ان
قريشا قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقرانك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها

البساتين والقطائع كما سخرت لداود إن كنت نبيا كما تزعم فلست بأهون على الله من داود أو سخر لنا
به الريح لنركبها ونتجر إلى الشام ثم نرجع في يومنا فقد شق علينا قطع المسافة البعيدة كما سخرت لسليمان أو ابعث
لنا به رجلين أو ثلثة ممن مات من آبائنا منهم قصي بن كلاب فنزلت ومعنى تقطيع الأرض على هذا قطعها بالسير
ومجاوزتها وعن الفراء هو متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآنا سيرت به الجبال وما بينهما
اعتراض وليس ببعيد من السداد وقيل قطعت به الأرض شققت فجعلت أنهارا وعيونا بل لله الأمر
جميعا على معنيين أحدهما بل لله القدرة على كل شيء وهو قادر على الآيات التي اقترحوها إلا أن علمه بأن
إظهارها مفسدة يصرفه والثاني بل لله أن يلجئهم إلى الإيمان وهو قادر على الإلجاء لولا أنه بنى أمر
التكليف على الاختيار ويعضده قوله أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله يعني مشيئة الإلجاء والقسر
لهدى الناس جميعا ومعنى أفلم ييأس أفلم يعلم قيل هي لغة قوم من النخع وقيل إنما استعمل اليأس
بمعنى العلم لتضمنه معناه لأن اليائس عن الشيء عالم بأنه لا يكون كما استعمل الرجاء في معنى الخوف
والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك قال سحيم بن وثيل الرياحي

أقول لهم بالشعب إذ ييسرونني ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم

ويدل عليه أن عليا وابن
عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرأوا أفلم يتبين وهو تفسير أفلم ييأس وقيل إنما كتبه الكاتب
وهو ناعس مستوي السينات وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتي الإمام وكان متقلبا في أيدي أولئك الأعلام
المحتاطين في دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون عن جلائله ودقائقه خصوصا عن القانون الذي إليه
المرجع والقاعدة التي عليها البناء وهذه والله فرية ما فيها مرية ويجوز أن يتعلق أن لو يشاء بآمنوا
على أولم يقنط عن إيمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولهداهم تصيبهم بما
صنعوا من كفرهم وسوء أعمالهم قارعة داهية تقرعهم بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب
في نفوسهم وأولادهم وأموالهم أو تحل القارعة قريبا منهم فيفزعون ويضطربون ويتطاير إليهم شررها ويتعدى
إليهم شرورها حتى يأتي وعد الله وهو موتهم أو القيامة وقيل ولا يزال الكفار مكة تصيبهم بما صنعوا
برسول الله صلى الله عليه وسلم من العداوة والتكذيب قارعة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يزال يبعث
السرايا فتغير حول مكة وتختطف منهم وتصيب من مواشيهم أو تحل أنت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك
كما حل بالحديبية حتى يأتي وعد الله وهو فتح مكة وكان الله قد وعده ذلك الإملاء الإمهال
وأن يترك ملاوة من الزمان في خفض وأمن كالبهيمة يملى لها في المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن
اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء به وتسلية له أفمن هو قائم احتجاج عليهم
في إشراكهم بالله يعني أفالله الذي هو قائم رقيب على كل نفس صالحة أو طالحة بما كسبت يعلم
خيره وشره ويعد لكل جزاءه كمن ليس كذلك ويجوز أن يقدر ما يقع خبرا للمبتدأ ويعطف عليه
وجعلوا وتمثيله أفمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له وهو الله الذي يستحق العبادة وحده
شركاء قل سموهم أي جعلتم له شركاء فسموهم له من هم ونبئوه بأسمائهم ثم قال أم تنبئونه

زهدم فرس معروف

كقولك للرجل قل لي من زيد أم هو أقل من أن يعرف ومعناه بل أتنبئونه بشركاء لا يعلمهم
بما في السموات والأرض فإذا لم يعلمهم علم أنهم ليسوا بشيء يتعلق به العلم والمراد نفي أن يكون له شركاء ونحوه قل أتنبئون
الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض أم بظاهر من القول بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك
حقيقة كقوله ذلك قولهم بأفواههم ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها وهذا الاحتجاج وأساليبه العجيبة
التي ورد عليها مناد على نفسه بلسان طلق ذلق أنه ليس من كلام البشر لمن عرف وأنصف من نفسه فتبارك
الله أحسن الخالقين وقرئ أتنبئونه بالتخفيف مكرهم كيدهم للإسلام بشركهم وصدوا وقرئ بالحركات الثلاث
وقرأ ابن أبي إسحاق وصدٌّ بالتنوين ومن يضلل الله ومن يخذله لعلمه أنه لا يهتدي فما له من هاد
يوفق لهدايته لهم عذاب في الحيوة الدنيا وهو ما ينالهم من الأسر والقتل وسائر المحن ولا يلحقهم إلا عقوبة
على الكفر ولذلك سماه عذابا وما لهم من الله من واق وما لهم من حافظ من عذابه أو ما لهم من جهته واق من رحمته
مثل الجنة صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف على مذهب سيبويه أي فيما
قصصنا عليكم مثل الجنة وقال غيره الخبر تجري من تحتها الأنهار كما تقول صفة زيد أسمر وقال الزجاج
معناه مثل الجنة جنة تجري من تحتها الأنهار على حذف الموصوف تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهد وعن
علي رضي الله عنه أمثال الجنة على الجمع أي صفاتها أكلها دائم كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة وظلها
دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس والذين آتيناهم الكتاب يريد من أسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب
وأضرابهما ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون بنجران واثنان وثلاثون بأرض الحبشة وثمانية
باليمن ومن الأحزاب يعني ومن أحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة
نحو كعب بن الأشرف وأصحابه والسيد والعاقب أسقفي نجران وأشياعهما من ينكر بعضه لأنهم كانوا لا ينكرون
الأقاصيص وبعض الأحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ما هو نعت الإسلام ونعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرائع فإن قلت كيف اتصل قوله قل إنما أمرت أن
أعبد الله بما قبله قلت هو جواب للمنكرين معناه قل إنما أمرت فيما أنزل إلي بأن أعبد الله ولا أشرك
به فإنكاركم له إنكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة
الله وأن لا يشرك به قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به
شيئا وقرأ نافع في رواية أبي خليد ولا أشرك به بالرفع على الاستئناف كأنه قال وأنا لا أشرك به ويجوز أن
يكون في موضع الحال على معنى أمرت أن أعبد الله غير مشرك به إليه أدعو خصوصا لا أدعو إلى غيره
وإليه لا إلى غيره مرجعي وأنتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لإنكاركم وكذلك أنزلناه ومثل ذلك الإنزال أنزلناه
مأمورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة إليه وإلى دينه والإنذار بدار الجزاء حكما عربيا حكمة عربية مترجمة
بلسان العرب وانتصابه على الحال كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أمور يوافقهم عليها منها أن يصلي
إلى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فقيل له لئن تابعتهم على دين ما هو إلا أهواء وشبه بعد ثبوت العلم عندك
بالبراهين والحجج القاطعة خذلك الله فلا ينصرك ناصر وأهلكك فلا يقيك منه واق وهذا من باب الإلهاب
والتهييج والبعث للسامعين على الثبات في الدين والتصلب فيه وأن لا يزل زال عند الشبهة بعد
استمساكه بالحجة وإلا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة الشكيمة بمكان كانوا يعيبونه
بالزواج والأولاد كما قالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام وكانوا يقترحون عليه
الآيات وينكرون النسخ فقيل كان الرسل قبله بشرا مثله ذوي أزواج وذرية وما كان لهم أن

يأتوا بآيات بل إنهم يأتون بما يقترح عليهم والشرائع مصالح تختلف باختلاف الأحوال والأوقات لكل
وقت حكم يكتب على العباد أي يفرض عليهم على ما تقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء ينسخ
ما يستصوب نسخه ويثبت بدله ما تقتضيه المصلحة في إثباته أو تركه غير منسوخ وقيل يمحو من ديوان
الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لأنهم مأمورون بكتبه كل قول وفعل ويثبت غيره وقيل يمحو كفر
التائبين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت إيمانهم وطاعاتهم وقيل يمحو بعض الخلائق ويثبت بعضا من الأناسي
وسائر الحيوان والنبات والأشجار وصفاتها وأحوالها والكلام في نحو هذا واسع المجال وعنده أم الكتاب
أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ إذ ما من كائن إلا وهو مكتوب فيه ويثبت وإما نرينك وكيفما دارت
الحال أريناك مصارعهم وما وعدناهم من إنزال العذاب عليهم أو توفيناك قبل ذلك فإنما عليك البلاغ
لا غير وعلينا الحساب للمجازاة لا عليك فلا تحتفل بإعراضهم ولا تستعجل بعذابهم
أولم يروا أنا نأتي الأرض أرض الكفرة ننقصها من أطرافها بما نفتحه على المسلمين من بلادهم فتنقص دار الحرب
وتزيد في دار الإسلام وذلك من آيات النصرة والغلبة ونحوه أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها
أفهم الغالبون نريهم إما نأتي الآفاق والمعنى عليك بالبلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراءه فنحن
نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تأخره فإن ذلك لما نعلم من المصالح التي لا تعلمها ثم طيب
نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير الظفر وقرئ ننقصها بالتشديد لا معقب لحكمه لا معقب
الذي يكر على الشيء فيبطله وحقيقته الذي يعقبه أي يقفيه بالرد والإبطال ومنه قيل لصاحب
الحق معقب لأنه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب طلب المعقب حقه المظلوم
والمعنى أنه حكم للإسلام بالغلبة والإقبال وعلى الكفر بالإدبار والانتكاس وهو سريع الحساب فيحاسبهم عما
قليل في الآخرة بعد عذاب الدنيا فإن قلت ما محل قوله لا معقب لحكمه قلت هو جملة
محلها النصب على الحال كأنه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءني زيد لا عمامة على رأسه ولا
قلنسوة يريد حاسرا وقد مكر الذين من قبلهم وصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم كلا مكر بالإضافة
إلى مكره فقال فلله المكر جميعا ثم فسر ذلك بقوله يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى
الدار لأن من علم ما تكسب كل نفس وأعد لها جزاءها فهو المكر كله لأنه يأتيهم من حيث لا يعلمون وهم في
غفلة مما يراد بهم وقرئ الكفار والكافرون والذين كفروا والكفر أي أهله والمراد بالـ
وقرأ جناح بن حبيش وسيعلم الكافر من أعلمه أي سيخبر كفى بالله شهيدا بما أظهر
على رسالتي ومن عنده علم الكتاب والذي عنده علم القرآن وما ألف عليه من النظم المعجز
البشر وقيل هو من هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا لأنهم يشهدون بنعته في كتبهم
عز وعلا أو الكتاب اللوح المحفوظ وعن الحسن لا والله ما يعني إلا الله والمعنى كفى بالذي
وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح إلا هو شهيدا بيني وبينكم ويعضده قراءة من قرأ ومن عنده
علم الكتاب وعلم على البناء للمفعول وقرئ ومن عنده علم الكتاب فإن قلت بم ارتفع
قلت في القراءة التي وقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا

وقع صلة أو علق في شبه الفعل لاعتماده على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذي في الدار
أخوه فأخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار أخوه وفي القراءة التي لم تقع فيها عنده صلة يرتفع
العلم بالابتداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد أعطي من الأجر عشر حسنات
بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون إلى يوم القيامة ويبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله

سورة ابرهيم عليه السلام مكية وهي احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب أي هو كتاب يعني السورة أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات
إلى النور من أنواع الضلال إلى الهدى بإذن ربهم بتسهيله وتيسيره مستعار من الإذن
الذي هو تسهيل الحجاب وذلك ما يمنحهم من اللطف بتوفيقه إلى صراط العزيز الحميد بدل من قوله
إلى النور بتكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم ويجوز أن يكون على وجه الاستئناف
كأنه قيل إلى أي نور فقيل إلى صراط العزيز الحميد وقوله الله يجري مجرى
الأسماء الأعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي يحق له العبادة كما غلب النجم على الثريا
وقرئ بالرفع على هو الله والويل نقيض الوأل وهو النجاة وأصله النصب لأنه مصدر إلا أنه لا
يشتق منه لكنه رفع لإفادة معنى الثبات فقيل ويل
لك ولما ذكر الخارجين عن ظلمات الكفر إلى نور الإيمان توعد الكافرين بالويل فقال
وويل للكافرين من عذاب شديد قال الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة أي يختارونها عليها
فإن المختار للشيء يطلب من نفسه أن يكون أحب إليها وأفضل عندها من غيره
والموصول بصلته في موضع الجر صفة للكافرين أو الرفع خبر مبتدأ محذوف أو النصب على الذم
ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس عن الإيمان ويبغونها عوجا ويطلبون لها زيغا واعوجاجا
أو ينكبوا الناس عن الحق ويقفوا دونه فإن قلت أولئك في ضلال بعيد أي ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل
والبعد في الحقيقة للضال لأنه هو الذي يتباعد عن الطريق فوصف به فعله
وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم أي ليفهموا عنه ما يدعوهم إليه فلا يكون لهم حجة على الله
ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به كما قال ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته فإن قلت
لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العرب وحدهم وإنما بعث إلى الناس جميعا قل يا أيها الناس إني

رسول الله اليهم جميعا بل الى الثقلين وهم على السنة مختلفة فان لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة وان لم
تكن لغيرهم حجة فلو نزل بالعجمية لم تكن للعرب حجة ايضا قلت لا يخلو اما ان ينزل بجميع الالسنة او بواحد منها
فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فبقي ان ينزل بلسان
واحد فكان اولى الالسنة لسان قوم الرسول لانهم اقرب اليه فاذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم
وانتشر قامت التراجم ببيانه وتفهيمه كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم في كل امة من امم العجم
مع ما في ذلك من اتفاق اهل البلاد المتباعدة والاقطار المتنازحة والامم المختلفة والاجيال المتفاوتة
على كتاب واحد واجتهادهم في تعلم لفظه وتعلم معانيه وما يتشعب من ذلك من جلائل الفوائد
وما يتكاثر في اتعاب النفوس وكد القرائح فيه من القرب والطاعات المفضية الى جزيل الثواب
ولانه ابعد من التحريف والتبديل واسلم من التنازع والاختلاف ولانه لو نزل بالسنة الثقلين كلها مع
اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصفة الاعجاز في كل واحد منها وكلم الرسول العربي كل
امة بلسانها كما كلم امته التي هو منها يتلوه عليهم معجزا لكان ذلك امرا قريبا من الالجاء ومعنى بلسان
قومه بلغة قومه وقرئ بلسن قومه واللسن واللسان كالريش والرياش بمعنى اللغة وقرئ بلسن قومه بضم
اللام والسين مضمومة او ساكنة وهو جمع لسان كعماد وعمد وعمد على التخفيف وقيل الضمير في قومه
لمحمد صلى الله عليه وسلم ورووه عن الضحاك ان الكتب كلها نزلت بالعربية ثم اداها كل نبي بلغة قومه
وليس بصحيح لان قوله ليبين لهم ضمير القوم وهم العرب فيؤدي الى ان الله انزل التوراة من السماء
بالعربية ليبين للعرب وهذا معنى فاسد فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء كقوله فمنكم
كافر ومنكم مؤمن لان الله لا يضل الا من يعلم انه لن يؤمن ولا يهدي الا من يعلم انه يؤمن والمراد بالاضلال
التخلية ومنع الالطاف وبالهداية التوفيق واللطف فكان ذلك كناية عن الكفر والايمان وهو
العزيز فلا يغلب على مشيئته الحكيم فلا يخذل الا اهل الخذلان ولا يلطف الا باهل اللطف ان اخرج بمعنى
اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول كانه قيل ارسلناه وقلنا له اخرج ويجوز ان تكون الناصبة
للفعل وانما صلح ان توصل بفعل الامر لان الغرض وصلها بما تكون معه في تأويل المصدر وهو الفعل
والامر وغيره سواء في الفعلية والدليل على جواز ان تكون الناصبة للفعل قولهم اوعز اليه بان افعل
فادخلوا عليها حرف الجر وكذلك التقدير بان اخرج قومك وذكرهم بايام الله وانذرهم بوقائعه
التي وقعت على الامم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه ايام العرب لحروبها وملاحمها كيوم ذي قار ويوم
الفجار ويوم قضة وغيرها وهو الظاهر وعن ابن عباس نعماؤه وبلاؤه فاما نعماؤه فانه ظلل عليهم
الغمام وانزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر واما بلاؤه فاهلاك القرون لكل صبار شكور يصبر
على بلاء الله ويشكر نعماءه فاذا سمع بما انزل الله من البلاء على الامم او افاض عليهم من النعم تنبه على ما يجب
عليه من الصبر والشكر واعتبر وقيل اراد لكل مؤمن لان الشكر والصبر من سجايا المؤمنين نعمة الله عليكم
اذ انجاكم ظرف للنعمة بمعنى الانعام اي انعامه عليكم ذلك الوقت فان قلت هل يجوز ان ينتصب بعليكم
قلت لا يخلو من ان يكون صلة للنعمة بمعنى الانعام او غير صلة اذا اردت بالنعمة العطية فاذا كان صلة
لم يعمل فيه واذا كان غير صلة بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم عمل فيه ويتبين الفرق بين الوجهين

انك اذا قلت نعمة الله عليكم فان جعلته صلة لم يكن كلاما حتى تقول فائضة او نحوها والا كان كلاما
ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله اي اذكروا وقت انجائكم وهو من بدل الاشتمال فان قلت في سورة
البقرة يذبحون وفي الاعراف يقتلون وهاهنا ويذبحون مع الواو فما الفرق قلت الفرق ان التذبيح
حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب وبيانا له وحيث اثبت جعل التذبيح لانه اوفى على جنس العذاب وزاد
عليه زيادة ظاهرة كانه جنس آخر فان قلت كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم قلت تمكينهم
وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاء من الله ووجه آخر وهو ان ذلك اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم والبلاء
يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال زهير
فابلاهما خير البلاء الذي يبلو واذ تأذن ربكم من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه للعطف على قوله
نعمة الله عليكم كانه قيل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم ومعنى تأذن
ربكم آذن ربكم ونظير تأذن وآذن توعد واوعد وتفضل وافضل ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في افعل كانه
قيل واذ آذن ربكم ايذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك وتنزاح الشبه والمعنى واذ تأذن ربكم فقال لئن شكرتم
يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة ولاضاعفن
لكم ما آتيتكم ولئن كفرتم وغمطتم ما انعمت به عليكم ان عذابي لشديد لمن كفر نعمتي وقال موسى ان تكفروا انتم
ايها الناس كلهم فانما ضررتم انفسكم وحرمتموها الخير الذي لا بد لكم منه وانتم اليه محاويج والله لغني
عن شكركم حميد مستوجب للحمد بكثرة انعمه واياديه وان لم يحمده الحامدون والذين من بعدهم
جملة من مبتدأ وخبر وقعت اعتراضا او عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله
اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله وعن ابن عباس بين عدنان واسمعيل ثلاثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود اذا
قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله علمها عن العباد فردوا
ايديهم في افواههم فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ
او ضحكا واستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه او اشاروا بايديهم الى السنتهم وما نطقت به
من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به اي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره اقناطا لهم من التصديق الا ترى الى قوله فردوا
ايديهم في افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وهذا قول قوي او وضعوها على افواههم يقولون للانبياء اطبقوا
افواهكم واسكتوا او ردوها في افواه الانبياء يشيرون لهم الى السكوت او وضعوها على افواههم يسكتونهم
ولا يذرونهم يتكلمون وقيل الايدي جمع يد وهي النعمة بمعنى الايادي اي ردوا ايادي الانبياء التي هي اجل النعم
من مواعظهم ونصائحهم وما اوحي اليهم من الشرائع والآيات في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم
ردوها الى افواههم ورجعوها الى حيث جاءت منه على طريق المثل مما
تدعوننا اليه من الايمان بالله وقرئ تدعونا بادغام النون مريب موقع في الريبة او ذي ريبة من ارابه واراب الرجل وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى
الامر والشك فيه افي الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وانه
لا يحتمل الشك لظهور الادلة وشهادتها عليه يدعوكم الى الايمان لاجل المغفرة كقوله دعوته لينصرني ودعوته لياكل معي وقال
دعوت لما نابني مسورا فلبى فلبي يدي مسور
يغفر لكم من ذنوبكم فان قلت ما معنى التبعيض قلت ما علمته جاء هكذا الا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه واطيعون
يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين

٤

هل أدلكم على تجارة تنجيكم إلى أن قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يقفك عليه الاستقراء وكان ذلك
للتفرقة بين الخطابين ولئلا تسوى بين الفريقين في الميعاد وقيل أريد أنه يغفر لهم ما بينهم وبين الله
بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم ونحوها ويؤخركم إلى أجل مسمى إلى وقت قد سماه وبين مقداره يبلغكموه
إن آمنتم وإلا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت إن أنتم ما أنتم إلا بشر مثلنا لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل
لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو أرسل الله إلى البشر رسلا لجعلهم من جنس أفضل منهم وهم
الملائكة بسلطان مبين بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات والحجج وإنما أرادوا بالسلطان المبين
آية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا إن نحن إلا بشر مثلكم تسليم لقولهم وأنهم بشر مثلهم يعنون أنهم مثلهم في
البشرية وحدها فأما ما وراء ذلك فما كانوا مثلهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعا منهم واقتصروا على
قولهم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده بالنبوة لأنه قد علم أنه لا يختصهم بتلك الكرامة إلا وهم
أهل لاختصاصهم بها لخصائص فيهم قد استأثروا بها على أبناء جنسهم إلا بإذن الله أرادوا أن الإتيان
بالآية التي اقترحتموها ليس إلينا ولا في استطاعتنا وما هو إلا أمر يتعلق بمشيئة الله وعلى الله
فليتوكل المؤمنون أمر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به أنفسهم قصدا أوليا وأمروها به
كأنهم قالوا ومن حقنا أن نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وما يجري علينا منكم ألا ترى
إلى قوله وما لنا ألا نتوكل على الله ومعناه وأي عذر لنا في أن لا نتوكل عليه وقد هدانا وقد فعل بنا
ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين
فإن قلت كيف كرر الأمر بالتوكل قلت الأول لاستحداث التوكل وقوله فليتوكل المتوكلون معناه فليثبت
المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم وقصدهم إلى أنفسهم على ما تقدم أو لتعودن ليكونن أحد
الأمرين لا محالة إما إخراجكم وإما عودكم فإن قلت كأنهم كانوا على ملتهم حتى يعودوا
فيها قلت معاذ الله ولكن العود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب كثرة فاشية
لا تكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد ما عرفت أنه عاد لا يكلمني ما عاد لفلان مال أو خاطبوا به
كل رسول ومن آمن به فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد لنهلكن الظالمين حكاية تقتضي إضمار القول
أو إجراء الإيحاء مجرى القول لأنه ضرب منه وقرأ أبو حيوة ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لأوحى
وأن لفظه لفظ الغيبة ونحوه قولك أقسم زيد ليخرجن ولأخرجن والمراد بالأرض أرض الظالمين وديارهم
ونحوه وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها وأورثكم أرضهم وديارهم وعن النبي
صلى الله عليه وسلم من آذى جاره ورثه الله داره ولقد عاينت هذا في مدة قريبة كان لي خال يظلمه عظيم
القرية التي أنا منها ويؤذيني فيه فمات ذلك العظيم وملكني الله ضيعته فنظرت يوما إلى أبناء خالي يترددون
فيها ويدخلون في دورها ويخرجون ويأمرون وينهون فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثتهم به وسجدنا شكرا
لله ذلك إشارة إلى ما قضى به الله من إهلاك الظالمين وإسكان المؤمنين ديارهم أي ذلك الأمر حق لمن خاف مقامي
موقفي وهو موقف الحساب لأنه موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيامة أو على إقحام المقام أو خاف قيامي
عليه وحفظي لأعماله والمعنى أن ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين واستفتحوا واستنصروا الله على أعدائهم
إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح أو استحكموا الله وسألوه القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة
كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على أوحى إليهم وقرئ واستفتحوا بلفظ الأمر وعطفه

آخر

كف

ومن آمن له

على لنهلكن أي أوحى إليهم ربهم وقال لهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا
معناه فنصروا وظفروا وأفلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وقيل واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم
بأنهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه من ورائه من بين يديه
قال عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب
الدنيا لأنه مرصد بجهنم وكأنها بين يديه وهو على شفيرها أو وصف حاله في الآخرة حين يبعث ويوقف
فإن قلت علام عطف ويسقى قلت على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد
كأنه أشد عذابها فخصص بالذكر مع قوله ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت
وإنما من ماء صديد قلت صديد عطف بيان لماء قال ويسقى من ماء فأبهمه إبهاما ثم بينه بقوله صديد
وهو ما يسيل من جلود أهل النار فإن قلت ما وجه يتجرعه يتكلف تجرعه ولا يكاد يسيغه دخل كاد للمبالغة
يعني ولا يقارب أن يسيغه فكيف تكون الإساغة كقوله لم يكد يراها أي لم يقرب من رؤيتها فكيف
يراها ويأتيه الموت من كل مكان كأن أسباب الموت وأصنافها كلها قد تألبت عليه وأحاطت به من جميع
الجهات تفظيعا لما يصيبه من الآلام وقيل من كل مكان من جسده حتى من إبهام رجله
شعره ومن ورائه من بين يديه عذاب غليظ أي في كل وقت يستقبله يتلقى عذابا أشد مما قبله وأغلظ
وعن الفضيل هو قطع الأنفاس وحبسها في الأجساد ويحتمل أن يكون أهل مكة قد استفتحوا
أي استمطروا والفتح المطر في سني القحط التي أرسلت عليهم بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسقوا
فذكر سبحانه ذلك وأنه خيب رجاء كل جبار عنيد وأنه يسقى في جهنم بدل سقياه ماء آخر وهو صديد
أهل النار واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستأنف منقطع عن حديث الرسل وأممهم مثل الذين كفروا مبتدأ محذوف
الخبر عند سيبويه تقديره وفيما يقص عليك مثل الذين كفروا بربهم والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة
وقوله أعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل أعمالهم كرماد ويجوز
أن يكون المعنى مثل أعمال الذين كفروا بربهم أو هذه الجملة خبر للمبتدأ أي صفة الذين كفروا أعمالهم كرماد
كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول أو يكون أعمالهم بدلا من مثل الذين كفروا على تقدير
مثل أعمالهم وكرماد الخبر وقرئ الرياح في يوم عاصف جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح
أو الرياح كقولك يوم ماطر وليلة ساكرة وإنما السكون لريحها وقرئ في يوم عاصف بالإضافة وأعمال
الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الأرحام وعتق الرقاب وفداء الأسارى وعقر الإبل للأضياف
وإغاثة الملهوفين والإجارة وغير ذلك من صنائعهم شبهها في حبوطها وذهابها هباء منثورا
لبنائها على غير أساس من معرفة الله والإيمان به وكونها لوجهه برماد طيرته الريح العاصف لا
يقدرون يوم القيامة مما كسبوا من أعمالهم على شيء أي لا يرون له أثرا من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير في
الريح على شيء ذلك هو الضلال البعيد إشارة إلى بعد ضلالهم عن طريق الحق أو عن الثواب بالحق بالحكمة
والغرض الصحيح والأمر العظيم ولم يخلقها عبثا ولا شهوة وقرئ خالق السموات والأرض إن يشأ يذهبكم أي هو
قادر على أن يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقا آخر على شكلهم أو على خلاف شكلهم إعلاما منه
باقتداره على إعدام الموجود وإيجاد المعدوم يقدر على الشيء وجنسه ضده وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر
وعلابه

معنى

من عذابها

من دعوة البلد

أم هذا

الساكرة الساكنة

في الرياح

بل هو هين عليه يسير لانه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فاذا خلص له الداعي الى شي
وانتفى الصارف تكون من غير توقف كتحريكك اصبعك اذا دعاك اليه داع ولم يعترض دونه
صارف وهذه الاية بيان لابعادهم في الضلال وعظم خطائهم في الكفر بالله لوضوح اياته الشاهدة
له الدالة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة وانه هو الحقيق بان يعبد ويخاف عقابه ويرجى ثوابه
في دار الجزا **وبرزوا لله** ويبرزون يوم القيمه وانما جي به على لفظ الماضي لان ما اخبر به عز وعلا لصدقه
كانه قد كان ووجد ونحوه ونادى اصحاب الجنه ونادى اصحاب النار ونظائر له ومعنى بروزهم لله
والله تعالى لا يتوارى عنه شي حتى يبرز له انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش
ويظنون ان ذلك خاف على الله فاذا كان يوم القيمه انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان الله لا تخفى
عليه خافية او خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه ◦ فان قلت لم كتب الضعفؤا بواو
قبل الهمزة ◦ قلت كتب على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو ونظيره علمؤا بني اسرائيل
والضعفا الاتباع والعوام والذين استكبروا سادتهم وكبراؤهم الذين استتبعوهم واستغووهم
وصدوهم عن الاستماع الى الانبيا واتباعهم **تبعا** تابعين جمع تابع على تبع كقولهم خادم وخدم
وغائب وغيب او ذوي تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعا ◦ فان قلت اي فرق بين من في
من عذاب الله ومنه في من شي ◦ قلت الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كانه قيل هل انتم
مغنون عنا بعض الشي الذي هو عذاب الله ويجوز ان تكونا للتبعيض معا بمعنى هل انتم مغنون عنا بعض
شي هو بعض عذاب الله اي بعض بعض عذاب الله ◦ فان قلت فما معنى قوله لو هدانا الله لهديناكم
قلت الذي قال لهم الضعفا كان توبيخا لهم وعتابا على استتباعهم واستغوائهم وقولهم فهل
انتم مغنون عنا من باب التبكيت لانهم قد علموا انهم لا يقدرون على الاغنا عنهم فاجابوهم معتذرين
عما كان منهم اليهم بان الله لو هداهم الى الايمان لهدوهم ولم يضلوهم اما موركين الذنب في ضلالهم
واضلالهم على الله كما حكى الله عنهم وقالوا لو شا الله ما اشركنا ولا اباونا ولو شا الله ما عبدنا
من دونه من شي يقولون ذلك في الاخرة كما يقولونه في الدنيا ويدل عليه قوله حكاية عن المنافقين
يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شي ويجوز ان يكون المعنى لو كنا
من اهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم الى الايمان وقيل معناه لو هدانا الله طريق
النجاة من العذاب لهديناكم اي لاغنيناكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم سبيل الهلكة
سوا علينا اجزعنا ام صبرنا مستو علينا الجزع والصبر والهمزة وام للتسوية ونحوه
اصبروا او لا تصبروا سوا عليكم وروي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم
فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سوا علينا ◦ فان قلت كيف اتصل قوله سوا
علينا بما قبله ◦ قلت اتصاله به من حيث ان عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا لهم سوا
علينا اجزعنا ام صبرنا يريدون انفسهم واياهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها
يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر والامر من ذلك اطم ولما
قالوا لو هدانا الله طريق النجاة لاغنينا عنكم وانجيناكم اتبعوه الاقناط من النجاة فقالوا ما لنا

المحيص

من محيص اي منجى ومهرب جزعنا ام صبرنا ويجوز ان يكون من كلام الضعفا والمستكبرين جميعا
كانه قيل قالوا جميعا سوا علينا كقوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب والمحيص يكون مصدرا
كالمغيب والمشيب ومكانا كالمبيت والمصيف ويقال حاص عنه وجاض بمعنى واحد **لما** قضي
الامر لما قطع الامر وفرغ منه وهو الحساب وتصادر الفريقين ودخول احدهما الجنه ودخول
الاخر النار وروي ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا في الاشقيا من الجن والانس فيقول
ان الله وعدكم وعد الحق وهو البعث والجزا على الاعمال فوفى لكم بما وعدكم ووعدتكم خلاف
ذلك فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان من تسلط وقهر فاقسركم على الكفر والمعاصي
والجيكم اليها **الا** ان دعوتكم الا دعاي اياكم الى الضلالة بوسوستي وتزييني وليس الدعا من
جنس السلطان ولكنه كقولك ما تحيتهم الا الضرب **فلا تلوموني** ولوموا انفسكم حيث اغتررتم
بي واطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم اذ دعاكم وهذا دليل على ان الانسان هو الذي يختار
الشقاوة او السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين
ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر
واجبركم عليه ◦ فان قلت قول الشيطان باطل لا يصح التعلق به ◦ قلت لو كان هذا القول
منه باطلا لبين الله بطلانه واظهر انكاره على انه لا طائل له في النطق بالباطل في ذلك المقام الا
ترى الى قوله ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم كيف اتى فيه بالحق والصدق وفي قوله
وما كان لي عليكم من سلطان وهو مثل قول الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من
الغاوين **ما انا** بمصرخكم وما انتم بمصرخي لا ينجي بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيثه والاصراخ
الاغاثة وقرئ بمصرخي بكسر اليا وهي ضعيفة واستشهدوا لها ببيت مجهول
قال لها هل لك يا تا في ◦ قالت له ما انت بالمرضي ◦ وكانه قدر يا الاضافة ساكنة وقبلها
يا ساكنة فحركها بالكسر لما عليه اصل التقا الساكنين ولكنه غير صحيح لان يا الاضافة لا تكون
الا مفتوحة حيث قبلها الف في نحو عصاي فما بالها وقبلها يا ◦ فان قلت جرت اليا الاولى مجرى
الحرف الصحيح لاجل الادغام فكانها يا وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الاصل
قلت هذا قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل اليه
القياسات **بما** اشركتمون ما مصدرية ومن قبل متعلق باشركتموني يعني كفرت اليوم باشراككم
اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا كقوله ويوم القيمه يكفرون بشرككم ومعنى كفره باشراكهم اياه تبرؤه
منه واستنكاره له كقوله انا برآ منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وقيل من قبل يتعلق بكفرت
وما موصولة اي كفرت من قبل حين ابيت السجود لادم بالذي اشركتمونيه وهو الله عز وجل تقول
شركت زيدا فاذا نقلته بالهمزة قلت اشركنيه فلان اي جعلني له شريكا ونحو ما هذه ما في قولهم سبحان
ما سخركن لنا ومعنى اشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الاوثان وغيرها
وهذا اخر قول ابليس وقوله ان الظالمين لهم عذاب اليم قول الله عز وعلا ويحتمل ان يكون من جملة قول ابليس
وانما حكى الله عز وجل ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين في النظر لعاقبتهم
والاستعداد لما لا بد لهم من الوصول اليه وان يتصوروا في انفسهم ذلك المقام الذي
يقول الشيطان فيه ما يقول فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم ومعنى فلا تلوموني بالبا

على طريقة الالتفات كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقرا الحسن وعمرو بن عبيد رحمهما الله
وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات على فعل المتكلم بمعنى وادخل انا وهذا دليل على ان [illegible]
لا من فعل ابليس باذن ربهم متعلق بادخل اي ادخلتهم الملائكة الجنة باذن الله وامره فان قلت فبم يتعلق
في القراءة الاخرى وقولك وادخلهم انا باذن ربهم كلام غير ملتئم قلت الوجه في هذه القراءة ان يتعلق
قوله باذن ربهم بما بعده اي تحيتهم فيها سلام باذن ربهم يعني ان الملائكة يحيونهم باذن ربهم
قرئ كلمة طيبة ضرب الله مثلا اعتمد مثلا وصفه وكلمة طيبة نصب بمضمر اي
جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه
حلة وحمله على فرس ويجوز ان تنتصب مثلا وكلمة بضرب اي ضرب كلمة طيبة مثلا بمعنى جعلها مثلا ثم قال
كشجرة طيبة على انها خبر مبتدا محذوف بمعنى هي كشجرة طيبة اصلها ثابت يعني في الارض ضارب بعروقه
فيها وفرعها واعلاها ورأسها في السماء ويجوز ان يريد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس وقرا انس بن مالك
كشجرة طيبة ثابت اصلها فان قلت اي فرق بين القراءتين قلت قراءة الجماعة اقوى معنى لان قراءة
انس اجريت الصفة على الشجرة واذا قلت مررت برجل ابوه قائم فهو اقوى معنى من مررت برجل قائم
ابوه لان المخبر عنه انما هو الاب لا الرجل والكلمة الطيبة كلمة التوحيد وقيل كل كلمة حسنة
كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة وعن ابن عباس شهادة ان لا اله الا الله
واما الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك وعن
ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ان الله ضرب مثل المؤمن شجرة فاخبروني
ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صبيا فوقع في قلبي انها النخلة فهبت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اقولها وانا اصغر القوم وروي فمنعني مكان عمر واستحييت فقال لي عمر يا بني لو كنت قلتها لكانت
احب الي من حمر النعم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها النخلة وعن ابن عباس شجرة في الجنة وقوله
في السماء معناه في جهة العلو والصعود ولم يرد المظلة كقولك في الجبل طويل في السماء تريد ارتفاعه
وشموخه تؤتي اكلها كل حين تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها باذن ربها بتيسير خالقها
وتكوينه لعلهم يتذكرون لان في ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعاني كلمة خبيثة
كمثل شجرة خبيثة اي صفتها كصفتها وقرئ ومثل كلمة بالنصب عطفا على كلمة طيبة والكلمة
الخبيثة كلمة الشرك وقيل كل كلمة قبيحة واما الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجر الحنظل
والكشوث ونحو ذلك وقوله اجتثت من فوق الارض في مقابلة قوله اصلها ثابت ومعنى اجتثت استؤصلت
وحقيقة الاجتثاث اخذ الجثة كلها ما لها من قرار اي استقرار يقال قر الشيء قرارا كقولك ثبت
ثباتا شبه بها القول الذي لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت والذي لا يبقى انما يضمحل عن قريب
لبطلانه من قولهم الباطل لجلج وعن قتادة انه قيل لبعض العلماء ما تقول في كلمة خبيثة فقال
ما اعلم لها في الارض مستقرا ولا في السماء مصعدا الا ان تلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها القيامة
القول الثابت الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه فاعتقده واطمأنت اليه نفسه
وتثبيتهم به في الدنيا انهم اذا فتنوا في دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم اصحاب الاخدود والذين
نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بامشاط الحديد وكما ثبت جرجيس وشمسون وغيرهما وتثبيتهم
في الآخرة انهم اذا سئلوا عند تواقف الاشهاد عن معتقدهم ودينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم

اهوال الحشر وقيل معناه الثبات عند سؤال القبر وعن البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له
من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السماء
ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين لم
يتمسكوا بحجة في دينهم وانما اقتصروا على تقليد كبارهم وشيوخهم كما قلد المشركون اباءهم فقالوا
انا وجدنا اباءنا على امة واضلالهم في الدنيا انهم لا يثبتون في مواقف الفتن وتزل اقدامهم اول شيء
وهم في الآخرة اضل وازل ويفعل الله ما يشاء اي ما توجبه الحكمة لان مشيئة الله تابعة للحكمة
من تثبيت المؤمنين وتاييدهم وعصمتهم عند ثباتهم وعزمهم ومن اضلال الظالمين وخذلانهم
والتخلية بينهم وبين شانهم عند زللهم بدلوا نعمة الله اي شكر نعمة الله كفرا لان شكرها
الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكانهم غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا ونحوه
وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكر رزقكم حيث وضعتم التكذيب موضعه ووجه اخر وهو انهم
بدلوا نفس النعمة كفرا على انهم لما كفروها سلبوها فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر حاصلا لهم
الكفر بدل النعمة وهم اهل مكة اسكنهم الله حرمه وجعلهم قوام بيته واكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر العظيم او اصابهم الله بالنعمة في الرخاء والسعة لايلافهم الرحلتين
فكفروا نعمته فضربهم بالقحط سبع سنين فحصل لهم الكفر بدل النعمة وكذلك حين اسروا وقتلوا يوم بدر
قد ذهبت عنهم النعمة وبقي الكفر طوقا في اعناقهم وعن عمر رضي الله عنه هم الافجران من قريش بنو المغيرة
وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا حتى حين وقيل هم متنصرة
العرب جبلة بن الايهم واصحابه واحلوا قومهم ممن تابعهم على الكفر دار البوار دار الهلاك
جهنم عطف بيان لدار البوار ليضلوا قرئ بفتح الياء وضمها فان قلت الضلال
والاضلال لم يكن غرضهم في اتخاذ الانداد فما معنى اللام قلت لما كان الضلال والاضلال نتيجة
اتخاذ الانداد كما كان الاكرام في قولك جئتك لتكرمني نتيجة المجيء دخلته اللام وان لم يكن غرضا على طريق
التشبيه والتقريب تمتعوا ايذان بانهم لانغماسهم في التمتع بالحاضر وانهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه
مامورون به قد امرهم امر مطاع لا يسعهم ان يخالفوه ولا يملكون لانفسهم امرا دونه وهو امر الشهوة
والمعنى ان دمتم على ما انتم عليه من الامتثال لامر الشهوة فان مصيركم الى النار ويجوز ان يراد الخذلان والتخلية
ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار المقول محذوف لان جواب قل يدل عليه وتقديره
قل لعبادي الذين امنوا اقيموا الصلاة وانفقوا يقيموا الصلاة وينفقوا ويجوز ان يكون
يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا ولينفقوا ويكون هو المقول قالوا وانما جاز حذف اللام لان الامر الذي هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا الصلاة
وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز فان قلت علام انتصب سرا وعلانية قلت على الحال اي ذوي سر
وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين او على الظرف اي وقتي سر وعلانية او على المصدر اي انفاق سر وانفاق
علانية والمعنى اخفاء المتطوع به من الصدقات والاعلان بالواجب والخلال المخالة فان قلت كيف
طابق الامر بالانفاق وصف اليوم بانه لا بيع فيه ولا خلال قلت من قبل ان الناس يخرجون اموالهم في عقود
المعاوضات فيعطون بدلا ليأخذوا مثله وفي المكارمات ومهاداة الاصدقاء ليستجروا بهداياهم

امثالها وخيرا منها وابقا الانفاق لوجه الله ذا الصبا كقوله وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغا

وجه ربه الاعلى فلا يفعله الا المومنون الى لكن فيبتغوا عليه ليا خذوا بدله في يوم لا بيع فيه ولا خلال

اي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وانما ينتفعون فيه بالانفاق لوجه الله ... الخلاء ومكارمات وانما ينتفع فيه

بالانفاق لوجه الله وقرى لا بيع فيه ولا خلال بالرفع **الله** مبتدا والذي خلق خبره ومن الثمرات بيان للرزق

اي اخرج به رزقا هو ثمرات ويجوز ان يكون من الثمرات مفعول اخرج ورزقا حالا من المفعول او نصبا على

المصدر من اخرج لانه في معنى رزق **وسخر** لكم الفلك لتجري في البحر بامره بقوله كن وسخر لكم الانهار

والصلاح ما يصلحان من الارض والابدان والنبات **وسخر** لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمعاشكم

وسباتكم **واتاكم** من كل ما سالتموه من للتبعيض اي اتاكم بعض جميع ما سالتموه نظرا في مصالحكم

وقرى من كل بالتنوين وما سالتموه نفي ومحله النصب على الحال اي اتاكم من جميع ذلك غير سائلين

او يكون ما موصولة على واتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ولم تصلح احوالكم ومعايشكم الا به فكانكم

سالتموه او طلبتموه بلسان الحال **لا تحصوها** لا تحصروها ولا تطيقوا عدها وبلوغ آخرها هذا اذا ارادوا

ان يعدوها على الاجمال واما التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه الا الله **لظلوم** كفار يظلم النعمة

باغفال شكرها كفار شديد الكفران لها وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة

يجمع ويمنع والانسان للجنس فيتناول الاخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه **هذا البلد** يعني البلد

الحرام زاده الله امنا وكناه كل باغ وظالم واجاب فيه دعوة خليله ابرهيم **امنا** ذا امن **واذ قال**

... قد سالك ان يجعله من جملة البلاد التي يامن اهلها ولا يخافون وفي الثاني ان يخرجه من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها

من جملة البلاد التي يامن اهلها ولا يخافون وقوله اجعل هذا البلد امنا وسر قوله اجعل هذا بلدا امنا

الامن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله امنا **واجنبني** وقرى واجنبني وفيه ثلث لغات جنبه الشر

وجنبه واجنبه فاهل الحجاز يقولون جنبني شره بالتشديد واهل نجد جنبني شره واجنبني

والمعنى ثبتنا وادمنا على اجتناب عبادتها **وبني** اراد بنيه من صلبه وسئل ابن عيينة كيف

عبدت العرب الاصنام فقال ما عبد احد من ولد اسمعيل صنما **ان نعبد** بقوله واجنبني وبني

ان نعبد الاصنام وانما كانت انصاب حجارة لكل قوم قالوا البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو

البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه الدوار فاستحب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت

انهن اضللن كثيرا من الناس اي لانهن جعلن مضلات لان الناس ضلوا بسببهن فكانهن اضللنهم كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم اي افتتنوا بها واغتروا

بسببها **فمن تبعني** على ملتي وكان حنيفا مسلما مثلي **فانه** مني اي هو بعضي لفرط اختصاصه

بي وملابسته لي وكذا قوله من غشنا فليس منا اي ليس بعض المؤمنين على ان الغش ليس

من افعالهم واوصافهم **ومن عصاني** فانك غفور رحيم تغفر له ما سلف منه من عصياني اذا بدا له

فيه واستحدث الطاعة لي وقيل معناه ومن عصاني فيما دون الشرك **ربنا اني اسكنت من ذريتي** بعض اولادي

وهم اسمعيل ومن ولد منه **بواد** هو وادي مكة **غير ذي زرع** لا يكون فيه شي من زرع قط

كقوله قرانا عربيا غير ذي عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه الا الاستقامة لا غير

عند بيتك المحرم اي الذي حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه

وقيل للبيت المحرم لان الله حرم التعرض

اولانه لم يزل ممتنعا عزيزا يهابه كل جبار كالشي المحرم الذي حقه ان يجتنب اولانه

محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها اولانه حرم على الطوفان اي منع منه كما سمي عتيقا

لانه اعتق منه فلم يستول عليه **ليقيموا الصلوة** اللام متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم

بهذا الوادي الخلاء البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا ليقيموا الصلوة عند بيتك المحرم

ويعمروه بذكرك وعبادتك وما تعمر به مساجدك ومتعبداتك متبركين بالبقعة التي

شرفتها على البقاع مستسعدين بجوارك الكريم متقربين اليك بالعكوف عند بيتك والطواف

به والركوع والسجود حوله مستنزلين الرحمة التي اثرت بها سكان حرمك **فاجعل افئدة** من الناس افئدة

من افئدة الناس ومن للتبعيض ويدل عليه ما روي عن مجاهد لو قال افئدة الناس لزحمتكم

عليه فارس والروم وقيل لو لم يقل من لازدحموا عليه حتى الروم والترك والهند ويجوز ان

تكون من للابتدا كقولك القلب مني سقيم تريد قلبي فكانه قيل افئدة ناس وانما نكرت المضاف

اليه في هذا التمثيل لتنكير افئدة لانها في الاية نكرة ليتناول بعض الافئدة وقري افئدة

بوزن عافدة وفيه وجهان ان يكون من القلب كقولهم ادر في ادور والثاني ان

يكون اسم فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة او جماعات يرتحلون اليهم ويعجلون نحوهم

وقري افدة وفيه وجهان ان يكون مطرح الهمزة للتخفيف وطرحها ان يحذف باخراجها بين بين

تهوي اليهم تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا من قوله

يهوي مخارمها هوي الاجدل

وقري تهوى اليهم على البنا للمفعول من هوى اليه

واهواه غيره وتهوى اليهم من هوي يهوى اذا احب ضمن معنى تنزع فعدي تعديته

وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا ما فيه شي منها بان تجلب اليهم من البلاد

لعلهم يشكرون النعمة في ان يرزقوا انواع الثمرات حاضرة في واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ما لا جرم ان الله عز وجل

اجاب دعوته فجعله حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شي رزقا من لدنه ثم فضله في وجود اصناف

الثمار فيه على كل ريف وعلى اخصب البلاد واكثرها ثمارا وفي اي بلد من بلاد الشرق والغرب ترى

الاعجوبة التي يريكها الله بواد غير ذي زرع وهي اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الازمان

من الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد وليس ذلك من اياته بعجيب متعنا الله بسكنى

حرمه ووفقنا لشكر نعمه وادام لنا التشرف بالدخول تحت دعوة ابرهيم ورزقنا طرفا من سلامة

ذلك القلب السليم **ربنا** النداء المكرر دليل التضرع واللجا الى الله **انك تعلم** ما نخفي وما نعلن تعلم

السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه لان غيبا من الغيوب لا يخفى عليك والمعنى انك اعلم باحوالنا

وما يصلحنا وما يفسدنا وانت ارحم بنا وانصح لنا منا بانفسنا ولها فلا حاجة الى الدعا والطلب وانما

ندعوك اظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا الى ما عندك واستعجالا

لنيل ايديك وولها الى رحمتك وكما يتملق العبد بين يدي سيده رغبة في اصابة معروفه مع توفر

السيد على حسن الملكة وعن بعضهم انه رفع حاجته الى كريم فابطا عليه النجح فاراد ان يذكره

فقال مثلك لا يذكر استقصارا ولا توهما للغفلة عن حوائج السائلين ولكن ذا الحاجة لا تدعه

حاجته ان لا يتكلم فيها وقيل ما نخفي من الوجد لما وقع بيننا من الفرقة وما نعلن من البكا والدعا

وقيل ما نخفي من كآبة الافتراق وما نعلن يريد ما جرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع
إلى من تكلنا قال إلى الله أكلكم قالت آلله أمرك بهذا قال نعم قالت إذاً لا نخشى تركتنا إلى كاف وما
يخفى على الله من شيء من كلام الله عز وجل تصديقاً لإبراهيم عليه السلام كقوله وكذلك يفعلون أو من كلام
إبراهيم يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب من شيء في كل مكان ومن للاستغراق كأنه قيل وما
يخفى عليه شيء ما على في قوله على الكبر بمعنى مع كقوله إني على ما ترين من كبري أعلم من حيث تؤكل الكتف
وهو في موضع الحال ومعناه وهب لي وأنا كبير وفي حال الكبر روي أن إسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين
سنة وولد له إسحق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة وقد روي أنه ولد له إسمعيل لأربع وستين وإسحق
لتسعين وعن سعيد بن جبير لم يولد لإبراهيم إلا بعد مائة وسبع عشرة سنة وإنما ذكر حال الكبر
لأن المنة بهبة الولد فيها أعظم من حيث إنها حال وقوع اليأس من الولادة والظفر بالحاجة
على عقب اليأس من أجل النعم وأحلاها في نفس الظافر ولأن الولادة في تلك السن العالية كانت
آية لإبراهيم إن ربي لسميع الدعاء كان قد دعا ربه وسأله الولد فقال رب هب لي من الصالحين
فشكر لله ما أكرمه به من إجابته فإن قلت الله تعالى يسمع كل دعاء أجابه أو لم يجبه قلت
هو من قولك سمع الملك كلام فلان إذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده وفي الحديث ما أذن الله لشيء
كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن فإن قلت ما هذه الإضافة إضافة السميع إلى الدعاء قلت الإضافة
إلى مفعوله وأصله لسميع الدعاء وقد ذكر سيبويه فعيلاً في جملة أبنية المبالغة العاملة
عمل الفعل كقولك هذا ضروب زيداً وضراب أخاه ومنحار إبله وحذر أموراً ورحيم أباه
ويجوز أن يكون من إضافة فعيل إلى فاعله ويجعل دعاء الله سميعاً على الإسناد المجازي والمراد
سماع الله ومن ذريتي وبعض ذريتي عطفاً على المنصوب في اجعلني وإنما بعض لأنه علم بإعلام الله
أنه يكون في ذريته كفار وذلك قوله لا ينال عهدي الظالمين وتقبل دعاء أي عبادتي واعتزلكم
وما تدعون من دون الله وفي قراءة أبي ولأبوي وقرأ سعيد بن جبير ولوالدي على الإفراد يعني أباه
وقرأ الحسن بن علي رضي الله عنهما ولولدي يعني إسمعيل وإسحق وقرئ لولدي بضم الواو والولد بمعنى
الولد كالعدم والعدم وقيل جمع ولد كأسد في أسد وفي بعض المصاحف ولذريتي فإن قلت
كيف جاز له أن يستغفر لأبويه وكانا كافرين قلت هو من مجوزات العقل لا يعلم امتناع جوازه إلا
بالتوقيف وقيل أراد بوالديه آدم وحواء وقيل بشرط الإسلام ويأباه قوله إلا قول إبراهيم
لأبيه لأستغفرن لك لأنه لو شرط الإسلام لكان استغفاراً صحيحاً لا مقال فيه فكيف يستثني الاستغفار
الصحيح من جملة ما يؤتسى فيه بإبراهيم يوم يقوم الحساب أي يثبت وهو مستعار من قيام القائم على
الرجل والدليل عليه قولهم قامت الحرب على ساقها ونحوه قولهم ترجلت الشمس إذا أشرقت وثبت
ضوؤها كأنها قامت على رجل ويجوز أن يسند إلى الحساب قيام أهله إسناداً مجازياً أو يكون مثل
واسأل القرية وعن مجاهد قد استجاب الله لإبراهيم دعوته فلم يعبد أحد من ولده صنماً بعد
دعوته وجعل البلد آمناً ورزق أهله وجعله إماماً وجعل في ذريته من يقيم الصلاة وأراه
مناسكه وتاب عليه وعن ابن عباس أنه قال كان الطائف من أرض فلسطين فلما قال إبراهيم
ربنا إني أسكنت الآية رفعها الله فوضعها حيث وضعها رزقاً للحرم

السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم
الله غافلاً فإن قلت إن كان خطاباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أعلم الناس به غافلاً حتى قيل له ولا تحسبن
عليه من أنه لا يحسب الله غافلاً كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله إلهاً آخر كما جاء في الأمر
يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والثاني أن المراد بالنهي عن حسبانه غافلاً الإيذان بأنه عالم
بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وأنه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد
والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم يريد الوعيد ويجوز أن يراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل
عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وإن كان خطاباً لغيره ممن يجوز
أن يحسبه غافلاً لجهله بصفاته فلا سؤال فيه وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم
فقيل له من قال هذا فغضب وقال إنما قاله من علمه وقرئ نؤخرهم بالنون والياء تشخص فيه الأبصار
أي أبصارهم لا تقر في أماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين إلى الداعي وقيل الإهطاع
أن تقبل ببصرك على المرئي تديم النظر إليه لا تطرف مقنعي رؤوسهم رافعيها لا يرتد إليهم طرفهم
لا يرجع إليهم أن يطرفوا بعيونهم أي لا يطرفون ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك للأجفان
أو لا يرجع إليهم نظرهم فينظروا إلى أنفسهم الهواء الخلاء الذي لم تشغله الأجرام يوصف به فيقال قلب
فلان هواء إذا كان جباناً لا قوة في قلبه ولا جرأة ويقال للأحمق أيضاً قلبه هواء قال زهير
من الظلمان جؤجؤه هواء وعن ابن جريج أفئدتهم هواء صفر من الخير خاوية منه وقال
أبو عبيدة جوف لا عقول لهم يوم يأتيهم العذاب مفعول ثان لأنذر وهو يوم القيامة ومعنى أخرنا
إلى أجل قريب ردنا إلى الدنيا وأمهلنا إلى أمد وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من إجابة دعوتك
واتباع رسلك أو أريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل أو يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء
الملائكة بلا بشرى وأنهم يسألون يومئذ أن يؤخرهم ربهم إلى أجل قريب كقوله لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق
أولم تكونوا أقسمتم على إرادة القول وفيه وجهان أن يقولوا ذلك بطراً وأشراً ولما استولى عليهم من
عادة الجهل والسفه وأن يقولوه بلسان الحال حيث بنوا شديداً وأملوا بعيداً وما لكم جواب القسم
وإنما جاء بلفظ الخطاب لقوله أقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل ما لنا من زوال والمعنى أقسمتم
أنكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء وقيل لا تنتقلون إلى دار أخرى يعني كفرهم بالبعث كقوله
وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه قوله تعالى وسكنتم
في مساكن الذين ظلموا أنفسهم لأن السكنى من السكون الذي هو اللبث والأصل تعديه بفي كقولك
قر في الدار وغني فيها وأقام فيها ولكنه لما نقل إلى سكنى خاص تصرف فيه فقيل سكن
الدار كما قيل تبوأها وأوطنها ويجوز أن يكون من السكون أي قروا فيها واطمأنوا طيبي النفوس
سائرين سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقي الأولون من أيام الله وكيف كان عاقبة
ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا وتبين لكم بالأخبار والمشاهدة ما فعلنا بهم من الهلاك والانتقام منهم وقرئ
ونبين لكم بالنون وضربنا لكم الأمثال أي صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهي في الغرابة كالأمثال المضروبة
لكل ظالم وقد مكروا مكرهم أي مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم وعند الله مكرهم لا يخلو
إما أن يكون مضافاً إلى الفاعل كالأول على أن المعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه

بمكرهم هو أعظم منه أو يكون مضافا الى المفعول على معنى وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو
عذابهم الذي يستحقونه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال
وإن عظم مكرهم وتبالغ في الشدة فضرب زوال الجبال مثلا لتفاقمه وشدته أي وإن كان مكرهم مسوى
لإزالة الجبال معدا لذلك وقد جعلت إن نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله
ليضيع إيمانكم والمعنى ومحال أن تزول الجبال بمكرهم على أن الجبال مثل لآيات الله وشرائعه لأنها
بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا وينصره قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم وقرأ الكسائي لتزول
بلام الابتداء على وإن كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع عن أماكنها وقرئ إن
وعمر رضي الله عنهما وإن كاد مكرهم مخلف وعده رسله يعني قوله إنا لننصر رسلنا كتب الله
لأغلبن أنا ورسلي فإن قلت هلا قيل مخلف رسله وعده ولم قدم المفعول الثاني على
الأول قلت قدم الوعد ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلا كقوله إن الله لا يخلف الميعاد
ثم قال رسله ليؤذن أنه إذا لم يخلف وعده أحدا وليس من شأنه إخلاف المواعيد كيف يخلف رسله
الذين هم خيرته وصفوته وقرئ مخلف وعده رسله بجر الرسل ونصب الوعد وهذا في الضعف
كمن قرأ قتل أولادهم شركائهم عزيز غالب لا يماكر ذو انتقام لأوليائه من أعدائه يوم تبدل
الأرض انتصابه بمضمر أو على الظرف للانتقام والمعنى يوم تبدل هذه الأرض التي
تعرفونها أرضا أخرى غير هذه المعروفة وكذلك السموات والتبديل يكون في الذات
كقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين وفي الأوصاف
كقولك بدلت الحلقة خاتما إذا أذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل إلى شكل ومنه قوله تعالى
فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات واختلف في تبديل السموات والأرض فقيل تبدل أوصافها فتسير
عن الأرض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا ترى فيها عوجا ولا أمتا وعن ابن عباس هي تلك الأرض وإنما
تغير وأنشد وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت تعلم وتبدل
السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها أبوابا وقيل يخلق بدلها
أرض وسموات أخر وعن ابن مسعود يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة وعن علي
رضي الله عنه تبدل الأرض من فضة والسموات من ذهب وعن الضحاك أرضا من فضة بيضاء كالصحائف
وقرئ يوم نبدل الأرض بالنون فإن قلت كيف قال الواحد القهار ولم قال لمن
الملك اليوم لله الواحد القهار لأن الملك إذا كان لواحد غلاب لا يغالب ولا يعاز فلا مستغاث
لأحد إلى غيره ولا مستجار على أن الأمر في غاية الصعوبة والشدة مقرنين قرن بعضهم مع
بعض وقرنت أيديهم إلى أرجلهم بالأغلال وقوله في الأصفاد إن تعلق بمقرنين
أي يقرن في الأصفاد وإما أن لا يتعلق به فيكون المعنى مقرنين مصفدين والأصفاد القيود
والأغلال وأصله الشد سرابيلهم قمصانهم من قطران وجاء قطران وقطران بفتح القاف وكسرها مع سكون الطاء وهو ما يتحلب
القطران فيه ثلاث لغات قطران وقطران وقطران وهو ما يتحلب
من شجر يسمى الأبهل فيطبخ فتهنأ به الإبل الجربى فيحرق الجرب بحدته والجلد وقد

تبلغ حرارته الجوف ومن شأنه أن يسرع فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو أسود اللون منتن
الريح فتطلى به جلود أهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهي القمص ليجتمع عليهم لذع القطران
وحرقته وإسراع النار في جلودهم واللون الوحش ونتن الريح على أن التفاوت
بين النارين وكل ما وعده الله أو أوعد به في الآخرة فبينه وبين ما نشاهد من جنسه ما لا يقادر
قدره وكأنه ما عندنا منه إلا الأسامي والمسميات ثمة فنعوذ بكرمه الواسع من سخطه ونسأله
التوفيق فيما ينجينا من عذابه وقرئ من قطر آن والقطر النحاس أو الصفر المذاب والآني المتناهي
حره وتغشى وجوههم النار كقوله أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم يسحبون في النار على
وجوههم لأن الوجه أعز موضع في ظاهر البدن وأشرفه كالقلب في باطنه ولذلك قال تطلع على
الأفئدة وقرئ وتغشى بمعنى تتغشى أي تتغشاها ليجزي الله أي يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزي الله
كل نفس من مجرمة ومطيعة لأنه إذا عاقب المجرمين لإجرامهم علم أنه يثيب المطيعين لطاعتهم ما كسبت
هذا بلاغ للناس كفاية لهم في التذكير والموعظة يعني بهذا ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله إلى قوله
سريع الحساب ولينذروا به معطوف على محذوف أي لينصحوا ولينذروا به بهذا البلاغ وقرئ ولينذروا
بفتح الياء من نذر به إذا علمه واستعد له وليعلموا أنما هو إله واحد لأنهم إذا خافوا ما أنذروا
به دعتهم المخافة إلى النظر حتى يتوصلوا إلى التوحيد لأن الخشية أم الخير كله وليذكر أولو
الألباب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة إبراهيم أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل من عبد الأصنام وعدد
من لم يعبد

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات آيات الكتاب
والقرآن مبين أي آيات السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الجامع للكمال والغرابة في البيان كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال الكامل في كونه كتابا
وبالقرآن المبين مع الجمعية ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حين عاينوا حال المسلمين ورب للتقليل
وقد تستعمل للتكثير ومعناه أن الكفار يودون عند الموت ويوم القيامة إذا عاينوا حال المسلمين
... [illegible]
ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون ... [illegible]

والصبر عند بالذكر والنصيحة وخلهم يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم ويلههم أملهم ويشغلهم
املهم وتوقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال وان لا يلقوا في العاقبة الا خيرا فسوف يعلمون
سوء صنيعهم والغرض الايذان بانهم من اهل الخذلان وانهم لا يرجى منهم الا ما هم فيه وانه لا زاجر لهم ولا
واعظ الا معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ ولا سبيل الى اتعاظهم قبل ذلك فامر رسوله صلى الله عليه وسلم
بان يخليهم وشانهم ولا يشتغل بما لا طائل تحته وان يبالغ في تخليتهم حتى يامرهم بما لا يزيدهم الا ندما في العاقبة
وفيه الزام للحجة ومبالغة في الانذار واعذار فيه وفيه تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدي
اليه طول الامل وهذه هجيرى اكثر الناس ليس من اخلاق المؤمنين وعن بعضهم التمرغ في الدنيا
من اخلاق الهالكين **ولها كتاب** جملة واقعة صفة لقرية والقياس ان لا يتوسط الواو بينهما
كما في قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت لتاكيد لصوق الصفة
بالموصوف كما يقال في الحال جاءني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب **كتاب** معلوم مكتوب معلوم وهو
اجلها الذي كتب في اللوح وبين الا ترى الى قوله ما تسبق من امة اجلها في موضع كتابها وانث الامة
اولا ثم ذكرها اخرا حملا على اللفظ والمعنى وقال يستاخرون بحذف عنه لانه معلوم وقالوا يا
ايها الذي نزل عليه الذكر وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم
الذي ارسل اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه الى الجنون والتعكيس في
كلامهم للاستهزاء والتهكم مذهب واسع وقد جاء في كتاب الله في مواضع منها فبشرهم بعذاب
انك لانت الحليم الرشيد وقد يوجد كثيرا في كلام العجم والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعي ان الله نزل
عليك الذكر **لو** ركبت مع لا وما لمعنيين معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التحضيض واما هل
فلم تركب الا مع لا وحدها للتحضيض قال ابن مقبل لوما الحياء ولوما الدين عبتكما ببعض ما فيكما اذ عبتما عوري
والمعنى هلا تاتينا بالملائكة يشهدون بصدقك ويعضدونك على انذارك كقوله لولا انزل اليه
ملك فيكون معه نذيرا او هلا تاتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا كما كانت تاتي الامم
المكذبة برسلها وقرئ تنزل بمعنى تتنزل وتنزل على البناء للمفعول من نزل وننزل الملائكة بالنون
ونصب الملائكة **الا بالحق** الا تنزلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في ان تاتيكم عيانا
تشاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم لانكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله
قوله عز وجل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقيل الحق الوحي او العذاب **واذن** جواب وجزاء
لانه جواب لهم وجزاء الشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما اخر عذابهم
انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم في قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر ولذلك قال
انا نحن فاكد عليهم انه هو المنزل على القطع والبتات وانه هو الذي بعث به جبريل الى محمد
صلى الله عليه وسلم وبين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوظا من الشياطين وهو حافظه في كل
وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها
الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فكان التحريف ولم يكل القرآن الى غير حفظه فان قلت
فحين كان قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ردا لانكارهم واستهزائهم فكيف اتصل به

وانا له لحافظون قلت قد جعل ذلك دليلا على انه منزل من عنده آية لانه لو كان من قول البشر
او غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه
وقيل الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله يعصمك **في شيع** الاولين في فرقهم وطوائفهم
والشيعة الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة ومعنى ارسلنا فيهم نبأناه فيهم وجعلناه رسولا
فيما بينهم وما ياتيهم حكاية حال ماضية لان ما لا تدخل على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض
الا وهو قريب من الحال يقال سلكت الخيط في الابرة واسلكته اذا ادخلته فيها ونظمته
والضمير للذكر اي مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر في قلوب المجرمين على معنى انه يلقيه
في قلوبهم مكذبا مستهزأ به غير مقبول كما لو انزلت بلئيم حاجة فلم يجبك اليها فقلت كذلك انزلها
باللئام تعني مثل هذا الانزال انزلها بهم مردودة غير مقضية ومحل قوله لا يؤمنون به النصب على الحال
اي غير مؤمن به او هو بيان لقوله كذلك نسلكه **سنة** الاولين اي طريقتهم التي سنها الله في اهلاكهم
حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم
سكرت حيرت او حبست من الابصار من السكر او السكر وقرئ يعرجون بالضم
اي حبست كما يحبس النهر من الجري وقرئ سكرت من السكر اي حارت وقرئ سكرت بالتخفيف
والمعنى ان هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم في العناد ان لو فتح لهم باب من ابواب السماء ويسر لهم معراج
يصعدون فيه اليها ورأوا من العيان ما رأوا لقالوا هو شيء نتخايله لا حقيقة له ولقالوا قد سحرنا
محمد بذلك وقيل الضمير للملائكة اي لو اريناهم الملائكة يصعدون في السماء عيانا لقالوا ذلك وذكر
الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما ليدل على انهم يبتون القول بان ذلك
ليس الا تسكيرا للابصار **من السمع** في محل النصب على الاستثناء وعن ابن عباس انهم كانوا لا يحجبون
عن السموات فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها
شهاب مبين ظاهر للمبصرين موزون وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار يقتضيه لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان
او له وزن وقدر في ابواب النعمة والمنفعة وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد
وغيرها **معايش** بياء صريحة بخلاف الشمائل والخبائث ونحوها فان تصريح الياء فيها خطأ والصواب
الهمزة او اخراج الياء بين بين وقرئ معائش بالهمز على التشبيه **ومن لستم** له برازقين عطف على معايش
او على محل لكم كانه قيل وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين
والخدم الذين يحسبون انهم يرزقونهم ويخطئون فان الله هو الرزاق يرزقهم واياهم ويدخل
فيه الانعام والدواب وكل ما بتلك المثابة مما الله رازقه وقد سبق الى ظنهم انهم الرازقون ولا يجوز
ان يكون مجرورا عطفا على الضمير المجرور في لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور وذكر الخزائن
تمثيل والمعنى وما من شيء ينتفع به العباد الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به وما
ننزله الا بمقدار معلوم نعلم انه مصلحة له فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور
لواقح فيه قولان احدهما ان الريح لاقح اذا جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر كما قيل للتي لا تاتي بخير ريح عقيم
والثاني ان اللواقح بمعنى الملاقح كما قال ومختبط مما تطيح الطوائح
يريد المطاوح جمع مطيحة وقرئ وارسلنا الريح على تاويل الجنس **فاسقيناكموه** فجعلناه

نبأناه

يبتون

وجعلنا لكم من لستم له برازقين او وجعلنا لكم فيها معايش

عوري

للعقاب

وان من شئ الا عندنا خزائنه
اكم سقيا وما انتم له بخازنين نفى عنهم ما اثبته لنفسه في قوله على خلقه في السما وانزل الماء منها وما انتم عليه بقادر
كانه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه في السما وانزاله منها وانا لنحن نحيي ونميت
دلالة على عظيم قدرته واظهار العجز هم ونحن الوارثون اي الباقون بعد هلاك الخلق كله وقيل
دلالة على عظيم قدرته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في دعائه واجعله
الباقي وارثا استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه ولقد علمنا المستقدمين منكم من استقدم ولادة وموتا ومن تاخر من الاولين والاخرين او من خرج من اصلاب الرجال
الوارثين ولقد علمنا المستاخرين المستقدمين في صفوف القتال
ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام وسبق الى الطاعة ومن تاخر
الجماعة والمستاخرين وروي ان امراة حسنا كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان
بعض القوم يستقدم لئلا ينظر اليها وبعض يستاخر ليبصرها فنزلت وان ربك هو يحشرهم اي هو وحده القادر
على حشرهم والعالم بحصرهم مع افراط كثرتهم وتباعد اطراف عددهم انه حكيم عليم باهر الحكمة
واسع العلم يفعل كل ما يفعل على مقتضى الحكمة والصواب وقد احاط علما بكل شي ولقد خلقنا الانسان من صلصال
اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار قالوا اذا توهمت في صوته مدا فهو
صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن والحما الطين
الاسود المتغير والمسنون المصور من سنة الوجه وقيل المصبوب المفرغ اي افرغ صورة
انسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذابة في امثلتها وقيل المنتن من سننت الحجر على الحجر
اذا حككته به فالذي يسيل بينهما يكون منتنا من حما صفة صلصال اي خلقه
من صلصال كائن من حما وحما مسنون بمعنى مصور ان يكون صفة لصلصال كانه افرغ الحما
منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر اخر والجان ابا الجن
للناس وقيل هو ابليس وقرا الحسن وعمرو بن عبيد والجان بالهمز من قبل من نار السموم من نار الحر الشديد
النافذ في المسام وقيل هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم النار التي خلق الله منها الجان
واذ قال ربك واذكر وقت قوله للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فاذا سويته عدلت خلقته واكملتها وهياتها لنفخ الروح فيها
ونفخت فيه من روحي واحييته وليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيى به فيه
واستثني ابليس من الملائكة لانه كان بينهم ماموما معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثني
بعد التغليب كقولك رايتهم الا هندا ابى استيناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد فقيل
ابى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن ابليس ابى حرف الجر ان محذوف بتقديره مالك
فان لا تكون مع الساجدين معناه اي غرض لك في اباءك السجود واي داع لك اليه الا ما في ابعد
لتاكيد النفي ومعناه لا يصح مني وينافي حالي ان اسجد لبشر رجيم شيطان من الذين
يرجمون بالشهب او مطرود من رحمة الله لان من يطرد يرجم بالحجارة ومعناه ملعون لان اللعين
هو الطرد من الرحمة والابعاد منها والضمير في منها راجع الى الجنة او السما او الى جملة الملائكة
وضرب يوم الدين حدا للعنة اما لانه ابعد غاية يضربها الناس في كلامهم كقوله ما دامت السموات والارض او لان
والاصغر التابيد واما ان يراد انك مذموم مدعو عليك باللعنة في السموات والارض الى يوم الدين ومن غير ان تعذب فاذا جا ذلك اليوم عذبت بما ينسي اللعن معه ويوم يبعثون

المعلوم في معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة وقيل
انما سال الانظار الى اليوم الذي فيه يبعثون لئلا يموت لانه لا يموت يوم البعث احد فلم يجب الى ذلك
وانظر الى اخر ايام التكليف قال رب بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم لازينن والمعنى
اقسم باغوائك اياي لازينن لهم ومعنى اغوائه اياه تسببه لغيه بان امره بالسجود فافضى ذلك الى غيه وما الامر بالسجود الا حسن وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع لامر الله
ولكن ابليس اختار الاباء والاستكبار فهلك والله تعالى بري من غيه ومن ارادته والرضى به ونحو قوله فبما اغويتني
لازينن قوله فبعزتك لاغوينهم في انه اقسام الا ان احدهما اقسام بصفته والثاني اقسام بفعله وقد فرق
الشرع بينهما ويجوز ان لا يكون قسما ونقدر قسم محذوف ويكون المعنى بسبب تسببك لاغوائي اقسم
لافعلن بهم نحو ما فعلت بي من التسبب لاغوائهم بان ازين لهم المعاصي واسوس اليهم ما يكون سبب
هلاكهم في الارض في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى اخلد الى الارض واتبع هواه او اراد اني اقدر
على الاحتيال لادم والتزيين له في الاكل من الشجرة وهو في السما فانا على التزيين لاولاده في الارض اقدر
او اراد اجعل مكان التزيين عندهم الارض ولاوقعن تزيين فيها اي لازيننها في اعينهم ولاحدثنهم
بان الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحبوها على الاخرة ويطمئنوا اليها دونها ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم
المخلصين استثنى المخلصين لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه اي هذا طريق حق علي ان اراعيه
وهو ان لا يكون لك سلطان على عبادي الا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقرى علي وهو من علو
الشرف والفضل وان جهنم لموعدهم الضمير للغاوين وقيل ابواب النار اطباقها وادراكها فاعلاها للموحدين
والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع
للمنافقين وعن ابن عباس ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام
وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين وقرى جزء بالتخفيف والتثقيل
وقرا الزهري جز بالتشديد كانه حذف الهمزة والقى حركتها على الزاي كقولك خب في خبء
ثم وقف عليه بالتشديد كقولهم الرجل ثم اجري الوصل مجرى الوقف الوصل المتقي على الاطلاق يتقي
ما يجب اتقاوه مما نهي عنه وعن ابن عباس ان المراد بهم الذين اتقوا الكفر والفواحش ولهم ذنوب تكفرها
الصلوات وغيرها ادخلوها على ارادة القول وقرا الحسن ادخلوها بسلام سالمين او مسلما
عليكم تسلم عليكم الملائكة الغل الحقد الكامن في القلب من انغل اذا تغلغل في جوفه وتغلغل اي ان
كان لاحدهم في الدنيا غل على اخر نزع الله ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن علي رضي الله عنه ارجو ان
اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم وعن الحرث الاعور كنت جالسا عنده اذ جا ابن طلحة فقال له
علي رضي الله عنه مرحبا بك يا ابن اخي اما والله اني لارجو ان اكون انا وابوك ممن قال الله تعالى
ونزعنا ما في صدورهم من غل فقال له قائل كلا الله اعدل من ان يجمعك وطلحة في مكان واحد فقال
فلمن هذه الاية لا ابا لك وقيل معناه طهر الله قلوبهم من ان يتحاسدوا على الدرجات في الجنة
ونزع منها كل غل والقى فيها التواد والتحاب اخوانا نصب على الحال على سرر متقابلين لا ينظر
بعضهم الى قفا بعض وقيل متقابلين في جميع احوالهم لما اتم ذكر الوعد
والوعيد اتبعه نبئ عبادي تقريرا لما ذكر وتمكينا له في النفوس وعن ابن عباس غفور

لمن تاب وعذابه لمن أصر ... وعطف ونبئهم على نبئ عبادي ليتخذوا ما أحل ... عبرة

يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عدله ... أن عذابه هو العذاب الأليم

سلاما أي نسلم عليك سلاما أو سلمت سلاما ... [illegible]

وقيل لأنهم دخلوا بغير إذن ... وقرئ لا توجل ... [illegible]

إنا نبشرك ... [illegible]

قال أبشرتموني على أن مسني الكبر ... [illegible]

فبم تبشرون ... [illegible]

... [illegible]

قالوا بشرناك بالحق ... [illegible]

... فلا تكن من القانطين ... [illegible]

قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ... [illegible]

قال فما خطبكم أيها المرسلون ... [illegible]

قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين ... [illegible]

إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين ... [illegible]

... [illegible]

إلا امرأته ... [illegible]

اختلف الحكم لأن الآل ... [illegible]

قدرنا إنها لمن الغابرين ... [illegible]

فلما جاء آل لوط المرسلون ... [illegible]

قال إنكم قوم منكرون ... [illegible]

قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون ... [illegible]

وأتيناك بالحق وإنا لصادقون ... [illegible]

فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون ... [illegible]

وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ... [illegible]

وجاء أهل المدينة يستبشرون ... [illegible]

قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون ... واتقوا الله ولا تخزون ... [illegible]

من الخزي وهو الهوان او ولا تشوروا بي من الخزايه وهي الحيا عن العالمين عن ان تجير منهم احدا
او تدفع عنهم او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان يقوم صلى الله عليه
بالنهي عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له فاوعدوه وقالوا لين لم تنته يا لوط لتكونن
من المخرجين وقيل عن ضيافه الناس وانزالهم وكانوا نهوه ان يضيف احدا قط هولا بناتي
اشاره الى النسا لان كل امه اولاد نبيها رجالهم بنوه ونساوهم بناته فكانه قال هولا بناتي
فانكحوهن وخلوا بني فلا تتعرضوا لهم ان كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله كانه قال ان فعلتم
ما اقول لكم وما اظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضا الشهوه فيما احل الله دون ما
حرم لعمرك على اراده القول اي قالت الملايكه للوط عليه السلم لعمرك انهم لفي سكرتهم اي
غوايتهم التي اذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطا الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير
عليهم من ترك البنين الى البنات يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون الى نصيحتك
وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه اقسم بحياته وما اقسم بحياه احد قط كرامه
له والعمر والعمر واحد الا انهم خصوا القسم بالمفتوح لايثار الاخف فيه وذلك لان الحلف
كثير الدور على السنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره لعمرك مما اقسم به كما حذفوا الفعل
في قولك بالله وقرى في سكرهم وفي سكراتهم الصيحه صيحه جبريل عليه السلم مشرقين داخلين في
الشروق وهو بزوغ الشمس من سجيل قيل من طين عليه كتاب من السجل ودليله قوله تعالى حجاره
من طين مسومه عند ربك اي معلمه بكتاب للمتوسمين للمتفرسين المتاملين وحقيقه المتوسمين
النظار المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقه سمه الشي يقال توسمت في فلان كذا اي عرفت
وسمته فيه والضمير في عاليها سافلها للقرى قوم لوط وانها وان هذه القرى يعني اثارها لبسبيل
مقيم ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك الاثار وهو تنبيه لقريش كقوله
وانكم لتمرون عليهم مصبحين اصحاب الايكه قوم شعيب وانهما يعني قرى قوم لوط والايكه وقيل
الضمير للايكه ومدين لان شعيبا عليه السلم كان مبعوثا اليهما فلما ذكر الايكه دل بذكرها على
مدين فجا بضميرهما لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يوتم به فسمي به الطريق ومطمر
البنا واللوح الذي يكتب فيه لانها مما يوتم به اصحاب الحجر ثمود والحجر واديهم وهو بين المدينه
والشام المرسلين يعني بتكذيبهم صالحا لان من كذب واحدا منهم فكانما كذبهم جميعا
او اراد صالحا ومن معه من المومنين كما قيل الخبيبون في ابن الزبير واصحابه وعن جابر قال
مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا
انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هولا ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم
راحلته فاسرع حتى خلفها امنين لوثاقه البيوت واستحكامها من ان تتهدم ويتداعى بنيانها
ومن نقب اللصوص ومن الاعدا وحوادث الدهر او امنين من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم
منه ما كانوا يكسبون من بنا البيوت الوثيقه والاموال والعدد الا بالحق الا خلقا ملتبسا
بالحق والحكمه لا باطلا وعبثا او بسبب العدل والانصاف يوم الجزا على الاعمال وان الساعه

لاتيه وان الله ينتقم لك فيها من اعدايك ويجازيك واياهم على حسناتك وسياتهم فانه
ما خلق السموات والارض وما بينهما الا لذلك فاصفح فاعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم اعراضا
جميلا بحلم واغضا وقيل هو منسوخ بايه السيف ويجوز ان يراد به المخالقه فلا يكون منسوخا
ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وهو العليم بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري بينكم
وهو يحكم بينكم او ان ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم
اصلح الى ان يكون السيف اصلح وفي مصحف ابي وعثمن ان ربك هو الخالق وهو يصلح للقليل
والكثير والخلاق للكثير لا غير كقولك قطع الثياب وقطع الثوب والثياب سبعا سبع
ايات وهي الفاتحه او سبع سور وهي الطوال واختلف في السابعه فقيل الانفال وبراه لانهما
في حكم سوره واحده ولذلك لم يفصل بينهما بايه التسميه وقيل سوره يونس وقيل هي ال حم او سبع
صحايف وهي الاسباع والمثاني من التثنيه وهي التكرير لان الفاتحه مما تكرر قراتها في الصلوه وغيرها
او من الثنا لاشتمالها على ما هو ثنا على الله الواحده مثناه او مثنيه صفه للايه واما السور او الاسباع
فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثنا كانها
تثني على الله بافعاله العظمى وصفاته الحسنى ومن اما للبيان او للتبعيض اذا اردت بالسبع
الفاتحه او الطوال وللبيان اذا اردت الاسباع ويجوز ان يكون كتب الله كلها مثاني لانها
تثني عليه ولما فيها من المواعظ المكرره ويكون القران بعضها فان قلت كيف صح عطف
القران العظيم على السبع وهل هو الا عطف الشي على نفسه قلت اذا عني بالسبع الفاتحه او
الطوال فما وراهن ينطلق عليه اسم القران لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل الا ترى الى قوله
بما اوحينا اليك هذا القران يعني سوره يوسف واذا عنيت الاسباع فالمعنى ولقد اتيناك
ما يقال له السبع المثاني والقران العظيم اي الجامع لهذين النعتين وهو الثنا او التثنيه
والعظم اي لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا
من الكفار فان قلت كيف وصل هذا بما قبله قلت يقول لرسوله قد اوتيت النعمه
العظمى التي كل نعمه وان عظمت فهي اليها حقيره ضئيله وهي القران العظيم فعليك ان تستغني
به ولا تمدن عينيك الى متاع الدنيا ومنه الحديث ليس منا من لم يتغن بالقران وحديث ابي بكر رضي
الله عنه من اوتي القران فراى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم
صغيرا وقيل وافت من بصرى واذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظه والنضير فيها انواع
البز والطيب والجوهر وساير الامتعه فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها
ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم الله عز وعلا لقد اعطيتكم سبع ايات هي خير من هذه
القوافل السبع ولا تحزن عليهم يعني لا تتمن اموالهم ولا تحزن عليهم انهم لم يومنوا فيتقوى
بمكانهم الاسلام وينتعش بهم المومنون وتواضع لمن معك من فقرا المومنين وضعفايهم
وطب نفسا عن ايمان الاغنيا والاقويا وقل لهم اني انا النذير المبين انذركم ببيان
وبرهان ان عذاب الله نازل بكم فان قلت بم تعلق قوله كما انزلنا قلت فيه وجهان

احق بها ان يتعلق بقوله ولقد آتيناك اي انزلنا عليك مثل ما انزلنا على اهل الكتاب وهم المقتسمين
الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا بعنادهم وعدوانهم بعضه حق موافق للتوراة والانجيل
وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزئون به فيقول بعضهم
سورة البقرة لي ويقول الآخر سورة آل عمران لي ويجوز ان يراد بالقرآن ما يقرؤونه من كتبهم وقد اقتسموه
بتحريفهم وبان اليهود اقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى اقرت ببعض الانجيل وكذبت
ببعض وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن صنع قومه بالقرآن وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر
واساطير بان غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم والثاني ان يتعلق بقوله
وقل اني انا النذير المبين اي وانذر قريشا مثل ما انزلنا من العذاب على المقتسمين يعني اليهود
وهو ما جرى على قريظة والنضير جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الاعجاز لانه اخبار
بما سيكون وقد كان ويجوز ان يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير اي انذر المعضين
الذين يجزئون القرآن الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين
اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر
فاهلكهم الله يوم بدر وآفات كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن المطلب وغيرهم
او مثل ما انزلنا على الرهط الذين تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام والاقتسام بمعنى
التقاسم فان قلت اذا علقت قوله كما انزلنا بقوله ولقد آتيناك فما معنى توسط لا تمدن
الى آخره بينهما قلت لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض
بما هو مدد لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات الى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الامر
بان يقبل بمجامعه على المؤمنين عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة فعلة من عضى الشاة
اذا جعلها اعضاء قال رؤبة * وليس دين الله بالمعضى * وقيل هو فعلة من عضهته
اذا بهته وعن عكرمة العضة السحر بلسان قريش يقولون للساحر عاضه ولعن رسول الله
العاضهة والمستعضهة ونقصانها على الاول واو وعلى الثاني هاء التسليم عبارة عن
الوعيد وقيل يسألهم سؤال التقريع وعن ابي العالية يسأل العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون
وماذا اجابوا المرسلين فاصدع بما تؤمر فاجهر به واظهره يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا
كقولك صرح بها من الصديع وهو الفجر والصدع في الزجاجة الابانة وقيل فاصدع
فافرق بين الحق والباطل بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به من الشرائع فحذف الجار كقوله
امرتك الخير فافعل ما امرت به * ويجوز ان يكون ما مصدرية اي بامرك مصدر من المبني
للمفعول عن عروة بن الزبير في المستهزئين هم خمسة نفر ذوو اسنان وشرف الوليد بن المغيرة والاسود بن المطلب والحرث بن الطلاطلة
والعاص بن وائل والاسود بن عبد يغوث امرت ان اكفيكهم
عباس ما تواكلهم قبل ... اخبر جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم

الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه
فمات واومأ الى اخمص العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى
صارت كالرحى ومات واشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمي واشار الى انف الحرث بن قيس فامتخط
قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل الشجرة فجعل ينطح راسه بالشجرة ويضرب وجهه
بالشوك حتى مات بما يقولون من الطعن فيك وفي القرآن فسبح
والفزع الى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفيك ويكشف عنك الغم فافزع فيما نابك الى الله
حتى ياتيك اليقين اي الموت اي ما دمت حيا فلا تخل بالعبادة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له
عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد عليه السلام

سورة النحل مكية غير ثلاث آيات في آخرها وتسمى سورة النعم وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

كانوا يستعجلون ما اوعدهم من قيام الساعة او نزول
العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل لهم اتى امر الله اي هو بمنزلة الآتي
الواقع وان كان منتظرا لتحقق وقوعه فلا تستعجلوه روي انه لما نزلت اقتربت الساعة قال
الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن
فلما تاخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما
امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورفع الناس رؤوسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمأنوا وقرئ تستعجلوه بالتاء والياء سبحانه وتعالى
عما يشركون تبرأ وجل عن ان يكون له شريك وان يكون آلهتهم له شركاء
او عن اشراكهم فان قلت كيف يتصل هذا باستعجالهم قلت لان استعجالهم استهزاء
وتكذيب وذلك من الشرك وقرئ يشركون بالياء والتاء ينزل وقرئ بالتخفيف والتشديد وقرئ تنزل الملائكة
بالروح من امره بما يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه او بما يقوم في الدين مقام الروح
في الجسد وان انذروا بدل من الروح اي ينزلهم بان انذروا وتقديره بانه انذروا اي بان الشان
انذروا او تقول ان مفسرة لان تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول ومعنى انذروا انه لا اله
الا انا فاتقون ان اعلموا بان الامر ذلك من نذرت كذا اذا علمته والمعنى تقول لهم اعلموا الناس قولي لا اله الا
انا فاتقون ... خلق السموات والارض بالحق
... خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم
بعدما كان نطفة مهينة جمادا لا حس به ولا حركة دلالة على قدرته والثاني

فإذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم وصفاً للإنسان بالإفراط
في الوقاحة والجهل والتمادي في كفران النعمة وقيل نزلت في أبي بن خلف الجمحي حين جاء بالعظم الرميم
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم **والأنعام** الأزواج الثمانية
وأكثر ما تقع على الإبل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه ويجوز أن يعطف على
الإنسان أي خلق الإنسان والأنعام ثم قال خلقها لكم أي ما خلقها إلا لكم ولمصالحكم يا جنس الإنسان
والدفء اسم ما يدفأ به كما أن الملء اسم ما يملأ به وهو الدفاء من لباس معمول من صوف أو وبر أو شعر وقرئ
دف بطرح الهمزة وإلقاء حركتها على الفاء **ومنافع** هي نسلها ودرها وغير ذلك فإن قلت تقديم الظرف
في قوله ومنها تأكلون مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها قلت الأكل منها هو الأصل الذي يعتمده
الناس في معايشهم وأما الأكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجاري
مجرى التفكه ويحتمل أن طعمتكم منها لأنكم تحرثون بالبقر والحب والثمار التي تأكلونها منها وتكتسبون
بإكراء الإبل وتبيعون نتاجها وألبانها وجلودها من الله تعالى بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لأنه
من أغراض أصحاب المواشي بل هو من معاظمها لأن الرعيان إذا روحوها بالعشي وسرحوها بالغداة فزينت
بإراحتها وتسريحها الأفنية وتجاوب فيها الثغاء والرغاء أنست أهلها وفرحت أربابها وأجلتهم
في عيون الناظرين إليها وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس ونحوه لتركبوها وزينة يواري سوآتكم وريشاً
فإن قلت لم قدمت الإراحة على التسريح قلت لأن الجمال في الإراحة أظهر إذا أقبلت ملأى البطون
حافلة الضروع ثم أوت إلى الحظائر حاضرة لأهلها وقرأ عكرمة حيناً تريحون وحيناً تسرحون على أن تريحون
وتسرحون وصف للحين والمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه كقوله تعالى يوماً لا تجزي وقرئ بشق الأنفس بكسر
الشين وفتحها وقيل هما لغتان في معنى المشقة وبينهما فرق وهو أن المفتوح مصدر شق الأمر عليه شقاً
وحقيقته راجعة إلى الشق الذي هو الصدع وأما الشق فالنصف كأنه يذهب نصف قوته لما يناله
من الجهد فإن قلت ما معنى قوله لم تكونوا بالغيه كأنهم كانوا زماناً يتحملون المشاق في بلوغه حتى
حملت الإبل أثقالهم قلت معناه وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه في التقدير لو لم تخلق
الإبل إلا بجهد أنفسكم لا أنهم لم يكونوا بالغيه في الحقيقة فإن قلت كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه
قوله وتحمل أثقالكم وهلا قيل لم تكونوا حامليها إليه قلت طباقه من حيث أن معناه وتحمل أثقالكم
إلى بلد بعيد قد علمتم أنكم لا تبلغونه بأنفسكم إلا بجهد ومشقة فضلاً أن تحملوا على ظهوركم أثقالكم ويجوز أن
يكون المعنى لم تكونوا بالغيه بها إلا بشق الأنفس وقيل أثقالكم أجرامكم وعن عكرمة البلد مكة **لرءوف رحيم**
حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح **والخيل** والبغال والحمير عطف على الأنعام أي وخلق
هذه للركوب والزينة وقد احتج على حرمة أكل لحومهن بأن علل خلقها بالركوب والزينة ولم يذكر الأكل بعد ما ذكره
في الأنعام فإن قلت لم انتصب وزينة قلت لأنه مفعول له وهو معطوف على محل لتركبوها
فإن قلت هلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد قلت لأن الركوب فعل المخاطبين وأما
الزينة ففعل الزائن وهو الخالق وقرئ لتركبوها زينة بغير واو أي وخلقها زينة لتركبوها أو تجعل زينة

حالاً من الهاء أي وخلقها لتركبوها وهي زينة وجمال **ويخلق** ما لا تعلمون يجوز أن يريد به ما خلق فينا ولنا
مما لا نعلم كنهه وتفاصيله ويمن علينا بذكره كما من بالأشياء المعلومة مع الدلالة على قدرته ويجوز أن يخبرنا
بأن له من الخلائق ما لا علم لنا به ليزيدنا دلالة على اقتداره بالإخبار بذلك وإن طوى عنا علمه لحكمة له في
طيه وقد حمل على ما خلق في الجنة والنار مما لم يبلغه وهم أحد ولا خطر على قلبه المراد بالسبيل الجنس ولذلك
أضاف إليها القصد وقال ومنها جائر والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد
وقاصد أي مستقيم كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعنى قوله وعلى الله
قصد السبيل أن هداية الطريق الموصل إلى الحق واجبة عليه كقوله إن علينا للهدى فإن قلت
لم غير أسلوب الكلام في قوله ومنها جائر قلت ليعلم ما يجوز إضافته إليه من السبيلين وما لا يجوز
ولو كان الأمر كما تزعم المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها أو وعليه الجائر وقرأ
عبد الله ومنكم جائر عن القصد بسوء اختياره والله بريء منه ولو شاء لهداكم أجمعين قسراً وإلجاء
لكم متعلق بأنزل أو بشراب خبراً له والشراب ما يشرب **شجر** يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وفي
حديث عكرمة لا تأكلوا ثمن الشجر فإنه سحت يعني الكلأ **تسيمون** من سامت الماشية إذا رعت
فهي سائمة وأسامها صاحبها وهو من السومة وهي العلامة لأنها تؤثر بالرعي علامات في الأرض
وقرئ ننبت بالنون فإن قلت لم قيل ومن كل الثمرات قلت لأن كل الثمرات لا تكون إلا في الجنة
وإنما أنبت في الأرض بعض من كلها للتذكرة **يتفكرون** ينظرون فيستدلون بها عليه وعلى قدرته
وحكمته والآية الدلالة الواضحة وعن بعضهم ينبت بالتشديد وقرأ أبي بن كعب ينبت لكم به الزرع
والزيتون والنخيل والأعناب بالرفع وقرئ كلها بالنصب على وجعل النجوم مسخرات أو على أن معنى
تسخيرها للناس تصييرها نافعة لهم حيث يسكنون بالليل ويبتغون من فضله بالنهار ويعلمون
عدد السنين والحساب بمسير الشمس والقمر ويهتدون بالنجوم فكأنه قيل ونفعكم بها في حال كونها
مسخرات لما خلقن له بأمره ويجوز أن يكون المعنى أنه سخرها أنواعاً من التسخير جمع مسخر بمعنى تسخير
من قولك سخره الله مسخراً كقولك سرحه مسرحاً كأنه قيل وسخرها لكم تسخيرات بأمره وقرئ
بنصب الليل والنهار وحدهما ورفع ما بعدهما على الابتداء والخبر وقرئ والنجوم مسخرات بالرفع وما
قبله بالنصب وقال إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون فجمع الآية وذكر العقل لأن الآثار العلوية
أظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة **وما ذرأ** لكم معطوف
على الليل والنهار يعني ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلف الهيئات والمناظر **لحماً**
طرياً هو السمك ووصفه بالطراوة لأن الفساد يسرع إليه فيسارع إلى أكله خيفة الفساد
عليه فإن قلت ما بال الفقهاء قالوا إذا حلف الرجل لا يأكل لحماً فأكل سمكاً لم يحنث والله تعالى
سماه لحماً كما ترى قلت مبنى الأيمان على العادة وعادة الناس إذا ذكر اللحم على الإطلاق أن لا يفهم
منه السمك وإذا قال الرجل لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحماً فجاء بالسمك كان حقيقاً بالإنكار
ومثاله أن الله تعالى سمى الكافر دابة في قوله إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فلو حلف
حالف لا يركب دابة فركب كافراً لم يحنث **حلية** هي اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم

لانهن من حليتهم ولانهم انما يتزينون بها من اجلهم فكانها زينتهم ولباسهم المخر شق الماء بحيزومها
وعن الفراء هو صوت جري الفلك بالرياح وابتغاء الفضل التجارة ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم
وتضطرب والمائد الذي يدار به اذا ركب البحر قيل خلق الله الارض فجعلت تمور فقالت الملائكة
ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال لم يدر الملائكة مم خلقت وانهارا وجعل
فيها انهارا لان القى فيه معنى جعل الا ترى الى قوله الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وعلامات هي
معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل ومنهل وغير ذلك والمراد بالنجم الجنس كقولك كثر
الدرهم في ايدي الناس وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي وقرا الحسن وبالنجم
بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع نجم كرهن ورهن والسكون تخفيف وقيل حذف الواو من النجوم
تخفيفا فان قلت قوله وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كانه
قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم قلت كانه اراد قريشا كان لهم
اهتداء بالنجوم في مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر اوجب عليهم والاعتبار الزم لهم
فخصصوا فان قلت من لا يخلق اريد به الاصنام فلم جيء بمن الذي هو لاولي العلم قلت فيه اوجه
احدها انهم سموها آلهة وعبدوها فاجروها مجرى اولي العلم الا ترى الى قوله على اثره والذين يدعون من
دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون والثاني المشاكلة بينه وبين من يخلق والثالث ان يكون المعنى
ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده كقوله الهم ارجل يمشون بها يعني ان الالهة
حالهم منحطة عن حال من لهم ارجل وايد وآذان وقلوب لان هؤلاء احياء وهم اموات فكيف تصح
لهم العبادة لا انها لو صحت لهم هذه الاعضاء لصح ان يعبدوا فان قلت هو الزام للذين
عبدوا الاوثان وسموها آلهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فكان حق الالزام
ان يقال لهم افمن لا يخلق كمن يخلق قلت حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة
له وسووا بينه وبينه فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبيها بها فانكر عليهم ذلك بقوله افمن
يخلق كمن لا يخلق لا تحصوها لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا ان تطيقوا القيام بحقها
من اداء الشكر اتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على ان وراءها ما لا ينحصر ولا يعد ان الله لغفور رحيم
حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة
على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من اعمالكم وهو وعيد والذين يدعون والآلهة
الذين يدعوهم الكفار من دون الله وقرئ بالتاء وقرئ يدعون على البناء للمفعول نفى عنهم خصائص
الالهية بنفي كونهم خالقين واحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث واثبت لهم صفات الخلق بانهم
مخلوقون وانهم اموات وانهم جاهلون بالغيب ومعنى اموات غير احياء انهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا
احياء غير اموات اي غير جائز عليها الموت كالحي الذي لا يموت وامرهم على العكس من ذلك والضمير في يبعثون
للداعين اي لا يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وان آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون
لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم وفيه دلالة على انه لا بد من البعث وانه من لوازم التكليف ووجه آخر
ان يكون المعنى ان الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم اعجز من عبدتهم اموات جمادات

لا حياة فيها غير احياء يعني ان من الاموات ما يعقب موته حياة كالنطف التي ينشئها الله حيوانا
واجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها واما الحجارة فاموات لا يعقب موتها حياة وذلك اعرق في موتها
وما يشعرون ايان يبعثون اي وما يعلم هؤلاء الالهة متى تبعث الاحياء تهكما بحالها لان شعور الجماد محال
فكيف بشعور ما لا يعلمه حي الا الحي القيوم سبحانه ووجه ثالث وهو ان يراد بالذين يدعون الملائكة
وكان ناس منهم يعبدونهم وانهم اموات اي لا بد لهم من الموت غير احياء باقية حياتهم وما يشعرون
ولا علم لهم بوقت بعثهم وقرئ ايان بكسر الهمزة الهكم اله واحد يعني انه قد ثبت بما تقدم من ابطال ان
تكون الالهية لغيره وانها له وحده لا شريك له فيها فكان من نتيجة ثبات الوحدانية ووضوح
دليلها استمرارهم على شركهم وان قلوبهم منكرة للوحدانية وهم مستكبرون عنها وعن الاقرار بها لا جرم
حقا ان الله يعلم سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد انه لا يحب المستكبرين يجوز
ان يريد المستكبرين عن التوحيد يعني المشركين ويجوز ان يعم كل مستكبر ويدخل هؤلاء تحت
عمومه ماذا منصوب بانزل بمعنى اي شيء انزل ربكم او مرفوع بالابتداء بمعنى اي شيء انزله ربكم فاذا
نصبت فمعنى اساطير الاولين ما تدعون نزوله اساطير الاولين واذا رفعته فالمعنى المنزل اساطير
الاولين كقوله ماذا ينفقون قل العفو فيمن رفعه فان قلت هو كلام متناقض لانه لا يكون منزلا
ربهم واساطير الاولين قلت هو على السخرية كقوله ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وهو كلام بعضهم لبعض او قول
المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا سالهم وفود الحاج عما انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا احاديث الاولين واباطيلهم ليحملوا
اوزارهم اي قالوا ذلك اضلالا للناس وصدا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فحملوا اوزار ضلالهم
كاملة وبعض اوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الاضلال لان المضل والضال شريكان هذا يضله
وهذا يطاوعه على اضلاله فيتحاملان الوزر ومعنى اللام التعليل من غير ان يكون غرضا كقولك
خرجت من البلد مخافة الشر بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وانما وصف بالضلال
واحتمال الوزر من اضلوه وان لم يعلم لانه كان عليه ان يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل
القواعد اساطين البناء التي تعمده وقيل الاساس وهذا تمثيل يعني انهم سووا منصوبات
ليمكروا بها الله ورسوله فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين
فاتي البنيان من الاساطين بان ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا ونحوه من حفر لاخيه
جبا وقع فيه منكبا وقيل هو نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة آلاف ذراع
[illegible] فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ومعنى اتيان الله اتيان امره من القواعد
من جهة القواعد من حيث لا يشعرون من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون وقرئ فاتى الله بيتهم
فخر عليهم السقف وقرئ السقف بضمتين يخزيهم يذلهم بعذاب الخزي ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته يعني هذا
لهم في الدنيا ثم العذاب في الآخرة شركائي على الاضافة الى نفسه حكاية لاضافتهم ليوبخهم
بها على طريق الاستهزاء بهم تشاقون فيهم تعادون وتخاصمون المؤمنين في شانهم ومعناهم
وقرئ تشاقون بكسر النون بمعنى تشاقونني لان مشاقة المؤمنين كانها مشاقة الله قال الذين

اوتوا العلم هم الانبياء والعلماء من اممهم الذين يدعونهم الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم ويتكبرون
عليهم ويشاقونهم يقولون ذلك شماتة بهم وحكى الله ذلك من قولهم ليكون لطفا لمن سمعه وقيل
هم الملائكة وقرئ تتوفاهم بالياء والتاء وقرئ الذين توفاهم بادغام التاء في التاء فالقوا السلم فسالموا
واخبتوا وجاؤوا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا ما كنا نعمل من سوء وجحدوا
ما وجد منهم من الكفر والعدوان فرد عليهم اولوا العلم ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه
وهذا ايضا من الشماتة وكذلك فادخلوا ابواب جهنم خيرا انزل خيرا فان قلت لم نصب هذا
ورفع الاول قلت فصلا بين جواب المقر وجواب الجاحد يعني ان هؤلاء لما سئلوا لم يتلعثموا واطبقوا
الجواب على السؤال بينا مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا خيرا اي انزل خيرا واولئك عدلوا بالجواب عن
السؤال فقالوا هو اساطير الاولين وليس من الانزال في شيء روي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام
الموسم من ياتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وامروه بالانصراف
وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول انا شر وافد ان رجعت الى قومي دون ان استطلع امر محمد
واراه فيلقى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبرونه بصدقه وانه نبي مبعوث فهم الذين قالوا خيرا
وقوله للذين احسنوا وما بعده بدل من خيرا حكاية لقول الذين اتقوا اي قالوا هذا القول
فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه ويجوز ان يكون كلاما مبتدا عدة للقائلين ويجعل قولهم من جملة
احسانهم ويحمدوا عليه حسنة مكافاة في الدنيا باحسانهم ولهم في الآخرة ما هو خير منها كقوله
فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح
لتقدم ذكره وجنات عدن خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح طيبين طاهرين من
ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم يقولون سلام عليكم قيل اذا اشرف العبد
المومن جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولي الله الله يقرا عليك السلام ويبشره بالجنة تاتيهم الملائكة
قرئ بالياء والتاء يعني ان تاتيهم لقبض الارواح او ياتي امر ربك العذاب المستاصل او القيامة كذلك مثل
ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم
يظلمون لانهم فعلوا ما استوجبوا به التدمير فاصابهم سيئات ما عملوا جزاء سيئات اعمالهم او هو كقوله وجزاء
سيئة سيئة مثلها فحذف الجملة ما عملوا من اعمالهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون وعن قبول
بعد قيام الحجج وانكار البعث واستحقاقه استهزاء به وتكذيبهم الرسول في شفاعتهم ثم نسبوا افعالهم
الى الله وحرموا ما احل من البحيرة والسائبة وغيرهما ثم نسبوا فعلهم
الى الله وقالوا لو شاء الله لم نفعل وهذا مذهب المجبرة بعينه كذلك فعل الذين من قبلهم اي اشركوا
وحرموا حلال الله فلما نبهوا على قبح فعلهم وركبوه على ربهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين
الا ان يبلغوا الحق وان الله لا يشاء الشرك والمعاصي بالبيان والبرهان ويطلعوا على بطلان
الشرك وقبحه وبراءة الله من افعال العباد وانهم فاعلوها بقصدهم وارادتهم واختيارهم
والله عز وجل باعثهم على جميلها وموفقهم له وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه ولقد بعثنا
ابطال قدر الشرور ومشيئة الشر لانه ما من امة الا وقد بعث فيهم رسولا يامرهم بالخير الذي هو

الايمان وعبادة الله وباجتناب الشر الذي هو طاعة الطاغوت فمنهم من هدى الله اي لطف به
لانه عرفه من اهل اللطف ومنهم من حقت عليه الضلالة اي ثبت عليه الخذلان والترك
من اللطف لانه عرفه مصمما على الكفر لا ياتي منه خير فسيروا فانظروا ما فعلت بالمكذبين
حتى لا يبقى لكم شبهة في اني لا اقدر الشر ولا اشاؤه حيث افعل ما افعل بالاشرار ثم ذكر
عناد قريش وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ايمانهم وعرفه انهم من قسم من حقت عليه
الضلالة وانه لا يهدي من يضل اي لا يلطف بمن يخذل لانه عبث والله متعال عن العبث لانه
من قبيل القبائح التي لا تجوز عليه وقرئ لا يهدي اي لا تقدر انت ولا احد على هدايته وقد
خذله الله وقوله وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان الذي هو نقيض
النصرة ويجوز ان يكون لا يهدي بمعنى لا يهتدي يقال هداه الله فهدى وفي قراءة ابي فان الله
لا هادي لمن يضل ولمن اضل وهي معاضدة لمن قرا لا يهدي على البناء للمفعول وفي قراءة عبد الله
يهدي بادغام تاء يهتدي وهي معاضدة للاولى وقرئ يضل بالفتح وقرا النخعي ان تحرص بفتح
الراء وهي لغية واقسموا بالله معطوف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهما كفرتان عظيمتان
موصوفتان حقيقتان بان تحكيا وان تدون توريك ذنوبهم على مشيئة الله وانكارهم البعث
مقسمين عليه وبلى اثبات لما بعد النفي اي بلى يبعثهم وعدا عليه مصدر مؤكد لما دل عليه
بلى لان يبعث موعد من الله وبين ان الوفاء بهذا الموعد حق واجب عليه في الحكمة ولكن اكثر
الناس لا يعلمون انهم يبعثون او انه وعد واجب على الله لانهم يقولون لا يجب على الله شيء لا ثواب عامل ولا
غيره من مواجب الحكمة ليبين لهم متعلق بما دل عليه بلى اي يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو
عام للمومنين والكافرين الذي اختلفوا فيه هو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين في قولهم لو شاء الله
ما عبدنا من دونه من شيء وفي قولهم لا يبعث الله من يموت وقيل يجوز ان يتعلق بقوله ولقد بعثنا في كل
امة رسولا اي بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله
الكذب وانما مبتدا وان نقول خبره وكن فيكون من كان التامة التي بمعنى الحدوث والوجود اي
اذا اردنا وجود شيء فليس الا ان نقول له احدث فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف وهذا مثل لان مرادا
لا يمتنع عليه وان وجوده عند ارادته غير متوقف كوجود المامور به عند امر الآمر المطاع اذا ورد
على المامور المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى ان ايجاد كل مقدور على الله عز وجل بهذه السهولة
فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من شق المقدورات وقرئ فيكون عطفا على نقول والذين هاجروا
هم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ظلمهم اهل مكة ففروا بدينهم الى الله منهم من هاجر الى الحبشة
ثم الى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر الى المدينة وقيل هم الذين كانوا محبوسين معذبين
بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما خرجوا تبعوهم فردوهم منهم بلال وصهيب وخباب وعمار
وعن صهيب انه قال لهم انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى
بماله وهاجر فلما رآه ابو بكر رضي الله عنه قال له ربح البيع يا صهيب وقال عمر رضي الله عنه
نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهو ثناء عظيم يريد لو لم يخلق الله نارا لاطاعه فكيف
في الله تعظيما لوجهه حسنة صفة للمصدر اي لنبوئنهم تبوئة حسنة وفي قراءة علي رضي الله عنه

لنثوينهم ومعناه إثواءة حسنة وقيل لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على أهل مكة
الذين ظلموهم وعلى العرب قاطبة وعلى أهل المشرق والمغرب وعن عمر رضي الله عنه أنه كان إذا أعطى
رجلا من المهاجرين عطاءه قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك ربك في الدنيا وما ذخر لك
في الآخرة أكثر وقيل لنبوئنهم مباءة حسنة وهي المدينة حيث آواهم أهلها ونصروهم لو كانوا يعلمون
الضمير للكفار أي لو علموا أن الله يجمع لهؤلاء المستضعفين في أيديهم الدنيا والآخرة لرغبوا في دينهم ويجوز
أن يرجع الضمير إلى المهاجرين أي لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على
هم الذين صبروا أو أعني الذين صبروا وكلاهما مدح أي صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذي هو
حرم الله المحبوب في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رؤوسهم وعلى المجاهدة وبذل الأرواح في
سبيل الله وقالت قريش الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا فقيل وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا
نوحي إليهم على ألسنة الملائكة فاسألوا أهل الذكر وهم أهل الكتاب ليعلموكم أن الله لم يبعث
إلى الأمم السالفة إلا بشرا فإن قلت بم تعلق قوله بالبينات قلت له متعلقات شتى فإما أن
يتعلق بما أرسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا أي وما أرسلنا إلا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت
إلا زيدا بالسوط لأن أصله ضربت زيدا بالسوط وإما برجالا صفة له أي رجالا ملتبسين بالبينات وإما
بأرسلنا مضمرا كأنما قيل بم أرسلوا فقيل بالبينات فهو على كلامين والأول على كلام واحد
وإما بيوحى أي يوحى إليهم بالبينات وإما بلا تعلمون على أن الشرط في معنى التبكيت والإلزام كقول الأجير
إن كنت عملت لك فأعطني حقي وقوله فاسألوا أهل الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة وأهل الذكر
أهل الكتاب وقيل للكتاب الذكر لأنه موعظة وتنبيه للغافلين ما نزل إليهم يعني ما نزل الله إليهم في الذكر
مما أمروا به ونهوا عنه ووعدوا وأوعدوا ولعلهم يتفكرون وإرادة أن يصغوا إلى تنبيهاته فينتبهوا
ويتأملوا مكروا السيئات أي المكرات السيئات وهم أهل مكة وما مكروا به رسول الله
صلى الله عليه وسلم في تقلبهم متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم وأسباب دنياهم على تخوف متخوفين
وهو أن يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله
من حيث لا يشعرون وقيل هو من قولك تخوفته وتخونته إذا تنقصته قال زهير
تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن أي يأخذهم على أن
يتنقصهم شيئا بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا وعن عمر رضي الله عنه أنه قال على المنبر
ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال فهل
تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم قال شاعرنا وأنشد البيت فقال عمر أيها الناس
عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم
فإن ربكم لرءوف رحيم حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم ... أولم يروا وتتفيأ بالياء
والتاء وما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه من شيء يتفيأ ظلاله واليمين بمعنى الأيمان وسجدا
حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير في ظلاله لأنه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل
شيء له ظل وجمع بالواو لأن الدخور من أوصاف العقلاء أو لأن في جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى
أولم يروا إلى ما خلق الله من الأجرام التي لها ظلال متفيئة عن أيمانها وشمائلها أي عن جانبي كل

واحد منها وشقيه استعارة من يمين الإنسان وشماله لجانبي الشيء أي ترجع الظلال من جانب إلى جانب
منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والأجرام في أنفسها داخرة أيضا صاغرة
منقادة لأفعال الله فيها لا تمتنع من دابة يجوز أن يكون بيانا لما في السماوات وما في الأرض جميعا
على أن في السماوات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الأناسي في الأرض وأن يكون بيانا لما في الأرض وحده
ويراد بما في السماوات الخلق الذي يقال له الروح وأن يكون بيانا لما في الأرض وحده
وكرر ذكرهم على معنى والملائكة خصوصا من بين الساجدين لأنهم أطوع الخلق وأعبدهم ويجوز
أن يراد بما في السماوات ملائكتهن وبقوله والملائكة ملائكة الأرض من الحفظة وغيرهم فإن قلت
سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد قلت
المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم انقياده لإرادة الله وأنها غير ممتنعة عليها
وكلا السجودين يجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز أن يعبر عنهما بلفظ واحد فإن قلت
فهلا جيء بمن دون ما تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم قلت لأنه لو جيء بمن لم يكن فيه دليل
على التغليب فكان متناولا للعقلاء خاصة فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم إرادة العموم يخافون
يجوز أن يكون حالا من الضمير في لا يستكبرون أي لا يستكبرون خائفين وأن يكون بيانا لنفي الاستكبار
وتأكيدا له لأن من خاف الله لم يستكبر عن عبادته من فوقهم إن علقته بيخافون فمعناه يخافونه
أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم وإن علقته بربهم حالا منه فمعناه يخافون ربهم عاليا لهم قاهرا لقوله
وهو القاهر فوق عباده وإنا فوقهم قاهرون وفيه دليل على أن الملائكة مكلفون مدارون على الأمر
والنهي والوعد والوعيد كسائر المكلفين وأنهم بين الخوف والرجاء فإن قلت إنما جمعوا بين العدد
والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندي رجال ثلاثة وأفراس أربعة لأن المعدود عار
عن الدلالة على العدد الخاص فأما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد
فلا حاجة إلى أن يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله إلهين اثنين قلت الاسم الحامل
لمعنى الإفراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فإذا أريدت الدلالة على أن المعني
به منهما والذي يساق إليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد إليه والعناية به
ألا ترى أنك لو قلت إنما هو إله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل أنك تثبت الإلهية لا الوحدانية
فإياي فارهبون نقل للكلام عن الغيبة إلى التكلم وجاز لأن الغائب هو المتكلم وهو من
طريقة الالتفات وهو أبلغ في الترهيب من قوله وإياه فارهبوه ومن أن يجيء ما قبله على لفظ
التكلم الدين الطاعة واصبا حال عمل فيه الظرف والواصب الواجب الثابت لأن كل نعمة منه
فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه ويجوز أن يكون من الوصب أي وله الدين ذا كلفة ومشقة
ولذلك سمي تكليفا أو وله الجزاء ماصبا دائما يعني الثواب والعقاب وما بكم من نعمة فهو
من الله فإليه تجأرون فما تتضرعون إلا إليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الأعشى
يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا وقرئ تجرون بطرح الهمزة
وإلقاء حركتها على الجيم وقرأ قتادة كاشف الضر على فاعل بمعنى فعل وهو أقوى من كشف لأن
بناء المغالبة يدل على المبالغة فإن قلت فما معنى قوله إذا فريق منكم بربهم يشركون قلت

والخطاب في قوله وما بكم من نعمة فمن الله عاما ويريد بالفريق فريق الكفرة وان يكون الخطاب
للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كانه قال اذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من
اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم
جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة فتمتعوا فسوف تعلمون تخلية ووعيد وقرئ فيمتعوا
بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا ويجوز ان يكون ليكفروا فيمتعوا امرا واردا في معنى
الخذلان والتخلية واللام لام الامر لما لا يعلمون اي لآلهتهم ومعنى لا يعلمون انهم يسمونها
آلهة ويعتقدون فيها انها تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك وحقيقتها انها
جماد لا يضر ولا ينفع فهم اذا جاهلون بها وقيل الضمير في لا يعلمون للآلهة اي لاشياء غير
موصوفة بالعلم ولا تشعر اجعلوا لها نصيبا في انعامهم وزروعهم ام لا وكانوا يجعلون لهم
ذلك تقربا اليهم لتسألن وعيد عما كنتم تفترون من الافك في زعمكم انها آلهة وانها
اهل للتقرب اليها كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه لذاته
من نسبة الولد اليه او تعجب من قولهم ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع
على الابتداء والنصب على ان يكون معطوفا على البنات اي وجعلوا لانفسهم ما يشتهون
من الذكور ظل بمعنى صار كما يستعمل بات واصبح وامسى بمعنى الصيرورة ويجوز ان يجيء
ظل لان اكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مسود الوجه من الكآبة والحياء
من الناس وهو كظيم مملوء غيظا على المرأة يتوارى من القوم يستخفي منهم من اجل سوء المبشر
به ومن اجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر ايمسكه ما بشر به على هون على هوان وذل ام يدسه
في التراب ام يئده وقرئ ايمسكها على هون ام يدسها على التأنيث وقرئ على هوان الا ساء ما
يحكمون حيث يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم لله ويجعلون لانفسهم من هو على عكس
هذا الوصف مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاولاد
الاناث ووأدهن خشية الاملاق واقرارهم على انفسهم بالشح البالغ ولله المثل الاعلى
وهو الغنى عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو الجواد الكريم بظلمهم بكفرهم
ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض من دابة قط واهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين
وعن ابي هريرة انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى
لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم او
دابة ظالمة وعن ابن عباس من دابة من مشرك يدب عليها وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن
الابناء ويجعلون لله ما يكرهون لانفسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم ومن الاستخفاف
برسلهم والتهاون بها ويجعلون له ارذل اموالهم ولاصنامهم اكرمها وتصف السنتهم
مع ذلك ان لهم الحسنى عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وعن بعضهم
انه قال لرجل من ذوي اليسار كيف تكون يوم القيامة اذا قال الله هات ما دفعت الى السلاطين
واعوانهم فيؤتى بالدواب والثياب وانواع الاموال الفاخرة واذا قال هات ما دفعت الي يؤتى
بالكسر والخرق وما لا يؤبه له اما تستحي من ذلك الموقف وقرأ هذه الآية وعن مجاهد لهم

الحسنى هو قول قريش لنا البنون
صفة للالسنة مفرطون ولهم الحسنى بدل من الكذب وقرئ الكذب جمع كذوب
بمعنى مقدمون الى النار معجلون قرئ مفتوح الراء ومكسورها مخففا ومشددا فالمفتوح
منسيون متروكون من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته وفرطته في طلب الماء اذا قدمته
في المعاصي والمشدد من التفريط في الطاعات وما لزمهم وقيل
الماضية التي كان يزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم
عن زمان الدنيا ومعنى وليهم قرينهم فهو وليهم اليوم حكاية الحال
وهي حال كونهم معذبين في النار اي هو ناصرهم اليوم فهو وليهم في الدنيا فجعل اليوم عبارة
ابلغ الوجوه ويجوز ان يرجع الضمير الى مشركي قريش وانه زين للكفار قبلهم اعمالهم فهو ولي
هؤلاء لانهم منهم ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي فهو ولي امثالهم لا ناصر لهم غيره نفيا للناصر لهم على
محل التبيين الا انهما انتصبا على انهما مفعول لهما لانهما فعلا الذي انزل الكتاب
اللام على التبيين لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل وانما ينتصب مفعولا له ما كان فعل فاعل
الفعل المعلل الذي اختلفوا فيه من البعث وهدى ورحمة معطوفان على
من التحليل والتحريم والانكار والاقرار لقوم يؤمنون
فكانه احيى لقوم يسمعون سماع انصاف وتدبر
وذكر سيبويه الانعام في باب ما لا ينصرف في الاسماء المفردة الواردة
على افعال كقولهم ثوب اكياش ولذلك رجع الضمير اليه مفردا واما في بطونها
في سورة المؤمنين فلان معناه الجمع ويجوز ان يقال في الانعام وجهان احدهما ان يكون
تكسير نعم كاجبال في جبل والثاني ان يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع كنعم فاذا ذكر فكما يذكر نعم في قوله
في كل عام نعم تحوونه يلقحه قوم وتنتجونه
واذا انث ففيه وجهان انه تكسير نعم وانه في معنى الجمع وقرئ نسقيكم بالفتح والضم
كيف العبرة فقيل نسقيكم من بين فرث ودم وهو استيناف كانه
قيل بين فرث ودم لبنا يخلق الله اللبن وسيطا بين
الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغي احدهما عليه بلون ولا
طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا اكلت البهيمة العلف فاستقر في كرشها
طبخته فكان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد مسلطة على هذه الاصناف
فتقسمها فيجري الدم في العروق واللبن في الضروع ويبقى الفرث في الكرش فسبحان الله العظيم
ما اعظم قدرته والطف حكمته لمن تفكر وتأمل وسئل شقيق عن الاخلاص فقال تمييز
العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم سائغا سهل المرور في الحلق وقيل لم
يغص احد باللبن قط وقرئ سيغا بالتشديد وسيغا بالتخفيف
الاولى للتبعيض والثانية ... ما ذكر ... ما ذكرت
كقولك اخذت من مال زيد ثوبا والثانية لابتداء الغاية ... بعض ما في بطونها
... الانتفاع

الذي منه يبتدي فهو صلة لتسقيكم كقولك سقيته من الحوض ويجوز ان يكون حالا من قوله
لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف اي كائنا من بين فرث ودم الا ترى انه لو تاخر فقيل لبنا من بين فرث
ودم كان صفة له وانما قدم لانه موضع العبرة فهو قمن بالتقديم وقد احتج بعض من يرى ان
المني طاهر على من جعله نجسا لجريه في مسلك البول بهذه الاية وانه ليس بمستنكر ان يسلك مسلك
البول وهو طاهر كما خرج اللبن من بين فرث ودم طاهرا فان قلت بم تعلق قوله ومن ثمرات النخيل
والاعناب قلت بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرها وحذف
لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله تتخذون منه سكرا بيان وكشف عن كنه الاسقاء او يتعلق
بتتخذون ومنه من تكرير الظرف للتوكيد كقولك زيد في الدار فيها ويجوز ان يكون تتخذون صفة موصوف
محذوف كقوله بكفي كان من ارمى البشر تقديره ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه
سكرا ورزقا حسنا لانهم ياكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر فان قلت فالام يرجع الضمير
في منه اذا جعلته ظرفا مكررا قلت الى المضاف المحذوف الذي هو العصير كما رجع في قوله
او هم قائلون الى الاهل المحذوف والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد
رشدا ورشدا قال وجاؤونا بهم سكر علينا فاجلى اليوم والسكران صاحي
وفيه وجهان احدهما ان تكون منسوخة وممن قال بنسخها الشعبي والنخعي والثاني ان يجمع بين
العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب
ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابي حنيفة الى حد السكر ويحتج بهذه الاية
وبقوله صلى الله عليه وسلم الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وباخبار جمة ولقد صنف
شيخنا ابو علي الجبائي رحمة الله عليه غير كتاب في تحليل النبيذ فلما شيخ واخذت منه السن
العالية قيل له لو شربت منه ما تتقوى به فابى فقيل له قد صنفت في تحليله فقال
تناولته الدعاة فشنع في المروءة وقيل السكر الطعم وانشد جعلت اعراض الكرام سكرا
اي تنقلت باعراضهم وقيل هو من الخمر وانه اذا ابترك في اعراض الناس فكانه تخمر بها
والرزق الحسن الخل والرب والتمر والزبيب وغير ذلك ويجوز ان يجعل السكر رزقا حسنا كانه
قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن واوحى الى النحل الهمها والقذف في قلوبها
وعلمها على وجه هو اعلم به لا سبيل لاحد الى الوقوف عليه والا فنيقتها في صنعتها ولطفها
في تدبير امرها واصابتها فيما يصلحها دلائل بينة شاهدة على ان الله اودعها علما بذلك
وفطنها كما اولى اولي العقول عقولهم وقرا يحيى بن وثاب الى النحل بفتحتين وهو مذكر كالنخل
وتانيثه على المعنى ان اتخذي ان هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول وقرئ بيوتا بكسر الباء لاجل
الياء ويعرشون بكسر الراء وضمها يرفعون من سقوف البيوت وقيل ما يبنون للنحل في الجبال
والشجر والبيوت من الاماكن التي تعسل فيها والضمير في يعرشون للناس فان قلت ما معنى
من في قوله ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون وهلا قيل في الجبال وفي الشجر

أريد معنى البعضية وان لا تبني بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا في كل
مكان منها من كل الثمرات احاطة بالثمرات التي تجرسها النحل وتعتاد اكلها اي
ثم كلي كل ثمرة تشتهينها فاذا اكلتها فاسلكي سبل ربك اي الطرق التي ألهمك
وافهمك في عمل العسل او فاسلكي ما اكلت في سبل ربك اي في مسالكه التي يحيل فيها
بقدرته النور المر عسلا من اجوافك ومنافذ مأكلك او اذا اكلت الثمار في المواضع البعيدة
من بيوتك فاسلكي الى بيوتك راجعة سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقد بلغني
انها ربما اجدب عليها ما حولها فتسافر الى البلد البعيد في طلب النجعة او اراد بقوله ثم كلي
ثم اقصدي اكل الثمرات فاسلكي ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل لان الله ذللها لها ووطأها وسهلها كقوله هو الذي جعل لكم الارض ذلولا
او من الضمير في فاسلكي اي وانت ذلل منقادة لما امرت به غير ممتنعة شراب يريد العسل
لانه مما يشرب مختلف الوانه منه ابيض واصفر واحمر واسود فيه شفاء للناس لانه من جملة الاشفية
والادوية المشهورة النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الاطباء فيه العسل وليس الغرض انه
شفاء لكل مريض كما ان كل دواء كذلك وتنكيره اما لتعظيم الشفاء الذي فيه او لان فيه بعض
الشفاء وكلاهما محتمل وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا جاء اليه فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال
اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله
وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ كانما انشط من عقال وعن عبد الله بن مسعود
العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل
ومن بدع تأويلات الرافضة ان المراد بالنحل علي وقومه وعن بعضهم انه
قال عند المهدي انما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك
وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدي وحدث به المنصور فاتخذوه اضحوكة من اضاحيكهم
الى ارذل العمر الى اخسه واحقره وهو خمس وسبعون سنة عن علي رضي الله عنه وتسعون سنة
عن قتادة لانه لا عمر اسوأ حالا من عمر الهرم لكيلا يعلم بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة
بحال الطفولية في النسيان وان يعلم شيئا ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه ان سئل عنه وقيل
لئلا يعقل من بعد عقله الاول شيئا وقيل لئلا يعلم زيادة علم على علمه اي جعلكم متفاوتين
في الرزق فرزقكم افضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم واخوانكم فكان ينبغي ان تردوا
فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا في الملبس والمطعم كما يحكى عن ابي ذر رضي الله عنه انه سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فما رئي عبده
بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت افبنعمة الله يجحدون فجعل ذلك
من جملة جحود النعمة وقيل هو مثل ضربه الله للذين جعلوا له شركاء فقال لهم انتم
لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما انعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون
ذلك لانفسكم فكيف رضيتم ان تجعلوا عبيدي لي شركاء وقيل المعنى ان الموالي والمماليك

ان رزقهم جميعا فهم فيه سوا فلا تحسبن الموالى انهم يردون على مماليكهم من عندهم شيا من الرزق فانما ذلك رزقى اجريته اليهم على ايديهم وهم يجحدون بالياء والتاء

من انفسكم من جنسكم وقيل هو خلق حوا من ضلع ادم والحفدة جمع حافد وهو الذى يحفد اى يسرع فى الطاعة والخدمة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد وقال

حفد الولائد بينهن واسلمت بأكفهن ازمة الاجمال

واختلف فيهم فقيل هم الاختان على البنات وقيل اولاد الاولاد وقيل اولاد المرأة من الزوج الاول وقيل المعنى وجعل لكم حفدة اى خدما يحفدون فى مصالحكم ويعينونكم ويجوز ان يراد بالحفدة البنون انفسهم كقوله سكرا ورزقا حسنا كانه قيل وجعل لكم منهن اولادا هم بنون وهم حافدون اى جامعون بين الامرين من الطيبات يريد بعضها فان كل الطيبات فى الجنة وما طيبات الدنيا الا انموذج منها افبالباطل يؤمنون وهو ما يعتقدون من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها وما هو الا وهم باطل لم يتوصلوا اليه بدليل ولا امارة فليس لهم ايمان الا به كانه شى معلوم مستيقن ونعمة الله المشاهدة المعاينة التى لا شبهة فيها لذى عقل وتمييز هم يكفرون بها منكرون لها كما ينكر المحال الذى لا يتصوره العقل وقيل الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما احل لهم الرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فان اردت المصدر نصبت شيا بقوله رزقا اطعاما وفيهم مستطاعا لا يملك ان يرزق شيا وان اردت المرزوق كان شيا بدلا منه بمعنى قليلا ويجوز ان يكون تاكيدا للا يملك اى لا يملك شيا من الملك ومن السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا او صفته ان كان اسما لما يرزق والضمير فى ولا يستطيعون لما لانه فى معنى الالهة بعد ما قيل لا يملك على اللفظ ويجوز ان يكون للكفار يعنى ولا يستطيع هولا مع انهم احيا متصرفون اولوا الباب من ذلك شيا فكيف بالجماد الذى لا حس به فان قلت ما معنى قوله ولا يستطيعون بعد قوله لا يملك وهل هما الا شى واحد قلت ليس فى لا يستطيعون تقدير راجع وانما المعنى لا يملكون ان يرزقوا والاستطاعة منفية عنهم اصلا لانهم موات الا ان يقدر الراجع ويراد بالجمع بين نفى الملك والاستطاعة التوكيد او يراد انهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم ان يملكوه ولا يتاتى ذلك منهم ولا يستقيم فلا تضربوا لله الامثال تمثيل للاشراك بالله والتشبيه به لان من يضرب الامثال مشبه حالا بحال وقصة بقصة ان الله يعلم كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازيه فى العظم لان العقاب على مقدار الاثم وانتم لا تعلمون كنهه وكنه عقابه فذاك هو الذى جركم اليه وجراكم عليه فهو تعليل للنهى عن الشرك ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف

تضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فقال مثلكم فى اشراككم بالله الاوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شا فان قلت لم قال مملوكا لا يقدر على شى وكل عبد مملوك غير قادر على التصرف قلت اما ذكر المملوك فليميز من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد الله واما لا يقدر على شى فليجعل غير مكاتب ولا ماذون له لانهما يقدران على التصرف واختلفوا فى العبد هل يصح له ملك والمذهب الظاهر انه لا يصح له فان قلت من فى قوله ومن رزقناه ما هى قلت الظاهر انها موصوفة كانه قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع ان تكون موصولة فان قلت لم قيل يستوون على الجمع قلت معناه هل يستوى الاحرار والعبيد الابكم الذى ولد اخرس فلا يفهم ولا يفهم وهو كل على مولاه اى ثقل وعيال على من يلى امره ويعوله اينما يوجهه حيثما يرسله ويصرفه فى مطلب حاجة او كفاية مهم لم ينفع ولم يات بنجح هل يستوى هو ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يامر الناس بالعدل والخير وهو فى نفسه على صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه الله لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم من اثار رحمته والطافه ونعمه الدينية والدنيوية وللاصنام التى هى اموات لا تضر ولا تنفع ومعنى اينما يوجهه من قولهم اينما اوجهه الق خيرا وقرا ابن مسعود اينما يوجه على البنا للمفعول ولله غيب السموات والارض اى يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفى عليهم علمه او اراد بغيب السموات والارض يوم القيمة على ان علمه غائب عن اهل السموات والارض لم يطلع عليه احد منهم الا كلمح البصر او هو اقرب اى هو عند الله وان تراخى كما تقولون انتم فى الشى الذى تستقربونه هو كلمح البصر او هو اقرب اذا بالغتم فى استقرابه ونحوه قوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون اى هو عنده دان وهو عندكم بعيد وقيل المعنى ان اقامة الساعة واماتة الاحيا واحيا الاموات من الاولين والاخرين تكون فى اقرب وقت واوحاه ان الله على كل شى قدير فهو يقدر على ان يقيم الساعة ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده قرئ امهاتكم بضم الهمزة وكسرها والهاء مزيدة فى امات كما زيدت فى اراق فقيل اهراق وشذت زيادتها فى الواحدة قال

امهتى خندف والياس ابى

لا تعلمون شيا فى موضع الحال ومعناه غير عالمين شيا من حق المنعم الذى خلقكم فى البطون وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق الى السعة وقوله وجعل لكم معناه وما ركب فيكم هذه الاشيا والالات لازالة الجهل الذى ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقى الى ما يسعدكم والافئدة فى فواد كالاغربة فى غراب وهو من جموع القلة التى جرت مجرى جموع الكثرة والقلة اذا لم يرد فى السماع غيرها كما جاء شسوع فى جمع شسع لا غير فجرت ذلك المجرى الم تروا بالتاء واليا مسخرات مذللات للطيران

الانموذج النوع ذكره فى الحواشى

بما خلق لها من الاجنحه والاسباب المواتيه لذلك والجو الهوا المتباعد من الارض في سمت
العلو والسكاك ابعد منه واللوح مثله ما يمسكهن في قبضهن وبسطهن ووقوفهن الا الله
بقدرته من بيوتكم التي تسكنونها من الحجر والمدر والاخبيه وغيرها والسكن فعل بمعنى
مفعول وهو ما يسكن اليه وينقطع اليه من بيت او الف بيوتا هي القباب والابنيه من الادم
والانطاع تستخفونها ترونها خفيفه المحمل في الضرب والنقض والنقل يوم ظعنكم ويوم
اقامتكم اي يوم ترحلون خف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون في مكان لم يثقل
عليكم ضربها او هي خفيفه عليكم في اوقات السفر والحضر جميعا على ان اليوم بمعنى الوقت
ومتاعا وشيئا ينتفع به الى حين الى ان تقضوا منه اوطاركم او الى ان يبلى ويفنى او الى ان
تموتوا وقرى يوم ظعنكم بالسكون مما خلق من الشجر وسائر المستظلات اكنانا جمع كن
وهو ما يستكن به من البيوت المنحوته في الجبال والغيران والكهوف وسرابيل هي القمصان
والثياب من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر لم يذكر البرد لان الوقايه من الحر
اهم عندهم وقلما يهمهم البرد لكونه يسيرا محتملا وقيل ما يقي من الحر يقي من البرد فدل
ذكر الحر على البرد وسرابيل تقيكم باسكم يريد الدروع والجواشن والسربال عام يقع على
كل ما كان من حديد وغيره كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي تنظرون في نعمته الفايضه فتومنون به وتنقادون
له وقرى تسلمون من السلامه اي تشكرون فتسلمون من العذاب او تسلم قلوبكم من الشرك وقيل
تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا فان اعرضوا فلم يقبلوا منك فقد تمهد عذرك بعد ما اديت
ما وجب عليك من التبليغ فذكر سبب العذر وهو البلاغ ليدل على المسبب يعرفون نعمة الله
التي عددنا حيث يعترفون بها وانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم
بها وقولهم هي من الله ولكنها بشفاعه الهتنا وقيل انكارهم قولهم ورثناها من ابائنا
وقيل قولهم لولا فلان ما اصبت كذا لبعض نعم الله وانما لا يجوز التكلم بنحو هذا اذا لم يعتقد
انها من الله وانه اجراها على يد فلان وجعله سببا في نيلها واكثرهم الكافرون اي الجاحدون
غير المعترفين وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونها ثم ينكرونها
عنادا واكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم فان قلت ما معنى ثم قلت الدلاله على ان
انكارهم امر مستبعد بعد حصول المعرفه لان حق من عرف النعمه ان يعترف لا ان ينكر شهيدا
نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب ثم لا يوذن للذين
كفروا في الاعتذار والمعنى لا حجه لهم فدل بترك الاذن على ان لا حجه لهم ولا عذر وكذا عن الحسن
رحمه الله ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون اي لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الاخره
ليست بدار عمل فان قلت فما معنى ثم هذه قلت معناها انهم يمنون بعد شهاده الانبيا
عليهم السلم بما هو اطم منها وهو انهم يمنعون الكلام فلا يوذن لهم في القا معذره ولا ادلا بحجه
وانتصاب اليوم بمحذوف تقديره واذكر يوم نبعث او يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه وكذلك

واذا راا العذاب بغتهم وثقل عليهم فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون كقوله بل تاتيهم
بغته فتبهتهم الايه المراد بالشركا الهتهم فمعنى شركاونا الهتنا التي دعوناها
شركا وان ارادوا الشياطين فلانهم شركاوهم في الكفر وقرناوهم في الغي وندعو بمعنى نعبد
فان قلت لم قالوا انكم لكاذبون وكانوا يعبدونهم على الحقيقه قلت لما كانوا غير
راضين بعبادتهم فكان عبادتهم لم تكن عباده والدليل عليه قول الملايكه كانوا يعبدون
الجن يعنون ان الجن كانوا الراضين بعبادتهم لا نحن فيه المعبودون دوننا او كذبوهم في تسميتهم
شركا والهه تنزيها لله من الشرك وان اريد بالشركا الشياطين جاز ان يكونوا كاذبين
في قولهم انكم لكاذبون كما يقول الشيطان اني كفرت بما اشركتمون من قبل والقوا يعني الذين
ظلموا الى الله السلم الاستسلام لامر الله وحكمه بعد الابا والاستكبار في الدنيا وضل عنهم
وبطل عنهم ما كانوا يفترون من ان لله شركا وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم
وتبروا منهم الذين كفروا في انفسهم وحملوا غيرهم على الكفر يضاعف الله عقابهم كما ضاعفوا
كفرهم وقيل في زياده عذابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع احداهن
اللسعه فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون
من شده برده الى النار بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين الناس بصدهم عن سبيل الله شهيدا عليهم
من انفسهم يعني نبيهم لانه كان يبعث انبيا الامم فيهم منهم وجينا بك يا محمد على هولا على امتك
تبيانا بيانا بليغا ونظير تبيان تلقا في كسر اوله وقد جوز الزجاج فتحه في غير القران فان قلت
كيف كان القران تبيانا لكل شي قلت المعنى انه بين كل شي من امور الدين حيث كان نصا على
بعضها واحاله على السنه حيث امر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته وقيل وما ينطق
عن الهوى وحثا على الاجماع في قوله ويتبع غير سبيل المومنين وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم
لامته اتباع اصحابه والاقتدا باثارهم في قوله اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا
وقاسوا ووطوا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنه والاجماع والقياس والاجتهاد
مستنده الى تبيان الكتاب فمن ثم كان تبيانا لكل شي العدل هو الواجب لان الله عز وجل عدل
فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم والاحسان الندب وانما علق امره بهما
جميعا لان الفرض لا بد من ان يقع فيه تفريط فيجبره الندب ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لمن علمه الفرايض فقال والله لا ازيد فيها ولا انقص افلح ان صدق فعقد الفلاح بشرط الصدق
والسلامه من التفريط وقال عليه السلم استقيموا ولن تحصوا فما ينبغي ان يترك ما يجبر كسر التفريط
من النوافل والفحشا ما جاوز حدود الله والمنكر ما تنكره العقول والبغي طلب التطاول
بالظلم وحين اسقطت من الخطب لعنة الملاعين على امير المومنين صلوات الله عليه اقيمت هذه
الايه مقامها ولعمري انها كانت فاحشه ومنكرا وبغيا ضاعف الله لمن سنها غضبا ونكالا

عهد الله
وخيرا واجابة لدعوة نبيه وعادى من عاداه وكان سبب اسلام عثمن بن مظعون
هي البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ولا تنقضوا
الايمان ايمان البيعة بعد توكيدها اى بعد توثيقها باسم الله واكد ووكد لغتان فصيحتان والاصل
الواو والهمزة بدل منها كفيلا شاهدا ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه ولا تكونوا
في نقض الايمان كالمرأة التي انحت على غزلها بعد ان احكمته وابرمته فجعلته انكاثا جمع نكث
وهو ما ينكث فتله قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع
وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر
ثم تامرهن فينقضن ما غزلن تتخذون حال دخلا احد مفعولي اتخذ يعني ولا تنقضوا ايمانكم متخذيها
دخلا بينكم اى مفسدة ودغلا ان تكون امة يعني جماعة قريش هي اربى من امة هي ازيد عددا واوفر
مالا من امة من جماعة المؤمنين انما يبلوكم الله به الضمير لقوله ان تكون امة لانه في معنى المصدر
اى انما يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما عقدتم على انفسكم
ووكدتم من ايمان البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة
المؤمنين وفقرهم وضعفهم وليبينن لكم انذار وتحذير من مخالفة ملة الاسلام ولو شاء الله لجعلكم
امة واحدة حنيفة مسلمة على طريق الالجاء والاضطرار وهو قادر على ذلك ولكن الحكمة اقتضت ان يضل
من يشاء وهو ان يخذل من علم انه يختار الكفر ويصمم عليه ويهدي من يشاء وهو ان يلطف بمن علم انه
يختار الايمان يعني انه بنى الامر على الاختيار وعلى ما يستحق به اللطف والخذلان والثواب والعقاب
ولم يبنه على الاجبار الذي لا يستحق به شيء من ذلك وحققه بقوله ولتسألن عما كنتم تعملون ولو كان
هو المضطر الى الضلال والاهتداء لما اثبت لهم عملا يسألون عنه ثم كرر النهي عن اتخاذ الايمان
دخلا بينهم تأكيدا عليهم واظهارا لعظم ما يركب منه فتزل قدم بعد ثبوتها فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام
بعد ثبوتها عليها وتذوقوا السوء في الدنيا بصدودكم عن سبيل الله وخروجكم من الدين او بصدكم
غيركم لانهم لو نقضوا ايمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها ولكم
عذاب عظيم في الآخرة كان قوم ممن اسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم ما رأوا من غلبة قريش
واستضعافهم المسلمين وايذائهم لهم ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد ان ينقضوا ما بايعوا
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبتهم الله ولا تشتروا ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة
رسول الله ثمنا قليلا عرضا من الدنيا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم ان رجعوا
انما عند الله من اظهاركم وتغنيمكم ومن ثواب الآخرة خير لكم ما عندكم من اعراض الدنيا
ينفد وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد وقرئ ولنجزين بالنون والياء الذين صبروا
على اذى المشركين ومشاق الاسلام فان قلت لم وحدت القدم ونكرت قلت لاستعظام
ان تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد ان ثبتت عليه فكيف باقدام كثيرة

في نفسه للذكر والانثى فما معنى تبيينه بهما
قلت هو مبهم صالح على الاطلاق للنوعين الا انه اذا ذكر كان الظاهر تناوله للذكور فقيل من ذكر او انثى
على التبيين ليعم الموعد النوعين جميعا حيوة طيبة يعني في الدنيا وهو الظاهر لقوله ولنجزينهم وعده الله ثواب الدنيا
والآخرة كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وذلك ان المؤمن مع العمل الصالح
موسرا كان او معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فلا مقال فيه وان كان معسرا فمعه ما
يطيب عيشه وهو القناعة والرضى بقسمة الله واما الفاجر فامره على العكس ان كان
معسرا فلا اشكال في امره وان كان موسرا فالحرص لا يدعه ان يتهنأ بعيشه وعن ابن
عباس الحيوة الطيبة الرزق الحلال وعن الحسن القناعة وعن قتادة يعني في الجنة وقيل
حلاوة الطاعة والتوفيق في قلبه لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل به قوله فاذا
قرأت القرآن فاستعذ بالله ايذانا بان الاستعاذة من جملة الاعمال الصالحة التي يجزل الله عليها
الثواب والمعنى فاذا اردت قراءة القرآن فاستعذ كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم
وكقولك اذا اكلت فسم الله فان قلت لم عبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل قلت
لان الفعل يوجد عند القصد والارادة بغير فاصل وعلى حسبه فكان منه بسبب قوي وملابسة
ظاهرة وعن عبد الله بن مسعود قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالله السميع العليم
من الشيطان الرجيم فقال لي يا ابن ام عبد قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه
جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ ليس له سلطان تسلط وولاية على اولياء الله يعني انهم لا
يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته انما سلطانه على من يتولاه ويطيعه
به مشركون الضمير يرجع الى ربهم ويجوز ان يرجع الى الشيطان على معنى بسببه تبديل الآية
مكان الآية هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لانها مصالح وما كان مصلحة امس
يجوز ان يكون مفسدة اليوم وخلافه مصلحة والله عز وجل عالم بالمصالح والمفاسد فيثبت ما
يشاء وينسخ ما يشاء بحكمته وهذا معنى قوله والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر وجدوا مدخلا
للطعن فطعنوا وذلك لجهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ وكانوا يقولون ان محمدا
يسخر باصحابه يأمرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا فيأتيهم بما هو اهون ولقد افتروا فقد كان
ينسخ الاشق بالاهون والاهون بالاشق والاشق بالاشق لان الغرض المصلحة لا الهوان والمشقة
فان قلت هل في ذكر تبديل الآية مكان الآية دليل على ان القرآن انما ينسخ بمثله ولا يصح بغيره من
السنة والاجماع والقياس قلت فيه ان القرآن ينسخ بمثله وليس فيه نفي نسخه بغيره على
ان السنة المكشوفة المتواترة مثل القرآن في ايجاب العلم فنسخه بها كنسخه بمثله واما الاجماع
والقياس والسنة غير المقطوع بها فلا يصح نسخ القرآن بها وفي ينزل ونزله ما فيهما من التنزيل
شيئا فشيئا على حسب الحوادث والمصالح اشارة الى ان التبديل من باب المصالح كالتنزيل وان ترك
النسخ بمنزلة انزاله دفعة واحدة في خروجه عن الحكمة وروح القدس جبريل صلوات الله عليه

اضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد
وزيد الخير والمقدس المطهر من المآثم وقرئ بضم الدال وسكونها بالحق في موضع الحال اي نزله ملتبسا
بالحكمة يعني ان النسخ من جملة الحق ليثبت الذين آمنوا ليبلوهم بالنسخ حتى اذا قالوا انه هو الحق من ربنا والحكمة
حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمانينة القلوب على ان الله حكيم فلا يفعل الا ما هو حكمة
وصواب وهدى وبشرى مفعول لها معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتا لهم وارشادا او بشارة وفيه
تعريض بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ارادوا بالبشر غلاما كان لحويطب
بن عبد العزى قد اسلم وحسن اسلامه اسمه عايش او يعيش وكان صاحب كتب وقيل هو جبر غلام
رومي كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن
التورية والانجيل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر وقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا
يعلمانه فقيل لاحدهما انك تعلم محمدا فقال لا بل هو يعلمني وقيل هو سلمان الفارسي واللسان اللغة ويقال
الحد القبر ولحده وهو ملحد وملحود اذا امال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه
ثم استعير لكل امالة عن استقامة فقالوا الحد فلان في قوله والحد في دينه ومنه الملحد
لانه امال مذهبه عن الاديان كلها لم يمله عن دين الى دين والمعنى لسان الرجل الذي يميلون قولهم
عن الاستقامة اليه لسان اعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة
ردا لقولهم وابطالا لطعنهم وقرئ يلحدون بفتح الياء والحاء وفي قراءة الحسن اللسان الذي
يلحدون اليه بتعريف اللسان فان قلت الجملة التي هي قوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي
ما محلها قلت لا محل لها لانها مستانفة جواب لقولهم ومثله قوله الله اعلم حيث يجعل رسالته
بعد قوله واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا
يهديهم الله لا يلطف بهم لانهم من اهل الخذلان في الدنيا والعذاب في
الآخرة لا من اهل اللطف والثواب انما يفتري الكذب رد لقولهم انما انت مفتر يعني انما يليق افتراء
الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا عليه واولئك اشارة الى قريش هم الكاذبون اي
الذين لا يؤمنون هم الكاذبون او الى الذين لا يؤمنون اي واولئك هم الكاذبون على الحقيقة
لان تكذيب آيات الله اعظم الكذب او اولئك هم الذين عادتهم الكذب
الكاملون في الكذب لا يبالون في كل شيء لا يحجبهم عنه مروءة ولا دين او اولئك هم الكاذبون في قولهم انما انت مفتر من كفر
بدل من الذين لا يؤمنون بآيات الله على ان يجعل واولئك هم الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل
منه والمعنى انما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم
الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا اي طاب به نفسا واعتقده فعليهم غضب من الله
ويجوز ان يكون بدلا من المبتدا الذي هو اولئك على ان من كفر بالله من بعد ايمانه هم الكاذبون او من
الخبر الذي هو الكاذبون على واولئك هم من كفر بالله من بعد ايمانه ويجوز ان ينتصب على الذم
وقد جوزوا ان يكون من كفر بالله شرطا مبتدا ويحذف جوابه لان جواب من شرح دال عليه

كأنه قيل من كفر بالله فعليهم غضب الا من اكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب
وروي ان ناسا من اهل مكة فتنوا فارتدوا عن الاسلام بعد دخولهم فيه وكان فيهم من
اكره فاجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للايمان منهم عمار وابواه ياسر وسمية
وصهيب وبلال وخباب وسالم عذبوا فاما سمية فقد ربطت بين بعيرين ووجئ في قبلها
بحربة وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتل ياسر وهما اول قتيلين في الاسلام
واما عمار فقد اعطاهم ما ارادوا بلسانه مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر
فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال
مالك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت ومنهم جبر مولى الحضرمي اكرهه سيده فكفر ثم اسلم
مولاه واسلم وحسن اسلامهما وهاجرا فان قلت اي الامرين افضل افعل عمار ام فعل
ابويه قلت بل فعل ابويه لان في ترك التقية والصبر على القتل اعزازا للاسلام
وقد روي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال
فما تقول في قال انت ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول
في قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول
فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك اشارة الى الوعيد وان
الغضب والعذاب يلحقانهم بسبب استحبابهم الدنيا على الآخرة واستحقاقهم خذلان الله
بكفرهم اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة الذين لا احد اغفل منهم لان الغفلة عن
تدبر العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاها ثم ان ربك للذين هاجروا دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال
اولئك وهم عمار واصحابه ومعنى ان ربك لهم انه لهم لا عليهم بمعنى انه وليهم وناصرهم لا
عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور من بعد
ما فتنوا بالعذاب والاكراه على الكفر وقرئ فتنوا على البناء للفاعل اي بعد ما عذبوا المؤمنين
كالحضرمي واشباهه من بعدها من بعد هذه الافعال وهي الهجرة والجهاد والصبر يوم تأتي
منصوب برحيم او باضمار اذكر فان قلت ما معنى النفس المضافة الى النفس قلت يقال لعين
الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي فالنفس الاولى هي الجملة والثانية
عينها وذاتها فكأنه قيل يوم يأتي كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره كل يقول
نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء اضلونا وما كنا مشركين ونحو ذلك وضرب الله
مثلا قرية اي جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا
وتولوا فانزل الله بهم نقمته فيجوز ان يراد قرية مقدرة على هذه الصفة وان تكون في قرى الاولين
قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها مطمئنة لا يزعجها خوف
لان الطمأنينة مع الامن والانزعاج والقلق مع الخوف رغدا واسعا والانعم جمع نعمة على

ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع او جمع نعم كبؤس وأبؤس وفي الحديث نادى منادي النبي صلى الله عليه وسلم
بالموسم بمنى انها ايام طعم ونعم فلا تصوموا هـ فان قلت الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما
والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها عليه هـ قلت اما
الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق
فلان البؤس والضر واذاقه العذاب شبه ما يدرك من اثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع
واما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي الانسان والتبس به من بعض الحوادث واما ايقاع
الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكانه قيل فاذاقهم ما
غشيهم من الجوع والخوف ولهم في هذا طريقان لا بد من الاحاطة بهما فان الاستنكار لا يقع الا لمن فقدهما
احدهما ان ينظروا فيه الى المستعار له كما نظر اليه ههنا ونحوه قول كثير

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال

استعار الرداء للمعروف
لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف
والنوال لا صفة الرداء نظرا الى المستعار له والثاني ان ينظروا فيه الى المستعار كقوله

ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر
لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر

اراد بردائه سيفه
ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر الى المستعار في لفظ الاعتجار ولو نظر اليه فيما نحن فيه
لقيل فكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير ضافي الرداء اذا تبسم ضاحكا وهم ظالمون
في حال التباسهم بالظلم كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم نعوذ بالله من مفاجاة
النقمة والموت على الغفلة وقرئ والخوف عطفا على اللباس او على تقدير حذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه اصله ولباس الخوف وقرئ لباس الخوف والجوع لما وعظهم بما ذكر من حال القرية
وما اوتيت من كفرها وسوء صنيعها وصل بذلك الفاء في قوله فكلوا وصدهم عن افعال
الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة التي كانوا عليها بان امرهم باكل ما رزقهم الله من الحلال الطيب
وشكر انعامه بذلك وقال ان كنتم اياه تعبدون تعني تطيعون او ان صح زعمكم انكم تعبدون الله
بعبادة الآلهة لانها شفعاؤكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم
باهوائهم وجهالاتهم دون اتباع ما شرع الله على لسان انبيائه وانتصاب الكذب بلا تقولوا اي لا
تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام
خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير استناد ذلك الوصف الى وحي من الله او الى قياس مستند
اليه واللام مثلها في قولك ولا تقولوا لما احل الله هو حرام وقوله هذا حلال وهذا حرام بدل من
الكذب ويجوز ان يتعلق بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقول
هذا حلال وهذا حرام ولك ان تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا
حرام بلا تقولوا على ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا

لاجل قول تنطق به السنتكم ويجول في افواهكم لا لاجل حجة وبينة ولكن قول ساذج ودعوى
فارغة هـ فان قلت ما معنى وصف السنتهم الكذب قلت هو من فصيح الكلام وبليغه
جعل قولهم كانه عين الكذب ومحضه فاذا نطقت به السنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته
بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر صفة لما
المصدرية كانه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها
البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الشتم او بمعنى
الكلم الكواذب او هو جمع الكذاب من قولك كذب كذابا ذكره ابن جني واللام في لتفتروا من
التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض متاع قليل خبر مبتدا محذوف اي منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية
منفعة قليلة وعقابها عظيم ما قصصنا عليك يعني في سورة الانعام بجهالة في موضع الحال
اي عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه او غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم
من بعدها من بعد التوبة كان امة فيه وجهان احدهما انه كان وحده امة من الامم لكماله في جميع
صفات الخير كقوله وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وعن مجاهد
كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار والثاني ان يكون امة بمعنى ماموم اي يؤمه الناس لياخذوا منه
الخير او بمعنى مؤتم به كالرحلة والنخبة وما اشبه ذلك مما جاء من فعلة بمعنى مفعول فيكون مثل
قوله قال اني جاعلك للناس اماما وروى الشعبي عن فروة بن نوفل الاشجعي عن ابن مسعود انه قال
ان معاذا كان امة قانتا لله فقلت غلطت انما هو ابرهيم صلى الله عليه وسلم فقال الامة الذي يعلم الخير
والقانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك وعن عمر رضي الله عنه انه قال حين قيل له الا تستخلف
لو كان ابو عبيدة حيا لاستخلفته ولو كان معاذ حيا لاستخلفته ولو كان سالم حيا لاستخلفته
فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ابو عبيدة امين هذه الامة ومعاذ امة قانت لله
ليس بينه وبين الله يوم القيمة الا المرسلون وسالم شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله لم يعصه
والمعنى انه كان اماما في الدين لان الائمة معلموا الخير والقانت القائم بما امره الله الحنيف
المائل الى ملة الاسلام غير الزائل عنه ونفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش في زعمهم انهم على ملة ابرهيم
شاكرا لانعمه روي انه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو
بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الآن وجبت مؤاكلتكم
شكرا لله على انه عافاني وابتلاكم اجتباه اختصه واصطفاه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم
الى ملة الاسلام حسنة عن قتادة هي تنويه الله بذكره حتى ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل
الاموال والاولاد وقيل قول المصلي منا كما صليت على ابرهيم لمن الصالحين لمن اهل الجنة ثم اوحينا
في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلال محله والايذان بان اشرف ما اوتي
خليل الله ابرهيم من الكرامة واجل ما اولي من النعمة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته من قبل
انها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي اثنى الله عليه بها السبت
مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه

واختلافهم فيه انهم احلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم ان يتفقوا في تحريمه
على كلمة واحدة بعدما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد فيه وتعظيمه والمعنى في ذكر ذلك نحو المعنى
في ضرب القرية التي كفرت بانعم الله مثلا وغير ما ذكر وهو الانذار من سخط الله على العصاة والمخالفين
لاوامره والخالعين ربقة طاعته فان قلت فما معنى الحكم بينهم اذا كانوا جميعا محلين او محرمين
قلت معناه انه يجازيهم جزاء اختلاف فعلهم في كونهم محلين تارة ومحرمين اخرى ووجه اخر وهو ان موسى
عليه السلام امرهم ان يجعلوا في الاسبوع يوما للعبادة وان يكون يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد
اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة
فهذا اختلافهم في السبت لان بعضهم اختاره وبعضهم اختار عليه الجمعة فاذن الله لهم في السبت
وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن
الصيد فمسخهم الله دون اولئك وهو يحكم بينهم يوم القيمة فيجازي كل واحد من الفريقين بما يستوجبه
ومعنى جعل السبت فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه وقرئ انما جعل السبت على البنا
للفاعل وقرا عبد الله انا انزلنا السبت الى سبيل ربك الى الاسلام **بالحكمة** بالمقالة الصحيحة المحكمة
وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة وهي التي لا يخفى عليهم انك تناصحهم
بها وتقصد ما ينفعهم فيها ويجوز ان يريد القران اي ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة
وجادلهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا
تعنيف **ان ربك** اعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه
عجزت عنه الحيل وكانك تضرب منه في حديد بارد سمى الفعل الاول باسم الثاني للمزاوجة والمعنى
ان صنع بكم صنيع سوء من قتل او نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه وقرئ وان عقبتم فعقبوا
اي وان قفيتم بالانتصار فقفوا بالمثل بما فعل بكم روي ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم احد
بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا احدا غير ممثول به الا حنظلة بن الراهب فوقف
رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة وقد مثل به وروي فراه مبقور البطن فقال اما والذي احلف
به لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده ولا خلاف
في تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهي عنها حتى بالكلب العقور واما ان يرجع الضمير في لهو الى الصبر
وهو مصدر صبرتم ويراد بالصابرين المخاطبون اي ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرون
موضع الضمير ثناء من الله عليهم بانهم صابرون على الشدائد او وصفهم بالصفة التي تحصل لهم
اذا صبروا عن المعاقبة واما ان يرجع الى جنس الصبر وقد دل عليه صبرتم ويراد بالصابرين
جنسهم كانه قيل وللصبر خير للصابرين ونحوه قوله عز وجل فمن عفا واصلح فاجره على الله
وان تعفوا اقرب للتقوى ثم قال لرسوله صلى الله عليه وسلم واصبر انت فعزم عليه بالصبر **وما** صبرك
الا بالله اي بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبه **ولا** تحزن عليهم اي على الكفرين كقوله فلا تأس
على القوم الكفرين او على المؤمنين وما فعل بهم الكفرة **ولا تك** في ضيق وقرئ ولا تكن في ضيق اي لا يضيقن
صدرك من مكرهم والضيق تخفيف الضيق اي في امر ضيق ويجوز ان يكون الضيق والضيق

كالقيل والقول **ان الله** مع الذين اتقوا اي هو ولي الذين اجتنبوا المعاصي وولي الذين هم محسنون
في اعمالهم وعن هرم بن حيان انه قيل له حين احتضر اوص فقال انما الوصية من المال ولا مال لي واوصيكم
بخواتيم سورة النحل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النحل لم يحاسبه الله بالنعم التي انعمها
عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلته كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

سورة بني اسرائيل مكية وهي مائة وعشر ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان علم للتسبيح كعثمن للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره اسبح الله
سبحن ثم نزل سبحن منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح التي يضيفها
اليه اعداء الله واسرى وسرى لغتان **ليلا** نصب على الظرف فان قلت الاسرا لا يكون الا بالليل فما
معنى ذكر الليل قلت اراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسرا وانه اسرى به في بعض
الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة وذلك ان التنكير فيه قد دل على معنى البعضية ويشهد
لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل اي بعض الليل كقوله ومن الليل فتهجد به يعني الامر بالقيام
في بعض الليل واختلف في المكان الذي اسري منه فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل بالبراق وقيل اسري به من
دار ام هانئ بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس الحرم
كله مسجد وروي انه كان نائما في بيت ام هانئ بعد صلاة العشاء فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة على ام
هانئ وقال مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت ام هانئ بثوبه فقال ما لك
قالت اخشى ان يكذبك قومك ان اخبرتهم قال وان كذبوني فخرج فجلس اليه ابو جهل فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحديث الاسرا فقال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لؤي هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على راسه
تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان امن به وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق
قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق ومنهم من سافر الى ثم
فاستنعتوه المسجد فجلي له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد
اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع
الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس
قد شرقت فقال اخر وهذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال ثم لم يؤمنوا وقالوا
ما هذا الا سحر مبين وقد عرج به الى السماء في تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس واخبر قريشا
ايضا بما راى في السماء من العجائب وانه لقي الانبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى واختلفوا في وقت
الاسرا فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن انس والحسن انه كان قبل البعث واختلف في انه كان في اليقظة
ام في المنام فعن عائشة رضي الله عنها انها قالت والله ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولكن عرج بروحه وعن معوية انما عرج بروحه وعن الحسن كان في المنام رؤيا راها
واكثر الاقاويل بخلاف ذلك والمسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد **باركنا حوله**

يريد بركات الدين والدنيا لانه متعبد الانبياء من وقت موسى عليه السلام ومهبط الوحي وهو محفوف
بالانهار الجارية والاشجار المثمرة وقرا الحسن ليريه بالياء ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب
والمتكلم فقيل اسرى ثم باركنا ثم ليريه على قراءة الحسن ثم من آياتنا ثم انه هو وهي طريقة الالتفات
التي هي من طرق البلاغة انه هو السميع لاقوال محمد البصير بافعاله العالم بتهذيبها وخلوصها
فيكرمه ويقربه على حسب ذلك الا تتخذوا وقرئ بالياء على لئلا يتخذوا وبالتاء على اي لا تتخذوا كقولك
كتبت اليه ان افعل كذا وكيلا ربا تكلون اليه اموركم ذرية من حملنا نصب على الاختصاص
وقيل على النداء فيمن قرا لا تتخذوا بالتاء على النهي يعني قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا يا ذرية من
حملنا مع نوح وقد يجعل وكيلا ذرية من حملنا مفعولي تتخذوا اي لا تجعلوهم اربابا كقوله ولا
يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير ويريد ذرية
من حملنا بالرفع بدلا من واو تتخذوا وقرا زيد بن ثابت ذرية بكسر الذال وروي عنه انه فسرها
بولد الولد ذكرهم الله النعمة في انجاء ابائهم من الغرق انه ان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا قيل
كان اذا اكل قال الحمد لله الذي اطعمني ولو شاء اجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني
ولو شاء اظماني واذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولو شاء اعراني واذا احتذى قال الحمد لله الذي
حذاني ولو شاء احفاني واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي اخرج عني اذاه في عافية ولو شاء
حبسه وروي انه كان اذا اراد الافطار عرض طعامه على من آمن به فان وجده محتاجا
آثره به فان قلت قوله انه كان عبدا شكورا ما وجه ملائمته لما قبله قلت فيه
قيل لا تتخذوا من دوني وكيلا ولا تشركوا بي لان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا وانتم ذرية من آمن به
وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله اباؤكم اسوتهم ويجوز ان يكون تعليلا للاختصاص والثناء
عليهم بانهم اولاد المحمولين مع نوح فهم متصلون به فاستاهلوا لذلك الاختصاص ويجوز ان
يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد وقضينا الى بني اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا
اي مقطوعا مبتوتا بانهم يفسدون في الارض لا محالة ويعلون اي يتعظمون ويبغون في الكتاب في التوراة
ولتفسدن جواب قسم محذوف ويجوز ان يجري القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له
كانه قال واقسمنا لتفسدن وقرئ لتفسدن على البناء للمفعول
ولتفسدن بفتح التاء من فسد مرتين اولاهما قتل زكريا عليه السلام وحبس ارميا
حين انذرهم سخط الله والاخرة قتل يحيى بن زكريا عليه السلام وقصد قتل عيسى
بن مريم عبادا لنا وقرئ عبيدا لنا واكثر ما يقال عباد الله وعبيد الناس سنجاريب وجنوده
وقيل بخت نصر وعن ابن عباس جالوت قتلوا علماءهم واحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا
منهم سبعين الفا فان قلت كيف جاز ان يبعث الله الكفرة على ذلك ويسلطهم عليه قلت
معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم على ان الله عز وعلا اسند بعث الكفرة عليهم
الى نفسه فهو كقوله وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وكقول الداعي

وخالف بين كلمهم
واسند الجوس وهو التردد خلال الديار بالفساد اليهم فتخريب المسجد واحراق
التوراة من جملة الجوس المسند اليهم وقرا طلحة فحاسوا بالحاء وقرئ فجوسوا وخلل الديار
فان قلت ما معنى وعد اولاهما قلت معناه وعد عقاب اولاهما وكان وعدا مفعولا يعني وكان
وعد العقاب وعدا لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة على الذين بعثوا
عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو وقيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني اسرائيل اسراهم
واموالهم ورجوع الملك اليهم وقيل قتل داود جالوت واكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر
مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر كالعبيد والمعيز اي الاحسان والاساءة كلاهما مختص
بانفسكم لا يتعدى النفع والضر الى غيركم وعن علي رضي الله عنه ما احسنت الى احد ولا اسات
اليه وتلاها فاذا جاء وعد المرة الاخرة بعثناهم ليسوءوا وجوهكم حذف لدلالة ذكره
اولا عليه ومعنى ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية اثار المساءة والكآبة فيها كقوله
سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء والضمير لله عز وجل او للوعد او للبعث ولنسوء بالنون
وفي قراءة علي رضي الله عنه لنسوءن ولنسوءن وقرئ لنسوءن بالنون
اللام في هذا متعلق بمحذوف وهو وبعثناهم ليدخلوا ولنسوءن جواب اذا جاء ما علوا مفعول ليتبروا اي
ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه او بمعنى مدة علوهم عسى ربكم ان يرحمكم بعد
المرة الثانية ان تبتم مرة اخرى وازدجرتم عن المعاصي وان عدتم مرة ثالثة عدنا الى عقوبتكم
وقد عادوا فاعاد الله عليهم النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة عليهم وعن الحسن عادوا
فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة ثم كان آخر
ذلك ان بعث الله عليهم هذا الحي من العرب فهم منهم في عذاب الى يوم القيامة حصيرا محبسا يقال
للسجن محصر وحصير وعن الحسن بساطا كما يبسط الحصير المرمول للتي هي اقوم للحالة التي هي
اقوم الحالات واسدها او للملة او للطريقة واينما قدرت لم تجد مع الاثبات ذوق البلاغة الذي
تجده مع الحذف لما في ابهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع ايضاحه وقرئ ويبشر بالتخفيف
فان قلت كيف ذكر المؤمنين الابرار والكفار ولم يذكر الفسقة قلت كان الناس حينئذ
اما مؤمن تقي واما مشرك وانما حدث اصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك فان قلت علام عطف وان
الذين لا يؤمنون قلت على ان لهم اجرا كبيرا على معنى انه بشر المؤمنين ببشارتين اثنتين
بثوابهم وبعقاب اعدائهم ويجوز ان يراد ويخبر بان الذين لا يؤمنون معذبون ويدع الانسان
اي يدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله كما يدعو لهم بالخير كقوله
ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير وكان الانسان عجولا يتسرع الى طلب كل ما يقع
في قلبه ويخطر بباله لا يتانى فيه تاني المتبصر وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه دفع الى سودة بنت
زمعة اسيرا فاقبل يئن بالليل فقالت ما لك تئن فشكا الم القد فارخت من كتافه
فلما نامت اخرج يده وهرب فلما اصبح النبي صلى الله عليه وسلم دعا به فاعلم بشانه فقال عليه
النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة وان يقطع

اللهم بديها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني سالت الله ان يجعل لعنتي ودعائي على غير المستحق
من امتي رحمة لاني بشر اغضب كما يغضب البشر فلعن سودة بدعائها ويجوز ان يريد بالانسان
الكافر وانه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير اذا مسته الشدة وكان
الانسان عجولا يعني ان العذاب آتيه لا محالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس هو النضر
بن الحارث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية فاجيب له فضربت عنقه صبرا
فيه وجهان احدهما ان يراد ان الليل والنهار آيتان في انفسهما فتكون الاضافة في آية الليل
وآية النهار للتبيين كاضافة العدد الى المعدود اي فمحونا الاية التي هي الليل
وجعلنا الاية التي هي النهار مبصرة والثاني ان يراد وجعلنا نيري الليل والنهار
آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية الليل اي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلما
لا يستبان فيه شيء كما لا يستبان ما في اللوح الممحو وجعلنا النهار مبصرا اي يبصر فيه
الاشياء وتستبان او فمحونا آية الليل التي هي القمر حيث لم يخلق له شعاعا كشعاع الشمس
فترى به الاشياء رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء
لتبتغوا فضلا من ربكم لتتوصلوا ببياض النهار الى استبانة اعمالكم والتصرف في معايشكم
ولتعلموا باختلاف الجديدين عدد السنين وجنس الحساب وما تحتاجون اليه منه ولولا
ذلك لما علم احد حسبان الاوقات ولتعطلت الامور وكل شيء مما تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم
فصلناه بيناه بيانا غير ملتبس فازحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا طائره عمله
وقد حققنا القول فيه في سورة النمل وعن ابن عيينة هو من قولك طار له سهم اذا خرج يعني
الزمناه ما طار من عمله والمعنى ان عمله لازم له لزوم القلادة او الغل لا ينفك عنه ومنه
مثل العرب تقلدها طوق الحمامة وقولهم الموت في الرقاب وهذا ربقة في رقبته وعن الحسن
يا ابن آدم بسطت لك صحيفة اذا بعثت قلدتها في عنقك وقرئ في عنقه بسكون النون
ونخرج على البناء للمفعول ويخرج بالياء والضمير لله عز وجل ويخرج على البناء للفاعل ويخرج
من خرج والضمير للطائر اي يخرج الطائر كتابا وانتصاب كتابا على الحال وقرئ
يلقاه منشورا صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من يلقاه وقرئ
يلقاه على البناء للمفعول ويلقاه بمعنى يلقاه ... اقرأ على ارادة القول وعن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا
حال ... **اقرأ** على ارادة القول ... بمعنى ضاربها وصريم بمعنى صارم
فاعل كفى وحسيبا تمييز وهو بمعنى حاسب كضريب القداح بمعنى ضاربها ووضع موضع
الشهيد فعدي بعلى لان الشاهد يكفي المدعي ما اهمه فان قلت لم ذكر حسيبا قلت
لانه بمنزلة الشهيد والقاضي والامير لان الغالب ان هذه الامور يتولاها الرجال فكانه قيل
كفى بنفسك رجلا حسيبا ويجوز ان تتاول النفس بالشخص كما يقال ثلاثة انفس وكان الحسن
اذا قراها قال يا ابن آدم انصفك والله من جعلك حسيب نفسك اي كل نفس حاملة
وزرها فانما تحمل وزرها لا وزر نفس اخرى **وما كنا** معذبين ... ناهية ...

بسعادة
٤٤
ويلقاه

الحجة ان نعذب قوما الا بعد ان نبعث اليهم رسولا فنلزمهم الحجة **فان قلت** الحجة
لازمة لهم قبل بعثة الرسل لان معهم ادلة العقل التي بها يعرف الله وقد اغفلوا النظر
وهم متمكنون منه واستيجابهم العذاب لاغفالهم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا
لاغفال الشرائع التي لا سبيل اليها الا بالتوقيف والعمل بها لا يصح الا بعد الايمان **قلت**
بعثة الرسول من جملة التنبيه على النظر والايقاظ من رقدة الغفلة لئلا يقولوا كنا
غافلين فلولا بعثت الينا رسولا ينبهنا على النظر في ادلة العقل **واذا** اردنا واذا دنا
وقت اهلاك قوم ولم يبق من زمان امهالهم الا قليل امرناهم **ففسقوا** اي امرناهم بالفسق
ففعلوا والامر مجاز لان حقيقة امرهم بالفسق ان يقول لهم افسقوا وهذا لا يكون فبقي
ان يكون مجازا ووجه المجاز انه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع
الشهوات فكانهم مامورون بذلك لتسبب ايلاء النعمة فيه وانما خولهم اياها ليشكروا
ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الاحسان والبر كما خلقهم اصحاء اقوياء واقدرهم على الخير
والشر وطلب منهم ايثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهو
كلمة العذاب فدمرهم **فان قلت** هلا زعمت ان معناه امرناهم بالطاعة ففسقوا **قلت**
لان حذف ما لا دليل عليه غير جائز فكيف حذف ما الدليل قائم على نقيضه وذلك ان المامور
به انما حذف لان فسقوا يدل عليه وهو كلام مستفيض يقال امرته فقام وامرته فقرا
لا يفهم منه الا ان المامور به قيام او قراءة ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك
علم الغيب ولا يلزم هذا قولهم امرته فعصاني او فلم يمتثل امري لان ذلك مناف للامر مناقض
له ولا يكون ما يناقض الامر مامورا به فكان محالا ان يقصد اصلا حتى يجعل دالا على المامور
به فكان المامور به في هذا الكلام غير مدلول عليه ولا منوي لان من يتكلم بهذا الكلام فانه
لا ينوي لامره مامورا به وكانه يقول كان مني امر فلم تكن منه طاعة كما ان من يقول فلان يعطي
ويمنع ويامر وينهى غير قاصد الى مفعول **فان قلت** هلا كان ثبوت العلم بان الله لا يامر
بالفحشاء وانما يامر بالقسط والخير دليلا على ان المراد امرناهم بالخير ففسقوا **قلت** لا يصح
ذلك لان قوله ففسقوا يدافعه فكانك اظهرت شيئا وانت تدعي اضمار خلافه فكان صرف
الامر الى المجاز هو الوجه ونظير امر شاء في ان مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة ما بعده
عليه تقول لو شاء لاحسن اليك ولو شاء لاساء اليك تريد لو شاء الاحسان ولو شاء الاساءة فلو
ذهبت تضمر خلاف ما اظهرت وقلت قد دلت حال من اسندت اليه المشيئة انه من اهل الاحسان او
من اهل الاساءة فاترك الظاهر المنطوق به واضمر ما دلت عليه حال صاحب المشيئة لم تكن على سداد
وقد فسر بعضهم امرنا بكثرنا وجعل امرته فامر من باب فعلته ففعل كثبرته فثبر
وفي الحديث خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة اي كثيرة النتاج وروي ان رجلا
من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى امرك هذا حقيرا فقال صلى الله عليه وسلم

لا لغافلين
المراد الحق
المس دليلا
يقال سكة مابورة اي المصطفة من النخل والمامورة الملقحة والمامورة كثيرة النسل

إنه سبحانه امر ... وقرئ آمرنا من أمر وآمرنا غيره وأمّرنا بمعنى أمرنا
أي جعلناهم أمراء بالامارة واتمر الله اي جعلناهم امراء او سلطناهم **وكم** مفعول اهلكنا من القرون
بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس يعني عادا وثمودا وقرونا بين ذلك كثيرا من بعد
نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا اعلم ان الذنوب هي اسباب الهلكة لا غير
وانه عالم بها فمعاقب عليها **من كان يريد العاجلة** همه ولم يرد غيرها كالكفرة واكثر
الفسقة تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد فقيد الامر بقيدين احدهما تقييد
المعجل بمشيئته والثاني تقييد المعجل له بارادته وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون
ما يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع
عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة واما المؤمن التقي فقد اختار مراده وهو غنى الآخرة
فما يبالي اوتي حظا من الدنيا ام لم يؤت فان اوتي فيها والا فربما كان الفقر خيرا له واعون
على مراده وقوله لمن نريد بدل من له وهو بدل البعض من الكل لان الضمير يرجع الى من وهو
في معنى الكثرة وقرئ يشاء وقيل الضمير لله عز وجل فلا فرق بين القراءتين في المعنى
ويجوز ان يكون للتعبير عن العبد ما يشاء من الدنيا وان لكل واحد من الدهاء مريديه
الله ذلك وقيل هو من يريد الدنيا بعمل الآخرة كالمنافق والمرائي والمهاجر للدنيا والمجاهد
للغنيمة والذكر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله
ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه **مذموما** مطرودا
من رحمة الله **سعيها** حقها من السعي وكفاءها من الاعمال الصالحة اشترط بثلاث شرائط
في كون السعي مشكورا ارادة الآخرة بان يعقد بها همته ويتجافى عن دار الغرور والسعي
فيما كلف من الفعل والترك وان الايمان الصحيح الثابت وعن بعض المتقدمين من لم يكن معه ثلاث
لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الآية وشكر الله الثواب
على الطاعة **كلا** كل واحد من الفريقين والتنوين عوض من المضاف اليه نمد هؤلاء من بدل من
كلا اي نمد هؤلاء وهؤلاء **من عطاء ربك** اي نزيدهم من عطاء ربك من المطيع والعاصي جميعا على
وجه التفضل **وما كان عطاء ربك** وفضله **محظورا** اي ممنوعا لا يمنعه من عاص لعصيانه
انظر بعين الاعتبار **كيف فضلنا بعضهم على بعض** في الدنيا **وللآخرة** التفاوت اكبر
لانها ثواب واعواض وتفضل وكلها متفاوتة وروي ان قوما من الاشراف فمن دونهم اجتمعوا
بباب عمر رضي الله عنه فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق على ابي سفيان فقال سهيل بن عمرو
انما اتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا يعني الى الاسلام فاسرعوا وابطأنا وهذا باب عمر
فكيف التفاوت في الآخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما اعد الله لهم في الجنة اكثر
وعن بعضهم ايها المباهي بالرفع في مجالس الدنيا اما ترغب في
ورفع المراتب تفضيلا وعن بعضهم ايها المباهي بالرفع في مجالس الآخرة وهي اكبر وافضل **لا تجعل** من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها
المباهاة بالرفع في مجالس الآخرة وهي اكبر وافضل

خرت به بمعنى صار يعني فتصير جامعا على نفسك الذم وما يتبعه من الهلاك
من الملائكة والمؤمنين والخذلان والعجز عن النصر ممن جعلته شريكا له **وقضى ربك**
ان لا تعبدوا ان مفسرة ولا تعبدوا نهي او بان لا تعبدوا **وبالوالدين احسانا** وامر بان تحسنوا بالوالدين احسانا
او بان تحسنوا بالوالدين احسانا وقيل وقضى ربك اي وصى وعن ابن عباس رضي الله عنهما وعن بعض ولد معاذ
بن جبل ووصى ربك ولا يجوز ان يتعلق الباء في بالوالدين بالاحسان لان المصدر لا يتقدم عليه صلته
إما هي ان الشرطية زيدت عليها ما تأكيدا لها ولذا دخلت النون المؤكدة في الفعل
ولو افردت ان لم يصح دخولها لا تقول ان تكرمن زيدا يكرمك ولكن اما تكرمنه **يبلغن**
فاعل يبلغن وهو فيمن قرأ يبلغان بدل من الف الضمير الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما
فاعلا او بدلا **فان قلت** لو قيل اما يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لا بدلا فما لك
زعمت انه بدل **قلت** لانه معطوف على ما لا يصح ان يكون توكيدا للاثنين فانتظم في حكمه
توجه ان يكون مثله **فان قلت** ما ضرك لو جعلته توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا
وعطفت التوكيد على البدل **قلت** لو اريد توكيد التثنية لقيل كلاهما فحسب فلما قيل
احدهما او كلاهما علم ان التوكيد غير مراد فكان بدلا مثل الاول **أف** صوت يدل على تضجر
ان الحركات الثلاث منونا وغير منون الكسر على البناء والفتح تخفيف للضمة والتنوين للتنكير
والضم اتباع كمنذ **فان قلت** ما معنى عندك **قلت** هو ان يكبرا ويعجزا وكانا
كلا على ولدهما لا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه وذلك اشق عليه واشد
احتمالا وصبرا وربما تولى منهما ما كانا يتوليان منه في حال الطفولية فهو مأمور بان يستعمل
معهما وطأة الخلق ولين الجانب والاحتمال حتى لا يقول لهما اذا اضجره ما يستقذر منهما اف
فضلا عما يزيد عليه ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما حيث افتتحها
ان يشفع الاحسان اليهما بتوحيده ونظمهما في سلك القضاء بهما معا ثم ضيق الامر في
مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته
مع احوال لا يكاد يدخل صبر الانسان معها في استطاعته **ولا تنهرهما** ولا تزجرهما
عما يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهي والنهر والنهم اخوات **وقل لهما** بدل التأفيف والنهر **قولا**
كريما جميلا كما يقتضيه حسن الادب والنزول على المروءة وقيل هو ان يقول يا ابتاه يا اماه
كما قال ابراهيم عليه السلام لابيه يا ابت مع كفره ولا يدعوهما باسمائهما فانه من الجفاء وسوء
الادب وعادة الدعار ولا بأس به في غير وجهه كما قالت عائشة رضي الله عنها نحلني
ابو بكر كذا **واخفض لهما جناح الذل** الذل بالضم والعز **فان قلت** ما معنى قوله جناح
الذل **قلت** فيه وجهان احدهما ان يكون المعنى واخفض لهما جناحك كما قال واخفض
جناحك للمؤمنين فاضافه الى الذل او الذل كما اضيف حاتم الى الجود على معنى واخفض لهما
جناحك الذليل او الذلول والثاني ان تجعل لذله او لذله لهما جناحا خفيضا كما جعل

وغداة ريح قد كشفت وقرة ... إذا أصبحت بيد الشمال زمامها

لبيد للشمال يدا وللقرة زماما مبالغة في التذلل والتواضع لهما **من الرحمة** من فرط رحمتك
لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم إلى من كان أفقر خلق الله إليهما بالأمس
ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله بأن يرحمهما رحمته الباقية واجعل
ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك. **فإن قلت** الاسترحام لهما إنما
يجوز إذا كانا مسلمين. **قلت** وإذا كانا كافرين فله أن يسترحم لهما بشرط الإيمان وأن يدعو
الله لهما بالهداية والإرشاد. ومن الناس من قال كان الدعاء للكفار جائزا ثم نسخ. وسئل
ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال كل ذلك واصل إليه ولا شيء أنفع له من الاستغفار
فلو كان شيء أفضل منه لأمركم به في الأبوين. ولقد كرر الله سبحانه في كتابه الوصية بالوالدين
وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضى الله في رضى الوالدين وسخطه في سخطهما. وروي يفعل
البار ما شاء أن يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما شاء أن يفعل فلن يدخل الجنة
وروى سعيد بن المسيب إن البار لا يموت ميتة سوء. وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
إن أبوي بلغا من الكبر أني ألي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فإنهما كانا
يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما. وشكا رجل إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم أباه وأنه يأخذ ماله فدعا به فإذا شيخ يتوكأ على عصا فسأله فقال
إنه كان ضعيفا وأنا قوي وفقيرا وأنا غني فكنت لا أمنعه شيئا من مالي واليوم أنا ضعيف
وهو قوي وأنا فقير وهو غني ويبخل علي بماله فبكى عليه الصلاة والسلام وقال ما من حجر
ولا مدر يسمع هذا إلا بكى ثم قال للولد أنت ومالك لأبيك. وشكا إليه آخر سوء خلق
أمه فقال لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة أشهر قال إنها سيئة الخلق
قال لم تكن كذلك حين أرضعتك حولين قال إنها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين
أسهرت لك ليلها وأظمأت نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال لقد حججت بها
على عاتقي قال ما جزيتها ولو طلقة. وعن ابن عمر أنه رأى رجلا في الطواف يحمل أمه ويقول

إني لها مطية لا تذعر ... إذا الركاب نفرت لا تنفر
ما حملت وأرضعتني أكثر ... الله ربي ذو الجلال الأكبر

تظنني جزيتها يا ابن عمر قال لا ولو زفرة واحدة. وعنه
صلى الله عليه وسلم إياكم وعقوق الوالدين فإن الجنة يوجد ريحها من مسيرة ألف عام ولا يجد
ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار إزاره خيلاء إن الكبرياء لله رب العالمين.
وقال الفقهاء لا يذهب بأبيه إلى البيعة وإذا بعث إليه منها ليحمله فعل ولا يناوله الخمر
ويأخذ الإناء منه إذا شربها. وعن أبي يوسف إذا أمره أن يوقد تحت قدره وفيها لحم الخنزير أوقد.
وعن حذيفة أنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل أبيه وهو في صف المشركين فقال دعه
يليه غيرك. وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال أن لا تقوم إلى خدمتهما عن كسل.
وسئل بعضهم فقال أن لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر شزرا إليهما ولا يريا منك مخالفة

في ظاهر ولا باطن وأن تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما إذا ماتا وتقوم بخدمة أودائهما
من بعدهما فعن النبي صلى الله عليه وسلم إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه
بما في ضمائركم من قصد البر إلى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير. **إن تكونوا صالحين**
قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر هنة تؤدي إلى أذاهما
ثم أبتم إلى الله واستغفرتم منها فإن الله غفور للأوابين للتوابين. وعن سعيد بن جبير هي البادرة تكون من
الرجل إلى أبيه لا يريد بذلك إلا الخير. وعن سعيد بن المسيب الأواب الرجل كلما أذنب بادر بالتوبة. ويجوز أن يكون هذا
عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجاني على أبويه التائب من
جنايته لوروده على أثره. **وآت ذا القربى حقه** وصى بغير الوالدين من الأقارب بعد التوصية
بهما وأن يؤتوا حقهم وحقهم إذا كانوا محارم كالأبوين والولد وفقراء عاجزين عن الكسب
وكان الرجل موسرا أن ينفق عليهم عند أبي حنيفة والشافعي لا يرى النفقة إلا على
الولد والوالدين فحسب وإن كانوا مياسير أو لم يكونوا محارم كأبناء العم فحقهم صلتهم بالمودة
والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك **والمسكين
وابن السبيل** يعني وآت هؤلاء حقهم من الزكاة وهذا دليل على أن المراد بما يؤتى ذوي القرابة
من الحق هو تعهدهم بالمال. **وقيل** أراد بذي القربى أقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم **التبذير** تفريق
المال فيما لا ينبغي وإنفاقه على وجه الإسراف وكانت الجاهلية تنحر إبلها وتتياسر عليها
وتبذر أموالها في الفخر والسمعة وتذكر ذلك في أشعارها فأمر الله بالنفقة في وجوهها
مما يقرب منه ويزلف. وعن عبد الله هو إنفاق المال في غير حقه. وعن مجاهد لو أنفق مدا في
باطل كان تبذيرا وقد أنفق بعضهم نفقة في خير فأكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف
فقال لا سرف في الخير. وعن عبد الله بن عمر مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسعد وهو يتوضأ
فقال ما هذا السرف يا سعد فقال أوفي الوضوء سرف قال نعم وإن كنت على نهر جار. **إخوان
الشياطين** أمثالهم في الشرارة وهي غاية المذمة لأنه لا شر من الشيطان أو هم إخوانهم
وأصدقاؤهم لأنهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الإسراف أو هم قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد
وكان الشيطان لربه كفورا فما ينبغي أن يطاع فإنه لا يدعو إلا إلى مثل فعله. **وإما تعرضن عنهم**
وإن أعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد
فقل لهم قولا ميسورا ولا تتركهم غير مجابين إذا سألوك وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سئل
شيئا وليس عنده أعرض عن السائل وسكت حياء. **وقوله ابتغاء رحمة من ربك** إما أن يتعلق
بجواب الشرط مقدما عليه أي فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا رحمة لهم وتطييبا
لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك أي ابتغ رحمة الله التي ترجوها برحمتك عليهم وإما أن
يتعلق بالشرط أي وإن أعرضت عنهم لفقرك وعدم ما تعطيهم
ترجو أن يفتح لك وسمى الرزق رحمة

فردهم ردا جميلا او وضع الابتغا موضع الفقد لان فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد
سبب الابتغا والابتغا مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب ويجوز ان يتعلق بجواب بمعنى انما
تعرض عنهم ولم تشفعهم وتوقع خصاصتهم لعدم الاستطاعة ولا يريد الاعراض بالوجه
كناية بالاعراض عن ذلك كثير لان من ابى ان يعطي اعرض بوجهه يقال يسر الامر وعسر
مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله
على انه دعا لهم بيسر عليهم فقرهم كان معناه قولا ذا ميسور وهو اليسر اي دعا فيه يسر
هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطا المسرف امر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير
فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله لان المسرف غير مرضي عنده وعند الناس يقول
المحتاج اعطى فلانا وحرمني ويقول المستغني ما يحسن تدبير امر المعيشة وعند نفسك
اذا احتجت فندمت على ما فعلت محسورا منقطعا بك لا شي عندك من حسرة السير اذا
بلغ منه وحسره بالمسئلة وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اتاه صبي فقال ان امي
تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا فذهب الى امه فقالت له
قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد
عريانا واذن بلال وانتظروه فلم يخرج للصلوة وقيل اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وعيينة
بن حصن كذلك فجا عباس بن مرداس وانشأ يقول اتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع
وما كان حصن ولا حابس يفوقان جدي في مجمع وما كنت دون امري منهما ومن تضع اليوم لا يرفع
فقال يا ابا بكر اقطع لسانه عني اعطه مائة فنزلت ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عما كان يرهقه من الاضاقة بان ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لان
مشيته في بسط الارزاق وقدرها تابعة للحكمة والمصلحة ويجوز ان يريد ان البسط والقبض
انما هما من امر الله الذي لا تفنى خزائنه فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا او يعلم انه عز وجل لا يبسط
لعباده او يقبض فانه يراعي اوسط الحالين لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ولا بالمقبوض عليه
اقصى مكروهه فاستنوا بسنته خشية املاق ... كانوا يئدون بناتهم خشية
الفاقة فنهاهم الله وضمن لهم ارزاقهم وقرئ خشية بكسر الخاء وقرئ خطا وهو الاثم
خطئ خطا كاثم اثما وقيل هو ضد الصواب اسم من اخطا وقيل هو الخطا كالحذر والحذر
وخطا بالكسر والمد وخطا بالفتح والمد وخطا بالفتح والسكون وعن الحسن خطاء بالفتح
والمد كالخبر بالفتح والكسر فاحشة قبيحة زائدة على حد القبح وساء سبيلا
وبئس طريقا طريقه وهو ان تغصب على غيرك امرأته او اخته او بنته من غير سبب والنسب ممكن
وهو الصهر الذي شرعه الله الا بالحق الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنى بعد
احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا مظلوما غير مستوجب للقتل فقد جعلنا لوليه للذي بينه وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه فان
لم يكن له ولي فالسلطان وليه سلطانا تسلطا على القاتل في الاقتصاص منه او اخذ الدية

فلا يسرف في القتل للولي اي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين بواحد كعادة الجاهلية
كانوا اذا قتل منهم واحد قتلوا به جماعة حتى ان المهلهل حين قتل بجير بن الحارث بن عباد قال
بؤ بشسع نعل كليب وقال كل قتيل في كليب غرة حتى ينال القتل آل مرة وكانوا
يقتلون غير القاتل اذا لم يكن القاتل شريفا او قيل الاسراف المثلة وقرئ فلا يسرف بالرفع
على انه خبر بمعنى الامر وفيه مبالغة او للاستيناف وقرئ بالياء والضمير للقاتل الاول
وقرئ فلا تسرف على الخطاب للولي او للقاتل المظلوم والمراد فلا تسرفوا في ذلك انه كان
منصورا الضمير اما للولي يعني حسبه ان الله قد نصره بان اوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك
وبان الله نصره بمعونة السلطان وباظهار المؤمنين على استيفا الحق فلا يبغ ما وراء حقه واما
للمظلوم لان الله ناصره حيث اوجب القصاص بقتله وينصره في الاخرة بالثواب واما للذي يقتله
الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف التي هي احسن الخصلة
الطريقة التي هي احسن وهي حفظه عليه وتثميره العهد كان مسؤلا مطلوبا يطلب من
المعاهد ان لا يضيعه ويفي به ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسئولا او يسأل العهد لم نكثت وهلا وفيت
تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسئولا
بالقسطاس بالميزان السوي وهو رومي عرب ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لان العجمي اذا
استعملته العرب واجرته مجرى كلامهم في الاعراب والتعريف والتنكير صار عربيا وقرئ بالضم
الدراهم وغيرها واحسن تاويلا واحسن عاقبة وهو تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يؤول اليه
ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافة يعني ولا تكن في اتباعك
ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده وهو المراد
النهي عن ان يقول الرجل ما لا يعلم ويعمل بما لا يعلم ويدخل فيه النهي عن التقليد دخولا ظاهرا لانه
اتباع لما لا يعلم صحته من فساده وعن ابن الحنفية شهادة الزور وعن الحسن لا تقف اخاك
المسلم اذا مر به فتقول هذا يفعل كذا ورايته يفعل كذا وسمعته ولم تره ولم تسمعه وقيل القفو
شبيه بالعضيهة ومنه الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال
حتى ياتي بالمخرج وانشد ومثل الدمى شم العرانين ساكن بهن الحيا لا يشعن التقافيا
اي التقاذف وقال الكميت ولا ارمي البرى بغير ذنب ولا اقفوا الحواصن ان قفينا
وقد استدل به مبطل الاجتهاد ولم يصح لان ذلك نوع من العلم فقد اقام الشرع غالب الظن
مقام العلم وامر بالعمل به اولئك اشارة الى السمع والبصر والفؤاد وانما
اطلق عليها اولئك اجراء لها مجرى العقلاء وعنه في موضع الرفع بالفاعل اي كل واحد منها كان مسئولا
عنه فتسؤل السمع اي ما رو المجرور كالمغضوب عليهم ... عما
الم تسمع ما لم يكن لك سماعه ولم نظرت الى ما لم يحل لك النظر اليه ولم عزمت على ما لم يحل لك
العزم عليه وقرئ والفواد بفتح الفا والواو وقلب الهمزة واوا بعد الضمة في الفواد ثم ...
الفتح مرحا ذا مرح وقرئ مرحا وفضل الاخفش المصدر على اسم الفاعل لما فيه
من التاكيد لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بشدة وطاتك ...

الارض ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال قرئ سيئةً وسيئُه وسيئات وفي قراءة ابي بكر الصديق
على اضافة سيئ الى ضمير كل وسيئا في بعض المصاحف سيئه مع قوله مكروها قلت السيئة
وعن سعيد كان شانه فان قلت كيف قيل ... في حكم الصفات ولا اعتبار بتانيثه ولا فرق
في حكم الاسما بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات كما تقول الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة ولا تفرق
بين من قرا سيئة ومن قرا سيئا الا تراك تقول ... ذكر من الخصال بعضها سيئ وبعضها
بين اسنادها الى مذكر ومونث فان قلت فمن قرا سيئة بالاضافة فما وجهه قلت كل ذلك احاطة بما نهي
عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة ذلك اشارة الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله الها
آخر الى هذه الغاية وسماه حكمة لانه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه وعن ابن عباس
هذه الثماني عشرة اية كانت في الواح موسى عليه السلام اولها لا تجعل مع الله الها آخر
قال الله تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شي موعظة وهي عشر ايات في التورية ولقد جعل
الله عز وعلا فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك لان التوحيد هو راس كل حكمة وملاكها
ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه وان بذ فيها الحكما وحك بيافوخه السما وما اغنت عن
الفلاسفة اسفار الحكم وهم عن دين الله اضل من النعم افاصفاكم خطاب للذين قالوا الملائكة
بنات الله والهمزة للانكار يعني افخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفا بافضل الاولاد
وهم البنون لم يجعل فيهم نصيبا لنفسه واتخذ ادونهم وهي البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه
معقولكم وعادتكم فان العبيد لا يوثرون باجود الاشيا واصفاها من الشوب ويكون اردأها
وادونها للسادات انكم لتقولون قولا عظيما باضافتكم اليه الاولاد وهي خاصة بالاجسام
ثم بان تفضلوا عليه انفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بان تجعلوا الملائكة
وهم اعلى خلق الله واشرفهم ادون خلق الله وهم الاناث ولقد صرفنا في هذا القران يريد
ولقد صرفنا القول في هذا المعنى واوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكانا للتكرير ويجوز ان يشير بهذا
القران الى التنزيل ويريد ولقد صرفناه يعني هذا المعنى في مواضع من التنزيل فترك الضمير
لانه معلوم وقرئ صرفنا بالتخفيف وكذلك ليذكروا وقرئ مشددا ومخففا اي كررناه
ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا الى ما يحتج به عليهم فما يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلة طمانينة
اليه وعن سفيان كان اذا قراها قال زادني لك خضوعا ما زاد اعداك نفورا كما تقولون
بالتا واليا اذا لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزا للو ومعنى
لابتغوا الى ذي العرش سبيلا لطلبوا الى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما تفعل
الملوك بعضهم مع بعض كقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقيل لتقربوا اليه
كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة علوا في معنى تعاليا والمراد البراءة
ذلك والنزاهة ومعنى وصفه العلو بالكبر المبالغة في معنى البراة والبعد مما وصفوه به

فان قلت فما المراد بانها تسبح له ... قلت
يقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهذا التسبيح ... بلسان الحال حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته
وان كانوا اذا سئلوا عن خالق السموات والارض قالوا الله الا انهم لما جعلوا معه الهة مع اقرارهم
فكانهم لم ينظروا ولم يقروا لان نتيجة النظر الصحيح والاقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه فاذا
لم تفقهوا التسبيح ولم تستوضحوا الدلالة على الخالق فان قلت من فيهن يسبحون على الحقيقة وهم
الملائكة والثقلان وقد عطفوا على السموات والارض فما وجهه قلت التسبيح المجازي حاصل
في الجمع فوجب الحمل عليه والا كانت الكلمة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز انه كان
حليما غفورا حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم بالتسبيح وشرككم حجابا
مستورا ذا ستر كقولهم سيل مفعم ذو افعام وقيل هو حجاب لا يرى فهو مستور ويجوز ان يراد انه
حجاب من دون حجاب او حجب فهو مستور بغيره او حجاب تستتر ان يبصر فكيف يبصر المحتجب به وهذه
حكاية لما كانوا يقولونه وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا
وبينك حجاب كانه قال واذا قرات القران جعلنا على زعمهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه
او التنزيل وجعلنا على قلوبهم اكنة فيه معنى المنع من الفقه فكانه قيل ومنعناهم
ان يفقهوه يقال وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة ووحده من باب رجع
عودة على بدئه وافعله جهدك وطاقتك في انه مصدر ساد مسد الحال اصله يحد
بعده بمعنى واحدا وحده والنفور مصدر بمعنى التولية او جمع نافر كقاعد وقعود اي
يحبون ان تذكر معه الهتهم لانهم مشركون فاذا سمعوا بالتوحيد نفروا بما يستمعون به من
الهزء بك وبالقران ومن اللغو كان يقوم عن يمينه اذا قرا رجلان من عبد الدار ورجلان
عن يساره فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار به في موضع الحال كما تقول
يستمعون بالهزء اي هازئين واذ يستمعون نصب باعلم اي اعلم وقت استماعهم بما به يستمعون
واذ هم نجوى وبما يتناجون به اذ هم ذوو نجوى اذ يقول بدل من اذ هم مسحورا سحر فجن وقيل
هو من السحر وهو الرئة اي هو بشر مثلكم ضربوا لك الامثال فمثلوك بالشاعر والساحر
والمجنون فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب في التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه
فهو متحير في امره لا يدري ما يصنع اذا قالوا ايذا كنا عظاما قل كونوا حجارة او حديدا
لما قالوا ايذا كنا عظاما قيل لهم كونوا حجارة او حديدا او لا تكونوا عظاما فانه يقدر على
احيائكم والمعنى انكم تستبعدون ان يجدد الله خلقكم ويرده الى حال الحياة والى رطوبة
الحي وغضاضته بعد ما كنتم عظاما يابسة مع ان العظام بعض اجزا الحي بل هي عمود خلقه
الذي يبنى عليه سائره فليس ببدع ان يردها الله بقدرته الى حالتها الاولى ولكن لو كنتم
ابعد شي من الحياة ورطوبة الحي ومن جنس ما ركب منه البشر وهو ان تكونوا حجارة يابسة او
حديدا مع ان طباعها الجسارة والصلابة لكان قادرا على ان يردكم الى حال الحياة
او خلقا مما يكبر في صدوركم يعني او خلقا مما يكبر عندكم عن قبول الحياة ويعظم

في زعمكم على اعادة الحياة فانه يحييه وقيل ما يكبر في صدوركم الموت وقيل السموات
والارض فسينغضون فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء والدعا والاستجابه كلاهما مجاز
والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين لا تمتنعون وقوله بحمده حال منهم اي حامدين
وهي مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك لمن تامره بركوب ما يشق عليه فيتابى ويتمنع ستركبه
وانت حامد شاكر يعني انك تحمل عليه وتقسر قسرا حتى انك تلين اللين المسمح الراغب فيه الحامد
عليه وعن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك وتظنون
وترون الهول فعنده تستقصرون مدة لبثكم في الدنيا وتحسبونها يوما او بعض يوم وعن قتاده
تحاقرت الدنيا في انفسهم حين عاينوا الاخره وقل لعبادي وقل للمومنين يقولوا للمشركين الكلمة
التي هي احسن والين ولا يخاشنوهم كقوله وجادلهم بالتي هي احسن وفسر التي هي احسن بقوله
ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم او ان يشا يعذبكم يعني يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا
لهم انكم من اهل النار وانكم معذبون وما اشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله
ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض يعني يلقي بينهم الفساد ويغري بعضهم على بعض لتقع بينهم المشاره
والمشاقه وما ارسلناك عليهم وكيلا اي ربا تكل اليك امرهم تقسرهم على الاسلام وتجبرهم عليه
وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالمداراه والاحتمال وترك المحاقه والمكاشفه
وذلك قبل نزول اية السيف وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه شتمه رجل فامره الله بالعفو
وقيل افرط ايذا المشركين المسلمين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل
الكلمة التي هي احسن ان يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله وقرا طلحه ينزغ بالكسر وهما لغتان
يحرشون ويحرشون هو رد على اهل مكه في انكارهم واستبعادهم ان يكون يتيم ابي طالب نبيا
وان يكون العراه الجوع اصحابه كصهيب وبلال وخباب وغيرهم دون ان يكون ذلك لذي بعض
اكابرهم وصناديدهم يعني وربك اعلم بمن في السموات والارض وباحوالهم ومقاديرهم وبما يستاهل
كل واحد منهم وقوله ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض اشاره الى تفضيل رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقوله واتينا داود زبورا دلالة على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبيا وان امته
خير الامم لان ذلك مكتوب في زبور داود قال الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر
ان الارض يرثها عبادي الصالحون وهم محمد وامته فان قلت هلا عرف في قوله ولقد كتبنا في
الزبور قلت يجوز ان يكون الزبور وزبور كالعباس وعباس والفضل وفضل وان يريد اوتينا
داود بعض الزبر وهي الكتب وان يريد ما ذكر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الزبور فسمي ذلك زبورا
لانه بعض الزبور كما سمي بعض القران قرانا وقل ادعوا الذين زعمتم من دونه الملائكه وقيل عيسى وعزير وقيل نفر
من الجن عبدهم ناس من العرب ثم اسلم الجن ولم يشعروا اي ادعوهم فهم لا يستطيعون ان يكشفوا عنكم
الضر من مرض او فقر او عذاب ولا ان يحولوه من واحد الى اخر او يبدلوه اولئك الذين يدعون مبتدا والذين يدعون صفته
ويبتغون خبره يعني ان الهتهم اولئك يبتغون الوسيله وهي القربه الى الله عز وجل ايهم بدل من واو
يبتغون واي موصولة اي يبتغي من هو اقرب منهم الزلفى الوسيله الى الله فكيف بغير الاقرب

أو ضمن يبتغون الوسيله معنى يحرصون فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب الى الله
وذلك بالطاعه وازدياد الخير والصلاح ويرجون ويخافون كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون
انهم الهه ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا
عن غيرهم مهلكوها بالموت والاستيصال او معذبوها بالقتل وانواع العذاب وقيل
الهلاك للصالحه والعذاب للطالحه وكل ذلك في الكتاب وعن مقاتل وجدت في كتب الضحاك في تفسيرها
اما مكه فتخربها الحبشه وتهلك المدينه بالجوع والبصره بالغرق والكوفه بالترك
والجبال بالصواعق والرواجف واما خراسان فعذابها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا
المحفوظ استعير المنع للترك وما منعنا ان نرسل بالايات ان الاولى منصوبه والثانيه
مرفوعه تقديره وما منعنا ارسال الايات من اجل صارف الحكمه الا تكذيب الاولين
قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احيا الموتى وغير ذلك وعادة الله في الامم ان من اقترح منهم
اية فاجيب اليها ثم لم يومن بها ان يعاجل بعذاب الاستيصال والمعنى وما صرفنا عن ارسال ما
يقترحونه من الايات الا ان كذب بها الذين هم امثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود
وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك وقالوا هذا سحر مبين كما يقولون في غيرها واستوجبوا
العذاب المستاصل وقد عزمنا ان نوخر امر من بعثنا اليهم الى يوم القيمة
التي اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما ارسلت فاهلكوا واصل تلك الايات
هلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم ومنها ناقة صالح الناقة
مبصرة بفتح الميم فظلموا بها فكفروا بها وما نرسل بالايات الا تخويفا
فالمعنى لا نرسلها الا تخويفا من نزول العذاب العاجل كالطليعه والمقدمه له فان لم يخافوا
وقع عليهم وان اراد غيرها فالمعنى وما نرسل ما نرسل من الايات كايات القران وغيرها الا تخويفا
وانذارا بعذاب الاخره واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك
احاط بقريش يعني بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون
الدبر وقل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون وغير ذلك فجعله كان قد كان ووجد فقال احاط
بالناس على عادته في اخباره وحين تزاحف الفريقان يوم بدر ورسول الله صلى الله عليه وسلم في
العريش مع ابي بكر رضي الله عنه كان يدعو ويقول اللهم اني اسالك عهدك ووعدك ثم خرج
وعليه الدرع يحرض الناس ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ولعل الله تعالى اراه مصارعهم
في منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكاني انظر الى مصارع القوم وهو يومي
الى الارض ويقول هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من امر بدر وما اري في منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون ويستسخرون ويستعجلون به استهزاء
وحين سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم جعلوها سخريه وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم
تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر وما قدروا الله حق قدره من قال ذلك وما انكروا ان يجعل الله
الشجر من جنس لا تاكله النار فهذا وبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك تتخذ منه مناديل

لذا لا تحترق حيث طرحت في النار فتذهب النار وسخه ويبقى المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى
النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد المحمر كالجمر بإحماء النار فلا تضرها ثم أقرب من ذلك
أنه خلق في كل شجرة نارا فلا تحرقها فما أنكروا أن يخلق في النار شجرة لا تحرقها والمعنى أن الآيات
إنما نرسلها تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر فما كان ما أريناك
منه في منامك بعد الوحي إليك إلا فتنة لهم حيث اتخذوه سخريا وخوفوا بعذاب الآخرة وبشجرة
الزقوم فما أثر فيهم ثم قال ونخوفهم أي نخوفهم بمخاوف الدنيا والآخرة فما يزيدهم التخويف إلا طغيانا
كبيرا فكيف يخاف قوم هذه حالهم بإرسال ما يقترحون من الآيات وقيل الرؤيا هي الإسراء
وبه تعلق من يقول كان الإسراء في المنام ومن قال كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وقيل
إنما سماها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا له لعلها رؤيا رأيتها وخيال خيل إليك استبعادا
منهم كما سمى أشياء بأساميها عند الكفرة نحو قوله فراغ إلى آلهتهم أين شركائي ذق إنك أنت العزيز
الكريم وقيل هي رؤياه أنه سيدخل مكة وقيل رأى في المنام ولد الحكم يتداولون
منبره كما يتداول الصبيان الكرة. فإن قلت أين لعنت شجرة الزقوم في القرآن قلت لعنت
حيث لعن طاعموها من الكفرة والظلمة لأن الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وإنما وصفت
بلعن أصحابها على المجاز وقيل وصفها الله باللعن لأن اللعن الإبعاد من الرحمة وهي في أصل
الجحيم في أبعد مكان من الرحمة وقيل تقول العرب لكل طعام مكروه ضار ملعون وسألت بعضهم
فقال نعم الطعام الملعون القشب الممحوق وعن ابن عباس هي الكشوث التي تلتوي بالشجر
تجعل في الشراب وقيل هي الشيطان وقيل أبو جهل وقرئ والشجرة الملعونة بالرفع على أنها
مبتدأ محذوف الخبر كأنه قيل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك. طينا حال إما من الموصول والعامل
فيه أأسجد على أأسجد له وهو طين أي أصله طين أو من الراجع إليه من الصلة على أأسجد لمن كان
في وقت خلقه طينا. أرأيتك الكاف للخطاب وهذا مفعول به والمعنى أخبرني عن هذا الذي كرمته
علي أي فضلته لم كرمته علي وأنا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ثم ابتدأ فقال لئن
أخرتني واللام موطئة للقسم المحذوف لأحتنكن ذريته لأستأصلنهم بالإغواء من احتنك الجراد
الأرض إذا جرد ما عليها أكلا وهو من الحنك ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم أحنك الشاتين
أي آكلهما. فإن قلت من أين علم ذلك حتى قاله وهو من الغيب قلت إما أن سمعه
من الملائكة صلوات الله عليهم وقد أخبرهم الله به أو خرجه من قولهم أتجعل فيها من يفسد
فيها أو نظر إليه فتوسم في مخايله أنه خلق شهواني وقيل قال ذلك لما علم ملك وسوسته
في آدم والظاهر أنه قال ذلك قبل أكل آدم من الشجرة. اذهب ليس من الذهاب الذي هو نقيض
المجيء وإنما معناه امض لشأنك الذي اخترته خذلانا وتخلية وعقبه بذكر ما جره سوء اختياره
في قوله فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم كما قال موسى صلى الله عليه للسامري فاذهب فإن لك في الحياة
أن تقول لا مساس. فإن قلت أما كان من حق الضمير في الجزاء أن يكون على لفظ الغيبة ليرجع إلى من
تبعك قلت بلى ولكن التقدير فإن جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم

ويجوز أن يكون للتابعين على طريقة الالتفات وانتصب جزاء موفورا بما في فإن جهنم جزاؤكم من معنى تجازون
أو بإضمار تجازون أو على الحال لأن الجزاء موصوف بالموفور والموفور الموفر يقال فر لصاحبك عرضه
فرة استفزز استخفه والفز الخفيف وأجلب من الجلبة وهي الصياح والخيل الخيالة ومنه
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصحب
وقرئ ورجلك على أن فعلا بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل وتضم جيمه
أيضا فيكون مثل حدث وحدث وندس وندس وأخوات لهما يقال رجل رجل ورجالك ورجالك
فإن قلت ما معنى استفزاز إبليس بصوته وإجلابه بخيله ورجله قلت هو كلام ورد
مورد التمثيل مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار أوقع على قوم فصوت بهم صوتا
يستفزهم من أماكنهم ويقلقلهم عن مراكزهم وأجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى
استأصلهم وقيل بصوته بدعائه إلى الشر وبخيله ورجله كل راكب وماش من أهل
العيث وقيل يجوز أن يكون لإبليس خيل ورجال وأما المشاركة في الأموال والأولاد فكل
معصية يحملهم عليها في بابهما كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والإنفاق في
الفسوق والإسراف ومنع الزكاة والتوصل إلى الأولاد بالسبب الحرام ودعوى ولد بغير سبب
والتسمية بعبد العزى وعبد الحرث والتهويد والتنصير والحمل على الحرف الذميمة والأعمال
الشنيعة وغير ذلك وعدهم المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة والكرامة على الله بالأنساب
الشريفة وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب بدونها والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول في
الكبائر والخروج من النار بعد أن يصيروا حمما وإيثار العاجل على الآجل إن عبادي يريد الصالحين
ليس لك عليهم سلطان أي لا تقدر أن تغويهم وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون به في الاستعاذة
منك ونحوه قوله إلا عبادك منهم المخلصين. فإن قلت كيف جاز أن يأمر الله تعالى إبليس
بأن يتسلط على عباده مغويا مضلا داعيا إلى الشر صادا عن الخير قلت هو من الأوامر
الواردة على سبيل الخذلان والتخلية كما قال للعصاة اعملوا ما شئتم يزجي يجري ويسير
والضر خوف الغرق ضل من تدعون إلا إياه ذهب عن أوهامكم وخواطركم كل من تدعونه
في حوادثكم إلا إياه وحده فإنكم لا تذكرون سواه ولا تدعونه في ذلك الوقت ولا تعقدون
برحمته رجاءكم ولا تخطرون ببالكم أن غيره يقدر على إغاثتكم أو لم يهتد لإنقاذكم أحد غيره
من سائر المدعوين ويجوز أن يراد ضل من تدعون من الآلهة عن إغاثتكم ولكن الله وحده هو الذي ترجونه
على الاستثناء المنقطع. أفأمنتم الهمزة للإنكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم
فأمنتم فحملكم ذلك على الإعراض. فإن قلت بم انتصب جانب البر قلت بيخسف مفعولا به كالأرض
في قوله فخسفنا به وبداره الأرض وبكم حال والمعنى أن يخسف جانب البر أي يقلبه وأنتم عليه
فإن قلت فما معنى ذكر الجانب قلت معناه أن الجوانب والجهات كلها في قدرته سواء وله في كل جانب
برا كان أو بحرا سبب مرصد من أسباب الهلكة ليس جانب البحر وحده مختصا به بل إن كان
الغرق في جانب البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لأنه تغييب تحت التراب كما أن الغرق
تغييب تحت الماء فالبر والبحر عنده سيان يقدر في البر على نحو ما يقدر عليه في البحر فعلى العاقل

ان يستوي خوفه من ربه في جميع الجوانب وحيث كان او يرسل عليكم حاصبا وهي الريح التي
تحصب اي ترمي بالحصباء يعني ان لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف اصابكم به من فوقكم بريح
يرسلها عليكم فيها الحصباء يرجمكم بها فيكون اشد عليكم من الغرق في البحر ثم لا تجدوا لكم وكيلا من يتوكل بصرفه عنكم
ام امنتم ان يعيدكم فيه بتقويه دواعيكم ويوفر حوائجكم الى ان ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجاكم منه فاعرضتم
فينتقم منكم بان يرسل عليكم قاصفا وهي الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كانها تتقصف اي
تتكسر وقيل التي لا تمر بشي الا قصفته فيغرقكم وقرئ بالتاء اي الريح وبالنون وكذلك نخسف ونرسل
ونعيدكم قرئت بالياء والنون تبيعا المطالب من قوله تعالى فاتباع بالمعروف اي مطالبة قال الشماخ
كما لاذ الغريم من التبيع يقال فلان على فلان تبيع بحقه اي مسيطر عليه مطالب له بحقه
والمعنى انا نفعل ما نفعل بهم ثم لا تجد احدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا
وهذا كقوله ولا يخاف عقباها بالغرق بكفرانكم النعمة يريد اعراضهم حين نجاهم وقيل في تكرمته
ابن ادم كرمه الله بالعقل والنطق والتمييز والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير امر المعاش
والمعاد وقيل بتسليطهم على ما في الارض وتسخيره لهم وقيل كل شي ياكل بفيه الا ابن ادم وعن الرشيد
انه احضر طعاما فدعا بالملاعق وعنده ابو يوسف فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس في قوله تعالى ولقد
كرمنا بني ادم جعلنا لهم اصابع ياكلون بها فاحضرت الملاعق فردها واكل باصابعه على كثير ممن خلقنا
هو ما سوى الملائكة عليهم السلام وحسب بني ادم تفضيلا ان ترفع عليهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم
عند الله منزلتهم والعجب من المجبرة كيف عكسوا في كل شي وكابروا حتى جسرتهم عادة المكابرة على
العظيمة التي هي تفضيل الانسان على الملك وذلك بعد ما سمعوا تفخيم الله امرهم وتكثيره مع التعظيم
ذكرهم وعلموا اين اسكنهم وانى قربهم وكيف نزلهم من انبيائه منزلة انبيائه من اممهم ثم جرهم فرط
التعصب عليهم الى ان لفقوا اقوالا واخبارا منها قالت الملائكة ربنا انك اعطيت بني ادم الدنيا ياكلون
منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فاعطناه في الاخرة فقال وعزتي وجلالي لا اجعل ذرية من خلقت بيدي
كمن قلت له كن فكان وروا عن ابي هريرة انه قال المؤمن اكرم على الله من الملائكة الذين عنده
ومن ارتكابهم انهم فسروا كثيرا بمعنى جميع في هذه الاية وخذلوا حتى سلبوا الذوق فلم يحسوا ببشاعة
قولهم وفضلناهم على جميع ممن خلقنا على ان معنى قولهم على جميع من خلقنا اشجى لحلوقهم واقذى لعيونهم
ولكنهم لا يشعرون فانظر الى تمحلهم وتشبثهم بالتاويلات البعيدة في عداوة الملا الاعلى كان
جبريل عليه السلام غاظهم حين اهلك مدائن قوم لوط فتلك السخيمة لا تنحل عن قلوبهم قرئ يدعو بالياء والنون
ويدعا كل اناس على البنا للمفعول وقرا الحسن يدعو كل اناس على قلب الالف واوا في لغة من يقول
افعو والظرف نصب باضمار اذكر ويجوز ان يقال ان الواو علامة الجمع كما في واسروا النجوى الذين ظلموا
والرفع مقدر كما في يدعى ولم يؤت بالنون قلة مبالاة بها لانها غير ضمير ليست الا علامة بامامهم
بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين فيقال يا اتباع فلان يا اهل دين كذا او كتاب كذا
وقيل بكتاب اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير ويا اصحاب كتاب الشر وفي قراءة الحسن بكتابهم
ومن بدع التفاسير ان الامام جمع ام وان الناس يدعون يوم القيامة بامهاتهم وان
الحكمة في الدعا بالامهات دون الاباء رعاية حق عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وان لا

يفتضح اولاد الزنا وليت شعري ايهما ابدع اصحة لفظه ام بهاء حكمته فمن اوتي من هؤلاء
المدعوين كتابه بيمينه فاولئك يقرؤون كتابهم قيل اولئك لان من اوتي في معنى الجمع
فان قلت لم خص اصحاب اليمين بقراءة كتابهم كان اصحاب الشمال لا يقرؤون كتابهم قلت
بلى ولكن اذا اطلعوا على ما في كتابهم اخذهم ما ياخذ المطالب بالنداء على جنايته والاعتراف
بمساويها امام التنكيل به والانتقام منه من الحيا والخجل والانخزال وحبسة اللسان
والتتعتع والعجز عن اقامة حروف الكلام والذهاب عن تسوية القول فكان قراءتهم كلا
قراءة واما اصحاب اليمين فامرهم على عكس ذلك لا جرم انهم يقرؤون كتابهم احسن قراءة وابينها
ولا يقنعون بقراءتهم وحدهم حتى يقول القارئ لاهل المحشر هاؤم اقرؤوا كتابيه ولا يظلمون
فتيلا ولا ينقصون من ثوابهم ادنى شي كقوله ولا يظلمون شيئا فلا يخاف ظلما ولا هضما
معناه ومن كان في الدنيا اعمى فهو في الاخرة اعمى كذلك واضل سبيلا من الاعمى والاعمى مستعار
لمن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدي الى طريق النجاة اما في الدنيا فلفقد
النظر واما في الاخرة فلانه لا ينفعه الاهتداء اليه وقد جوزوا ان يكون الثاني بمعنى
التفضيل ومن ثم قرا ابو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما لان افعل التفضيل تمامه بمن
فكانت الفه في حكم الواقعة في وسط الكلام كقولك اعمالهم واما الاول فلم يتعلق به شي
فكانت الفه واقعة في الطرف معرضة للامالة روي ان ثقيفا قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لا ندخل
في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا
وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة ولا
نكسرها بايدينا عند راس الحول وان تمنع من قصد وادينا وج فعضد شجره فاذا سالتك
العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني به وجاؤوا بكتابهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم
هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقام عمر بن الخطاب فسل سيفه وقال اسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف
اسعر الله قلوبكم نارا فقالوا لسنا نكلمك انما نكلم محمدا فنزلت وروي ان قريشا قالوا
له اجعل اية رحمة اية عذاب واية عذاب اية رحمة حتى نؤمن بك فنزلت ان كادوا
ان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والمعنى ان الشان قاربوا ان
يفتنوك اي يخدعوك فاتنين عن الذي اوحينا اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا
لتفتري علينا لتتقول علينا ما لم نقل يعني ما اقترحته ثقيف من ان يضيف الى الله ما لم ينزل عليه واذا لاتخذوك
ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي ولولا ان ثبتناك
ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا لقد كدت تركن اليهم لقاربت ان تميل الى خدعهم
ومكرهم وهذا تهييج من الله له وفضل تثبيت وفي ذلك لطف للمؤمنين اذا لو
قاربت ان تركن اليهم ادنى ركنة لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات

اعمى ج
للمفضل
معروضة
اراده

عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين فإن قلت كيف حقيقة هذا الكلام قلت أصله لأذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات لأن العذاب عذابان عذاب في الممات وهو عذاب القبر وعذاب في حياة الآخرة وهو عذاب النار والضعف يوصف به نحو قوله تعالى فآتهم عذابا ضعفا في النار بمعنى مضاعفا فكان أصل الكلام لأذقناك عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم أضيفت الصفة إضافة الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات كما لو قيل لأذقناك أليم الحياة وأليم الممات ويجوز أن يراد بضعف الحياة عذاب الحياة الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحياة الدنيا وما نؤخره لما بعد الموت وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع إتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل بين على أن القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله وارتفاع منزلته ومن ثم استعظم مشايخ العدل والتوحيد رحمهم الله نسبة المجبرة القبائح إلى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وفيه دليل على أن أدنى مداهنة للغواة مضادة لله وخروج عن ولايته وسبب موجب لغضبه ونكاله فعلى المؤمن إذا تلا هذه الآية أن يجثو عندها ويتدبرها وهي جديرة بالتدبر وبأن يستشعر الناظر فيها الخشية وازدياد التصلب في دين الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنها لما نزلت كان يقول اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين

وإن كادوا وإن كاد أهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم من الأرض من أرض مكة وإذا لا يلبثون لا يبقون بعد إخراجك إلا زمنا قليلا فإن الله مهلكهم وكان كما قال فقد أهلكوا ببدر بعد إخراجه بقليل وقيل معناه ولو أخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة أبيهم ولم يخرجوه بل هاجر بأمر ربه وقيل من أرض العرب وقيل من أرض المدينة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فاجتمعوا إليه وقالوا يا أبا القاسم إن الأنبياء إنما بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة وكانت مهاجر إبراهيم فلو خرجت إلى الشام لآمنا بك واتبعناك وقد علمنا أنه لا يمنعك من الخروج إلا خوف الروم فإن كنت رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أميال من المدينة وقيل بذي الحليفة حتى يجتمع إليه أصحابه ويراه الناس عازما على الخروج إلى الشام لحرصه على دخول الناس في دين الله فنزلت فرجع وقرئ لا يلبثون وفي قراءة أبي لا يلبثوا على إعمال إذا وقرئ خلافك قال

عفت الديار خلافهم فكأنما بسط الشواطب بينهن حصيرا

سنة من قد أرسلنا قبلك يعني أن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله أن يهلكهم ونصبت نصب المصدر المؤكد أي سن الله ذلك سنة دلوك الشمس غروبها وقيل زوالها وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك لأن الإنسان يدلك عينه عند النظر إليها فإن كان الدلوك الزوال فالآية جامعة للصلوات الخمس وإن كان الغروب فقد خرجت منها الظهر والعصر والغسق الظلمة وهو وقت صلاة العشاء وقرآن الفجر صلاة الفجر سميت قرآنا وهو القراءة لأنها ركن كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا وهي حجة على ابن علية والأصم في زعمهما أن القراءة ليست بركن مشهودا يشهده ملائكة الليل

[illegible]

والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو في آخر ديوان الليل وأول ديوان النهار أو يشهده الكثير من المصلين في العادة أو من حقه أن يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة ويجوز أن يكون وقرآن الفجر حثا على طول القراءة في صلاة الفجر لكونها مكثورا عليها ليسمع الناس القرآن فيكثر الثواب ولذلك كانت الفجر أطول الصلوات قراءة ومن الليل وعليك بعض الليل فتهجد به والتهجد ترك الهجود للصلاة ونحوه التأثم والتحرج ويقال أيضا في النوم تهجد نافلة لك عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس ووضع نافلة موضع تهجدا لأن التهجد عبادة زائدة فكأن التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد والمعنى أن التهجد زيد لك على الصلوات المفروضة فريضة عليك خاصة دون غيرك لأنه تطوع لهم مقاما محمودا نصب على الظرف أي عسى أن يبعثك يوم القيامة فيقيمك مقاما محمودا أو ضمن يبعثك معنى يقيمك ويجوز أن يكون حالا بمعنى أن يبعثك ذا مقام محمود ومعنى المقام المحمود المقام الذي يحمده القائم فيه وكل من رآه وعرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من أنواع الكرامات وقيل المراد الشفاعة وهي نوع واحد مما يتناوله وعن ابن عباس مقاما يحمدك فيه الأولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس أحد إلا تحت لوائك وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي وعن حذيفة يجمع الناس في صعيد واحد فلا تتكلم نفس فأول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس إليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك وإليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فهذا قوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا

وقرئ مدخل ومخرج بالضم والفتح بمعنى المصدر ومعنى الفتح أدخلني فأدخل مدخل صدق أي أدخلني القبر مدخل صدق إدخالا مرضيا على طهارة وطيب من السيئات وأخرجني منه عند البعث إخراجا مرضيا ملقى بالكرامة آمنا من السخط يدل عليه ذكره على أثر ذكر البعث وقيل نزلت حين أمر بالهجرة يريد إدخال المدينة والإخراج من مكة وقيل إدخاله مكة ظاهرا عليها بالفتح وإخراجه منها آمنا من المشركين وقيل إدخاله الغار وإخراجه منه سالما وقيل إدخاله فيما حمله من عظيم الأمر وهو النبوة وإخراجه منه مؤديا لما كلفه من غير تفريط وقيل الطاعة وقيل هو عام في كل ما يلابس من أمر ومكان سلطانا حجة تنصرني على من خالفني أو ملكا وعزا قويا ناصرا للإسلام على الكفر مظهرا له عليه فأجيبت دعوته بقوله والله يعصمك من الناس إن حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الأرض ووعده لينزعن ملك فارس والروم فيجعله له وعنه صلى الله عليه وسلم أنه استعمل عتاب بن أسيد على أهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على أهل الله فكان شديدا على المريب لينا على المؤمن وقال لا والله لا أعلم متخلفا يتخلف عن الصلاة في جماعة إلا ضربت عنقه فإنه لا يتخلف عن الصلاة إلا منافق فقال أهل مكة يا رسول الله لقد استعملت على أهل الله عتاب بن أسيد أعرابيا جافيا فقال صلى الله عليه وسلم إني رأيت فيما يرى النائم كأن عتاب بن أسيد أتى باب الجنة فأخذ بحلقة الباب فقلقلها قلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها فأعز الله به الإسلام لنصرته المسلمين على من يريد ظلمهم فذلك السلطان النصير جاء وحول البيت ثلثمائة وستون صنما صنم كل قوم

مضادة

أي جمع أصحابه

بحالهم وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت لقبائل العرب يحجون اليها وينحرون لها فشكا البيت الى الله فقال
اي رب حتى متى تعبد هذه الاصنام حولي دونك فاوحى الله الى البيت اني ساحدث لك توبة
جديدة فاملأك خدودا سجدا يدفون اليك دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها
لهم عجيج حولك بالتلبية ولما نزلت هذه الآية يوم الفتح قال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
خذ مخصرتك ثم القها فجعل ياتي صنما صنما وهو ينكت بالمخصرة في عينه ويقول جاء الحق وزهق
الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى القاها جميعا وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير
صفر فقال يا علي ارم به فحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد فرمى به فكسره فجعل اهل مكة
يتعجبون ويقولون ما رأينا رجلا اسحر من محمد وشكاية البيت لو صح تمثيل وتخييل وزهق
الباطل ذهب وهلك من قولهم زهقت نفسه اذا خرجت والحق الاسلام والباطل الشرك كان زهوقا
كان مضمحلا غير ثابت في كل وقت وننزل قرئ بالتخفيف والتشديد من القرآن للتبيين كقوله من الاوثان
او للتبعيض اي كل شيء نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين يزدادون به ايمانا او يستصلحون به دينهم
موقعه منهم موقع الشفاء من المرضى وعن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه
الله ولا يزداد به الكافرون الا خسارا اي نقصانا لتكذيبهم به وكفرهم كقوله فزادتهم رجسا
الى رجسهم واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله كأنه مستغن عنه
مستبد بنفسه ونأى بجانبه تأكيد للاعراض لان الاعراض عن الشيء ان يوليه عرض وجهه
والنأي بالجانب ان يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره او اراد الاستكبار لان ذلك من عادة المستكبرين
واذا مسه الشر من فقر او مرض او نازلة من النوازل كان يؤسا شديد اليأس من روح
الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرئ وناء بجانبه بتقديم اللام على العين
كقولهم راء في رأى ويجوز ان يكون بمعنى نهض قل كل يعمل على شاكلته اي على مذهبه
وطريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهي الطرق التي
تتشعب منه والدليل عليه قوله فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اي اسد مذهبا وطريقة ويسألونك عن الروح
الاكثر على انه الروح الذي في الحيوان سألوه عن حقيقته فاخبر انه من امر الله اي مما استأثر
بعلمه وعن ابي بريدة لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح وقيل هو خلق عظيم روحاني
اعظم من الملك وقيل جبريل وقيل القرآن ومعنى من امر ربي من وحيه وكلامه ليس من كلام
البشر بعثت اليهود الى قريش ان سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان
اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم
القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التوراة فندموا على سؤالهم وما اوتيتم الخطاب عام
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب ام انت
معنا فيه فقال بل نحن وانتم لم نؤت من العلم الا قليلا فقالوا ما اعجب شأنك ساعة تقول
ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة
اقلام وليس ما قالوه بلازم لان القلة والكثرة تدوران مع الاضافة فيوصف الشيء بالقلة
مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته فالحكمة التي اوتيها العبد خير كثير

في نفسها الا انها اذا اضيفت الى علم الله فهي قليلة
وقيل هو خطاب لليهود خاصة لانهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قد اوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التوراة قليل في جنب علم الله ولئن شئنا لنذهبن جواب قسم محذوف مع
نيابته عن جزاء الشرط واللام الداخلة على ان موطئة للقسم ومعنى لئن شئنا ذهبنا بالقرآن
ومحوناه عن الصدور والمصاحف فلم نترك له اثرا وبقيت كما كنت لا تدري ما الكتاب
لكن بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مسطورا الا رحمة من ربك
الا ان يرحمك ربك فيرده عليك كان رحمته تتوكل عليه بالرد او يكون على الاستثناء المنقطع
بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا
بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه فعلى كل ذي علم ان لا يغفل عن هاتين المنتين والقيام
بشكرهما ومنها منة الله بحفظ العلم ورسوخه في صدره وعن ابن
مسعود رضي الله عنه ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة وآخر ما تفقدون الصلوة وليصلين
قوم ولا دين لهم وان هذا القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه شيء فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه
في قلوبنا واثبتناه في مصاحفنا نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناؤنا ابناءهم فقال يسرى عليه ليلا
فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف وينزع ما في القلوب لا يأتون جواب قسم محذوف ولولا
اللام الموطئة لجاز ان يكون جوابا للشرط كقوله يقول لا غائب مالي ولا حرم
لان الشرط وقع ماضيا اي لو تظاهروا على ان يأتوا بمثل القرآن في بلاغته وحسن نظمه
وتأليفه وفيهم العرب العاربة ارباب البيان لعجزوا عن الاتيان بمثله والعجب من النوابت
ومن زعمهم ان القرآن قديم مع اعترافهم بانه معجز وانما يكون العجز حيث يكون القدرة فيقال الله
قادر على خلق الاجسام والعباد عاجزون عنه واما المحال الذي لا مجال فيه للقدرة ولا مدخل
لها فيه كثاني القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز وصف الله
بالعجز لانه لا يوصف بالقدرة على المحال الا ان يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال فان راس مالهم
المكابرة وقلب الحقائق ولقد صرفنا رددنا وكررنا من كل مثل من كل معنى هو كالمثل
في غرابته وحسنه والكفور الجحود فابى اكثر الناس الا كفورا
ولم يرضوا الا جحودا وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لما تبين اعجاز
القرآن وانضمت اليه المعجزات الاخر والبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا اخذوا يتعللون باقتراح
الآيات فعل المبهوت المحجوج المتحير في امره فقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر وحتى تفجر
وتفجر بالتخفيف من الارض يعنون ارض مكة ينبوعا عينا غزيرة من شأنها ان تنبع بالماء
لا تنقطع يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء او تسقط السماء كما زعمت يعنون قول الله تعالى ان نشأ
نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء كسفا بسكون السين جمع كسفة
كسدرة وسدر وبفتحها قبيلا كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى او تأتي بالله
قبيلا وبالملائكة قبيلا كقوله كنت منه ووالدي بريا واني وقيار بها لغريب

ونحوه لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا أو جماعة حالا من
أو مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر من زخرف من ذهب في السماء في معارج السماء فحذف المضاف يقال رقي في السلم وفي الدرجة
ولن نؤمن لرقيك لأجل رقيك حتى تنزل علينا كتابا من السماء فيه تصديقك عن ابن
عباس قال عبد الله بن أبي أمية لن نؤمن لك حتى تتخذ إلى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر
حتى تأتيها ثم تأتي معك بصك منشور معه أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول وما
كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات إلا العناد واللجاج ولو جاءتهم كل آية لقالوا هذا سحر كما
قال عز وعلا ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون
وحين أنكروا الآية الباقية التي هي القرآن وسائر الآيات وليست بدون ما اقترحوه بل هي أعظم لم يكن
إلى إيمانهم سبيل قل سبحان ربي وقرئ قال سبحان ربي أي قال الرسول وسبحان ربي تعجب من اقتراحاتهم عليه
هل كنت إلا بشرا رسولا كسائر الرسل لا يأتون قومهم إلا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس أمر الآيات
إلي إنما هو إلى الله فما بالكم تتحكمون وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى
الوحي أي وما منعهم الإيمان بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم إلا شبهة تلجلجت في صدورهم وهي
إنكارهم أن يرسل الله البشر والهمزة في أبعث الله للإنكار وما أنكروه فخلافه هو المنكر
عند الله لأن قضية حكمته أن لا يرسل ملك الوحي إلا إلى أمثاله أو إلى الأنبياء قرر ذلك بأنه
لو كان في الأرض ملائكة يمشون على أقدامهم كما يمشي الإنس ولا يطيرون بأجنحتهم إلى السماء فيسمعوا
من أهلها ويعلموا ما يجب علمه مطمئنين ساكنين في الأرض قارين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا يعلمهم
الخير ويهديهم المراشد فأما الإنس فما هم بهذه المثابة إنما يرسل الملك إلى مختار منهم للنبوة فيقوم
ذلك المختار بدعوتهم وإرشادهم فإن قلت هل يجوز أن يكون بشرا وملكا منصوبين على الحال من رسولا
قلت وجه حسن والمعنى له أجوب شهيدا بيني وبينكم على أني بلغت ما أرسلت به إليكم وأنكم
كذبتم وعاندتم إنه كان بعباده المنذرين والمنذرين خبيرا عالما بأحوالهم فهو مجازيهم وهذه تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفرة وشهيدا تمييز أو حال ومن يهد الله بتوفيقه ولطفه
به فهو المهتد لأنه لا يلطف إلا بمن عرف أن اللطف ينفع فيه ومن يضلل ومن يخذله فلن تجد لهم أولياء
أنصارا على وجوههم كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف يمشون على وجوههم قال إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم عميا وبكما
وصما كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم في الآخرة
كذلك لا يبصرون ما يقر أعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم
ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى ويجوز أن يحشروا مؤفي الحواس من الموقف إلى النار بعد
الحساب فقد أخبر عنهم في موضع آخر أنهم يقرؤون ويتكلمون كلما خبت كلما أكلت جلودهم ولحومهم
وأفنتها فسكن لهبها بدلوا غيرها فرجعت ملتهبة مستعرة كأنهم لما كذبوا بالإعادة بعد
الإفناء جعل الله جزاءهم أن سلط النار على أجزائهم تأكلها وتفنيها ثم يعيدها لا يزالون
على الإفناء والإعادة ليزيد ذلك في تحسرهم على تكذيبهم البعث ولأنه أدخل في الانتقام من

الجاحد وقد دل على ذلك بقوله ذلك جزاؤهم إلى قوله أئنا لمبعوثون خلقا جديدا فإن قلت
علام عطف قوله وجعل لهم أجلا قلت على قوله أولم يروا لأن المعنى قد علموا بدليل العقل أن
من قدر على خلق السماوات والأرض فهو قادر على خلق أمثالهم من الإنس لأنهم ليسوا بأشد خلقا
منهن كما قال أأنتم أشد خلقا أم السماء وجعل لهم أجلا لا ريب فيه وهو الموت أو القيامة فأبوا
مع وضوح الدليل إلا جحودا لو حقها أن تدخل على الأفعال دون الأسماء فلا بد من فعل بعدها
في لو أنتم تملكون وتقديره لو تملكون تملكون فأضمر تملك إضمارا على شريطة التفسير وأبدل من الضمير
المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو أنتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ فأنتم فاعل
الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الإعراب فأما ما يقتضيه
علم البيان فهو أن أنتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وأن الناس هم المختصون بالشح
المتبالغ ونحوه قول حاتم لو ذات سوار لطمتني وقول المتلمس ولو غير أخوالي أرادوا نقيصتي
وذلك لأن الفعل الأول لما سقط لأجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدأ والخبر ورحمة الله رزقه
وسائر نعمه على خلقه ولقد بلغ هذا الوصف بالشح الغاية التي لا يبلغها الوهم وقيل هو
لأهل مكة الذين اقترحوا ما اقترحوا من الينبوع والأنهار وغيرها وأنهم لو ملكوا خزائن الأرزاق
لبخلوا بها قتورا ضيقا بخيلا فإن قلت هل تقدير أمسكتم مفعول قلت لا لأن
معناه لبخلتم من قولك للبخيل ممسك عن ابن عباس هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع
والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه على بني إسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص
الثمرات مكان الحجر والبحر والطور وعن عمر بن عبد العزيز أنه سأل محمد بن كعب فذكر اللسان
والطمس فقال له عمر كيف يكون الفقيه إلا هكذا أخرج يا غلام ذلك الجراب فأخرجه فنفضه فإذا
بيض مكسور نصفين وجوز مكسور وفوم وحمص وعدس كلها حجارة وعن صفوان بن عسال
أن بعض اليهود سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال أوحى الله إلى موسى أن قل لبني
إسرائيل لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تسحروا
ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف
وأنتم يا يهود خاصة لا تعدوا في السبت فسل بني إسرائيل فقلنا له سل بني إسرائيل أي سلهم من فرعون
وقل له أرسل معي بني إسرائيل أو سلهم عن إيمانهم وعن حال دينهم أو سلهم أن يعاضدوك وتكون قلوبهم
وأيديهم معك ويدل عليه قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال بني إسرائيل على لفظ الماضي بغير همز
وهي لغة قريش وقيل فسل يا رسول الله المؤمنين من بني إسرائيل وهم عبد الله بن سلام وأصحابه عن
الآيات ليزدادوا يقينا وطمأنينة قلب لأن الأدلة إذا تظاهرت كان ذلك أقوى وأثبت كقول إبراهيم
ولكن ليطمئن قلبي فإن قلت بم تعلق إذ جاءهم قلت أما على الوجه الأول فبالقول المحذوف
أي فقلنا له سلهم حين جاءهم أو بسال في القراءة الثانية وأما على الأخير فبآتينا أو بإضمار اذكر
أو يخبرونك ومعنى إذ جاءهم إذ جاء آباءهم مسحورا سحرت فخولط عقلك لقد علمت ما أنزل

هؤلاء الآيات إلا الله عز وجل بصائر بينات مكشوفات ولكنك معاند مكابر ونحوه وجحدوا بها
واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وقرئ علمتُ بالضم على معنى أني لست بمسحور كما وصفتني بل أنا
عالم بصحة الأمر وأن هذه الآيات منزلها رب السموات والأرض ثم قارع ظنه بظنه كأنه قال
إن ظننتني مسحوراً فأنا أظنك مثبوراً هالكاً وظني أصح من ظنك لأن لها أمارة ظاهرة وهي
إنكارك ما عرفت صحته ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها وأما ظنك فكذب بحت لأن قولك
مع علمك بصحة أمري إني لأظنك مسحوراً قول كذاب وقال الفراء مثبوراً مصروفاً عن الخير مطبوعاً
على قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا أي ما منعك وصرفك وقرأ أبي وإن إخالك يا فرعون لمثبوراً
على إن المخففة واللام الفارقة فأراد فرعون أن يستخف موسى وقومه من أرض مصر ويخرجهم منها أو
ينفيهم عن ظهر الأرض بالقتل والاستئصال فحاق به مكره بأن استفزه الله بإغراقه مع قبطه اسكنوا الأرض
التي أراد فرعون أن يستفزكم منها فإذا جاء وعد الآخرة يعني قيام الساعة جئنا بكم لفيفاً جميعاً
مختلطين إياكم وإياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من أشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل
شتى وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أنزلنا القرآن إلا بالحكمة المقتضية لإنزاله وما نزل إلا ملتبساً بالحق
والحكمة لاشتماله على الهداية إلى كل خير أو وما أنزلناه من السماء إلا بالحق محفوظاً بالرصد من الملائكة
وما نزل على الرسول إلا محفوظاً بهم من تخليط الشياطين وما أرسلناك إلا لتبشرهم بالجنة وتنذرهم
من النار ليس لك وراء ذلك شيء من إكراه على الدين أو نحو ذلك وقرآناً منصوب بفعل يفسره فرقناه وقرأ
أبي فرقناه بالتشديد أي جعلنا نزوله مفرقاً منجماً وعن ابن عباس أنه قرأه مشدداً وقال لم ينزل في يومين
أو ثلاثة بل كان بين أوله وآخره عشرون سنة يعني أن فرق بالتخفيف يدل على فصل متقارب على مكث بالفتح
والضم على مهل وتؤدة وتثبت ونزلناه تنزيلاً على حسب الحوادث قل آمنوا به أو لا تؤمنوا أمر بالإعراض
عنهم واحتقارهم وازدرائهم وأن لا يكترث بهم وبإيمانهم وبامتناعهم عنه وأنهم إن لم
يدخلوا في الإيمان ولم يصدقوا بالقرآن وهم أهل جاهلية وشرك فإن خيراً منهم وأفضل وهم العلماء
الذين قرأوا الكتب وعلموا ما الوحي وما الشرائع قد آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم أنه النبي العربي
الموعود في كتبهم فإذا تلي عليهم خروا سجداً وسبحوا الله تعظيماً لأمره ولإنجازه ما وعد
في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وإنزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد في قوله
إن كان وعد ربنا لمفعولا ويزيدهم خشوعاً أي يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين فإن قلت
إن الذين أوتوا العلم من قبله تعليل لماذا قلت يجوز أن يكون تعليلاً لقوله آمنوا به أو لا تؤمنوا
وأن يكون تعليلاً لقل على سبيل التسلية لرسول الله وتطييب نفسه كأنه قيل تسل عن إيمان
الجهلة بإيمان العلماء وعلى الأول إن لم تؤمنوا به لقد آمن به من هو خير منكم فإن قلت ما معنى
الخرور للذقن قلت السقوط على الوجه وإنما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين لأن الساجد أول ما يلقى
أول ما يلقى به الأرض من وجهه الذقن فإن قلت حرف الاستعلاء ظاهر المعنى إذا قلت خر
على وجهه وعلى ذقنه فما معنى اللام في خر لذقنه ولوجهه قال فخر صريعاً لليدين وللفم

قلت معناه جعل وجهه وذقنه للخرور واختصه به لأن اللام للاختصاص فإن قلت
لم كرر يخرون للأذقان قلت لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم
في حال كونهم باكين وعن ابن عباس سمعه أبو جهل يقول يا الله يا رحمن فقال إنه ينهانا أن
نعبد إلهين وهو يدعو إلهاً آخر وقيل إن أهل الكتاب قالوا إنك لتقل ذكر الرحمن وقد
أكثر الله في التوراة هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى
إلى مفعولين تقول دعوته زيداً ثم يترك أحدهما استغناء عنه فيقال دعوت زيداً والله
والرحمن المراد بهما الاسم لا المسمى وأو للتخيير يعني ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أي سموا بهذا الاسم
أو بهذا واذكروا إما هذا وإما هذا والتنوين في أياً عوض من المضاف إليه وما صلة للإبهام
المؤكد لما في أي أي أياً ما تدعوا أي هذين الاسمين سميتم وذكرتم فله الأسماء الحسنى والضمير في فله ليس براجع
إلى أحد الاسمين المذكورين ولكن إلى مسماهما وهو ذاته عز وعلا لأن التسمية للذات لا للاسم
والمعنى أياً ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الأسماء الحسنى لأنه إذا حسنت أسماؤه
كلها حسن هذان الاسمان لأنهما منها ومعنى كونها أحسن الأسماء أنها مستقلة بمعاني التحميد
والتقديس والتعظيم بصلاتك بقراءة صلاتك على حذف المضاف لأنه لا يلبس من قبل أن
الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان على الصوت لا غير والصلاة أفعال وأذكار
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بقراءته فإذا سمعها المشركون لغوا وسبوا
فأمر بأن يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى تسمع المشركين ولا تخافت حتى لا تسمع من خلفك
وابتغ بين الجهر والمخافتة سبيلاً وسطاً وروي أن أبا بكر رضي الله عنه كان يخفي صوته
بالقراءة في صلاته ويقول أناجي ربي وقد علم حاجتي وكان عمر يرفع صوته ويقول أزجر الشيطان
وأوقظ الوسنان فأمر أبا بكر أن يرفع قليلاً وعمر أن يخفض قليلاً وقيل معناه ولا تجهر
بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلاً بأن تجهر بصلاة الليل وتخافت
بصلاة النهار وقيل بصلاتك بدعائك وذهب قوم إلى أن الآية منسوخة بقوله ادعوا ربكم
تضرعاً وخفية وابتغاء السبيل مثل لانتحاء الوجه الوسط في القراءة ولي من الذل ناصر
من الذل وما نعه له منه لاعتزازه به أو لم يوال أحداً من أجل مذلة به ليدفعها بموالاته فإن قلت
كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك والذل بكلمة التحميد قلت لأن من هذا وصفه هو الذي
يقدر على إيلاء كل نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أفصح الغلام من بني
عبد المطلب علمه هذه الآية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة بني إسرائيل فرق قلبه
عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار ألف أوقية ومائتا أوقية

سورة الكهف مكية وهي مائة وإحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه
على أجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الإسلام وما أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب
الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم ولم يجعل له عوجاً ولم يجعل له شيئاً من العوج قط والعوج

في المعاني كالعوج في العيان والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شي منه
من الحكمة والاصابة فيه فان قلت بم انتصب قيما قلت الاحسن ان ينتصب بمضمر
ولا يجعل حالا من الكتاب لان قوله ولم يجعل معطوف على انزل فهو داخل في حيز الصلة فجاعله
حالا من الكتاب فاصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة وتقديره ولم يجعل له عوجا جعله قيما لانه
اذا نفى عنه العوج فقد اثبت له الاستقامة فان قلت ما فائدة الجمع بين نفي العوج واثبات
الاستقامة وفي احدهما غنى عن الاخر قلت فائدته التاكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة
ولا يخلو من ادنى عوج عند السبر والتصفح وقيل قيما على سائر الكتب مصدقا لها شاهدا
بصحتها وقيل قيما بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرائع وقرى قيما انذر متعد الى مفعولين
كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا فاقتصر على احدهما واصله لينذر الذين كفروا باسا شديدا والباس
من قوله بعذاب بئيس وقد بؤس العذاب وبؤس الرجل باسا وباسة من لدنه صادرا من عنده وقرى
من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون ويبشر بالتخفيف والتثقيل فان قلت
لم اقتصر على احد مفعولي انذر قلت قد جعل المنذر به هو الغرض المسوق اليه فوجب الاقتصار عليه
والدليل عليه تكرير الانذار في قوله وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا متعلقا بالمنذرين من غير ذكر
المنذر به كما ذكر المبشر به في قوله ان لهم اجرا حسنا استغناء بتقدم ذكره والاجر الحسن
الجنة ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه يعني ان قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط
وتقليد للاباء وقد اشتملته اباؤهم من الشيطان وتسويله فان قلت اتخاذ الله ولدا في نفسه
محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت معناه ما لهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء
العلم بالشي اما للجهل بالطريق الموصل اليه واما لانه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به
قرى كبرت كلمة وكلمة بالنصب على التمييز والرفع على الفاعلية والنصب اقوى وابلغ وفيه
معنى التعجب كانه قيل ما اكبرها كلمة وتخرج من افواههم صفة للكلمة تفيد استعظاما
لاجترائهم على النطق بها واخراجها من افواههم فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس
ويحدثون به انفسهم من المنكرات لا يتمالكون ان يتفوهوا به ويطلقوا به السنتهم بل يكظمون
عليه تشورا من اظهاره فكيف بمثل هذا المنكر وقرى كبرت بسكون الباء مع اشمام الضمة
فان قلت الام يرجع الضمير في كبرت قلت الى قولهم اتخذ الله ولدا ولذا سميت كلمة كما يسمون
القصيدة بها شبهه واياهم حين تولوا عنه لم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والاسف
على توليهم برجل فارقه احبته واعزته فهو يتساقط حسرات على اثارهم ويبخع نفسه
وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم وقرى باخع نفسك على الاصل وعلى الاضافة اي قاتلها
ومهلكها وهو للاستقبال فيمن قرا ان لم يؤمنوا وللمضي فيمن قرا ان لم يؤمنوا بمعنى لان لم
يؤمنوا بهذا الحديث بالقران اسفا مفعول له اي لفرط الحزن ويجوز ان يكون حالا والاسف المبالغة
في الحزن والغضب يقال رجل اسف واسيف ما على الارض يعني ما يصلح ان يكون زينة لها ولاهلها
من زخارف الدنيا وما يستحسن منها لنبلوكم ايكم احسن عملا وحسن العمل الزهد فيها وترك

لنبلوهم ايهم

الاغترار بها ثم زهد في الميل اليها بقوله وانا لجاعلون ما عليها من هذه الزينة
صعيدا جرزا يعني مثل ارض بيضاء لا نبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة في ازالة
بهجته واماطة حسنه وابطال ما به كان زينة من اماتة الحيوان وتجفيف النبات والاشجار
ونحو ذلك ذكر من الايات الكلية تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس التي لا حصر لها
وازالة ذلك كله كان لم يكن ثم قال ام حسبت يعني ان ذلك اعظم من قصة اصحاب الكهف
وابقاء حياتهم مدة طويلة والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم كلبهم قال
امية بن ابي الصلت ✤ وليس بها الا الرقيم مجاورا ✤ وصيدهم والقوم في الكهف همد ✤
وقيل هو لوح من رصاص رقمت فيه اسماؤهم جعل على باب الكهف وقيل ان الناس رقموا
حديثهم نقرا في الجبل وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف وقيل الجبل وقيل قريتهم
وقيل مكانهم بين غضبان وايلة دون فلسطين كانوا اية عجبا من اياتنا وصفا بالمصدر
او على ذات عجب من لدنك رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والامن من الاعداء وهيئ
لنا من امرنا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا حتى نكون بسببه راشدين مهتدين
او اجعل امرنا رشدا كله كقولك رايت منك اسدا فضربنا على اذانهم اي ضربنا عليها
حجابا من ان تسمع يعني انمناهم انامة ثقيلة لا تنبههم فيها الاصوات كما ترى المستثقل
في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال بنى على امراته يريدون
بنى عليها القبة سنين عددا ذوات عدد فيحتمل ان يريد الكثرة وان يريد القلة لان الكثير
قل عنده كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقال الزجاج اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج
ان يعد واذا كثر احتاج الى ان يعد اي يتضمن معنى الاستفهام فعلق عنه لنعلم فلم يعمل فيه
وقرى ليعلم وهو معلق عنه ايضا لان ارتفاعه بالابتدا لا باسناد يعلم اليه وفاعل يعلم
مضمون الجملة كما انه مفعول نعلم اي الحزبين المختلفين منهم في مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا
اختلفوا في ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم
اعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم الذين علموا ان لبثهم قد تطاول او اي الحزبين
المختلفين من غيرهم واحصى فعل ماض اي ايهم ضبط امدا لاوقات لبثهم فان قلت
فما تقول فيمن جعله من افعل التفضيل قلت ليس بالوجه السديد وذلك ان بناءه من غير الثلاثي
المجرد ليس بقياس ونحو اعدى من الجرب وافلس من ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ في غير
القران ممتنع فكيف به ولان امدا لا يخلو اما ان ينتصب بافعل فافعل لا يعمل واما ان ينصب بلبثوا فلا
يسد عليه المعنى فان زعمت اني انصبه باضمار فعل يدل عليه احصى كما اضمر في قوله ✤
واضرب منا بالسيوف القوانسا ✤ على نضرب القوانس فقد ابعدت المتناول وهو قريب
حيث ابيت ان يكون احصى فعلا ثم رجعت مضطرا الى تقديره واضماره فان قلت كيف جعل الله
تعالى العلم باحصائهم المدة غرضا في الضرب على اذانهم قلت الله عز وعلا لم يزل عالما بذلك
وانما اراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا ويكون لطفا لمؤمني زمانهم

وايه بقينه الكفاره وزدناهم هدى بالتوفيق والتثبيت وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر
على هجر الاوطان والنعيم والفرار بالدين الى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام
اذ قاموا بين يدي الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم
فقالوا ربنا رب السموات والارض شططا قولا ذا شطط وهو الافراط في الظلم والابعاد فيه من شط
اذا بعد ومنه اشط في السوم وفي غيره هؤلاء مبتدأ وقومنا عطف بيان واتخذوا خبر وهو اخبار
في معنى انكار لولا يأتون عليهم هلا يأتون على عبادتهم فحذف المضاف بسلطان بين وهو تبكيت
لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان محال وهو دليل على فساد التقليد وانه لا بد في الدين
من الحجة حتى يصح ويثبت افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه واذ اعتزلتموهم خطاب بعضهم
لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم وما يعبدون عطف على الضمير يعني واذ اعتزلتموهم
واعتزلتم معبوديهم الا الله يجوز ان يكون استثناء متصلا على ما روي انهم كانوا يقرون بالخالق
ويشركون معه كما اهل مكة وان يكون منقطعا وقيل هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية
انهم لم يعبدوا غير الله مرفقا قرئ بفتح الميم وكسرها وهو ما يرتفق به اي ينتفع اما انهم قالوا ذلك
ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم واما ان يخبرهم نبي في عصرهم
واما ان يكون بعضهم نبيا اصله تتزاور فخفف بادغام التاء في الزاي او حذفها وقد قرئ بهما
وقرئ تزور وتزوار بوزن تحمر وتحمار وكلها من الزور وهو الميل ومنه زاره اذا مال
اليه والزور الميل عن الصدق ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين
تقرضهم تقطعهم لا تقربهم من معنى القطيعة والصرم قال ذو الرمة
الى ظعن يقرضن اقواز مشرف شمالا وعن ايمانهن الفوارس وهم في فجوة منه وهم في
متسع من الكهف والمعنى انهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها
مع انهم في مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا ان الله يحجبها عنهم وقيل [illegible]
من غاربهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار ذلك من آيات الله اي ما
صنعه الله بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من آياته يعني ان ما كان في
ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب الكهف شمالي
مستقبل لبنات نعش فهم في مقناة ومعنى ذلك من آيات الله ان شأنهم وحديثهم من آيات الله
من يهد الله فهو المهتد ثناء عليهم بانهم جاهدوا في الله واسلموا له وجوههم فلطف بهم
واعانهم وارشدهم الى نيل تلك الكرامة السنية والاختصاص بالآية العظيمة وان كل
من سلك طريقة المهتدين الراشدين فهو الذي اصاب الفلاح واهتدى الى السعادة ومن تعرض
للخذلان فلن تجد من يليه ويرشده بعد خذلان الله وتحسبهم بكسر السين وفتحها خطاب لكل
احد ايقاظا جمع يقظ كانكاد في نكد وقيل عيونهم منفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر
لذلك ايقاظا وقيل لكثرة تقلبهم وقيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة واحدة
في يوم عاشوراء وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله عز وجل وقرئ وتقلبهم على المصدر منصوبا
وانتصابه بفعل يدل عليه وتحسبهم ايقاظا كانه قيل وترى وتشاهد تقلبهم

وقرا جعفر الصادق رضي الله عنه وكالبهم اي وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية
حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان بمعنى المضي واضافته اذا اضيف حقيقية معرفة
كغلام زيد الا اذا نويت حكاية الحال الماضية بالوصيد الفناء وقيل العتبة وقيل
الباب واشد بارض فضاء لا يشتد وصيدها [illegible]
بتشديد اللام للمبالغة وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها ياء وقرئ ولملّئت
الذي يرعب الصدر اي يملأه وذلك لما البسهم الله من الهيبة رعبا بالتخفيف والتثقيل وهو الخوف
وعظم اجرامهم وقيل لوحشة مكانهم وقيل لطول اظفارهم وشعورهم
وعن معوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عنهم فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس
ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال معوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا
فلما دخلوا الكهف بعث الله تعالى ريحا فاحرقتهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو وكذلك بعثناهم
وكما انمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم اذكارا لقدرته على الانامة والبعث جميعا ليتساءلوا
بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا
يقينا ويشكروا ما انعم الله عليهم وكرمهم به قالوا لبثنا يوما او بعض يوم جواب مبني على غالب الظن
وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب وانه لا يكون كذبا وان جاز ان يكون خطأ
قالوا ربكم اعلم بما لبثتم انكار عليهم من بعضهم وان الله اعلم بمدة لبثهم كانهم قد
علموا بالادلة او بالهام من الله ان المدة متطاولة وان مقدارها مبهم لا يعلمه الا الله وروي
انهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا انهم في يومهم فلما نظروا الى طول
اظفارهم واشعارهم قالوا ذلك فان قلت كيف وصلوا قولهم فابعثوا بذلك حديث المدة
قلت كانهم قالوا ربكم اعلم بذلك لا طريق لكم الى علمه فخذوا في شيء آخر مما يهمكم بورقكم الفضة
مضروبة كانت او غير مضروبة ومنه الحديث ان عرفجة اصيب انفه يوم الكلاب فاتخذ انفا من
ورق فانتن فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتخذ انفا من ذهب وقرئ بورقكم بسكون الراء
والواو وكسرها وقرأ ابن كثير بورقكم بكسر الراء وادغام القاف في الكاف وعن ابن محيصن انه كسر
الواو واسكن الراء وادغم وهذا غير جائز لالتقاء الساكنين لا على حده وقيل المدينة طرسوس
وتزودهم ما كان معهم من الورق عند فرارهم دليل على ان حمل النفقة وما يصلح للمسافر هو رأي
المتوكلين على الله دون المتكلين على الاتفاقات وعلى ما في اوعية القوم من النفقات ومنه
قول عائشة رضي الله عنها لمن سألها عن محرم يشد عليه هميانه اوثق عليك نفقتك وما حكي
عن بعض صلحاء العلماء انه كان شديد الحنين الى ان يرزق حج بيت الله ويقول لمن ذلك
تكلت ممن بين اهل بلده كلما عزم منهم فوج على الحج اتوه فبذلوا له ان يحجوا به والحوا عليه
فيعتذر اليهم ويحمد اليهم بذلهم فاذا انفضوا عنه قال لمن عنده ما لهذا السفر الا شيئان شد الهميان
والتوكل على الرحمن ايها اي اهلها فحذف كما في قوله واسئل القرية ازكى طعاما
احل واطيب او اكثر وارخص وليتلطف وليتكلف اللطف والنيقة فيما يباشره من امر المبايعة
حتى لا يغبن او في امر التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا يعني ولا يفعلن ما يؤدي الى شعور غيره

تصير منه الى الشعور بنا فسمى ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه ° الضمير في انهم راجع الى الاهل
المقدر في ايكم **يرجموكم** يقتلوكم اخبث القتلة وهي الرجم وكانت عادتهم او يعيدوكم او يدخلوكم
في ملتهم بالاكراه العنيف ويصيروكم اليها والعود في معنى الصيرورة اكثر شيء في كلامهم
يقولون ما عدت افعل كذا يريدون ابتداء الفعل **ولن** تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم في دينهم وكذلك
اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة اطلعنا عليهم ليعلم الذين اطلعناهم
على حالهم ان وعد الله حق وهو البعث لان حالهم في نومتهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث
اذ يتنازعون ظرف لاعثرنا اي اعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم امر دينهم ويختلفون في
حقيقة البعث فكان بعضهم يقول تبعث الارواح دون الاجساد وبعضهم يقول تبعث الاجساد مع الارواح
ليرتفع الخلاف وليتبين ان الاجساد تبعث حية حساسة فيها ارواحها كما كانت قبل الموت
فقالوا حين توفى الله اصحاب الكهف ابنوا عليهم بنيانا اي على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس
ضنا بتربتهم كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة **قال** الذين غلبوا على امرهم
من المسلمين وملكهم وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم لنتخذن على باب الكهف مسجدا يصلي
فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم **وقيل** اذ يتنازعون بينهم امرهم اي يتذاكر الناس بينهم
امر اصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم وما اظهر الله من الآية فيهم او يتنازعون بينهم تدبير
امرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق اليهم فقالوا ابنوا على باب كهفهم
بنيانا روي ان اهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام واكرهوا
على عبادتها وممن شدد في ذلك دقيانوس فاراد فتية من اشراف قومه على الشرك وتوعدهم
بالقتل فابوا الا الثبات على الايمان والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا بكلب
فتبعهم فطردوه فانطقه الله تعالى فقال ما تريدون مني انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم
وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف فكانوا يعبدون الله فيه ثم ضرب
الله على آذانهم وقبل ان يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف اهل مملكته
في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسأل
ربه ان يبين لهم الحق فالقى الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذه
حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام واخرج الورق وكان من ضرب
دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك
واهل المدينة معه وابصروهم وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث ثم قالت الفتية
للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله
انفسهم فالقى الملك عليهم ثيابه وامر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرآهم في المنام كارهين
للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا **ربهم** اعلم بهم من كلام المتنازعين كأنهم
تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة
ذلك قالوا ربهم اعلم بهم او هو من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين في حديثهم من اولئك المتنازعين
او من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم **سيقولون** الضمير لمن خاض في قصتهم

من اهل الكتاب

من اهل الكتاب

في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم
فنزلت اخبارا بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم وان المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم فأخر الجواب الى ان يوحى اليه
قال ابن عباس انا من اولئك القليل وروي ان السيد والعاقب واصحابهما من اهل نجران كانوا عند النبي عليه السلام
فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان
نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين
وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لسان جبريل وعن علي رضي الله عنه هم سبعة
نفر اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش
وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في امره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس
واسم مدينتهم افسوس واسم كلبهم قطمير **فان قلت** لم جاء بسين الاستقبال في الاول دون الآخرين
فيه وجهان ان يدخل الآخرين في حكم السين كما تقول قد اكرم وانعم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا
وان يريد بيفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له **رجما** بالغيب رميا بالخبر الخفي واتيانا به كقوله
ويقذفون بالغيب اي يأتون به او وضع الرجم موضع الظن فكأنه قيل ظنا بالغيب لانهم اكثروا ان يقولوا
رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين الا ترى الى قول زهير
وما هو عنها بالحديث المرجم اي المظنون وقرئ ثلاث رابعهم بادغام الثاء في تاء التأنيث وثلاثة
خبر مبتدأ محذوف اي هم ثلاثة وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدأ وخبر واقعة
صفة لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم **فان قلت** فما هذه الواو الداخلة على الجملة
الثالثة ولم دخلت عليها دون الاوليين **قلت** هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة
كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة في نحو قولك جاءني رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفي يده سيف
ومنه قوله عز وعلا وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وفائدتها تأكيد لصوق الصفة
بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت مستقر فهذه الواو هي التي آذنت بان الذين قالوا
سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرجموا بالظن كما غيرهم والدليل
عليه ان الله سبحانه اتبع القولين الاولين قوله رجما بالغيب واتبع القول الثالث قوله ما يعلمهم الا قليل
وقال ابن عباس رضي الله عنه حين وقعت الواو انقطعت العدة اي لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت
اليها وثبت انهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والبتات وقيل الا قليل من اهل الكتاب والضمير
في سيقولون على هذا لاهل الكتاب خاصة اي سيقول اهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا في قليل
منهم واكثرهم على ظن وتخمين **فلا** تمار فيهم فلا تجادل اهل الكتاب في شأن اصحاب الكهف الا جدالا ظاهرا
غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما اوحى الله اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم ولا تعنيف بهم
في الرد عليهم كما قال وجادلهم بالتي هي احسن **ولا** تستفت ولا تسأل احدا منهم عن قصتهم سؤال متعنت
له حتى يقول شيئا فترده عليه وتزيف ما عنده لان ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة والمجاملة
ولا سؤال مسترشد لان الله قد ارشدك بان اوحى اليك قصتهم **ولا** تقولن لشيء ولا تقولن لاجل شيء تعزم
عليه **اني** فاعل ذلك الشيء غدا اي فيما تستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة الا ان يشاء الله
متعلق بالنهي لا بقوله اني فاعل لانه لو قال اني فاعل كذا الا ان يشاء الله كان معناه الا ان تعترض
مشيئة الله دون فعله وذلك مما لا مدخل فيه للنهي وتعلقه بالنهي على وجهين احدهما ولا تقولن

وهو ان يكون ان شا الله في معنى كلمة تابيد كانه قيل ولا تقولنه ابدا ونحوه قوله وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشا الله لان عودهم في ملتهم مما لن يشا الله

ذلك القول الا ان شا الله ان تقوله بان ياذن لك فيه والثاني ولا تقولنه الا بان شا
الله اي بمشيته وهو في موضع الحال يعني الا ملتبسا بمشية الله قايلا ان شا الله وهذا
نهي تاديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وذي القرنين
فسالوه فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطا عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش
واذكر ربك اي مشية ربك وقل ان شا الله اذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى اذا نسيت كلمة
الاستثنا ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم يحنث وعن سعيد بن
جبير ولو بعد يوم او اسبوع او شهر او سنة وعن طاوس هو على ثنياه ما دام في مجلسه وعن الحسن
نحوه وعن عطا يستثني على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند عامة الفقها انه لا اثر له في الاحكام
ما لم يكن موصولا ويحكى انه بلغ المنصور ان ابا حنيفة خالف ابن عباس في الاستثنا المنفصل
فاستحضره لينكر عليه فقال له ابو حنيفة هذا يرجع عليك انك تاخذ البيعة بالايمان افترضى
ان يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه ورضي عنه ويجوز ان يكون المعنى
واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثنا تشديدا في البعث على
الاهتمام بها وقيل واذكر ربك اذا تركت بعض ما امرك به وقيل واذكره اذا اعتراك
النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على ادا الصلوة المنسية عند ذكرها وهذا اشارة
الى نبا اصحاب الكهف ومعناه لعل الله يؤتيني من البينات والحجج على اني نبي صادق ما هو اعظم في
الدلالة واقرب رشدا من نبا اصحاب الكهف وقد فعل ذلك حيث اتاه من قصص الانبيا والاخبار
بالغيوب ما هو اعظم من ذلك وادل والظاهر ان يكون المعنى اذا نسيت شيا فاذكر ربك وذكر ربك
عند نسيانه ان يقول عسى ربي ان يهديني لشي اخر بدل هذا المنسي اقرب منه رشدا وادنى خيرا
ومنفعة ولعل النسيان كان خيرة كقوله او ننسها نات بخير منها **ولبثوا في كهفهم**
ثلثماية سنين يريد لبثهم فيه احيا مضروبا على اذانهم هذه المدة وهو بيان لما اجمل في قوله
فضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا ومعنى قوله قل الله اعلم بما لبثوا انه اعلم من الذين
اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما اخبرك به وعن قتادة انه حكاية لكلام اهل الكتاب
وقل الله اعلم رد عليهم وقال في حرف عبد الله وقالوا لبثوا سنين عطف بيان لثلثماية
وقرئ ثلثماية سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله بالاخسرين
اعمالا وفي قراءة ابي ثلثماية سنة **تسعا** تسع سنين لان ما قبله يدل عليه ثم ذكر اختصاصه
بما غاب في السموات والارض وخفي فيها من احوال اهلها ومن غيرها وانه هو وحده العالم به
وجا بما دل على التعجب من ادراكه المسموعات والمبصرات للدلالة على ان امره في الادراك خارج
عن حد ما عليه ادراك السامعين والمبصرين لانه يدرك الطف الاشيا واصغرها كما يدرك
اكبرها حجما واكثفها جرما ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر **ما لهم** الضمير لاهل السموات

والارض **من ولي** من متول لامورهم **ولا يشرك في حكمه** في قضائه احدا منهم وقرا الحسن ولا تشرك بالتا
والجزم على النهي كانوا يقولون له ائت بقران غير هذا او بدله فقيل له **واتل ما اوحي اليك** من القران ولا تسمع
لما يهذون به من طلب التبديل فلا مبدل لكلمات ربك اي لا يقدر احد على تبديلها وتغييرها انما يقدر على ذلك
هو وحده واذا بدلنا اية مكان اية **ولن تجد من دونه ملتحدا** ملتجا تعدل اليه ان هممت بذلك قال
قوم من رؤسا الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هولا الموالي الذين كان ريحهم ريح الضان وهم صهيب
وعمار وخباب وغيرهم من فقرا المسلمين حتى نجالسك كما قال قوم نوح انؤمن لك واتبعك الارذلون فنزلت
واصبر نفسك واحبسها معهم وثبتها قال ابو ذويب فصبرت عارفة لذلك حرة ترسو اذا نفس الجبان تطلع
بالغداة والعشي دائبين على الدعا في كل وقت وقيل المراد صلاة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة وبالغداة
اجود لان غدوة علم في اكثر الاستعمال وادخال اللام على تاويل التنكير كما قال والزيد زيد المعارك
ونحوه قليل في كلامهم يقال عداه اذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره وجاني القوم عدا زيدا وانما عدي بعن
لتضمين عدا معنى نبا وعلا في قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه اذا اقتحمته ولم تعلق به فان قلت
اي غرض في هذا التضمين وهلا قيل ولا تعدهم عيناك او ولا تعل عيناك عنهم قلت الغرض فيه اعطا
مجموع معنيين وذلك اقوى من اعطا معنى فذ الا ترى كيف رجع المعنى الى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين
الى غيرهم ونحوه قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم اي ولا تضموها اليها اكلين لها وقرئ ولا تعد
ولا تعد عينيك من اعداه وعداه نقلا بالهمزة وتثقيل الحشو ومنه قوله فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له
لان معناه فعد همك عما ترى نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يزدري بفقرا المؤمنين وان تنبو عيناه
عن رثاثة زيهم طموحا الى زي الاغنيا وحسن شارتهم **تريد زينة الحيوة الدنيا** في موضع الحال من اغفلنا
قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان او وجدناه غافلا عنه كقولك اجبنته وافحمته وابخلته
اذا وجدته كذلك او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا
في قلوبهم الايمان وقد ابطل الله توهم المجبرة بقوله واتبع هواه وقرئ اغفلنا قلبه باسناد الفعل
الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين عنه من اغفلته اذا وجدته غافلا **فرطا** متقدما للحق
والصواب نابذا له ورا ظهره من قولهم فرس فرط متقدم للخيل **وقل الحق من ربكم** الحق خبر مبتدا محذوف
والمعنى جا الحق وزاحت العلل فلم يبق الا اختياركم لانفسكم ما شئتم من الاخذ في طريق النجاة
او في طريق الهلاك وجي بلفظ الامر والتخيير لانه لما مكن من اختيار ايهما شا فكانه مخير
مامور بان يتخير ما شا من النجدين شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهو الحجرة التي تكون حول
الفسطاط وسرادق ذو سرادق وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار وقيل
حايط من نار يطيف بهم **يغاثوا** بما كالمهل كقوله فاعتبوا بالصيلم وفيه تهكم
والمهل ما اذيب من جواهر الارض وقيل دردي الزيت **يشوي** الوجوه اذا قدم ليشرب انشوى الوجه
من حرارته عن النبي صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه
بئس الشراب ذلك وساءت النار مرتفقا متكا من المرفق وهذا لمشاكلة قوله
وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا اتكا الا ان يكون من قوله

اي ملتجا

ولا تعد عينيك

اني ارقت فبت الليل مرتفقا كان عيني فيها الصاب مذبوح اولئك خبر ان وانا لا نضيع
اعتراض او لك ان تجعل انا لا نضيع واولئك خبرين معا او تجعل اولئك كلاما مستانفا بيانا للاجر
المبهم فان قلت اذا جعلت انا لا نضيع خبرا فاين الضمير الراجع منه الى المبتدا قلت من احسن
عملا والذين امنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد فقام من احسن مقام الضمير او اردت من احسن
عملا منهم فكان كقولك السمن منوان بدرهم من اساور من الاولى للابتداء والثانية للتبيين وتنكير اساور
لابهام امرها في الحسن وجمع بين السندس وهو مارق من الديباج وبين الاستبرق وهو الغليظ منه
جمعا بين النوعين وخص الاتكاء لانه هيئة المتنعمين والملوك على اسرتهم واضرب لهم مثلا رجلين اي
ومثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا اخوين في بني اسرائيل احدهما كافر اسمه قطروس والاخر
مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في سورة والصافات في قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين ورثا
من ابيهما ثمانية الاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر ارضا بالف فقال المؤمن اللهم ان اخي اشترى ارضا
بالف دينار وانا اشتري منك ارضا في الجنة بالف فتصدق به ثم بنى اخوه دارا بالف فقال اللهم اني اشتري
منك دارا في الجنة بالف فتصدق به ثم تزوج اخوه امراة بالف فقال اللهم اني جعلت الفا صداقا للحور
ثم اشترى اخوه خدما ومتاعا بالف فقال اللهم اني اشتريت منك الولدان بالف فتصدق به
ثم اصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على
التصدق بماله وقيل هما مثل لاخوين من بني مخزوم مؤمن وهو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد
وكان زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكافر وهو الاسود بن عبد الاسد جنتين
بستانين من كروم وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين
في كرومهم ان يجعلوها مؤزرة بالاشجار المثمرة يقال حفوه اذا طافوا به وحففته بهم اي جعلتهم
حافين حوله فيزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته وغشيته به وجعلنا
بينهما زرعا جعلناها ارضا جامعة للاقوات والفواكه ووصف العمارة بانها متواصلة متشابكة
لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينها مع الشكل الحسن والترتيب الانيق ونعتهما بوفاء الثمار
وتمام الاكل من غير نقص ثم بما هو اصل الخير ومادته من امر الشرب فجعله افضل ما يسقى به
وهو السيح بالنهر الجاري فيها والاكل الثمر وقرئ بضم الكاف ولم تظلم ولم تنقص واتت
حمل على اللفظ لان كلتا لفظه لفظ مفرد ولو قيل اتتا على المعنى لجاز وقرئ وفجرنا على
التخفيف وقرا عبد الله كل الجنتين اتى اكله برد الضمير على كل وكان له ثمر اي انواع
المال من ثمر ماله اذا كثره وعن مجاهد الذهب والفضة اي كان له الى الجنتين الموصوفتين
الاموال الدثرة من الذهب والفضة وغيرهما فكان وافر اليسار من كل وجه متمكنا من عمارة
الارض كيف شاء واعز نفرا يعني انصارا وحشما وقيل اولادا ذكورا لانهم ينفرون معه
دون الاناث يحاوره يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع وسالته فما احار كلمة يعني بالرجلين
اخذ بيد المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره بما ملك من المال دونه
فان قلت فلم افرد الجنة بعد التثنية قلت معناه ودخل ما هو جنته ما له جنة غيرها يعني

انه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد
الجنتين ولا واحدة منهما وهو ظالم لنفسه وهو معجب بما اوتي مفتخر به كافر لنعمة ربه
معرض بذلك نفسه لسخط الله وهو افحش الظلم اخباره عن نفسه بالشك في بيدودة
جنته لطول امله واستيلاء الحرص عليه وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة واطراحه
النظر في عواقب امثاله وترى اكثر الاغنياء من المسلمين وان لم يطلقوا بنحو هذا السنتهم فان السنة
احوالهم ناطقة به منادية عليه ولئن رددت الى ربي اقسام منه على انه ان رد الى ربه على سبيل
الفرض والتقدير وكما يزعم صاحبه ليجدن في الاخرة خيرا من جنته في الدنيا تطمعا وتمنيا
على الله وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده وانه ما اولاه الجنتين الا لاستحقاقه واستيهاله
وان معه هذا الاستحقاق اين توجه كقوله ان لي عنده للحسنى لاوتين مالا وولدا وقرئ خيرا منهما
ردا على الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة وانتصابه على التمييز اي منقلب تلك خير من منقلب هذه
لانها فانية وتلك باقية خلقك من تراب اي خلق اصلك لان خلق اصله سبب في خلقه فكان
خلقا له سواك عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله جاحدا لانعمه
لشكه في البعث كما يكون المكذب بالرسول كافرا لكنا هو الله ربي اصله لكن انا فحذفت
الهمزة والقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فكان الادغام ونحوه قول القائل
وترمينني بالطرف اي انت مذنب وتقلينني لكن اياك لا اقلي اي لكن انا لا اقليك
وهو ضمير الشان والشان الله ربي والجملة خبر انا والراجع منها اليه ياء الضمير وقرا ابن عامر باثبات
الف انا في الوصل والوقف جميعا وحسن ذلك وقوع الالف عوضا من حذف الهمزة وغيره لا يثبتها
الا في الوقف وعن ابي عمرو انه وقف بالهاء لكنه وقرئ لكن هو الله ربي بسكون النون وطرح
انا وقرا ابي بن كعب لكن انا على الاصل وفي قراءة عبد الله لكن انا لا اله الا هو ربي فان قلت
هو استدراك لماذا قلت لقوله اكفرت قال لاخيه انت كافر بالله لكني مؤمن موحد
كما تقول زيد غائب لكن عمرا حاضر ما شاء الله يجوز ان تكون ما موصولة مرفوعة المحل على
انها خبر مبتدا محذوف تقديره الامر ما شاء الله او شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف بمعنى
اي شيء شاء الله كان ونظيرها في حذف الجواب لو في قوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال والمعنى
هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ما شاء الله اعترافا بانها
وكل خير فيها انما حصل بمشيئة الله وفضله وان امرها بيده ان شاء تركها عامرة وان شاء
خربها وقلت لا قوة الا بالله اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير امرها هو بمعونته
وتاييده اذ لا يقوى احد في بدنه ولا في ملك يده الا بالله وعن عروة بن الزبير انه كان يثلم
حائطه ايام الرطب فيدخل من شاء وكان اذا دخله ردد هذه الاية حتى يخرج من قرا اقل بالنصب
فقد جعل انا فصلا ومن رفع جعله مبتدا واقل خبره والجملة مفعولا ثانيا لترني

نصرة لمن فسر النفر بالأولاد في قوله وأعز نفرا والمعنى إن ترني أفقر منك فأنا أتوقع من صنع الله أن يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لإيماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك **والحسبان** مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب أي مقدارا قدره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقال الزجاج عذاب حسبان وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك وقيل حسبانا مرامي الواحدة حسبانة وهي الصواعق **صعيدا** زلقا أرضا بيضاء يزلق عليها لملاستها زلقا وغورا كلاهما وصف بالمصدر وأحيط به عبارة عن إهلاكه وأصله من أحاط به العدو لأنه إذا أحاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في كل إهلاك ومنه قوله إلا أن يحاط بكم ومثله قولهم أتى عليه إذا أهلكه من أتى عليهم العدو إذا جاءهم مستعليا لهم وتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لأن النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كني عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد ولأنه في معنى الندم عدي تعديته بعلى كأنه قيل فأصبح يندم على ما أنفق فيها أي أنفق في عمارتها **وهي** خاوية على عروشها يعني أن كرومها المعرشة سقطت عروشها على الأرض وسقطت فوقها الكروم قيل أرسل الله عليها نارا فأكلتها يا ليتني تذكر موعظة أخيه فعلم أنه أتي من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه ويجوز أن يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في الإيمان فئة وقرئ ولم يكن بالتاء والياء وحمل ينصرونه على المعنى دون اللفظ كقوله فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة فإن قلت ما معنى قوله ينصرونه من دون الله قلت معناه يقدرون على نصرته من دون الله أي هو وحده القادر على نصرته لا يقدر أحد غيره أن ينصره إلا أنه لم ينصره لصارف وهو استيجابه أن يخذل **وما كان** منتصرا وما كان ممتنعا بقوته **الولاية** بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك وقد قرئ بهما والمعنى هنالك أي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها أحد سواه تقريرا لقوله ولم يكن له فئة ينصرونه من دون الله أو هنالك السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه أو في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعني أن قوله يا ليتني لم أشرك بربي أحدا كلمة ألجئ إليها فقالها جزعا مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز أن يكون المعنى هنالك الولاية لله ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم من أعدائهم يعني أنه نصر بما فعل بالكافر أخاه المؤمن وصدق قوله عسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا أي لأوليائه وقيل هنالك إشارة إلى الآخرة أي في تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم وقرئ الحق بالرفع والجر صفة للولاية ولله وقرأ عمرو بن عبيد بالنصب على التأكيد كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل وهي قراءة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد من أفصح الناس وأنصحهم وقرئ

عقبا بضم القاف وسكونها وعقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة **فاختلط** به نبات الأرض فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا وقيل نجع في النبات الماء فاختلط به حتى روي ورف رفيفا وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الأرض ووجه صحته أن كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه **والهشيم** ما تهشم وتحطم الواحدة هشيمة وقرئ تذروه الريح وعن ابن عباس تذريه الرياح من أذرى شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضر وارقا ثم يهيج فتطيره الرياح كأن لم يكن **وكان الله** على كل شيء من الإنشاء والإفناء مقتدرا الباقيات الصالحات أعمال الخير التي تبقى ثمرتها للإنسان وتفنى عنه كل ما تطمح إليه نفسه من حظوظ الدنيا وقيل هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وعن قتادة كل ما أريد به وجه الله **خير** أي ما يتعلق بها من الثواب وما يتعلق بها من الأمل لأن صاحبها يأمل في الدنيا ثواب الله ونصيبه في الآخرة قرئ نسير من سيرت وتسير من سيرنا وتسير من سارت أي تسير في الجو أو يذهب بها بأن تجعل هباء منبثا وترى الأرض على البناء للمفعول بارزة ليس عليها ما يسترها مما كان عليها **وحشرناهم** وجمعناهم إلى الموقف وقرئ فلم نغادر بالنون والياء يقال غادره وأغدره إذا تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل وشبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان **صفا** مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب أحد أحدا **لقد** جئتمونا أي قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر هو عامل النصب في يوم نسير ويجوز أن ينتصب بإضمار اذكر والمعنى لقد بعثناكم كما أنشأناكم أول مرة وقيل جئتمونا عراة لا شيء معكم كما خلقناكم أولا كقوله ولقد جئتمونا فرادى فإن قلت لم جيء بحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى قلت للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الأهوال والعظائم كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك **موعدا** وقتا لإنجاز ما وعدتم على ألسنة الأنبياء من البعث والنشور **الكتاب** للجنس وهو صحف الأعمال يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها خاصة من بين الهلكات **صغيرة** ولا كبيرة هي عبارة عن الإحاطة يعني لا يترك شيئا من المعاصي إلا أحصاه أي أحصاها كلها كما تقول ما أعطاني قليلا ولا كثيرا لأن الأشياء إما صغار وإما كبار ويجوز أن يريد وإما كان عندهم صغائر وكبائر وقيل لم يجتنبوا الكبائر فكتبت عليهم الصغائر وهي المناقشة وعن ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وعن سعيد بن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا وعن الفضيل كان إذا قرأها قال ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر **إلا** أحصاها إلا ضبطها وحصرها ووجدوا ما عملوا حاضرا في الصحف عتيدا أو جزاء ما عملوا **ولا يظلم** ربك أحدا فيكتب عليه ما لم يعمل أو يزيد في عقابه المستحق أو يعذبه بغير جرم كما يزعم من ظلم الله في تعذيب أطفال المشركين بذنوب آبائهم **كان** من الجن كلام مستأنف جار مجرى التعليل بعد استثناء إبليس من الساجدين كأن قائلا قال ما له لم يسجد فقيل كان

من الجن ففسق عن أمر ربه والفاء للتسبب أيضا جعل كونه من الجن سببا في فسقه لأنه
لو كان ملكا كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن أمر الله لأن الملائكة معصومون البتة
لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والإنس كما قال لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وهذا الكلام
المعترض تعجيب من الله عز وعلا لنبيه عن حال الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم فما أبعد البون
بين ما تعمده الله وبين قول من ضاده فزعم أنه كان ملكا ورئيسا على الملائكة فعصى فلعن
ومسخ شيطانا ثم وركه على ابن عباس ومعنى فسق عن أمر ربه خرج عما أمره به ربه من السجود
قال [illegible] أو صار فاسقا كافرا بسبب أمر ربه الذي هو
قوله اسجدوا لآدم أفتتخذونه الهمزة للإنكار والتعجيب كأنه قيل أعقيب ما وجد منه تتخذونه
وذريته أولياء من دوني وتستبدلونهم بي بئس للظالمين بدلا من الله إبليس لمن استبدله فأطاعه بدل
طاعته ما أشهدتهم وقرئ ما أشهدناهم يعني أنكم اتخذتموهم شركائي في العبادة وإنما كانوا
يكونون شركائي فيها لو كانوا شركائي في الإلهية فنفى مشاركتهم في الإلهية بقوله ما أشهدتهم
خلق السماوات والأرض لأعتضد بهم في خلقها ولا خلق أنفسهم أي ولا أشهدت بعضهم خلق بعض
كقوله ولا تقتلوا أنفسكم وما كنت متخذ المضلين عضدا يعني وما كنت متخذهم عضدا
أي أعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالإضلال فإذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم
تتخذونهم شركائي في العبادة وقرئ وما كنتَ بالفتح الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى
وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك أن تعتضد بهم وقرأ علي رضي الله عنه متخذًا المضلين بالتنوين على
الأصل وقرأ الحسن عَضْدا بسكون الضاد ونقل ضمتها إلى العين وقرئ عَضْدا بالفتح وسكون الضاد
وعُضُدا بضمتين وعَضَدا بفتحتين جمع عاضد كخادم وخدم وراصد ورصد من عضده إذا قواه
وأعانه ويقول بالياء والنون وإضافة الشركاء إليه على زعمهم توبيخا لهم وأراد الجن والموبق المهلك من وبق
يبق وبوقا ووبق يوبق وبقا إذا هلك وأوبقه غيره ويجوز أن يكون مصدرا كالمورد والموعد
يعني وجعلنا بينهم واديا من أودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركا يهلكون
فيه جميعا وعن الحسن موبقا عداوة والمعنى عداوة هي في شدتها هلاك كقوله لا يكن حبك كلفا
ولا بغضك تلفا وقال الفراء البين الوصل أي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيامة ويجوز
أن يريد الملائكة وعزيرا وعيسى ومريم وبالموبق البرزخ البعيد أي وجعلنا بينهم أمدا بعيدا تهلك فيه
الأشواط لفرط بعده لأنهم في قعر جهنم وهم في أعلى الجنان فظنوا فأيقنوا أنهم مواقعوها مخالطوها
واقعون فيها مصرفا معدلا [illegible] عن شيء من مصرف أكثر شيء جدلا أكثر
الأشياء التي يتأتى منها الجدل إن فصلتها واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل وانتصاب جدلا على التمييز
يعني أن جدل الإنسان أكثر من جدل كل شيء ونحوه فإذا هو خصيم مبين أن الأولى نصب والثانية رفع وقبلها
مضاف محذوف تقديره وما منع الناس الإيمان والاستغفار إلا انتظار أن تأتيهم سنة الأولين
الإهلاك أو انتظار أن يأتيهم العذاب يعني عذاب الآخرة قبلا عيانا وقرئ قبلا أنواعا جمع قبيل

وقبلا بفتحتين مستقبلا ليدحضوا به الحق ليزيلوه ويبطلوه من إدحاض القدم وهو إزلاقها
وذلك إزالتها عن موطئها وما أنذروا ويجوز أن تكون ما موصولة ويكون الراجع من الصلة محذوفا أي وما أنذروه
من العقاب أو مصدرية بمعنى وإنذارهم وقرئ هزءا بالسكون أي اتخذوها موضع استهزاء وجدالهم قولهم
للرسل ما أنتم إلا بشر مثلنا ولو شاء الله لأنزل ملائكة وما أشبه ذلك بآيات ربه بالقرآن ولذلك رجع إليها
الضمير مذكرا في قوله أن يفقهوه فأعرض عنها فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر ونسي عاقبة ما قدمت يداه
من الكفر والمعاصي غير متفكر فيها ولا ناظر في أن المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء ثم علل إعراضهم ونسيانهم
بأنهم مطبوع على قلوبهم وجمع بعد الإفراد حملا على المعنى ومعناه فلن يهتدوا فلا يكون منهم اهتداء البتة
كأنه محال منهم لشدة تصميمهم أبدا مدة التكليف كلها وإذا جزاء وجواب يدل على أن انتفاء
اهتدائهم لدعوة الرسول بمعنى أنهم جعلوا ما يجب أن يكون سبب وجود الاهتداء سببا لانتفائه وعلى أنه
جواب للرسول على تقدير قوله مالي لا أدعوهم حرصا على إسلامهم فقيل وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا
الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة ثم استشهد على ذلك بترك مؤاخذة أهل مكة
عاجلا من غير إمهال مع إفراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لهم موعد وهو يوم بدر لن يجدوا
من دونه موئلا منجى ولا ملجأ يقال وأل إذا نجا ووأل إليه إذا لجأ إليه وتلك القرى يعني قرى الأولين
من ثمود وقوم لوط وعاد وأضرابهم أشار إليها ليعتبروا وتلك مبتدأ والقرى صفته لأن أسماء الإشارة توصف
بأسماء الأجناس وأهلكناهم خبره ويجوز أن يكون تلك القرى نصبا بإضمار أهلكنا على شريطة التفسير والمعنى
وتلك أصحاب القرى لما ظلموا مثل ظلم أهل مكة وجعلنا لمهلكهم موعدا وضربنا لإهلاكهم وقتا معلوما
لا يستأخرون عنه كما ضربنا لأهل مكة يوم بدر والمهلك الإهلاك أو وقته وقرئ لمهلكهم بفتح الميم واللام
مفتوحة أو مكسورة أي لهلاكهم أو وقت هلاكهم والموعد وقت أو مصدر لفتاه لعبده وفي الحديث ليقل
أحدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وأمتي وهو يوشع بن نون وإنما قيل فتاه لأنه كان يخدمه
ويتبعه وقيل لأنه كان يأخذ منه العلم فإن قلت لا أبرح إن كان بمعنى لا أزول من برح المكان فقد دل
على الإقامة لا على السفر وإن كان بمعنى لا أزال فلا بد من الخبر قلت هو بمعنى لا أزال وقد حذف الخبر
لدلالة الحال والكلام معا عليه أما الحال فلأنها كانت حال سفر وأما الكلام فلأن قوله حتى أبلغ
مجمع البحرين غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلا بد أن يكون المعنى لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين
ووجه آخر وهو أن يكون المعنى لا يبرح مسيري حتى أبلغ على أن حتى أبلغ هو الخبر فلما حذف المضاف
أقيم المضاف إليه مقامه وهو ضمير المتكلم فانقلب الفعل عن لفظ الغائب إلى لفظ المتكلم وهو وجه
لطيف ويجوز أن يكون المعنى لا أبرح ما أنا عليه بمعنى ألزم المسير والطلب ولا أتركه ولا أفارقه حتى
أبلغ كما تقول لا أبرح المكان ومجمع البحرين المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام وهو ملتقى بحري
فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل إفريقية ومن بدع التفاسير أن البحرين موسى
والخضر لأنهما كانا بحرين في العلم وقرئ مجمع بكسر الميم وهو في الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع
من يفعل أو أمضي حقبا أو أسير زمانا طويلا والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة روي أنه لما ظهر موسى على مصر مع بني
إسرائيل واستقر بهم بعد هلاك القبط أمره الله أن يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فذكر

وقال إنه اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فأي الناس أعلم قال أنا فعتب الله عليه حين
لم يرد العلم إلى الله فأوحى الله إليه بل أعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان في أيام أفريدون قبل
موسى وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر وبقي إلى أيام موسى وقيل إن موسى سأل ربه أي عبادك أحب
إليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فأي عبادك أقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فأي
عبادك أعلم قال الذي يبتغي علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال إن كان
في عبادك من هو أعلم مني فادللني عليه قال أعلم منك الخضر قال أين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب
كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه إذا فقدت الحوت فأخبرني فذهبا
يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فأخبره فتاه
بوقوعه في البحر فأتيا الصخرة فإذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال وأنى بأرضنا السلام فعرفه
نفسه فقال يا موسى أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا فلما ركبا السفينة
جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في الماء فقال الخضر ما ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار ما أخذ هذا العصفور
من البحر **نسيا** حوتهما أي نسيا تفقد أمره وما يكون منه مما جعل أمارة على الظفر بالطلبة وقيل
نسي يوشع أن يقدمه ونسي موسى أن يأمره فيه بشيء وقيل كان الحوت سمكة مملوحة وقيل إن يوشع حمل
الحوت والخبز في المكتل فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحيوة ونام موسى فلما أصاب السمكة روح الماء
وبرده عاشت وروي أنهما أكلا منها وقيل توضأ يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش
ووقع في الماء **سربا** أمسك الله جرية الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق وحصل منه في مثل
السرب معجزة لموسى أو الخضر **فلما** جاوزا الموعد وهو الصخرة لنسيان موسى تفقد أمر الحوت وما كان
منه ونسيان يوشع أن يذكر لموسى ما رأى من حياته ووقوعه في البحر **قال لفتاه** أي بعد مجاوزة الصخرة
والغداء إلى الظهر والتي على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد ولم ينصب ولم يجع قبل ذلك ليتذكر الحوت وطلبه
وقوله من سفرنا هذا إشارة إلى مسيرهما وراء الصخرة **فإن قلت** كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه
أمارة لهما على الطلبة التي تناهضا من أجلها ولكونه معجزة شريفة حياة السمكة المملوحة
المأكول منها وقيل ما كان لا يتسع ... وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل
السرب منه كيف نسي ... النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة إلى ظهر الغد وحتى طلب
موسى عليه السلام الحوت **قلت** قد شغله الشيطان بوساوسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان
وانضم إلى ذلك أنه ضري بمشاهدة أمثاله عند موسى من العجائب واستأنس بأخواته فأعان الإلف على قلة
الاهتمام **أرأيت** بمعنى أخبرني **فإن قلت** ما وجه التئام هذا الكلام فإن كل واحد من أرأيت وإذ أوينا
وفإني نسيت الحوت لا متعلق له **قلت** لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما رأى منه وما اعتراه من
نسيانه إلى تلك الغاية فدهش وطفق يسأل موسى عن سبب ذلك كأنه قال أرأيت ما دهاني إذ أوينا إلى
الصخرة فإني نسيت الحوت فحذف ذلك وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت أن أذكره بدل من الهاء في أنسانيه
أي وما أنساني ذكره إلا الشيطان وفي قراءة عبد الله أن أذكركه وعجبا ثاني مفعولي اتخذ مثل سربا
يعني اتخذ سبيله سبيلا عجبا وهو كونه شبيه السرب أو قال عجبا في آخر كلامه تعجبا من حاله في رؤية

تلك العجيبة ونسيانه لها أو مما رأى من المعجزتين وقوله وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره
اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل إن عجبا حكاية لتعجب موسى وليس بذاك **قال ذلك**
إشارة إلى اتخاذه سبيلا أي ذلك الذي كنا نبغ نطلب لأنه أمارة الظفر بالطلبة من لقاء الخضر
وقرئ نبغ بغير ياء في الوصل وإثباتها أحسن وهي قراءة أبي عمرو وأما الوقف فالأكثر فيه طرح
الياء اتباعا لخط المصحف **فارتدا** فرجعا على آثارهما قصصا يقصان قصصا أي يتبعان آثارهما
اتباعا أو فارتدا مقتصين **رحمة** من عندنا هي الوحي والنبوة مما يختص بنا من العلم وهو الإخبار
عن الغيوب **رشدا** قرئ بفتحتين وبضم وسكون أي علما ذا رشد أرشد به في ديني **فإن قلت**
أما دلت حاجته إلى التعلم من آخر في عهده أنه كما قيل موسى بن ميشا لا موسى بن عمران لأن النبي يجب أن
يكون أعلم أهل زمانه وإماما لهم مرجوعا إليه في أبواب الدين **قلت** لا غضاضة بالنبي في أخذ العلم
من نبي مثله وإنما يغض منه أن يأخذه ممن دونه وعن سعيد بن جبير أنه قال لابن عباس إن نوفا ابن امرأة
كعب يزعم أن الخضر ليس بصاحب موسى وأن موسى هو موسى بن ميشا فقال كذب عدو الله
نفى استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك بأنه يتولى
أمورا هي في ظاهرها مناكير والرجل الصالح فكيف إذا كان نبيا لا يتمالك أن يشمئز ويمتعض ويجزع
إذا رأى ذلك ويأخذ في الإنكار **خبرا** تمييز أي لم يحط به خبرك أو لم تحط به بمعنى لم تخبره
فنصبه نصب المصدر **ولا أعصي** في محل النصب عطف على صابرا أي ستجدني صابرا وغير عاص
أو لا في محل عطفا على ستجدني رجا موسى عليه السلام لحرصه على العلم وازدياده أن يستطيع معه صبرا
بعد إفصاح الخضر عليه السلام عن حقيقة الأمر ووعد بالصبر معلقا بمشيئة الله تعالى علما منه بشدة
الأمر وصعوبته وأن الحمية التي تأخذ المصلح عند مشاهدة الفساد شيء لا يطاق هذا مع علمه
أن النبي المعصوم الذي أمره الله بالمسافرة إليه واتباعه واقتباس العلم منه بريء من أن يباشر ما فيه
غميزة في الدين وأنه لا بد لما يستقبح ظاهره من باطن حسن جميل فكيف إذا لم يعلم **فلا تسألني** بالنون
الثقيلة يعني أن شرط اتباعك لي أنك إذا رأيت مني شيئا وقد علمت أنه صحيح إلا أنه خفي عليك وجه
صحته فحميت وأنكرت في نفسك أن لا تفاتحني بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى أكون أنا الفاتح عليك
وهذا من باب أدب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع **فانطلقا** على ساحل البحر يطلبان السفينة
فلما ركبا قال أهلها هما من اللصوص وأمروهما بالخروج فقال صاحب السفينة أرى وجوه الأنبياء
وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول فلما لججوا أخذ الخضر الفأس فخرق السفينة بأن قلع
لوحين من ألواحها مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه ويقول أخرقتها لتغرق أهلها
وقرئ ليغرق أهلها بالتشديد وليغرق أهلها من غرق وأهلها مرفوع **لقد جئت شيئا إمرا** أتيت
شيئا عظيما من أمر الأمر إذا عظم **قال لا تؤاخذني بما نسيت** ولا مؤاخذة على الناسي أو أخرج الكلام في معرض
بالذي نسيته أو بنسياني إياها لأنه نسي وصيته ... في الإنكار وهو من معاريض
النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه أنه قد نسي ليبسط عذره

هو نوف البكالي

أي بغير أجرة

الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوصل الى الغرض كقول ابرهيم عليه السلام هذه اختي واني سقيم
او اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة يقال رهقه اذا غشيه
وارهقه اياه اي ولا تغشني عسرا من امري وهو اتباعه اياه يعني ولا تعسر علي متابعتك ويسرها
علي بالاغضاء وترك المناقشة وقرئ عسرا بضمتين **فقتله** قيل كان فتل عنقه وقيل
ضرب براسه الحائط وعن سعيد بن جبير اضجعه ثم ذبحه بالسكين فان قلت لم قيل خرقها اذا
ركبا في السفينة خرقها بغير فاء وحتى اذا لقيا غلاما فقتله بالفاء قلت جعل خرقها
جزاء الشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء قال اقتلت فان قلت لم خولف
بينهما قلت لان الخرق لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام وقرئ زاكية وزكية
وهي الطاهرة من الذنوب اما لانها طاهرة عنده لانه لم يرها قد اذنبت واما لانها صغيرة لم تبلغ
الحنث **بغير** نفس يعني لم تقتل نفسا فيقتص منها وعن ابن عباس ان نجدة الحروري كتب اليه
كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال
الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل **نكرا** وقرئ بضمتين وهو المنكر وقيل النكر اقل من الامر
لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة وقيل معناه جئت شيئا انكر من الاول
لان ذاك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه فان قلت ما معنى زيادة
لك قلت زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية والوسم بقلة الصبر عند الكرة
الثانية **بعدها** بعد هذه الكرة او المسألة فلا تصاحبني فلا تقارنني وان طلبت صحبتك فلا
تتابعني على ذلك وقرئ فلا تصحبني فلا تكن صاحبي وقرئ فلا تصحبني اي فلا تصحبني اياك ولا
تجعلني صاحبك **من لدني** عذرا قد اعذرت وقرئ لدني بتخفيف النون ولدني بسكون الدال وكسر
النون كقولهم في عضد عضد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيى فقال
ذلك وقال رحمة الله علينا وعلى اخي موسى لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب **اهل** قرية
هي انطاكية وقيل الابلة وهي ابعد ارض الله من السماء **ان يضيفوهما** وقرئ يضيفوهما
يقال اضافه اذا جعله ضيفا وحقيقته مال اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره
زاره من الازورار واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفه وعن النبي صلى الله عليه وسلم
كانوا اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل
حقه **يريد** ان ينقض استعيرت الارادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم
لذلك قال الراعي ﴿ في مهمه قلقت به هاماتها ﴾ قلق الفؤوس اذا اردن نصولا ﴾
وقال ﴿ يريد الرمح صدر ابي براء ﴾ ويعدل عن دماء بني عقيل ﴾ وقال حسان
﴿ ان دهرا يلف شملي بجمل ﴾ لزمان يهم بالاحسان ﴾ وسمعت من يقول عزم السراج
ان يطفا وطلب ان يطفا واذا كان القول والنطق والشكاية والصدق والكذب
والسكوت والتمرد والاباء والعزة والطواعية وغير ذلك مستعارة للجماد ولما لا

يعقل فما بال الارادة قال ﴿ اذ قالت الانساع للبطن الحق ﴾ ﴿ تقول سني للنواة طني ﴾
﴿ لا ينطق اللهو حتى ينطق العود ﴾ ﴿ وشكا الي بعبرة وتحمحم ﴾ ﴿ ان يخطني صادقا وهو صادق ﴾
﴿ ولما سكت عن موسى الغضب ﴾ ﴿ تمرد مارد وعز الابلق ﴾ ولبعضهم
﴿ يابى على اجفانه اغفاءة ﴾ هم اذا انقاد الهموم تمردا ﴾
﴿ ابت الروادف والثدي لقمصها ﴾ مس البطون وان تمس ظهورا ﴾ قالتا اتينا
طائعين ولقد بلغني ان بعض المحرفين لكلام الله تعالى ممن لا علم له كان يجعل الضمير للخضر لان ما
كان فيه من آفة الجهل وسقم الفهم اراه اعلى الكلام طبقة ادناه منزلة فتمحل ليرده الى ما
هو عنده افصح وافصح وعنده ان ما كان ابعد من المجاز كان ادخل في الاعجاز **وانقض** اذا اسرع
سقوطه من انقضاض الطائر وهو انفعل مطاوع قضضته وقيل افعل من النقض
كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض من النقض وان ينقاض من انقاضت السن اذا انشقت طولا
قال ذو الرمة ﴿ منقاض ومنكثب ﴾ بالقاف غير معجمة **فاقامه** قيل اقامه بيده
وقيل مسحه بيده فقام واستوى وقيل اقامه بعمود عمده به وقيل نقضه وبناه
وقيل كان طول الجدار في السماء مائة ذراع كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم
وقد لزتهما الحاجة الى آخر كسب المرء وهو المسألة فلم يجدوا مواسيا فلما اقام الجدار لم
يتمالك موسى لما راى من الحرمان ومساس الحاجة ان قال لو شئت لتخذت عليه اجرا وطلبت على
عملك جعلا حتى نستنعش به ونستدفع به الضرورة وقرئ لتخذت والتاء في تخذ اصل
كما في تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الاخذ في شيء فان قلت هذا اشارة
الى ماذا قلت قد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده على ما قال موسى عليه السلام ان سالتك
عن شيء بعدها فلا تصاحبني فاشار اليه وجعله مبتدا واخبر عنه كما تقول هذا اخوك
فلا يكون هذا اشارة الى غير الاخ ويجوز ان يكون اشارة الى السؤال الثالث اي هذا الاعتراض
سبب الفراق والاصل هذا فراق بيني وبينك وقد قرا به ابن ابي عبلة فاضيف المصدر الى الظرف
كما تضاف الاسماء اليه **لمساكين** قيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر
وراءهم امامهم كقوله من ورائهم برزخ وقيل خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان
عندهم خبره فاعلم الله به الخضر وهو جلندى فان قلت قوله فاردت ان اعيبها مسبب
عن خوف الغصب عليها فكان حقه ان يتاخر عن السبب فلم قدم عليه قلت النية به التاخير
وانما قدم للعناية ولان خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها للمساكين فكان بمنزلة
قولك زيد ظني مقيم وقيل في قراءة ابي وعبد الله كل سفينة صالحة وقرا الجحدري فكان ابواه
مؤمنان على ان كان فيه ضمير الشان فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فخشينا ان يغشي
الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا
وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما

برّ به ويلحقهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الإيمان وإنما خشي الخضر
منه ذلك لأن الله عز وعلا أعلمه بحاله وأطلعه على سر أمره وأمره إياه بقتله كاخترامه
لمفسدة عرفها في حياته وفي قراءة أبي فخاف ربك والمعنى فكره ربك كراهة من خاف
سوء عاقبة الأمر فغيّره ويجوز أن يكون قوله فخشينا حكاية لقول الله عز وجل بمعنى فكرهنا
كقوله لأهب لك وقرئ يبدّلهما بالتشديد والزكاة الطهارة والنقاء من الذنوب والرحم
الرحمة والعطف فروي أنه ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه أمة
من الأمم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل أبدلهما ابنا مؤمنا مثلهما وقيل اسما الغلامين أصرم
وصريم والغلام المقتول اسمه الحسين في اختلف في الكنز فقيل مال مدفون من ذهب وفضة
وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق
كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت
لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيل
صحف فيها علم والظاهر لإطلاقه أنه مال وعن قتادة أحل الكنز لمن قبلنا وحرم
علينا وحرمت الغنيمة عليهم وأحلت لنا أراد قوله تعالى والذين يكنزون الآية وكان
أبوهما صالحا اعتداد بصلاح أبيهما وحفظ لحقه فيهما وعن جعفر بن محمد كان بين الغلامين
وبين الأب الذي حفظا فيه سبعة آباء وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه قال لبعض
الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ الله مال الغلامين قال بصلاح أبيهما قال فأبي وجدي
خير منه فقال قد أنبأنا الله أنكم قوم خصمون رحمة مفعول له أو مصدر منصوب بأراد
ربك لأنه في معنى رحمهما وما فعلته وما فعلت ما رأيت عن أمري عن اجتهادي ورأيي
وإنما فعلته بأمر الله ذو القرنين هو الإسكندر الذي ملك الدنيا قيل ملكها
مؤمنان ذو القرنين وسليمان وكافران نمرود وبختنصر وكان بعد نمرود وذو اختلف
فيه فقيل كان عبدا صالحا ملّكه الله الأرض وأعطاه العلم والحكمة وألبسه الهيبة
وسخّر له النور والظلمة فإذا سرى يهديه النور من أمامه وتحوطه الظلمة من ورائه
وقيل نبيا وقيل ملكا من الملائكة وعن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين
فقال اللهم غفرا أما رضيتم أن تتسموا بأسماء الأنبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة وعن علي
رضوان الله عليه سخّر له السحاب ومدّت له الأسباب وبسط له النور وسئل عنه فقال
أحب الله فأحبه وسأله ابن الكوا ما ذو القرنين أملك أم نبي فقال ليس بملك ولا نبي
ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الأيمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب
على قرنه الأيسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله قيل كان يدعوهم إلى التوحيد
فيقتلونه فيحييه الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم سمي ذا القرنين لأنه طاف قرني الدنيا يعني
جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان أي ضفيرتان وقيل انقرض في وقته قرنان

من الناس وعن وهب لأنه ملك الروم وفارس وروي الروم والترك وعنه كانت
صفحتا رأسه من نحاس وقيل كان لتاجه قرنان وقيل كان على رأسه ما يشبه
القرنين ويجوز أنه لقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا كأنه ينطح أقرانه
وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره والسائلون هم اليهود سألوه على جهة الامتحان
وقيل سأله أبو جهل وأشياعه والخطاب في عليكم لأحد الفريقين من كل شيء أي من أسباب
كل شيء أراده من أغراضه ومقاصده في ملكه سببا طريقا موصلا إليه والسبب ما
يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة فأراد بلوغ المغرب فأتبع سببا يوصله إليه
حتى بلغ وكذلك أراد المشرق فأتبع سببا وأراد بلوغ السدين فأتبع سببا وقرئ فأتبع
قرئ حمئة من حمئت البئر إذا صارت فيها الحمأة وحامية بمعنى حارة وعن أبي ذر
رضي الله عنه كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل فرأى الشمس حين غابت
فقال أتدري يا أبا ذر أين تغرب هذه قلت الله ورسوله أعلم قال فإنها تغرب في عين
حامية وهي قراءة ابن مسعود وطلحة وابن عمر وأبي عمرو والحسن وقرأ ابن عباس حمئة
وكان ابن عباس عند معاوية فقرأ معاوية حامية فقال ابن عباس حمئة فقال معاوية
لعبد الله بن عمر كيف تقرأ قال كما يقرأ أمير المؤمنين ثم وجه إلى كعب الأحبار كيف تجد
الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة وروي في ثأط فوافق قول ابن
عباس وكان ثم رجل فأنشد قول تبع

فرأى مغيب الشمس عند مآبها ... في عين ذي خلب وثأط حرمد

ماء ذي طين وحمأ أسود ولا تنافي بين الحمئة والحامية فجائز أن تكون العين
جامعة للوصفين جميعا كانوا كفرة فخيّره الله بين أن يعذبهم بالقتل وأن يدعوهم
إلى الإسلام فاختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم فقال أما من دعوته فأبى إلا
البقاء على الظلم العظيم الذي هو الشرك فذاك هو المعذب في الدارين وأما من آمن وعمل
ما يقتضيه الإيمان فله جزاء الحسنى وقيل خيّره بين القتل والأسر وسماه إحسانا
في مقابلة القتل فله جزاء الحسنى أي فله أن يفعل الحسنى جزاء وعن قتادة كان يطبخ
من كفر في القدور وهو العذاب النكر ومن آمن أعطاه وكساه من أمرنا يسرا أي لا نأمره
بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغير ذلك وتقديره ذا يسر
كقوله قولا ميسورا وقرئ يسرا بضمتين وقرئ مطلع بفتح اللام وهو مصدر والمعنى
بلغ مكان مطلع الشمس كقوله ... كأن مجر الرامسات ذيولها ... يريد كأن آثار
مجر الرامسات على قوم قيل هم الزنج والستر الأبنية وعن كعب أرضهم لا تمسك الأبنية
وبها أسراب فإذا طلعت الشمس دخلوها فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى معايشهم وعن بعضهم

خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة
فبلغتهم فإذا أحدهم يفرش أذنه ويلبس الأخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا له
جئنا ننظر كيف تطلع الشمس فبينا نحن كذلك إذ سمعنا كهيئة الصلصلة
فغشي علي ثم أفقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء إذا هي فوق الماء
كهيئة الزيت فأدخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا إلى البحر فجعلوا
يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وقيل الستر اللباس وعن مجاهد
من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض
كذلك أي أمر ذي القرنين كذلك أي كما وصفناه تعظيما لأمره وقد أحطنا بما
لديه من الجنود والآلات وأسباب الملك خبرا تكثيرا لذلك وقيل لم نجعل لهم من
دونها سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والأبنية والأكنان
من كل جنس والثياب من كل صنف وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك أي كما بلغ
مغربها وقيل تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم يعني أنهم كفرة مثلهم
وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر وإحسانه إلى من آمن منهم بين السدين
بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما قرئ بالضم والفتح وقيل ما كان من خلق
الله فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح لأن السد بالضم فعل بمعنى
مفعول أي هو مما فعله الله وخلقه والسد بالفتح مصدر حدث يحدثه الناس
وانتصب بين على أنه مفعول به مبلوغ كما انجر على الإضافة في قوله هذا فراق بيني وبينك
وكما ارتفع في قوله لقد تقطع بينكم لأنه من الظروف التي تستعمل أسماء وظروفا وهذا
المكان في منقطع أرض الترك مما يلي المشرق من دونهما قوما هم الترك لا يكادون يفقهون قولا
لا يكادون يفهمونه إلا بجهد ومشقة من إشارة ونحوها كما يفهم البكم وقرئ يُفقهون
أي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لأن لغتهم غريبة مجهولة يأجوج ومأجوج اسمان
أعجميان بدليل منع الصرف وقرئا بالهمز وهما من ولد يافث وقيل
يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم مفسدون في الأرض قيل كانوا يأكلون الناس وقيل
كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئا أخضر إلا أكلوه ولا يابسا إلا احتملوه وكانوا يلقون
منهم قتلا وأذى شديدا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفتهم لا يموت أحد منهم حتى
ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرطو الطول
وقصار مفرطو القصر فهل نجعل لك خرجا وخراجا أي جعلا نخرجه من أموالنا ونظيرهما النول
والنوال ... سدا وسدا بالفتح والضم ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا
من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لي من الخراج ... مكني بالإدغام وبفكه فأعينوني بقوة بفعلة

وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات أجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا حصينا موثقا والردم
أكبر من السد من قولهم ثوب مردم رقاع فوق رقاع قيل حفر الأساس حتى بلغ
الماء وجعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب
والفحم حتى سد ما بين الجبلين إلى أعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى إذا صارت كالنار صب
النحاس المذاب على الحديد المحمي فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا
وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ وقرئ سوى وسُوِّي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن رجلا أخبره به فقال كيف رأيته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد
رأيته والصدفين بفتحتين جانبا الجبلين لأنهما يتصادفان أي يتقابلان وقرئ الصدفين
بضمتين والصدْفين بضمة وسكون والصَّدُفين بفتحة وضمة قطرا النحاس المذاب لأنه
يقطر وقطرا منصوب بأفرغ وتقديره آتوني قطرا أفرغ عليه قطرا فحذف الأول لدلالة
الثاني عليه وقرئ قال ائتوني أي جيئوني فما اسطاعوا بحذف التاء للخفة لأن التاء
قريبة المخرج من الطاء وقرئ فما اصطاعوا بقلب السين صادا وأما من قرأ بإدغام التاء
في الطاء فملاق بين ساكنين على غير الحد أن يظهروه أن يعلوه أي لا حيلة لهم فيه من صعود
لارتفاعه وانملاسه ولا نقب لصلابته وثخانته هذا إشارة إلى السد أي هذا السد
نعمة من الله ورحمة على عباده أو هذا الإقدار والتمكين من تسويته فإذا جاء وعد ربي
يعني فإذا دنا مجيء يوم القيامة وشارف أن يأتي جعله السد دكا أي مدكوكا مبسوطا مسوى بالأرض
وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الأدك المنبسط السنام وقرئ دكاء
بالمد أي أرضا مستوية وكان وعد ربي حقا آخر حكاية قول ذي القرنين وتركنا وجعلنا
بعضهم بعض الخلق يموج في بعض أي يضطربون ويختلطون إنسهم وجنهم حيارى ويجوز أن
يكون الضمير ليأجوج ومأجوج وأنهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في البلاد ويروى أنهم
يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم
من الناس ولا يقدرون أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله عليهم نغفا في أقفائهم
فيدخل في آذانهم فيموتون وعرضنا جهنم وبرزناها لهم فرأوها وشاهدوها عن ذكري
عن آياتي التي ينظر إليها فأذكر بالتعظيم أو عن القرآن وتأمل معانيه وتبصرها ونحوه
صم بكم عمي وكانوا لا يستطيعون سمعا يعني وكانوا صما عنه إلا أنه أبلغ لأن الأصم قد
يستطيع السمع إذا صيح به وهؤلاء كأنهم أصميت أسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع
عبادي من دوني أولياء هم الملائكة يعني أنهم لا يكونون لهم أولياء كما حكي عنهم سبحانك
أنت ولينا من دونهم وقرأ ابن مسعود أفظن الذين كفروا وقرأ علي رضي الله عنه أفحسب
الذين كفروا أي أفكافيهم ومحسبهم أن يتخذوهم أولياء على الابتداء والخبر أو على الفعل

رأيته

منبسطا

صلوات الله عليهم

والفاعل لان اسم الفاعل اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل كقولك أقائم
الزيدان والمعنى ان ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا وفي قراءة
مصحفه حسبهم النزل ما يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب اليم ضل سعيهم ضاع
وبطل وهم الرهبان عن علي رضوان الله عليه كقوله عاملة ناصبة وعن مجاهد اهل الكتاب
وعن علي رضي الله عنه ان ابن الكوا ساله عنهم فقال منهم اهل حروراء وعن ابي سعيد الخدري
ياتي ناس باعمال يوم القيمة هي عندهم في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا فلا
نقيم لهم وزنا فنزدري بهم ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار وقيل لا يقام لهم ميزان لان الميزان
انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين وقرى فلا يقيم بالياء فان قلت الذين ضل
سعيهم في اي محل هو قلت الاوجه ان يكون في محل الرفع على هم الذين ضل سعيهم
لانه جواب عن السؤال ويجوز ان يكون نصبا على الذم او جرا على البدل ذلك عطف بيان لقوله
جزاؤهم حولا تحولا يقال حال من مكانه حولا كقولك عادني حبها عودا يعني لا مزيد
عليها حتى تنازعهم انفسهم الى اجمع لاغراضهم وامانيهم وهذه غاية الوصف لان الانسان
في الدنيا في اي نعيم كان فهو طامح الطرف الى ارفع منه ويجوز ان يراد نفي التحول وتاكيد
الخلود المداد اسم ما تمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط ويقال البحر
مداد الارض والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد
بالبحر الجنس لنفد قبل ان تنفد الكلمات ولو جئنا بمثل البحر مددا لنفد ايضا
والكلمات غير نافدة ومددا تمييز كقولك لي مثله رجلا والمدد مثل المداد وهو
ما يمد به وعن ابن عباس بمثله مدادا وقرا الاعرج مددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما
يستمده الكاتب فيكتب به وقرى ينفد بالياء وقيل قال حيي بن اخطب في كتابكم
ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤون وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعني
ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله فمن كان يرجو لقاء ربه فمن كان
يامل حسن لقاء ربه وان يلقاه لقاء رضى وقبول وقد فسرنا اللقاء او فمن كان يخاف سوء
لقائه والمراد بالنهي عن الاشراك بالعبادة ان لا يرائي بعمله وان لا يبتغي به الا وجه ربه
خالصا لا يخلط به غيره وقيل نزلت في جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اني اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك
فيه وروي انه قال لك اجران اجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى
به وعنه صلى الله عليه وسلم اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك
الاصغر قال الرياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قراها كلها كانت

٥

له نورا من الارض الى السماء وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا عند
مضجعه قل انما انا بشر مثلكم كان له في مضجعه نورا يتلالا الى مكة
حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه
بمكة كان له نورا يتلالا من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك
النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ

تم الجزء الثاني من اربعة اجزاء من كتاب الكشاف
للعلامة الزمخشري ويتلوه ان شاء الله تعالى
في اول الجزء الثالث اول سورة مريم عليها السلام
ووافق الفراغ من تحريره في شهر جمادى الاول من شهور سنة [illegible]
والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله وسلم

[illegible]